الرَّوْضُ الأُنُف

في شَرحِ السِّيرةِ النبويَّةِ لابنِ هِشام



الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

مكتبة العلم بجدة

حي الشغر

ت : ٦٨٧٧٠١٤

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت : ٨٦٤٢٤٠

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للإمام السهيلى ، والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل



عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجباً وشعبان ورمضان وشوّالاً ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلى .

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله فى ذلك : ﴿والحُرُماتُ قِصاصٌ﴾.

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عُسرة وجَهد وشدّة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صَفّوا له

. . . .

عند دار النَّدوة لينْظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنى ، ثم قال : رحم الله أمرأ أراهم اليومَ من نفسه قوّةً ، ثم استلم الرُّكن ، وخرج يُهَرْوِلُ ويُهرول أصحابُه معه ، حتى إذا واراهُ البيت منهم ، واستلم الركنَ اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ ، ومشى سائرَها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحىِّ من قُريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حجّ حِجَّة الوداع فلزمها ، فمضت السّنة بها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بنُ أبى بكر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العُمرة دخلها وعبدُ الله بنُ رواحة آخِذٌ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّار عن سبيلِهِ خلُّوا فكلُّ الخير فى رسولِهِ
يارَبّ إنى مُؤْمنٌ بقِيلِهِ أعْرِف حَقَّ اللهِ فى قَبُولِهِ

* * *

نحنُ قتلْناكم على تأويلِهِ كما قتلْناكم على تنزيلِهِ
ضَرْباً يُزِيل الهامَ عن مَقِيلِهِ ويُذْهِل الخليلَ عن خليلِهِ

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمَّار بن ياسِر فى غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابنَ رَوَاحةَ إنما أراد المُشركين

والمُشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل ، وإنما يُقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهدٍ أبى الحجاج ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام ، وكان الذى زوّجه إيَّاها العبَّاس بن عبد المُطَّلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أمّ الفَضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العبَّاس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكةَ ، وأصدَقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيطِبُ بنُ عبد العُزَّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قُريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قُرَيش قد وكَّلته بإخراج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنَّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لاحاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخلَّف أبا رافع مولاه على ميمونة ، أتاه بها بسَرِفٍ ، فبنى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة .

. . . .

قال ابن هشام : فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحقّ ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتخافُونَ ، فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ يعنى خيبر .

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبدالله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقيَّة ذى الحجة ، ووَلِيَ تلك الحجَّة المشركون ، والمحرّم وصفراً وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثَه إلى الشام الذين أُصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبى طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهزّ الناسُ ثم تهيَّئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودّع الناسُ أمراءَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسلَّموا عليهم . فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من أُمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أمَا والله مابى حُبُّ الدنيا ولا صَبابة بكم ، ولكنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله

عزّ وجلّ ، يذكر فيها النار ﴿ وإنْ مِنكمْ إلّا وارِدُها كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ﴾ مريم : ٧١ ، فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعــد الورود ، فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبــدُ الله ابن رواحة :

لـكنَّنِي أسألُ الرَّحمنَ مَغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا

أو طَعْنَةً بيَدَىْ حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بحَرْبة تُنفِذ الأحشاءَ والـكَبِدا

حتى يُقال إذا مرُّوا على جَدَثى ... أرشدَه الله من غازٍ وقد رَشَدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيَّئوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ، ثم قال :

فثبَّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصِروا

إنى تفرّستُ فيكَ الخيرَ نافِلةً ... اللهُ يعلم أنى ثابتُ البَصَر

أنتَ الرَّسولُ فمَن يُحرَم نَوافلَه ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القَـدرُ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنتَ الرَّسولُ فمَن يُحرَم نوافِلَه ... والوَجْهَ منهُ فقَد أزْرَى به القَدَرُ

فثبَّت الله ما آتاكَ مِن حَسَنٍ ... فى المرسلين ونصراً كالذى نُصِرُوا

إنى تفرّست فيك الخــير نافلةً ... فراسةً خالفتْ فيكَ الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلامُ على امرئٍ ودّعته في النَّخْلِ خيرَ مُشَيِّعٍ وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نَزل مآب ، من أرض البلقاء ، في مِائةِ ألف من الروم ، وانضمّ إليهم من لخم وجُذام والقَيْن وبَهْراء وَبلِيّ مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلىّ ثم أحدُ إرَاشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبرُه بعدد عدوّنا ، فإماً أن يُمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

قال : فشجَّع الناسَ عبدُ الله بنُ رِواحة ، وقال : ياقوم ، والله إن التى تكرهون ، لَلَّتِي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلِقُوا فإنما هى إحْدَى الحُسنيين، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة . فمضى الناسُ ، فقال عبد الله بن رواحة فى تَحْبسهم ذلك :

جَلَبْنا الخيلَ من أَجَإٍ وفَرْعٍ تُغَرُّ مِن الحشيش لها العُكُومُ

حَذَوْناها مِنَ الصَّوَّان سِبْتاً أزلَّ كأنّ صَفْحتَه أدِيمُ

أقامَت لَيلَتَيْن على مَعَانٍ فأعْقَبَ بعدَ فترتها جُمُومُ

. . . .

فرُحْنا والجِيـــاد مُسَوَّمات تَنَفَّسُ فى مَناخِرها السُّمُومُ

فَـلا وأبى مآبَ لَنَأْتِيَنْها وإن كانت بها عَربٌ ورُومُ

فَعَبَّأْنا أعِنَّتَها فَجاءتْ عَوابسَ والغُبارُ لَهَا بَرِيمُ

بذى لجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيـه إذا بَرزتْ قوانِسُها النُّجُومُ

فَرَاضِيَةُ المَعِيشَـةِ طَلَّقَتْها أسنّتها فتَنْـكِحُ أو تَئِيمُ

قال ابن هشام : « ويروى : جلبنا الخيل من آجام قُرح » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناسُ ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفى على حَقيبة رَحْله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أدَّيْتِنِى وحملتِ رَحْـلى مسيرةَ أربعٍ بعـــدَ الحِساء

فشأنُك أنعُمٌ وخـــلاكِ ذمٌ ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى

وجاء المُسلمونَ وغادَرونى بأرض الشام مُسْتَنْهِى الثَّواء

وردّك كلُّ ذى نسب قَريب إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاء

هنالك لا أبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْـــلٍ أسافلُها رِوَاء

فلما سمعتُهنّ منه بكيت . قال : فخفقنى بالدِّرَّة ، وقال : ماعليك بالُكَع

أن يرزقنى الله شهادةً وترجعَ بين شُعْبتى الرَّحْل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ   تطاول اللَّيلُ هُدِيتَ فانزِلِ

لقاء الروم

قال ابن إسحاق : فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم البلْقاء لقيتْهم جموع هِرَقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدوّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذرة ، يقال له : قُطْبة ابنُ قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيدُ بن حارثة براية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ، فعقَرها ، ثم قاتَل القوم حتى قُتِل . فكان جعفرُ أوّلَ رجل من المسلمين عَقَر فى الإسلام .

وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة، غزوة مُؤتة قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فَرس له شقراءَ ، ثم عَقرها ثم قاتَل حتى قُتل وهو يقول :

ياحبّــذا الجنّةُ واقترابُها طَيّبــةً وبارداً شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دَنا عذابُها كافرةٌ بعيــدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرَ بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقُطعت ، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة. يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين

استشهاد جعفر وابن رواحة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزّبير،عن أبيه عبّاد قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقـدّم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أقسمْتُ يانفسُ لتَنْزِلنّهْ لَتَنْزِلِنّ أوْ لَتُكْرَهِنّهْ

إنْ أجلَب الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ ... مالى أراكِ تَكرهين الجنَّه
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنهْ ... هل أنتِ إلا نُطْفة فى شَنَّهْ

وقال أيضاً :

يا نَفسُ إلَّا تُقتَلى تَموتى ... هذا حِمام المَوْت قد صَليتِ
وما تمنَّيتِ فقد أُعْطِيتِ ... إن تفعلى فِعْلهما هُديتِ

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق من لحم فقال : شُدّ بهذا صلبَك ، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ثم انتهَس منه نَهْسةً ، ثم سمع الحَطْمَة فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدّم ، فقاتل حتى قُتل .

عمل خالد

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بنى العَجْلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحِيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث

قال ابن إسحاق : ولماّ أُصيب القوم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم أخذها

جعفرٌ فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنه قد كان فى عَبْدِ اللهِ بن رَوَاحَةَ بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبدُ الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رُفِعوا إلىَّ فى الجنَّة ، فيما يَرَى النائم ، على سُرُرٍ من من ذهب ، فرأيت فى سرير عبدِالله بن رواحة ازْوِرَاراً عن سريرى صاحبَيْه، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبدُ الله بعض التردّد، ثم مضى .

حزن الرسول على جعفر

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أمّ عيسى الخزاعية ، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدّتها أسماء بنت عُميس ، قالت : لما أُصيب جعفرٌ وأصحابُه دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دَبَغتُ أربعين منًا – قال ابن هشام : ويروى : أربعين منيئة – وعجنت عجينى ، وغسلت بنىّ ودَهنتهم ونظّفتهم . قالت : فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى ببنى جعفر ، قالت : فأتيته بهم ، فتشمّمهم وذَرفت عيناه ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى، مايُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم ، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ، واجتمعتْ إلىّ النساء ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تُغْفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نَعى جعفر عَرَفنا فى وجه رسول الله

. . . .

صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيْننا و فَتنَّنا ، قال : فارجع إليهن فأسْكِتهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك - قال : تقول وربما ضرّ التكلّف أهله - قالت : قال : فاذهب فأسكِتهن ، فإن أبينَ فاحثُ فى أفواههنّ التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِي فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرىّ ، الذى كان على مَيْمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قُطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنِ الإرا ... ش برُمح مضَى فيه ثم انحطَم

ضربتُ على جيدِهِ ضَرْبةً ... فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ

وسُقْنا نساء بنى عمِّه ... غداة رقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .

والبيت الثالث عن خَلَّاد بن قُرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة :

كاهنة حدس

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حَدَس - وقومُها بطن يقال لهم بنو غَنْم - أنذركم قوماً خُزْراً ، ينظرون شَزْراً ، ويقودون الخيل تَتْرى ، ويُهرِيقون دماً عَكِراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛

فلم تزل بعدُ أثرى حدَس . وكان الذين صَلُوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزالوا قايلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

كيف تلقى الجيش ؟ !

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فأحملوهم ، وأعطونى ابنَ جعفر . فأُتِى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون : يافُرّار ، فررتم فى سبيل الله ؟ قال : فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمُّ سَلَمَةَ لامرأةِ سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المُغيرة : مالى لا أرى سَلَمة يحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرّار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

شعر قيس فى الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته

بالناس وانصرافه بهم ، قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمَرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفكُّ نفسى تلومنى على مَوْقفى والخيل قابعةٌ قُبْلُ
وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيراً فنافِذاً ولا مانِعاً مَنْ كان حُمّ له القَتْل
على أننى آسَيْتُ نَفْسِى بخالِدٍ ألا خالدٌ فى القوم لَيْس له مِثْل
وجاشت إلىّ النفسُ من نحو جَعْفر بمُؤْتَةَ إذ لا يَنْفع النابلَ النَّبْل
وضمّ إلَيْنا حَجْزَتَيْهم كليهما مهاجِرةٌ لا مُشركون ولا عُزْل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقّق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمَّر المسلمون عليهم خالدَ ابن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكِىَ به أصحاب مُؤْتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسّان بن ثابت :

تأوّبنى ليلٌ بيثرب أعْسَرُ وهَمٌّ إذا ما نوّم الناسُ مُسْهِرُ
لذِكْرَى حبيبٍ هيّجتْ لى عَبرةً سَفُوحاً وأسبابُ البكاءِ التّذكُّر
بَلى ، إن فقدانَ الحبيبِ بليّةٌ وكمْ من كريمٍ يُبْتَلى ثم يَصْبر

. . . .

رأيتُ خيارَ المُؤمنينَ تَوارَدُوا شَعُوبَ وخَلفاً بعــدُهمْ يتأخّر
فــلا يُبْعِدنَّ اللهُ قتلى تَتابَعُوا بمُؤتَة منهم ذو الجناحين جَعْفر
وزيدٌ وعبــد الله حين تَتابعُوا جميعاً وأسبابُ المنيّــةِ تَخْطِر
غــداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم إلى الموت ميمونُ النّقيبة أزْهَر
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم أبىّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجْسَر
فطاعن حتى مال غــير مُوَسَّد لمُعترِكٍ فيــه قَنا مُتَكَسِّر
فصار مَع المُسْتَشْهِدِينَ ثَوابُهُ جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخْضَر
وكنّا نرَى فى جعفر من محمّد وفاءً وأمْراً حازماً حين يَأْمُر
فما زَال فى الإسلام من آل هاشم دعائمُ عزّ لا يَزُلْن ومَفْخَر
هُم جبلُ الإسلامِ والناسُ حولهم رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَروق ويقْهر
بهالِيلُ منهم جَعْفر وابن أمّه علىٌّ ومنهم أحمــدُ المتخيّر
وحمزة والعبّاس منهم ومنهمُ عَقِيلٌ وماء العود من حيثُ يُعْصَر
بهم تُفرَج اللّأْواء فى كلّ مَأزِقٍ عَماسٍ إذا ماضاق بالناس مَصدَر
هُمُ أولياء الله أنزَل حُكمَه عليهم، وفيهم ذا الكتاب المُطَهّر

شعر كعب فى بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك :

نام العُيونُ ودَمعُ عَيْنِك يهْمُلُ سَحّاً كما وكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ
فى ليْلةٍ وَرَدَتْ عَلَىَّ هُمُومُها طوراً أَخِنُّ وتارةً أَتمَلْمَل

واعتادنى حُزْنٌ فبتّ كأننى ... ببنات نَعْشٍ والسِّماكِ مُوَكَّل

وكأنَّما بين الجوانح والحشى ... مما تأوّبنى شهاب مُدْخَل

وجْداً على النَّفَر الذين تتابعُوا ... يوماً بمُؤْتة أُسْنِدوا لم يُنْقَلُوا

صلَّى الإلهُ عليهمُ من فتيةٍ ... وسَقى عِظامهمُ الغَمام المُسْبِل

صبَرُوا بمُؤْتةَ للإله نُفوسَهُمْ ... حَذَرَ الرَّدَى ومخافةً أن ينكُلُوا

فمَضوا أمامَ المُسلمين كأنهُمْ ... فُنُقٌ عليهنّ الحديد المُرْفَلُ

إذْ يهتَدُون بجَعْفرٍ ولوائِه ... قُدَّام أوَّلِهِمْ فنِعْمَ الأوّل

حتى تَفَرّجتِ الصُّفوفُ وجَعْفرٌ ... حيثُ الْتقى وعْثُ الصُّفوف مجدَّل

فتغيَّر القَمَر المُنير لفقْــده ... والشمسُ قد كسَفَتْ وكادتْ تأفِل

قَرْم علا بُنْيانُه من هاشمٍ ... فَرْعاً أشمَّ وسؤْدُداً ما يُنْقل

قَوْمٌ بهم عَصَم الإلهُ عِبادَهُ ... وعليهمُ نَزَل الكتاب المُنْزَل

فَضَلُوا المعاشر عِزّة وتكرُّماً ... وتغمَّدتْ أحلامُهُمْ من يَجْهَل

لا يُطْلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ ... ويُرَى خَطِيبُهُمُ بحقّ يَفْصِل

بيضُ الوجوه تُرَى بطونُ أكفِّهم ... تندَى إذا اعتذرَ الزّمانُ المُمْحِل

وبِهَدْيِهمْ رضِى الإله لخَلْقِه ... وبجَدّهمْ نُصِرَ النَّبِيُّ المُرْسَل

شعر حسان فى بكاء جعفر بن أبى طالب

وقال حسّان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيْتُ وعزَّ مُهْلَكُ جَعْفرٍ ... حِبِّ النَّبِيّ على البريّةِ كُلِّها

. . . .

ولقد جزعت وقلت حين نُعيتَ لى ... مَنْ للجِلاد لدى العُقاب وظلّها
بالبيضِ حينَ تُسَلّ من أغمادها ... ضَرْباً وإنهالِ الرّماح وعَلّها
بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارك جعفرٍ ... خَيرِ البريّة كلّها وأجلّها
رُزءاً وأكرَمها جميعاً محتداً ... وأعَزّها مُتَظَلّما وأذلّها
للحقّ حين ينوبُ غير تنحّلٍ ... كَذِباً ، وأنداها يداً ، وأقلّها
فُحشاً، وأكثرِها إذا ما يُجتَدَى ... فَضْلاً ، وأبذلها نَدَى ، وأبَلّها
بالعُرف غيرَ محمّدٍ لا مثلُه ... حيٌّ منَ احياء البريّة كلّها

شعر حسان فى بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسّان بن ثابت فى يوم مُؤتة يبكى زيدَ بن حارثة وعبد الله ابن رواحة :

عينِ جُودى بدَمعك المَنزورِ ... واذكُرى فى الرّخاء أهل القبورِ
واذكُرى مُؤتَةَ وما كان فيها ... يومَ راحُوا فى وقْعة التّغوير
حين راحوا وغادَرُوا ثمّ زَيْد ... نعْمَ مأوى الضّريكِ والمأسُور
حِبَّ خَيرِ الأنامِ طُرّاً جميعاً ... سَيِّدَ النّاسِ حُبُّهُ فى الصُّدُور
ذاكُمُ أحمدُ الذى لاسِواهُ ... ذاكَ حُزْنى له معاً وسُرورى
إنّ زَيْداً قد كانَ مِنّا بأمرٍ ... ليسَ أمْرَ المُكَذّب المغرور
ثم جُودى للخزرَجىّ بدَمعٍ ... سَيِّداً كانَ ثَمّ غَيْرَ نَزُورِ
قد أتانا مِن قتْلِهِمْ ما كفانا ... فبحُزْنٍ نَبيت غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مُؤتة :

كَفَى حزَنًا أنى رَجَعْتُ وجَعْفر ... وزَيد وعبدُ الله فى رَمْسِ أقبُرِ

قَضَوْا نحبَهم لما مَضَوْا لسبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المتغَبِّرِ

ثلاثة رَهْط قُدِّمُوا فتقَدَّمُوا ... إلى وِرد مكروه من الموت أحمرِ

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استُشْهِد يوم مُؤتة :

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه، وزيدٌ ابن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدىّ بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة .

ومن بنى مالك بن حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخَزْرج : عبد الله بن رواحة ، وعبّاد بن قَيْس .

ومن بنى غَنم بن مالك بن النجّار : الحارث بن النُّعمان بن أساف بن نَضْلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بنى مازن بن النّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء .

قال ابن هشام : وممن استُشْهِد يوم مُؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النَّجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مَبذول، وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفْصى .

قال ابن هشام . ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

عمرة القضية

ويُرْوى أيضاً : عُمْرَة القضاء ، ويقال لها : عُمْرة القِصاص، وهذا الاسمُ أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ والحُرُماتُ قِصَاصٌ ﴾ البقرة : ١٩٤ وهذه الآيةُ فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عُمْرَة القَضاَء ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قُريشاً عليها ، لا لأنه قَضَى العُمْرَةَ التى صُدَّ عن البيت فيها[1] ، فإنها لم تك فَسَدَت بصدِّهم عن البيت ، بل كانت عُمْرةً تامةً مُتقبَّلة ، حتى إنهم حين حَلَقُوا رُءوسَهم بالحِلِّ احتملتها الريحُ ، فألقتها فى الحرم ، فهى مَعْدُودَةٌ فى عُمَرِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى أربع : عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَة ، وعُمْرَةُ القَضاَء ، وعُمْرة الجِعِرَّانَة ، والعمرةُ التى

---

(١) هذا هو الصواب ، لأن الذين صدوا عن المسجد الحرام كانوا ألفاً وأربعمائة ، وهؤلاء لم يكونوا معه «صر» فى عمرة القضية ، ولو كانت قضاء لم يتخلف منهم أحد . أما قصـــة الشعر التى سيقصها السهيلى . فهى من الطرائف لا الحقائق .

. . . .

قرنها مع حَجّه فى حجة الوداع، فهو أصح الأقاويل أنه كان قارناً فى تلك الحجة[١]

وكانت إحدى عُمَرِه عليه السلام فى شوّال كذلك روى عُرْوةُ عن عائشة[٢] ،

وأكثر الروايات أنهن كُنّ كُلُّهن فى ذى القعدة إلا التى قَرَن مع حجه[٣] ،

كذلك روى الزُّهْرىُّ ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزُّهْرى بأنه عليه السلام كان

قارناً ، وأن عُمَرَه كُنّ أربعاً بعُمْرَة القِران .

وأما حجاته عليه السلام فقد روى التِّرْمِذِىُّ أنه حَجَّ ثلاث حجات

ثِنْتَين بمكة ، وواحدةً بالمدينة وهى حجة الوداع[٤] ، ولاينبغى أن يُضاف إليه

فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى

الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سُنَّة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على

---

(١) كان قارناً لأنه « ص » جمع بين النسكين ، وكان مفرداً باعتبار اقتصاره على أحد الطوافين والسعيين .

(٢) هذا من رواية لمالك فى الموطأ أن رسول الله «ص» لم يعتمر إلا ثلاثاً إحداهن فى شوال واثنتين فى ذى القعدة ولكنه مرسل ، وهو غلط إما من هشام وإما من عروة . ورواه أبو داود مرفوعا عن عائشة . ولا يصح رفعه . ويدل على بطلانه قول عائشة وابن عباس وأنس : لم يعتمر رسول الله «ص» إلا فى ذى القعدة .

(٣) بل كانت أيضاً فى ذى القعدة . لأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان لست ليال بقين من ذى القعدة .

(٤) قال عنه الترمذى : حديث غريب . قال : وسألت محمداً يعنى : البخارى ـ عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، وفى رواية : لا يعد هذا الحديث محفوظاً ، وليس له «ص» سوى حجة واحدة .

. . . .

أمره ، وكان الحجُّ منقولاً عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشَّمسيَّة ، ويؤخِّرونه فى كل سنة أَحَدَ عَشَرَ يوْماً ، وهذا هو الذى منع النبىَّ - صلى الله عليه وسلم - أن يَحُجَّ من المدينة ، حتى كانت مكةُ دارَ إسلام ، وقد كان أراد أن يحُجَّ مَقْفَله من تَبُوكَ ، وذلك بإثْرِ فَتح مكة بيسيرٍ ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحُجُّون ، ويطوفون عُراةً فأخَّر الحج ، حتى نَبَذَ إلى كُلٍّ ذى عَهْدٍ عَهْده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد امِّحاء رُسُوم الشرك ، وانحِسَام سَير الجاهلية ؛ ولذلك قال فى حجة الوداع : إن الزمانَ قد استدار كَهَيْئَتِه يومَ خَلَق اللهُ السماواتِ والأرضَ .

حكم العمرة :

والعُمْرَةُ واجبةٌ فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عُمَرَ وابن عباس ، وقال الشَّعْبِىُّ : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : ﴿ وأَتِمُّوا الحَجَّ والْعُمْرَةُ لله ﴾ بالرَّفع لا يعطفها على الْحَجِّ ، وقال عطاء : هى واجبةٌ إلا على أهل مكة ، ويكره مالكٌ أن يَعْتَمِر الرجلُ فى العام مراراً ، وهو قول الحَسَنِ وابنِ سِيرِين ، وجمهورُ العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول علىّ وابن عباس وعائشةَ والقاسم بن محمد قالوا : يعتمر الرجلُ فى العام ما شاء[1] .

---

(١) حقق الإمام ابن القيم هذه المسألة ، وانتهى إلى نتيجة هى أن المسلم يجوز له أن يعتمر فى العام ما شاء . فانظر ص ٣٦٣ وما بعدها حـ ١ زاد المعاد .

. . . .

تفسير شعر عمار :

وذكر قول عبدِ الله بن رَوَاحَـةَ وهو آخذٌ بخِطَامِ ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خَلُّوا بَنِى الـكُفَّار عن سبيله

نحن قَتَلْنَاكُمْ على تأويلِهِ كما قَتَلْنَاكُمْ على تنزِيلِهِ(١)

ويُروى اليوم نَضرِبْـكُمْ على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز فى الضرورة نحو قول امْرِئِ القَيْسِ :

فاليوم أَشرَبْ غيرَ مُسْتَحقِبِ(٢)

ولا يبعد أن يكون جائزاً فى الـكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عَمْرٍو أنه كان يقرأ ﴿يأمُرْكُمْ ويَنْصُرْكُمْ﴾ وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ، كما قال ابنُ هشام،قالهما يوم صِفِّين ، وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عمارٌ ، قتله أبو الغادية الفَزَارِىّ وابنُ جَزْءٍ اشتركا فيه .

حكم الزواج للمحرم :

فصل : وذكر تزوُّجَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمَيْمُونة بنتِ

---

(١) يعنى : إنـكار تنزيله .

(٢) رواية البيت فى اللسان هكذا :

فاليوم أسقى غير مستحقب إثمـاً من الله ولا واغـل

. . . .

الحارث الهلالية، وأمها هند بنتُ عوفٍ الكنانية إلى آخر قصتها ، وفيه أن حُوَيْطِبَ بن عبدِ العُزَّى ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث : أخْرُجْ عنا ، وقد كان أراد أن يَبْتَنِي بِمَيْمُونَةَ فى مكة ، ويصنع لهم طعاماً ، فقال له حُوَيْطِبٌ: لا حاجة لنا بطعامك فاخْرُجْ عنا ، فقال له سعد : ياعاضًا بِبَظْرِ أمِّه أأرضُك وأرضُ أمك ؟ هى دونه ؟! فأسكته النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وخرج وفاءً لهم بشرطِهِمْ ، وابْتَنَى بها بِسَرِفٍ ، وبسَرِفٍ ، كانت وفاتُها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثَلَاثٍ وستين ، وقيل : سَنَةَ سِتٍّ وستين ، وصلى عليها ابنُ عباس ، ويزيدُ بن الأصم ، وكلاهما ابنُ أختٍ لها ، ويقال : فيها نزلت : ﴿وامرأةً مُؤمنةً إنْ وَهَبَتْ نفسَها للنبيِّ﴾ الأحزاب : ٥٠ فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بَعيرها ، فقالت: البعيرُ وما عليه لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . واختلف الناسُ فى تزويجه إياها أكان مُحْرِماً أم حَلَالًا ، فروى ابنُ عباس أنه تزوجها مُحْرِماً ، واحتج به أهلُ العِراق فى تجويز نكاح المُحْرِمِ ، وخالفهم أهلُ الحِجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن يُنْكِح المُحْرِمُ أو يَنْكِح ، وزاد بعضُهم فيه : أو يَخْطُبُ[1] من رواية مَالِكٍ ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد ابن الأصَمِّ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم تزوج مَيْمُونَة وهو حَلَال[2] وخرج

---

(١) رواية مسلم عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله « ص » يقول : « لا ينكح المحرم ، ولا ينكح ولا يخطب » وحديث ابن عباس فى الصحيحين والموطأ والسنن .

(٢) رواه مسلم .

. . . .

الدَّارَقُطْنِيُّ والتِّرمِذى أيضاً من طريق أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج مَيْمُونَةَ ، وهو حَلَالٌ . وروى الدَّارَقُطِنِيُّ من طريقٍ ضعيف عن أبى هُرَيْرَةَ أنه تزوجها وهو مُحْرِم كرواية ابن عباس . وفى مسند البَزَّار من حديث مَسْرُوقٍ وعائشةَ رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو مُحْرِمٌ ،واحْتَجَمَ ،وهو مُحْرِمٌ ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث مَيْمُونة ، فنكاحها أرادت ،وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وَهِم ، ما تَزَوَّجها النبى صلى الله عليه وسلم إلّا وهو حَلَالٌ، ولما أجمعوا عن ابن عَبَّاسٍ أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ تزوجها مُحْرِماً، ولم ينقل عنه أحدٌ من المحدِّثين غير ذلك استغربتُ استغراباً شديداً مارواه الدَّارَقطنى فى السُّنَنِ من طريق أبى الأسودِ يتيم عُرْوَةَ ، ومن طريق مَطَر الوَرَّاق عن عِكْرِمَةَ عن ابن عَبَّاسٍ أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوَّج مَيْمُونَةَ ، وهو حَلَالٌ ، فهذه الروايةُ عنه موافقةٌ لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وقد كان من شيوخنا رحمهم الله مَنْ يتأوَّل قول ابنِ عبَّاسٍ : تزوجها مُحْرِماً ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابنَ عباس رجلٌ عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يُرِدِ الإحرامَ بالحج ، وقد قال الشاعر :

قَتَلوا ابنَ عفَّان الخليفةَ مُحْرِماً ودَعا فلم أرَ مِثْلَه مَخْذولاَ

. . . .

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق[١] ، والله أعلم أأراد ذلك ابن عباس ، أولا .

غزوة مؤتة

وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض الْبَلْقَاء من الشام ، وأما الْمُوتة بلا هَمْز ، فضَرْبٌ من الْجُنُونِ ، وفى الحديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هَمْزِه ونَفخِه ونَفْثِه. وفسره راوى الحديث ، فقال : نَفْثُه : الشِّعرُ ، ونفخُه : الكِبْر ، وهَمْزُه : الْمُوتَةُ .

تفسير (وإن منكم إلا واردها) :

ذكر فى هذه الغزوة قول عبدِ الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى : ﴿ وإنْ منكم إلَّا وَارِدُها ﴾ مريم : ٧١ : فلست أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الوُرُودِ ، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال ، منها أن الخطاب متوجِّه إلى الكفارِ على الخصوص ، واحتج قائلو هذه المقالة بقراءة ابن عباس : وإنْ منهم إلا واردها[٢] ، وقالت طائفة : الورود هُهُنا هو الإشراف عليها ومُعَايَنَتها ،

---

(١) يقال : أحرم الرجل إذا عقد الإحرام ، وأحرم : إذا دخل فى الشهر الحرام ، وإن كان حلالا .

(٢) لا يصلح هذا القول، فالخطاب للانسان، بدليل قوله سبحانه (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) .

. . . .

وحَكَوْا عن العرب : ورَدْتُ الماءَ ، فلم أشرب . وقالت طائفة : الورود هٰهنا هو المُرورُ على الصِّراط ، لأنه على مَتْنِ جَهَنَّمَ أعاذنا الله منها ، وروى أن الله تبارَكَ وتعالى يجمع الأوَّلين والآخرين فيها ، ثم ينادى منادٍ : خُذِى أصحابَكِ ودَعِى أصحابى ، وقالت طائفة : الورود أن يأخذ العبدُ بحظٍّ منها ، وقد يكون ذلك فى الدنيا بالحُمِّيَّاتِ ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : الحُمَّى كِيرٌ من جَهَنَّمَ ، وهو حَظُّ كل مؤمنٍ من النار[1] .

شرح شعر ابن رواحة :

وذكر شِعْر عبدِ الله بن رَوَاحَةَ وفيه :

تقر من[2] الحشيش لها العُكُوم

تقر : أى يجمع بعضها إلى بعض ، والعُكوم : جمع عِكْمٍ[3]

وفيه :

من الغبار لها بريم[4]

---

(١) أما نظم الآية فيؤكد الورود لكل بر وفاجر ، غير أن آيات إنجاء المؤمنين منها ، والقطع فى القرآن بأنهم لن يعذبوا فيها آيات كثيرة . ولهذا يجب أن نفهم فى الورود هنا أنه ليس دخولا فيها وهى تكاد تتميز من الغيظ ، وإنما هو أشبه شىء بالإشراف عليها وشهودها والله أعلم .

(٢) هى فى السيرة : تقر . وفسرها الخشنى بقوله : أى تطم شيئاً بعد شىء ، وفى البداية لابن كثير : تمر بفتح التاء وضم العين .

(٣) فسرها الخشنى بأنها الجنوب .

(٤) فى السيرة : الغبار لها بريم .

. . . .

البريمُ : خيطٌ تحتزِمُ به المرأةُ ، والبريم أيضاً : لفيفُ الناسِ ، وأخلاطُهم ، ويقال : هم بَرِيمَانِ ، أى لَوْنَان مُخْتَلِطَان .

وفيه :

أقامتْ لَيْلَتَيْنِ على مَعَانِ

قال الشيخ أبو بحر : مُعَان بضم الميم ، وجدته فى الأصلين ، وأصلحه علينا القاضى — رحمه الله — حين السماع : مَعان بفتح الميم ، وهو اسم مَوْضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جَبَلٍ ، والْمَعان أيضاً : حيث تُحْبَس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمْعَنْتُ النظر ، أو من الماء الْمَعِين ، فيكون وزنُه فَعَالًا ، ويجوز أن يكون من العَوْن ، فيكون وزنه مَفْعَلا ، وقد جَنَّس الْمَعَرِّى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعَانٌ من أحِبَّتِنا مَعَانُ تُجِيبُ الصاهلاتِ بها القِيانُ[1]

وقوله :

فَرَاضِيةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْها

---

(١) البيت من أول قصيدة له فى سقط الزند . ومعان الأولى موضع والآخرى : المنزل . تقول العرب : الكوفة معان منا أى منزل . والمعنى : إن هذا الموضع الذى يقال له معان : هو منزل أحبتنا ينزلون به ، ولهم خيول تصهل ، وقيان تغنى ، وكأن المغنيات تجيب الخيل . ويقصد أنهم ملوك عندهم أداة الحرب ، وأسباب الرفاهية . أنظر ص ٥٤ من شرح التنوير على سقط الزند ط ١٣٢٤ هـ .

. . . .

أى : المعيشة المَرْضِيَّة ، وبناها على فاعلة ، لأن أهلها راضون ، لأنها في معنى صالِحة ، وقد تقدم طرَفٌ من القول في هذا المعنى .

وقوله : وخَلَاكَ ذَمٌّ ، أى : فارقك الذَّمُّ ، فلست بأهل له ، وقد أحسن في قولِه :

فَشأْنُكِ أَنْعُمٌ وخَلَاكَ ذَمٌّ

بعد قوله : إذا بَلَّغتِنِي[1] ، وأحسن أيضاً مَن اتَّبعه في هذا المعنى ، كقول أبي نُواس :

وإذا الْمَطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً   فَظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ

وكقول الآخر :

نَجَوْتِ من حَلٍّ ومن رِحْلَةٍ   يا نَاقُ إن قَرَّبْتِنِي من قُثَمْ[2]

وقد أساء الشَّمَّاخُ حيث يقول :

إذا بلّغتِنِي وحَمَلتِ رَحْلِي   عَرَابَةَ فاشْرَقِي بدم الْوَتِينِ[3]

---

(١) في السيرة : أديتني .

(٢) البيت لداوُد بن سلم التيمى يمدح قثم بن العباس ومنها خمسة أبيات في في ذيل الأمالي للقالي ص ١٢٩ ط ٢ ومنها :

أصم عن قول الخنا سمعـــه   وما عن الخـــير به صمم

(٣) يمدح عرابة بن أوس . وغرضه أنه لا يبالى لأن الممدوح يحمله ويعطيه . وانظر ص ٢١٩ سمط اللآلى ففيها الموازنة بين هذه الأبيات .

. . . .

ويذكر عن الحَسَنِ بن هانئ أنه كان يَشْنَؤُه إذا ذكر هذا البيت ، وذكر مُهَلْهِلُ بن يَمُوت بن المزرع عن أبي تَمَّامٍ أنه قال : كان الحسن يَشْنَؤُ الشَّمَّاخ ، وأنا أمقُته من أجل قوله هذا .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للغِفَارِيَّة : بئس ما جَزَيْتِيها[1] يشدُّ الغرضَ المُتَقَدِّم ، ويشهد لصحته .

وقوله : مُشْتَهى الثَّوَاء : مُسْتَفْعِل من النِّهاية والانتهاء ، أي حيث انتهى مَثْوَاهُ ، ومن رواه : مُشْتَهِيَ الثَّواء ، أي لا أريد رجوعا .

وقوله :

حَذَوْنَاهَا من الصَّوَّان سِبْتاً[2]

أي حذوناها نعالًا من حديد جعله سِبْتاً لها[3] ، مجازاً . وصوّان من الصَّوْن ، أي : يصون حوافِرَها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبِلَ ، فهو فعَّال من الصَّون ، فقد كانوا يحذونها السَّرِيحَ وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوَّان يبيس الأرض ، أي لا سِبْتَ له إلا ذلك ، ووزنه فَعَلان من قولهم : نخلة خاوية أي يابسة ، وأنشد أبو علي :

(١) هاجرت الغفارية إليه من مكة على ناقة ، فقالت : إني نذرت إن بلغتني إليك أن أنحرها .

(٢) عيب السهيلي أنه لا يرتب في شرحه . فهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ، ثم يعود إلى التي تركها .

(٣) السبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة .

. . . .

قدأُو بيَتْ كُلَّ ماء فهى صَاوِيَة [مهما تُصِبْ أفقامن بارق تَشِم](١)

ويشهد لمعنى الصَّوَّان هنا قول النابغة الذُّبْيَانى :

بَرى وَقْعُ الصَّوَّانِ حَدَّ نُسُورِها [فَهُنَّ لِطافٌ كالصِّعَادِ الذَّوابِل]

وعينُ الفِعل فى صَوَّان ولامِه واو ، وأدخَل صاحبُ العين فى باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ ، فقال : صَوِىَ يَصْوِى : إذا يَبِس ، ونَخْلَةٌ صاوِيَةٌ ، ولو كان مما لامه ياء ، لقيل فى صَوَّان صَيَّان ، كما قيل طَيَّان وريَّان ، ولكن لما انقلبت الواوُ ياءً من أجلِ الكَسْرة توَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياء

وقول عبد الله :

هَلْ أنتِ إلَّا نُطْفَةٌ فى شَنَّةٍ

النُّطْفَةُ : القليلُ من الماء ، والشَّنَّةُ : السِّقَاء البالى ، فيُوشِكُ أنْ تُهْرَاقَ النُّطْفَةُ ، ويَنْخَرِق السِّقَاء ، ضَرَب ذلك مَثَلًا لنفسِه فى جَسَدِه .

عقر جعفر فرسه ومقنه :

وأما عَقْرُ جَعْفَرٍ فرسَه ، ولم يَعِبْ ذلك عليه أحدٌ ، فدل على جواز ذلك إذا خِيف أن يأخذها العَدُوُّ ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يَدخُل هذا فى باب النَّهْىِ عن تعذيب البهائم ، وقتلِها عَبَثًا . غير أن أبا دَاوُدٍ خَرَّج هذا الحديثَ ،

---

(١) البيت لساعدة يصف بقر وحش . والنخلة الصاوية التى إذا عطشت ويبست وضمرت .

. . . .

فقال : حدثنا النُّفَيْلى قال : حدثنا محمد بن مَسْلَمَةَ عن محمد بن إسحاق عن ابن عَبَّاد يعنى : يحيى بن عَبَّاد عن أبيه عَبَّاد بن عَبْدِ الله بن الزُّبَيْر ، قال حدثنى : أبى الذى أرْضَعَنى ، وهو أحد بنى مُرَّة بن عَوْف ، وكان فى تلك الغَزَاةِ غَزَاةِ مُوْتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جَعْفَرٍ حين اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ له شَقْرَاءَ فَعَقَرها ، ثم قاتل القومَ حتى قُتِل .

قال أبو داود : وليس هذا الحديثُ بالقوى(١) ، وقد جاء فيه نَهْىٌ كثيرٌ عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم فى جَعْفرٍ : فأثابه اللهُ بذلك جناحَين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ورَوَى عِكْرِمَةُ عن ابن عَبَّاس أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال:دخلتُ الجنة البارحَة، فرأيتُ جعفراً يطير مع الملائكة ، وجناحاه مُضَرَّجَان بالدم(٢) . وعن سَعِيد بن الْمُسَيِّب ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:مُثِّل لى جَعْفَرٌ وزيدٌ وعبدُ الله بن رَوَاحَة فى خيمة من در على أَسِرَّةٍ ،فرأيت زيداً وعبدَ الله وفى أعناقِهما صُدُودٌ ،ورأيت جعفراً مستقيما، فقيل لى : إنهما حين غَشِيَهُما الموتُ أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يُعْرِض ، وسمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاطمة حين جاء نعيُ جعفر تقول : واعَمَّاهُ ،

---

(١) جزم الحافظ أنه حديث حسن . والأصح أن جعفر مات وقد استوفى أربعين سنة وزاد عليها ، وجزم ابن عبد البر أن سنه كان إحدى وأربعين سنة . وفى رواية للبخارى أنهم وجدوا بجسمه بضعاً وتسعين من طعنة برمح ورمية بسهم .

(٢) رواه الحاكم والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا .

. . . .

فقال : على مِثْلِ جَعْفَرٍ ، فَلْتَبْكِ البواكى . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من جَعْفَرٍ . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت عليًّا حاجةً ، فمنعنى أُقْسِمُ عليه بحَقِّ جَعْفَرٍ فيعطينى[1] .

معنى الجناحين :

ومما ينبغى الوقوفُ عليه فى معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَسْبِق إلى الوهم على مثل جَنَاحَىْ الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُّوَرِ ، وأكملها ، وفى قوله عليه السلام : إن الله خَلَقَ آدمَ على صُورَتِهِ[2] تشريفٌ له عظيمٌ ، وحاشا لِلهِ من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارةٌ عن صِفَةٍ مَلَكية وقوة رُوحانية ، أُعْطِيهَا جعفرُ كما أُعْطِيَتْهَا الملائكةُ ، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَنَاحِكَ ﴾ طه : ٢٣ فعبر عن العُضُدِ بالجَناحِ توسُّعاً ، وليس ثَمَّ طيرانٌ ، فكيف بمن أُعْطى القوةَ على الطيران مع الملائكةِ أَخْلِقْ به إذاً : أن يُوصَفَ بالجناح مع كَمَالِ الصورة الآدمية وتمام الجوارح البَشَرية ، وقد قال أهلُ العلم فى أجنحةِ الملائكةِ ليست كما يُتَوَهَّمُ من أجنحةِ الطَّيْرِ ، ولكنها صفاتٌ مَلَكِيَّةٌ لا تُفْهَم إلا بالمُعَايَنَةِ ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاثَ وَرُباعَ ﴾ فاطر : ١ فكيف تكون كأجنحة

---

(١) هذا دليل وضعه ، فما كان لعلى أن يقبل من امرىء الحلف بغير الله !! .

(٢) مخرج فى الصحيحين .

. . . .

الطَّيرِ على هذا ، ولم يُرَ طائرٌ له ثلاثةُ أجنحةٍ، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناحٍ، كما جاء فى صفة جبريلَ عليه السلام ، فدل على أنها صِفَاتٌ لا تَنْضَبِطُ كيفيتُها بالفكر، ولا وَرَد أيضاً فى بيانها، خبرٌ ، فيجب علينا الإيمان بها[1] ، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر فى كَيْفِيَّتها ، وكل امرىءٍ قريبٍ من مُعايَنَة ذلك .

فإمَّا أنْ يكونَ من الذين تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكةُ أن لا تخافوا ولا تحزَنوا ، وأبشِروا بالجنة التى كنتم توعدون ، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكةُ ، وهم باسِطوا أيديهم : أَخْرِجُوا أنفسكم اليومَ تُجْزَوْنَ عذابَ الهُونِ .

فضل ابن رواحة :

وأما عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ فقد ذكر ابن إسحاقٍ ما ذكر من فضائله .

وذكر قولَه للنبى صلى الله عليه وسلم :

فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونَصراً كالذى نُصِروا

---

(١) لقد بين الله فى القرآن أنها أجنحة . فيجب علينا الإيمان بأنها أجنحة لكنها لا تشبه جناح الطيور ، فكل شىء يناسب خلقه . ولا يجوز بحال تأويلها بأنها صفات ، فهو قول على الله بغير علم . ولهذا رد الحافظ فى الفتح كلام السهيلى بقوله : « وهذا الذى جزم به فى مقام المنع . والذى نقله عن العلماء ليس صريحاً فى الدلالة لما ادعاه ، ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود ، وهو من قياس الغائب على الشاهد ، وهو ضعيف ، وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية » ص ٤١٦ جـ ٧ فتح البارى .

. . . .

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شعراً تَقْتَضِبُه اقتضاباً ، وأنا أنظر إليك ، فقال من غير رَوِيَّةٍ :

إنى تَفَرَّسْتُ فيك الخير

الأبيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فثَبَّت اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: وأنتَ فَثَبَّتَكَ اللهُ يا ابن رَوَاحَةَ[1].

فضل زيد :

وأما زَيْدٌ فقد تقدم التعريفُ به وبجُمْلَةٍ من فضائله فى أحاديثِ المَبْعَثِ ، وحَسْبُكَ بذكْرِ الله له باسمه فى القرآن ، ولم يُذْكَر أحدٌ من الصَّحابَةَ باسمِهِ سواه، وقد بينا النُّكْتَةَ فى ذلك فى كتاب التَّعْرِيفِ والأعلام، فلْيُنظَر هنالك .

رجوع أهل مؤتة :

فصل وذكر رجُوعَ أهلِ مُؤْتَةَ ، وما لقُوا من الناس ، إذ قالوا لهم : يا فُرَّارُ ، فَرَرْتُم فى سبيلِ الله ، ورواية غير ابنِ إسحاق أنهم قالوا للنبى — صلى الله عليه وسلم — نَحْنُ الفَرَّارُونَ يارَسولَ الله ؟ فقال : بل أنتم الكَرَّارُون، وقال لهم : أنا فِئَتُكُمْ ، يريد: أن مَنْ فَرَّ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةِ المسلمين[2] *

---

(١) لم يسند قوله هذا .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زياد ، وفيه : لا ، بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين .

. . . .

فلا حرَجَ عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فرَّ عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حَوْزَته، فيكون معه ، فالْمُتَحَيِّزُ مُتَفَيْعِلٌ من الْحَوْزِ ، ولو كان وزنه مُتَفَعِّلا ، كما يظن بعضُ الناس لقِيل فيه : مُتَحَوِّز . وروى أن عُمَرَ رضى الله عنه حين بلغه قتلُ أبى عُبَيْد بن مَسْعُودٍ وأصحابه فى بعض أيام القَادِسِيَّة ، قال : هلا تَحَيَّزُوا إلينا ، فإنا فيئة لكل مُسْلِمٍ .

وذكر ابنُ إسحاق مُحَاشَاةَ خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة. والْمُحَاشَاةُ : الْمُحَاجَزَةُ ، وهى مُفَاعَلَةٌ من الْخَشْيَة ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم ، فقد قيل : كان العدو مائتَىْ ألفٍ من الروم ، وخمسين ألفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدُوّ مائةَ ألفٍ وخمسين ألفاً ، وقد قيل : إن الْمُسلمين لم يبلغ عددُهم فى ذلك اليوم ثلاثةَ آلاف ، ومن رواه : حاشَى بالحاء المهملة ، فهو من الحَشَى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أَصْبَغ عن ابن قُتَيْبَةَ فى المعارف أنه سُئِل عن قوله : حاشَى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم ، وشعر قطبة بن قتادة يدل على أنه قد كان ثَمَّ ظَفَرٌ ومَغْنَمٌ لقوله :

وسُقْنَا نِسَاءَ بنى عَمِّهِ غَدَاةَ رَقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ

وفى هذا الشعر أنه قتل رئيساً منهم وهو مالك بن رافلة ، وقد اختلف فى ذلك كما ذكر ابن إسحاق ، فقال ابن شِهاب : فأخذ خالدٌ الرايةَ حتى فَتَحَ اللهُ على المسلمين ، فأخبر أنه قد كان ثَمَّ فَتْحٌ ، وفى الراية الأخرى حين قيل لهم : يافُرَّارُ، دليلٌ على أنه قد كان ثَمَّ مُحَاجَزَةٌ ، وتَرْكٌ للقتال ، حتى قالوا :

. . . .

نحن الفرارون ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم مانقدم ، فالله أعلم[1] .

طعام التعزية وغيرها :

فصل : وذكر أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر أن يُصْنَع لآلِ جَعْفَرٍ طَعامٌ ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم ، وهذا أصلٌ فى طَعام التَّعْزِيَة وتُسَمِّيهِ العَرَبُ الْوَضِيمَةَ ، كما تُسَمِّى طعام العُرْسِ الْوَلِيمة ، وطعام القادم من السفر : النَّقِيعَةَ ، وطعام البناء الوَكِيرَة ، وكان الطعامُ الذى صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير ، فى حديث طويل عن عبدِ الله بن جَعْفر قال : فَعَمَدَت سَلْمَى

(١) عند الحاكم أن خالد قاتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصاب غنيمة . وفى صحيح البخارى عن خالد : لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف . فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية . وعند أحمد ومسلم وأبى داود أن رجلا من أهل اليمن رافقه ، فقتل روميا ، وأخذ سلبه ، فاستكثره خالد ، فشكاه إلى رسول الله « ص » كل هذا يدل على أن خالداً قاتل بالمسلمين الروم قتالا شديداً . ورواية الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، وهـذا يؤكد النصر . ولهذا يقول ابن كثير عن رواية ابن إسحاق التى يقول فيها إن المسلمين جعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرار الخ يقول عنها « هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعندى أن ابن إسحاق قد وهم فى هذا السياق ، فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم ، فلم يفروا ، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وهو على المنبر فى قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب ، وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ص ٢٤٨ ح ٤ البداية

. . . .

مَوْلاةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى شَعِيرٍ ، فطحنته ، ثم آدَمَتْهُ بزيت ، وجعلت عليه فُلْفُلاً ، قال عبدُ الله : فأكلت منه ، وحبسني النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام .

من شعر حسان في رثاء جعفر :

وذكر قول حسّان يَرْثي جَعْفَراً :

تأوَّبني ليلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ

أَعْسَر : بمعنى : عَسِر ، وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ، وفيه أيضاً ﴿عَسِير﴾ والمعنى متقارب ، فمن قال : عَسْرُ[يعْسُر] قال : عَسِيرٌ بالياء ، ومن قال:عَسِرَ يَعْسَر ، قال في الاسم: عَسِرٌ وأَعْسَرُ ، مثل حَمِقٌ وأَحْمَقُ .

وفي هذا الشعر قوله :

بَهَالِيلُ منهم : جعفرٌ وابنُ أُمِّه عَلِيٌّ ومنهم أَحْمَدُ المُتَخَيَّرُ

البَهَالِيلُ : جَمْعُ بُهْلُولٍ ، وهو الوَضِيءُ الوجْهِ مع طولٍ .

وقوله : منهم أحمد المتخير ، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس بعيبٍ ؛ لأنها ليست بإضافةِ تعريفٍ ، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم ، وإنما ظَهَر العيبُ في قول أبي نواس :

كيف لايدنيك من أملٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نفَرِه

لأنه ذكر واحداً ، وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ماعيب على الأعشى :

. . . .

شتّان مايَوْمِى على كُورِها ويومُ حيّانَ أخى جابِرِ

وكان حيّانُ أسَنَّ من جابر، وأشرفَ، فغضب على الأعشى حيث عرفه بجابر، واعتذر إليه من أجل الرَّوِىّ، فلم يقبل عُذْرَه، ووجدت فى رسالة المهلهل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال على بن الأصغر، وكان من رُواة أبى نُواسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أيها المُنْتَابُ عن عُفُرِه

أنشدنيها فلما بلغ قوله:

كيف لايُدْنيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه

وقع لى أنه كلام مُسْتَهْجَنٌ فى غير موضعه، إذ كان حَقُّ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — أن يُضَاف إليه، ولا يُضَاف إلى أحدٍ، فقلت له: أعرفت عيبَ هذا البيت؟ قال: مايعيبه إلا جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن رَسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — من القبيل الذى هـذا الممدوح مِنْهُ، أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعرِ دين الإسلام:

ومازال فى الإسلام من آلِ هاشمٍ دعائمُ عِزٍّ لاتُرَامُ ومَفْخَرُ
بَهاليلُ منهم جَعْفرٌ وابنُ أُمِّه عَلِىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

وقوله:

بهم نُفَرِّجُ اللأْواءَ فى كل مَأْزِقٍ * عَماسٍ

. . . .

المأزِق : المَضِيقُ من مَضَائِقِ الحرب والخصومة ، وهو من أَزَقْتُ الشيء إذا ضَيَّقْتَهُ[1] ، وفى قصة ذى الرُّمَّة قال : سمعت غلاماً يقول لِغلْمَةٍ، قد أَزِقْتُم هذه الأُوقَةَ حتى جَعَلْتُموها كالميم ، ثم أدخل مَنْجِمَه[2] ، يعنى : عَقِبَة فيها ، فَنَجْنَجَه ، حتى أفهقَها ، أى حرَّكه حتى وَسِعها . والعَمَاسُ : المظلم،والأعمس: الضعيف البصر ، وحُفرة مُعَمَّسة ، أى مُغطَّاة ، قال الشاعر :

فإنك قد غَطَّيْتَ أَرْجاءَ هُوَّةٍ مُعَمَّسةٍ لا يُسْتَبانُ تُرابُها
بثوبِك فى الظَّلماء ، ثم دَعَوْتنى فجئتُ إليها سادِراً لا أهابُها

أنشده ابن الأنبارِيّ فى خبر لزُرارَةَ بن عُدُسٍ .

حول شعر كعب :

وذكر شعر كَعْبٍ وفيه :

سَحًّا كما وَكَفَ الطِّبَابُ الْمُخْضِلُ

الطِّبَابُ: جمع طِبابةٍ ، وهى سَيْرٌ بين خَرَزَتَيْنِ فى الْمَزادَةِ، فإذا كان غير مُحْكَمٍ وَكَفَ منه الماء ، والطِّبابُ أيضاً : جمع طُبَّةٍ ،وهى شقة مستطيلة .

وقوله : طَوْراً أَخِنُّ . الخَنِينُ بالخاء المنقوطة حَنِينٌ بِبُكَاءٍ ، فإذا كان بالحاء المهملة ، فليس معه بكاء ولا دَمْعٌ .

---

(١) فى القاموس : أزق صدره كفرح وضرب ، ضاق أو تضايق فى الحرب كتأزق،ولم يذكر اللسان غير أزق كفرح .

(٢) هى على وزن منبر ومجلس .

. . . .

الاستسقاء للقبور عند العرب :

وقوله : وَسَقى عظامَهم الغَمامُ المُسْبِل . يرد قول من قال : إنما استسقت العربُ لقبور أحبتها لِتَخْصَبَ أرضُها فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لمطالب النُجْعَة فى البلاد . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل :فهذا كَعْبٌ يَسْتَسْقِى لعظام الشُّهَدَاءِ بمُؤْتَةَ ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سَقَى مُطْفِياتِ المَحْلِ جُوداً ودِيمَةً عظام ابن ليلى حيث كانَ رَمِيمُها

فقوله : حيث كان رَمِيمُها يدل على أنه ليس مُقيما معه ، وإنما اسْتِسْقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم ، لأن السَّقْىَ رحمة ، وضدها عذاب .

وقوله : كأنهم فُنُقٌ ، جمع : فَنِيق ، وهو الفَحْـــل ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

مَعِى كل فَضْفَاضِ الرِّداء كأنه إذا ماسرت فيـه المُدَامُ فَنِيقُ

وقوله :

فتغيَّر القمرُ المنيرُ لفقـــده والشمسُ قد كُسِفَتْ وكادت تأفِلُ

قوله حق ، لأنه إن كان عنى بالقمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قمراً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تغير بالحُزْن لفقد جعفر ، وإن كان أراد القمرَ نفسَه ، فمعنى الكلام ومغزاه حَقٌّ أيضاً ، لأن المفهوم منه تعظيمُ الحزن والمصاب ، وإذا فهم مَغْزَى الشاعر فى كلامه ، والمبالغ فى الشىء فليس بكَاذِبٍ.

. . . .

ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جَهْمٍ فلا يضع عَصاهُ عن عاتِقه ، أراد به المبالغة فى شِدَّةِ أدبه لأهله ، فكلامُه كُلُّه حَقٌّ - صلى الله عليه وسلم - وكذلك قالوا فى مثل قول الشاعر [طُفَيْل الغَنَوى] :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَــــــةً مُضَرِيَّةً
هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ ، أو قَطَرَت دَمًا(١)

قال : إنما أراد فَعَلْنا فِعلَةً شَنِيعَةً عظيمة ، فضرب المثلَ بهَتْكِ حِجابِ الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كَذِبًا ، وإنما الكذبُ أنْ يقول : فعلنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يَقْتلوا .

من شعر حسان في رثاء جعفر :

وذكر أبيات حَسَّان، وفى بعضها تضمينٌ ، نحو قوله: وأذلها ، ثم قال فى أول بيت آخر: لِلْحَقِّ ، وكذلك قال فى بيت آخر : وأقلّها ، وقال فى الذى بعده : فُحْشًا ، وهذا يسمى التَّضْمِين .

وذكر قُدَامَةَ فى كتاب نَقْدِ الشعر أنه عَيْبٌ عند الشُّعَراءِ ، ولَعَمْرِى إن فيه مَقَالًا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الذمَّ فى مثل قوله: وأذلّها ، وكذلك ، وأقلّها ، وقد عاب الزِّبْرِقَانُ على الْمُخَبَّلِ السَّعْدِىِّ(٢) ، واسمه : كعبٌ بكلمة قالها المخبّل أشعر منه ، ولكنه لما قال يَهْجُوه :

---

(١) فى رواية : مطرت ، وهى أليق .

(٢) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة الحمجى . هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن الكلبي : الربيع بن ربيعة بن عوف . وقال ابن رآب : اسمه : كعب .

. . . .

وأبوكَ بَدْرٌ كان يَنْتَهِزُ الْخُصَى ... وأبى الجوادُ ربيعةُ بن قِتَالِ[1]

وَصَلَ الكلامَ بقوله : وأَبِى ، وأدركه بُهْرٌ أو سُعْلَةٌ ، فقال له الزِّبْرِقَانُ : فلا بأس إذاً ، فضحك من الْمُخَبَّل ، وغلب عليه الزِّبْرِقَان ، وإذا كان هذا مَعِيباً فى وَسَطِ البيت ، فأحْرَى أنْ يُعَابَ فى آخره ، إذا كان يوهم الذمَّ ، ولا يندفع ذلك الوهم إلا بالبيت الثانى ، فليس هذا من التَّحْصِين على المعانى والتَّوَقِّى للاعتراض[2] .

وقول حسان :

عَيْنُ جُودى بدمعِك المنزُورِ

النَّزْرُ : القليل ، ولا يحسن هٰهنا ذكرُ القليل ، ولكنه من نَزَرْتُ الرَّجُلَ إذا أَلْحَحْتُ عليه ، ونَزَرْتُ الشىء إذا اسْتَنْفَدْتُهُ ، ومنه قولُ عُمَرَ ـ رحمه الله ـ نَزَرْتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم[3] ـ الأصح فيه التَّخْفِيفُ ،

---

(١) فى الأصل : قتال وصوابه ما أثبت .

(٢) المضمن من الشعر ما ضمنته بيتاً ، وقيل مالم تتم معانى قوافيه إلا بالبيت الذى يليه . ولا يعيب الأخفش هذا ، وقال ابن جنى : هذا الذى رآه أبو الحسن من أن التضمين ليس بعيب مذهب تراه العرب ، وتستجيزه وانظر اللسان مادة ضمن ففيه المزيد .

(٣) لأنه كان قد سأل رسول الله عن شىء مراراً فلم يجبه ، فقال لنفسه : ثكلتك أمك يا عمر : نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً لا يجيبك . أى ألححت عليه فى المسألة .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بَعْثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

قال الشاعر :

فَخُذْ عَفْوَ مَنْ تَهْواه لاتَنْزِرَنَّه   فعند بُلوغ الكَدْرِ رَنْقُ المشارِبِ[(١)]

وقوله : يَوْم راحُوا فى وَقْعَةِ التَّغوير ، هو مَصْدَرُ غَوَّرْت إذا تَوَسَّطَ القائلة من النهار ، ويقـــال أيضاً : أغْوَرَ فهو مُغْوِرٌ ، وفى حديث الإفك : مُغْوِرِين فى نَحْرِ الظَّهِيرة ، وإنما صحت الواو فى مُغْوِر ، وفى أغْوَرَ من هذا ، لأن الفعل بُنِي فيه على الزَّوائد ، كما بُنِى استَحْوَذَ ، وأَغْيَلَت المرأةُ ، وليس كذلك أَغارَ على العَدُوّ ، ولا أغارَ الحبلَ .

وذكر فيمن استشهد بمُؤتة أبا كُلَيْبِ بن أبى صَعْصَعَة .وقال ابن هشام: فيه أبو كِلَابٍ ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عُمَرُ : لا يعْرفُ فى الصحابة أحد يقال له أبو كُلَيْب[(٢)] .

---

(١) هو فى اللسان وشطرته الأول هكذا : «فخذ عفو ما آتاك لاتنزرنه» .

(٢) يقول الحافظ فى الإصابة : يحتمل أن يكون أراد هذا . يعنى أبا كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول الأنصارى أخا جابر شقيقه ، ويحتمل أن يكون جد عاصم بن كليب فإن لعاصم رواية عن أبيه عن جده .

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتِير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخُزاعة أن رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبّاد ـ وحلف الحَضْرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن ـ خرج تاجراً ، فلما توسَّط أرض خزاعة ، عَدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعَدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعدَت خزاعةُ قُبَيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدِّيلى ـ وهم مَنْخَرُ بنى كنانة وأشرافهم ـ سَلْمى وكُلثوم وذُؤَيب ـ فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الدِّيل ، قال : كان بنو الأسود ابن رِزْن يُوْدَوْن فى الجاهليّة ديتين ديتين ، ونُودَى دِيةً دِيةً ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قُرَيش ، كان فيما شرَطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرَط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزّبير ، عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعَهده فليدخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عَقد قُرَيش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عَقد قُريش وعهدهم ، ودخلت خُزاعة فى عقد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعَهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الدِّيل من بَنِى بَكرٍ من خُزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى

الأسود بن رَزْن . فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلى فى بنى الدِّيل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كلّ بنى بكر تابَعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتِير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قُريش مَن قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خُزاعةَ إلى الحَرَم ، فلما انتهَوا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرِقون ، فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيَّتوهم بالوَتِير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفئوداً خرج هو ورجل من قومه يقال له تَميم بن أسد ، وقال له منبه : ياتَميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميِّت ، قتلونى أو تركونى لقد انبَتَّ فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنَبِّهاً فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بُدَيل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تَميم بن أسَد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه :

شعر تميم فى الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رأيتُ بَنى نُفاثةَ أقبلُوا ... يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرةٍ وحِجابِ
صَخْراً وَرَزْناً لاعَرِيبَ سِوَاهُمُ ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنَّابِ
وذكرْتُ ذَحْلاً عِندَنا مُتَقادِماً ... فيما مَضَى مِنْ سالِفِ الأحْقابِ
ونَشَيْتُ رِيحَ الموْتِ مِن تِلْقائهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ

وعرفتُ أنْ مَنْ يَثْقَفوهُ يَتْرُكوا ... لَحْماً لِمُجْرِيَةٍ وشِلْوَ غُرَابِ

قَوَّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها ... وطَرَحتُ بالمَتْنِ العَراءِ ثِيابِي

ونَجَوْتُ لا يَنْجو نَجائى أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أقَبُّ مُشَمِّرُ الأقْرابِ

تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لكان نَكِيرُها ... بَوْلاً يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقابِ

القَوْمُ أعْلَمُ ما تركتُ مُنَبِّهاً ... عَن طِيبِ نَفْسٍ فاسألى أصحابى

قال ابن هشام: وتُروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم) الهُذلى. وبيته: «وذُكِرت ذَحْلا عندنا مُتقادِماً» عن أبى عُبيدة، وقوله «خناب» و «علج أقبّ مشمِّر الأقراب» عنه أيضاً.

شعر الأخزر فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق: وقال الأخزَر بن لُعْط الدّيلى، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب:

ألا هَلْ أتَى قُصْوَى الأحابيشِ أننا ... رَدَدْنا بنى كَعْبٍ بأفْوَقَ ناصِلِ

حَبَسْناهُمُ فى دَارَةِ العَبْدِ رَافِعٍ ... وعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غيرَ طائلِ

بِدَارِ الذَّليلِ الآخذِ الضَّيْمَ بعدما ... شَفَيْنا النفُوسَ منهمُ بالمَناصِلِ

حَبَسْناهُمُ حتى إذا طالَ يَوْمُهُمْ ... نَفَحْنا لهمْ من كلِّ شِعْبٍ بوابلِ

نُذَبِّحُهُمْ ذَبحَ التُّيوسِ كأنَّنا ... أُسودٌ تبارَى فيهمُ بالقَواصِلِ

هُمُ ظلَمونا واعتَدَوْا فى مَسِيرِهِمْ ... وكانُوا لَدَى الأنصابِ أوَّلَ قاتلِ

كأنَّهمُ بالجِزْعِ إذْ يطرُدونهم ... قَفا ثَوْرٍ حفَّانُ النعامِ الجوافلِ

بديل يرد على الأخزر

فأجابه بُدَيـل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ ، وكان يقال له بديل بن أمّ أصرم ، فقال :

تَفاقَد قَوْمٌ يَفْخَرُون ولم نَدَعْ ... لهم سَيِّداً يَنْدُوهُمُ غيرَ نافلِ

أمِنْ خِيفَة القوم الأُلَى تَزدَريهمُ ... تُجيز الوَتِير خائفاً غيرَ آيِل

وفى كلّ يَوْمٍ نحنُ نَحْبُو حِباءنا ... لعَقْل ولا يُحْبَى لَنا فى المَعاقِلِ

ونحن صبَحْنا بالتَّلاعة دارَكُمْ ... بأسْيافنا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَواذل

ونحنُ مَنَعْنا بين بَيْض وعِتْوَدٍ ... إلى خَيْف رَضْوَى من مَجَرّ القَنابل

ويَوْمَ الغَميم قد تَكَفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فَجَعْناه بجَلْدٍ حُلاحل

أ إنْ أجْمَرت فى بيتها أمُّ بعضكم ... بجُعْمُوسها تَنْزُونَ أنْ لم نُقاتِل

كذبْتُمْ وبيتِ اللهِ ما إنْ قَتَلْتُم ... ولكنْ تَرَكْنا أمْرَكم فى بَلابل

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيف رضوى » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لَحا اللهُ قوماً لم ندَعْ من سَراتِهم ... لهم أحَداً يَنْدُوهُمُ غيرَ ناقِبِ

أخُصْيَيْ حِمارٍ ماتَ بالأمْس نَوْفلاً ... متى كنتَ مِفْلاحاً عدوّ الحقائِبِ

شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة ، وكان فى عَقْده وعهده ، خرج عمرو ابن سالم الخُزَاعِىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكَّة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَى الناس ، فقال :

يارَبِّ إنى ناشدٌ محمداً ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
قدْ كُنتُمُ وُلْداً وكُنَّا وَالداً ... ثُمَّتَ أسْلَمْنا فلَمْ نَنزِعْ يدَا
فانْصُر هَداكَ اللهُ نَصْراً أعتَدا ... وادعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مدَدا
فيهم رسولُ الله قد تجرّدا ... إن سِيم خَسْفاً وجْهُه تَرَبَّدَا
فى فَيْلَق كالبحر يجْرِى مُزْبِدا ... إنّ قُريشاً أخْلفوك المَوْعِدا
ونَقَضُوا مِيثاقَك المُوَكَّدَا ... وجَعَلُوا لى فى كَدَاءٍ رُصَّدا
وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا ... وهُمْ أذَلّ وأقَلّ عَدَدا
هُمْ بَيَّتونا بالوَتِير هُجَّدا ... وقَتَلونا رُكَّعاً وسُجَّدَا

يقول : قتلنا وقد أسلمنا .

قال ابن هشام : ويُروى أيضاً :

فانصر هداك الله نصراً أيدا

قال ابن هشام : ويُروى أيضاً :

نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ يا عمرو ابن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَان من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لَتَسْتَهِلُّ بنصر بنى كعب .

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأخبروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشُدَّ العقْد ، ويَزِيد فى المُدة . ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسْفان ، قد بعثته قريش إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ليشُدَّ العقد ، ويَزيد فى المُـدّة ، وقد رَهِبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُدَيْل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال تَسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ، قال : أَوَ مَا جئت محمداً ؟ قال: لا ؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُدَيل المدينة لقد عَلف بها النَّوى ، فأتى مَبْرَك راحلته ، فأخذ من بَعرها فَفَتّه ، فرأى فيه النَّوى، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمداً .

أبو سفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخل على ابنته أمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سُفيان ، فلما ذهب ليَجْلِس على فِراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم طَوَتْه عنه ، فقال : يا بُنيَّة ، ما أدرى أرغِبتِ بى عن هذا الفِراش أم رَغِبْتِ به عنى ؟ قالت : بل هو فِراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنت رجل مُشْرِكٌ نَجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابكِ يا بُنيَّة بعدى شَرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عُمَرَ بن الخطّاب فكلّمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذّرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل عَلَى علىِّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلامٌ يَدِبّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ، إنك أمَسُّ القوم بى رَحِماً ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعنَّ كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال: وَيْحكَ يا أبا سفيان ! والله لقد عزَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابْنَةَ مُحَمَّد ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّكِ هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنىّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسولِ الله صلى الله

عليه وسلم، قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ ، فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيِّد بنى كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُغْنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ، ما أظنُّه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سُفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق ، فلما قدم على قُريش ، قالوا : ماوراءك ؟ قال : جِئْتُ محمداً فكلَّمته ، فوالله ماردَّ علىّ شيئاً ، ثم جئتُ ابنَ أبى قُحافةَ ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئتُ ابنَ الخطَّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدوّ .

قال ابن إسحاق : ثم جئت علياً فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك ! والله إنْ زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ماقلت . قال : لا والله ، ما وجدت غيرَ ذلك .

الرسول صلى الله عليه وسلم يعد لفتح مكة

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهلَه أن يجهِّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرِّك بعض جهاز رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أى بُنَيَّة : أأمركم رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم أن تجهِّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهَّز ، قال : فأين ترَينه يُريد ؟ قالت : (لا) والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدّ والتّهيّؤ ، وقال : اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهّز الناس

حسان يحرض الناس

فقال حسّان بن ثابت يحرّض الناس ، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة :

عَنانِى ولم أشهد ببطْحاء مكّةٍ ... رِجالُ بنى كَعْبٍ تُحَزّ رِقابُها
بأيدِى رِجالٍ لم يَسُلُّوا سُيوفَهم ... وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنّ ثِيابُها
ألا ليتَ شعْرِى هل تنالنَّ نُصْرتى ... سُهَيلَ بن عمرو وخزُها وعقابُها
وصَفْوانُ عَوْدٌ حَنَّ من شُفْرِ استه ... فهذا أوانُ الحرْب شُدَّ عِصابُها
فلا تأمَنَنّا يابن أمّ مُجالد ... إذا احتُلِبت صرْفا وأعصَل نابُها
ولا تجْزَعوا منّا فإنّ سيوفَنا ... لها وقعةٌ بالموْت يُفتَحُ بابُها

قال ابن هشام : قول حسّان : « بأيدى رجال لم يَسُلّوا سيوفَهم » يعنى قريشاً ؛ « وابن أمّ مجالد » يعنى عكْرمة بن أبى جهل

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة

كتب حاطبُ بن أبي بَلْتعة كتاباً إلى قُريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزَيْنَة ، وزعم لي غيره أنها سارَة ، مولاةٌ لبعض بني عبد المطَّلب ، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلِّغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم فَتلت عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزُّبيْرَ بن العوَّام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبي بَلْتعة بكتاب إلى قريش ، يحذِّرهم ماقد أجمعنا له في أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيْقَة ، خليقة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه في رَحْلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عليّ بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا ؛ ولتُخرجنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفَنَّك ، فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض ، فأعرض ، فحلَّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : ياحاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ماغيَّرت ولا بدّلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهلٌ ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطَّاب ، يارسول الله ، دَعْني فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما يُدريك ياعمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غَفرت لكم . فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أوْلياء تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أَبَداً حتى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . الممتحنة .

خروج الرسول فى رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسَفَره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلف الغفارىّ ، وخرج لعَشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيد ، بين عَسْفان وأمَج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبَّعت سُليم ، وبعضهم يقول ألَّفت سُليم ، وألَّفت مُزَيْنة . وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلَّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظهران ، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قُريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيل بن وَرْقاء ،

يتحسّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العبّاس بن عبد المطلب لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفة مُهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيما بمكة على سِقايته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهرى .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أُميَّة بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنِيق العُقَاب ، فيما بين مَكّةَ والمدينة ، فالتمسا الدّخول عليه . فكلّمته أمّ سَلمَة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عِرضى ، وأما ابن عمّتى وصِهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنىٌّ له . فقال : والله ليأذننّ لى أو لآخذنّ بيدى بنىّ هذا ، ثم لنذهَبنّ فى الأرض حتى نموت عطشاً وجُوعا ؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهُما ، ثم أذِن لهُما ، فدَخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مَضَى منه ، فقال :

لعَمْرُك إنى يوم أحمِلَ رَايةً ... لِتغلِبَ خَيلُ اللّاتِ خَيلَ محمّدِ
لكالمُدْلِجِ الحيرانِ أظلمَ ليلُهُ ... فهذا أوانى حين أُهْدى وأَهتدى

. . . .

هداني هادٍ غيرُ نفسي ونالَني ... مع الله مَنْ طرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّد
أَصُدُّ وأنأى جاهداً عن محمد ... وأُدعى وإن لم أنتسب من محمَّد
هُمُ ماهُمُ مَنْ لم يقلْ بهواهُمُ ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفنَّد
أُريد لأُرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم مالم أُهْدَ في كلِّ مَقْعد
فقُل لثقيفٍ لا أُريد قتالَها ... وقل لثقيف تلك: غيري أَوْعِدِي
فما كنت في الجيْش الذي نال عامراً ... وما كان عن جَرَّا لساني ولا يدِي
قبائلُ جاءتْ مِن بلادٍ بعيدةٍ ... نزائعَ جاءت مِنْ سهام وسُرْدَد

قال ابن هشام: ويروى «ودلّني على الحقّ من طرّدْتُ كُلَّ مُطَرَّد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قولَه: «ونالني مع الله مَنْ طرَّدْت كُلَّ مُطَرَّد» ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في صَدْره، وقال: أنت طرّدْتني كل مُطَرَّد.

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس

فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهران، قال العبَّاس بن عبد المطَّلب: فقلت: واصباحَ قُرَيش، والله لئن دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاكُ قُريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيُخبرَهم بمكان رسولِ الله صلى الله عليه وسلم،

لِيَخْرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة . قال : فوالله إنى لأسير
عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ،
وهما يتراجعان وأبو سُفيان يقول : مارأيت كالليلة نيرانا قطّ ولا عسكراً ،
قال : يقول بُدَيل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتْها الحرب . قال : يقول أبو سُفيان :
خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرَفت
صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت :
نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : وَيْحَكَ يا أبا سُفيان ، هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصَبَاحَ قُرَيْشٍ والله . قال :
فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن ظَفِر بك ليضربَنَّ عنقك ،
فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه
لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من
نيران المسلمين قالوا : من هـذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنا عليها ، قالوا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى
مررت بنار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ،
فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سُفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذى
أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم ، وركضْتُ البغلَة ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىء قال :
فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه
عمرُ ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد
ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد أجرته ،

ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه الليلةَ دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدىّ بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا يا عبّاس ، فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عبّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به ، قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنى رسولُ الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العبّاس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحقّ ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أبا سُفيان رجل يحبّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عبّاس ، احبسه بمَضِيق الوادى عند خطم

. . . .

الجبل ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجتُ حتى حبَسْتُه بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبِسه .

عرض الجيش

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عبّاس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُلَيم ، فيقول : مالى ولسُلَيم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، مَن هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِلِّزَة اليشكرى :

ثم حُجْرا أعنى ابنَ أمّ قَطامٍ ولَهُ فارِسِيَّـــة خَضْراء

يعنى الكتيبة ، وهـــذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

لمّا رأى بَدْراً تَسِيل جِلاهُهُ بكتيبة خضراء مِنْ بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت :

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولاطاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

أبو سفيان يحذر أهل مكة

قال : قلت : النجاءَ إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَمِيتَ الدَّسِم الأحْمَس ، قُبِّحَ من طَلِيعة قوم ! قال : ويلكم لاتغرّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تُغنى عنا دارُك ، قال : ومن أغلَق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بشُقَّة بُرْدٍ حِبَرَة حمراء ، وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليَضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرحْل .

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذي طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أي بُنيّة ، اظْهَرى بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كُفّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بُنيَّة ، ماذا تَرَيْن ؟ قالت : أرى سَوَاداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مُقْبِلا ومُدْبِراً ، قال : أي بُنَيّة ، ذلك الوازع ، يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطَّت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق ، فتلقَّاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحقّ أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ، ثم قال له : أَسْلِمْ فأسلم، قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغَامَةٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : غَيِّرُوا هذا من شَعْرِه ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يُجبه أحد ، قالت : فقال : أى أُخَيَّة ، احتسبى طوقَك ، إنّ الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

جيوش المسلمين تدخل مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طُوًى ، أمَر الزّبير بن العوّام أن يدخل في بعض الناس من كُدًى ، وكان الزّبير على المُجَنِّبة اليسرى ، وأمر سعد ابن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء .

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلا ، قال : اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة ، فسمعها رجلٌ من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر بن الخطّاب — فقال : يارسول الله : اسمع ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمَن أن يكون له في قُرَيْش صَوْلة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكُن أنت الذى تدخُل بها.

كيف دخل الجيش مكة ؟

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد : فدخل من اللِّيط ، أسفلَ مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبَةِ اليُمنى ، وفيها أسلمُ وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبَّته .

الذين تعرضوا للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صَفْوان بن أُميَّة وعِكْرِمة بن أبي جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِماس بن قَيْس بن خالد ، أخو بني بكر ، يُعِدّ سلاحاً قبل دُخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أن أُخْدِمَك بعضَهم ، ثم قال :

إن يُقبِلوا اليومَ فما لي عِلَّه   هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه

وذو غِرارين سريع السَّلَّه

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكْرِمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فِهْر ، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم ، حليف بني مُنقِذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقُتلا جميعاً ، قُتل خُنَيْس بن خالد قبل كُرْز بن جابر ، فجعله كُرْز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يَرْتجِزُ ويقول :

قد علمتْ صَفْراء من بنى فِهِرْ   نقيّــة الوَجْه نقيّـة الصَّدرْ

لأضربنَّ اليومَ عن أبى صَخِرْ

قال ابن هشام : وكان خُنيس يُكنى أبا صخرٍ ، قال ابنُ هشام : خُنيس ابن خالد ، من خُزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيحٍ وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جُهينةَ سَلَمة بن المَيْلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثنى عشر رجــلا ، أو ثلاثَةَ عشَرَ رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِماسٌ منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنّكِ لو شهدتِ يوم الخنـدَمَهْ   إذ فرّ صَفْوَانُ وفرّ عِكْرِمَهْ

وأبو يَزيدَ قائم كالمُوتِمَهْ   واستقبلتهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمه

يقطعنَ كلّ ساعد وجُمْجُمَهْ   ضَرْباً فلا يُسْمَع إلا غَمْغَمَهْ

لهم نَهِيتٌ خَلْفَنا وهَمْهَمَهْ   لم تنطِقى فى اللوم أدنى كَلِمَهْ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالمُوتَمه » ، وتُروى للرعاش الهذلى .

شعار المسلمين يوم الفتح

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

. . . .

وحُنين والطائف، شعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عُبيد الله .

من أمر الرسول بقتلهم

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهِد فى نفر سَمّاهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤىّ .

وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتدّ مُشركا راجعاً إلى قُريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفّان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيَّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يارسول الله ؟ قال : إنّ النبىّ لا يقتل بالإشارة

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطَلٍ ، رجل من بنى تَيْم بن غالب : إنما أمر

بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقاً ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركا .

وكانت له قَيْنتان : فَرْتَنَى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحُوَيرث بن نُقَيذِ بن وهب بن عبد بن قُصَيّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخَس بهما الحُوَيرث بن نُقَيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق : ومِقْيَسُ بن حُبابة [أو ضُبابة ، أو صُبابة] وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قُريش مُشركا وسارَة ، مولاة لبعض بنى عبد المُطَّلب . وعِكْرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عِكْرِمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حَكيم بنتُ الحارثِ بن هشام ، فاستأمنت له من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَّنه فخرجت فى طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيَسُ بن حُبابة فقتله نُمَيْلة

ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيَس فى قتله :

لَعَمْرى لقد أخزَى نُمَيْلة رَهْطَه وفَجَّع أضيافَ الشِّتاء بِمِقْيَسِ
فَلِلَّه عَيناً مَنْ رأى مِثْلَ مِقْيَسٍ إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس

وأما قينتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمَّنها . وأما سارَة فاستُؤمن لها فأمَّنها ، ثم بَقِيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحُوَيرث بن نُقَيذ فقتله علىّ بن أبى طالب .

أم هانىء تؤمن رجلين

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِنْد ، عن أبى مُرّة ، مولى عَقيل بن أبى طالب ، أن أمّ هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرّ إلىّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هُبَيرة بن أبى وَهْب المخزومى ، قالت : فدخل علىّ علىُّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتى ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنةٍ إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ ، فقال : مرحباً وأهلا يا أمّ هانىء ، ماجاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر علىّ ، فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمَّنا من أمَّنت ، فلا يقتلهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبي أُميَّة بن المُغيرة.

طواف الرسول بالكعبة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُبيد الله ابن عبد الله بن أبي ثَوْر ، عن صَفِيَّة بنت شَيْبة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأنّ الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعاً على راحلته ، يستلم الركن بمِحْجَن في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمانَ ابن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عِيدانٍ ، فكَسَرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استَكَفَّ له الناس في المسجد .

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين إلاَّ سَدَانة البيت وسِقَايةَ الحاج ، ألا وقتيلُ الخطأ شبهِ العمْد بالسَّوْط والعصا ، ففيه الدِّيةُ مُغَلَّظَة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وَجَعَلْناكم شُعُوباً وَقَبائِلَ

لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتقاكُمْ ﴾ الحجرات : ١٣ . الآية كلها .
ثم قال : يامعشر قريش ، ماتُرَون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » .

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة

ثم جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه علىّ بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله ، اجمع لنا الحِجابَةَ مع السِّقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدُعِى له ، فقال : هاكَ مفتاحَك ياعثمان ، اليومُ يومُ برٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَيْنَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ : إنما أعطيكم ماتُرْزَءُون لا ماتَرْزَءُون .

طمس الصور التى بالبيت

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صُوَرَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّراً فى يده الأزلامُ يَسْتَقْسِم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ﴿ ما كانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ، وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران : ٦٧ ثم أمر بتلك الصُّوَر كلها فطُمِسَت .

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه ، وجعل الباب قِبَل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوخّى بذلك الموضع الذى قال له بلال .

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكَعبة عام الفَتح ومعه بلال ، فأمره أن يُؤَذّن ، وأبو سُفيان بن حَرب وعَتَّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عَتَّابُ بن أَسِيد : لقد أكرم اللهُ أَسِيداً ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه مايغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لوأعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبعته ، فقال أبو سُفيان : لاأقول شيئاً ، لو تكلّمت لأخبرَتْ عنى هذه الحَصَى ، فخرج عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمتُ الذى قُلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارثُ وعَتَّاب : نَشْهد أنّك رسولُ الله ، والله ما اطَّلَع على هذا أَحَدٌ كانَ معَنا ، فنقُول : أخبرك .

خراش وابن الأثوع

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَرَ الأسلمى ، عن رجل من قومه . قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً ، وكان رجلا شجاعاً ، وكان إذا نام غَطَّ غطيطا مُنكراً لا يخفى فى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزاً ، فإذا بُيِّتَ الحىُّ صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىٌّ من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر ، قال ابنُ الأثْوَع الهُذَلى : لاتعجلوا علىَّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطا لايخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيفَ فى صَدْرِه ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابنُ الأثْوَع الهُذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَه ؟ قال : إذْ أقبلَ خِرَاشُ بن أُميَّة مُشتملا على السَّيف ، فقال : هكذا عن الرجُل ، والله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفْرِجَ الناسُ عنه . فلما انفرَجْنا عنه حَمَلَ عليه ، فطَعَنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَتَهُ تسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتَرَنَّقانِ فى رأسه ، وهو يقول : أفد فعلمتوها يا مَعْشَرَ خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ فوقع . فقال رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم : يامعشر خُزَاعَةَ ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثُر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدِيَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأسلمى ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خِراش بن أميَّة ، قال : إن خِراشاً لقتَّال ، يعيبه بذلك .

بين أبى شريح وابن سعد

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرىّ ، عن أبى شُرَيح الخزاعى ، قال : لما قدِم عَمْرو بن الزّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزّبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكَّة ، فلما كان الغد من يوم الفَتح عَدَت خُزاعة على رجل من هُذَيل فقتلوه وهو مُشرك ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فقال : ياأيها الناس، إنّ اللهَ حرّم مكَّة يوم خلَق السّماوات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القِيامة ، فلا يحِلُّ لامرىء يُؤمِن بالله واليوْم الآخر، أنْ يَسْفِك فيها دَماً ولا يَعْضِدَ فيها شجراً ، لم تُحْلَلْ لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلّ لأحد يكون بعدى ، ولم تُحْلَلْ لى إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألا : ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فَلْيُبَلِّغ الشّاهدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم، يامَعْشَرَ خُزَاعَة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثُر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدِيَنَّهُ ،

فمن قُتل بعد مَقَامي هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَمُ قاتله ، وإن شاءوا فَعَقْلُهُ . ثم وَدَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خُزاعة ، فقال عمرو لأبي شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جِزْية ، فقال أبو شُريح : إني كنتُ شاهداً وكنتَ غائباً ، ولقد أمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

أول من ودى يوم الفتح

قال ابن هشام . وبلغني أن أوّل قتيل وَدَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَدَاهُ بمائة ناقة .

الأنصار يتخوّفون من بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في مكة

قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فَرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : مَعاذَ الله ! المَحْيا محياكم ، والمَمات مماتكم .

. . . .

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسوَد بن رَزْنٍ الكنانى بفتح الرّاء ، وذكر الشيخ الحافظُ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رِزْنًا بكسر الراء[1] ، قال : والرِّزْنُ : نُقْرَةٌ فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرِّزْنُ أَكَمَةٌ تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بَنى رزن من بنى بَكرٍ ، وقد قيل فيه : الدُّئِلُ ، وقد أشبعنا القول فيه فى أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والنَّسّابون ، وذكرنا هنالك كُلَّ دِيلٍ فى العَرَب ، وكل دُولٍ والحمدُ لله .

حول شعر تميم :

وذكر شعر تَميم بن أسَد ، وفيه :

يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنَّابِ

الخِنَّابُ : الطويل من الخيل ، وقع ذلك فى الجَمْهَرَةِ ، ويقال : الخِنَّابُ : الواسع المِنْخَرَيْن ، والخِنَّابَةُ[2] جانبُ الأنف ، وفى العين : الخِنَّابُ[3] الرجل

---

(١) يروى هنا بكسر الراء ، وفتحها وإسكان الزاء وفتحها ، وقيده الدارقطنى بفتح الراء ، وإسكان الزاء لا غير ، الخشنى ، ص ٣٦٣ .

(٢) خنابة بكسر الخاء وضمها .

(٣) فى التهذيب : هذا مما جاء على أصله شاذاً لأن كل ما كان على فِعَّال من الأسماء أبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء مثل دينار وقيراط كراهية أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج على أصله مثل : دنابة وصنارة وخنابة لأنه الآن قد أمن التباسه بالمصادر .

. . . .

الضَّخْمُ ، وهو الأحمق أيضاً ، والمُقَلِّصُ من الخيل المُنْضَمُّ البَطْنِ والقوائم ، وإن قلت : المُقَلِّص بكسر اللام ، فهو من قَلَصَت الإبلُ إذا شَمَّرَتْ ، قاله صاحبُ العين .

وفيه : ظِلُّ عُقَابِ ، وهي الرَّايَةُ ، وكان اسمُ رايةِ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ العُقَاب ، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قَوْل قَطَرِيّ بن الفُجَاءَةِ[1] ويُكْنَى أبا نَعَامَةَ رئيس الخوارج :

يَارُبَّ ظِلِّ عُقَابِ قد وَقَيْتُ بها   مُهْرِى من الشَّمْسِ والأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ

وفيه : يَبُلُّ مَشَافِرَ القَبْقَابِ ، القَبْقَابُ : أراد به الفَرْجَ ، والقَبْقَبُ والقَبْقَابُ : البَطْنُ أيضاً .

حول شعر الأخرز :

وذكر قولَ الأخرز ، وفيه :

فَمَا ثَوْر حَفَّانِ النَّعَامِ الجَوافِلِ

---

(١) اختلف فى اسم الفجاءة ، فقيل : اسمه : جعونة ، وقيل : مازن بن يزيد ابن زياد بن خنثر أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سمى الفجاءة لأنه غاب دهراً باليمن ، ثم جاءهم فجاءة ، وقد أنشد أبو عبيدة قصيدة قطرى التى منها هذا البيت لأبى حاتم ، ثم قال : هذا الشعر لا ماتعللون به أنفسكم من أشعار الخانيث . أنظر ص٢٦٥ ح ١ أمالى القالى ط ٢ ، ص٥٩٠ سمط اللآلى للبكرى . هذا وليس فى قصيدة تميم ذكر للعقاب .

. . . .

قَفَا نُوْر ، يعنى : الجَبَل ، وقَفَا ظَرْفٌ للفِعْلِ الذى قبله ، وقال : قَفَانور ،
ولم يُنوِّن لأنه اسمٌ عَلَمٌ مع ضرورة الشعر ، وقد تكلمنا على هذا فيما قبل ،
ولو قال : قَفَا نُوْرَ بنصب الراء ، وجعله غير مُنْصَرِف ، لم يبعد ، لأن ما لا تَنْوِينَ
فيه ، وهو غير مُعْرَب بألِفٍ ولام ، ولا إضافة ، فلا يدخله الخَفْضُ لئلا يُشْبِه
ما يُضِيفه المتكلمُ إلى نفسه ، وقَفَا نُوْر بهذا اللفظِ تَقَيَّد فى الأصل ، وظاهرُ
كلام البرقى فى شَرْحِ هذا البيت أنه بِفَاثُورَ ، لأنه قال : الفاثورُ سَبِيكةُ الفِضَّة ،
وكأنه شَبَّه المكانَ بالفِضَّةِ لنقائه واستوائه ، فإن كانت لرِوايةٌ كما قال ، فهو
اسمُ موضعٍ ، والفاثُورُ : خِوانٌ من فِضَّةٍ ، ويقال : إبريق من فضة ، قيل ذلك
فى قول جَميل :

وصَدْر كفاثُورِ اللُّجَيْنِ وجِيد[1]

وفى قول لَبِيدٍ :

حقائبهُم راحٌ عَتِيقٌ ودَرْمَكٌ ومِسْكٌ وفاثُورِيَّةٌ وسُلَاسِلُ

وكما قال البرقى : ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نُسْخة الشيخ ، وإن صح
ما فى نسخة الشيخ ، فهو كلام حُذِف منه ومعناه : قَفَا فَاثُور ، وحَسُن حذف
الفاء الثانية ، كما حسن حَذْف اللام الثانية فى قولهم : علْماء بنى فلان ، لما سي

---

(١) أوله : سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب . والشطرة الأخرى فى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى ص ٤٠ : وصدر حكى لون اللجين وجيد . ولم أجده فى ترجمة جميل فى الأغانى .

. . . .

مع ضَرُورة الشعر ، وترك الصَّرف ، لأنه جعله اسم بُقْعَةٍ ، ومن الشاهد على على أن فاثُورَ اسمُ بُقْعَةٍ قول لبيد :

ويوم طعنتم فاسْمَعَدَّتْ وُفودكم ... بأجماد فاثور كريم مُصابر

أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا ، وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مُقْبِل :

حَىٌّ مَحاضِرُهُمْ شَتَّى وجَمْعُهُمُ ... دَوْمُ الإيادِ ، وفاثُورٌ إذا انتَجَعُوا

وقال لبيد :

وَلَدى النُّعمانِ منى مَوْطِنٌ ... بين فاثُورِ أُفاقٍ فالدَّخَلْ

وحَفَّانُ النَّعام : صِغارُها ، وهو مرفوع لأنه خبر كأنَّ .

قول شعر بديل :

وذكر شعر بُدَيْلِ بن أم أَصْرَم . وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آلَ إذا رجع ، ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء ، لئلا تجتمع همزتان ، وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر عُيَيْسٍ ، ووقع فى بعض روايات الكتاب عُبَيْس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل (١) .

---

(١) اسم رجل .

. . . .

وفيه :

أإنْ أجْمَرَتْ في بيتها أمُّ بعضكم بجُعْمُوسِها[1]

أى : رَمَتْ به بِسُرْعَةٍ ، وهو كِنايةٌ عن ضَرْبٍ من الخُرْثِ يَسْمُجُ وَصْفُـــه .

حول شعر عمرو بن سالم :

وذكر أبيات عمرو بن سالم ، وفيها :

قد كُنْتُمُ وُلْدًا وكُنّا والدا

يريد : أن بنى عَبْدِ مَنَافٍ أُمُّهم من خُزَاعَة ، وكذلك : قُصَىٌّ أمُّه : فاطمة بنت سَعْد الخُزَاعِيَّة ، والوُلْد بمعنى الوَلَدِ .

وقوله: ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا ، هو من السِّلْمِ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه ، قال : رُكَّعاً وسُجَّداً ، فدل على أنه كان فيهم من صَلَّى لله ، فقُتِل، والله أعلم.

وذكر فيه الوَتِير، وهو اسم ماء معروف فى بلاد خُزَاعَة ، والوَتِيرُ فى اللغة الوَرْدُ الأبيض ، وقد يكون منه بَرِّىٌّ ، فيحتمل أن يكون هذا الماء سُمِّى به ، وأما الورد الأحمر فهو الخُوجَمُ[2] ويقال للورد كُلِّه جَلٌّ[3] قاله أبو حنيفة ،

---

(١) أجمرت : بخرت . والجعموس : العذرة والبعر أيضاً ، أو هو كما عرفه أبو زيد : ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .

(٢) مفردها : حوجمة .

(٣) ويقال أيضاً على الياسمين .

. . . .

وكأن لفظ الْخَوْجَم من الحجمة وهى حُمْرَةٌ فى العَيْنين ، يقال منه رجل أَحْجَم .

ما قال عمر لأبى سفيان ومعناه :

وذكر قول عمر رضى الله عنه : فوالله لو لم أجدْ إلَّا الذَّرَّ لجاهدْتُكُمْ به ، وهو كلام مفهوم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذب ، وإن كان الذَّرُّ لايقاتل به ، وكذلك قول عُمَرَ فى حديث الْمُوَطَّأ : والله ليمرّن به ولو على بَطْنِكَ ، يعنى الجَدْوَلَ ، وهو من هذا القبيل لا يُعَدُّ كذباً، لأنه جرى فى كلامهم كالمثل .

شرح قول فاطمة لأبى سفيان :

وذكر قول فاطمة : والله مابلغ بُنَىَّ أن يُجِيرَ بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُحْتَجًّا به على من أجاز أمان الصَّبِىِّ وجِوَاره ، ومن أجاز جِوَار الصَّبِىِّ إنما أجازه إذا عَقَلَ الصبى ، وكان كالمُراهِقِ .

وقولها : ولا يُجِير أحدٌ على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فمعنى هذا ـ والله أعلم ـ كالعَبْدِ ونحوه يجوز جوارُه ، فيما قلَّ ، مثل أن يُجير واحداً من العدو ، أو نفراً يسيراً ، وأمَّا أن يجير على الإمام قَوْماً يريد الإمامُ غزوَهم وحربَهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمةُ ـ رضى الله عنها ـ والله أعلم ، وأما جِوارُ المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلا سَحْنُونَ وابن الْمَاجِشُون ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانىء : قد أَجَرْنا مَنْ

. . . .

أَجَرْتِ يا أُمَّ هانيء ، وروى معنى قولها عن عَمْرو بن العاصى وخالد بن الوليد. وأما جِوارُ العبد ، فجائز إلا عند أبى حنيفة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة .

حاطب بن أبى بلتعة وما قاله فى كتابه :

فصل : وذكر كتابَ حاطِب إلى قريش ، وهو حاطب بن أبى بَلْتَعَة مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زُهَيْر بن أسد بن عَبْدِ العُزَّى ، والْبَلْتَعَةُ فى اللغة التظرف ، قاله أبو عُبَيْد، واسم أبى بَلْتَعَة ، عُمْرو ، وهو لَخْمِيٌّ ، فيما ذكروا ، ومن ذُرِّيته : زيادُ بن عبد الرحمن [بن زياد] الأندلُسِيّ الذى روى الْمُوَطَّأ عن مالكٍ[1] ، وهو زياد شَبْطُون ، وكان قاضى طُلَيْطُلَة[2] ، وكان شَبْطُونُ زَوْجاً لأمِّه ، فعُرِف به رحمه الله ، وقد قيل : إنه كان فى الكتابِ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالَّليل يسير كالسَّيْل ، وأُقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنجز له ما وَعَدَه ، وفى تفسير [يحيى] ابن سَلاَّم أنه كان فى الكتابِ الذى كتبه حاطبٌ أن النبىّ محمداً قد نَفَر إمّا إليكم وإمّا إلى غيركم ، فعليكم الحَذَرَ[3] .

---

(١) قال عنه ابن حزم فى الجمهرة أول من أدخل الموطأ الأندلس .

(٢) فى المراصد : ضبطه الحميدى بضم الطاءين وفتح اللامين ، قال : وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية .

(٣) ذكر الواقدى بسند له مرسل أن حاطب كتب إلى سهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، ـ وقد أسلم الثلاثة ـ أن رسول الله « ص » أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد .

. . . .

تصحيف هشيم لخاخ :

وذكر أن عَلِيّ بن أبي طالب والزُّبَيْر والمِقْدَادَ أدركوها بروضة خَاخٍ بخاءين منقوطتين ، وكان هُشَيْمٌ يرويه : حَاج بالحاء والجيم ، وهو مما حُفِظ من تَصْحِيف هُشَيْم ، وكذلك كان يروى : سَدَّاداً من عَوْن [بن أبي شَدَّاد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بُرْدَةَ يقول فيه : بَرْزَةَ بالزاى[1] وفَتْح الباء في تَصْحِيف كثير ، وهو مع ذلك ثَبْتٌ مُتَّفَقٌ على عَدَالته ، على أن البخارى ، قد ذكر عن أبي عَوَانَةَ أيضاً أنه قال فيه : حَاج كما قيل عن هُشَيْم ، فالله أعلم ، وفي هذا الخبر من رواية الشيباني أن عائشةَ قالت : دخل عليَّ أبو بكر وأنا أُغَرْبِل حِنْطَةً لنا ، فسألنى ، وذكر باقي الحديث ، وفيه من الفقه أكْلُهم البُرَّ ، وإن كان أغلبَ أحوالهم أكلُ الشعير ، ولا يقال حِنْطَة إلا للبُرِّ .

تفسير (تلقون إليهم بالمودة) :

فصل : وذكر قول الله عزَّ وجلَّ في حاطب ﴿ تُلْقُونَ إليهم بالْمَوَدَّةِ ﴾ أي تَبْذُلونها لهم ، ودخولُ الباء وخروجُها عند القُرَّاء سَوَاء ، والباء عند سيبويه لا تُزَاد في الواجب ، ومعنى الكلام عند طائفةٍ من البصريين : تُلْقُون إليهم النَّصيحة بالمودة ، قال النَّحَّاسُ: معناه تُخْبِرُونهم بما يُخْبِرُ به الرجلُ أهل

---

(١) هناك المغيرة بن أبي بردة الكناني يروى عن أبي هريرة ويروى عنه سعيد ابن سلمة وثقه النسائي ، وهناك المغيرة بن أبي برزة الأسلمي يروى عن أبيه ، يروى عنه جدعان .

. . . .

مودته ، وهذا التقدير إن نفع فى هذا الموضع لم يَنفَع فى مثل قول العرب : ألقِ إليه بوسادة أو بثوب ، ونحو ذلك ، فيقال : إذاً إنَّ ألقيْتَ تنقسم قسمين ، أحدهما : أنْ تريد وضع الشيء فى الأرض ، فتقول : ألقيت السَّوْط من يده ، ونحو ذلك ، والثانى : أن تريد معنى الرَّمى بالشيء ، فتقول : ألقيت إلى زيد بكذا:أرْمَيْتُه به ، وفى الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، و إرسال به ، فعبَّرَ عن ذلك بالموَدَّة لأنه من أفعال أهل المودة ، فمن ثَمَّ حَسُنَت الباء لأنه إرسال بشيء فتأمَّله .

قتل الجاسوس :

وفى الحديث دليلٌ على قَتلِ الجاسوس،فإن عُمَرَ ـ رضى الله عنه ـ قال : دعنى فَلأَضْرِبْ عُنقَه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : وما يُدْرِيك ياعُمَرُ لعل الله اطَّلَعَ إلى أصحابِ بَدْرٍ،الحديث ، فعلق حُكْمَ المنع من قَتْلِه بشهودِ بَدْرٍ ، فدل على أن مَنْ فعل مثلَ فِعْله، وليس بِبَدْرِيٍّ أنه يُقتل .زاد البخارى فى بعض روايات الحديث ، قال : فاغْرَوْرَقَتْ عينا عُمَرَ ـرضى الله عنهـ وقال: الله ورسوله أعلم،يعنى حين سمعه يقول فى أهل بَدْرٍ ما قال[1] ، وفى مُسْنَدِ الحْارِث أن حاطباً قال : يارسول الله كنتُ عزيزاً فى قُرَيْش ، وكانت أمى بين

(١) يرى مالك جواز قتل كل جاسوس ، وإن كان مسلما ، أما الشافعى وأبو حنيفة يريان أنه لا يقتل ، ويقول ابن القيم : والصحيح أن قتله راجع إلى رأى الإمام ، فمن رأى فى قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان بقاؤه أصلح استبقاه .

. . . .

ظَهْرانَيهم ، فأردت أن يحفظونى فيها ، أو نحو هذا ، ثم فَسَّر الغَرِيرَ ، وقال : هو الغريب .

عن عبد الله بن أبي أمية :

وذكر قول النبيِّ — صلى الله عليه وسلم — لأمِّ سَلَمَة حين استأذَنَتْه فى أخيها عبدِ الله بن أُمَيَّة : وأمَّا ابنُ عَمَّتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال ، يعنى حين قال له : والله لا آمنتُ بك حتى تَتَّخِذَ سُلَّمًا إلى السماء ، فَتَعْرُجَ فيه ، وأنا أنظرُ ثم تأتى بصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك ، وقد تقدمت هذه القصةُ .

وعبدُ الله بن أبى أُمَيَّة هو أخو أمِّ سَلَمَةَ لأبيها ، وأمه عاتكةُ بنت عبدِ المطلب ، وأمُّ سَلَمَة أمُّها عاتِكَةُ بنتُ جِذْلِ الطِّعَانِ ، وهو عامر بن قَيْس[1] الفِرَاسِيُّ ، واسم أبى أُمَيَّة حُذَيفَةُ[2] وكانت عنده أربع عَوَاتِك ، قد ذكرنا منهن هُهُنا ثِنْتَيْن[3] .

عن أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيدته :

وقول أبى سُفْيَانَ بن الحارث : أو لآخُذنَّ بيدِ بُنَىّ هذا ، ثم لنذهَبَنَّ

---

(١) فى القاموس : علقمة بن فراس وكذلك فى المحبر لابن حبيب ص ٢٢٣ ونسب عاتكة عند ابن حبيب هو : بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة ابن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(٣) أنظر العواتك فى المحبر لابن حبيب .

. . . .

فى الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسمَ ابنِه ذلك ، ولعله أن يكون جَعْفَراً ، فقد كان إذ ذاك غُلَاماً مُدْرِكاً ، وشهد مع أبيه حُنَيْناً ، ومات فى خلافة معاوية ، ولا عَقِبَ له .

وذكر الزُّبَيْرُ لأبى سُفيَانَ ولداً يُكْنَى أبا الْهَيَّاج فى حديث ذكره لا أدرى : أهو جَعْفَرٌ أم غيره، ومات أبو سفيان فى خلافة عُمَرَ رضى الله عنه ، وقال عند موته : لا تَبْكُنَّ علىَّ ، فإنى لم أنتَطِفْ بخَطِيئةٍ منذ أسلمت ، ومات من ثُؤْلُولٍ حَلَقه الحلاقُ فى حَجٍّ فقطعه مع الشعر فَنَزَف منه ، وقيل فى اسم أبى سُفْيَانَ : الْمُغِيرة ، وقيل : بل المغيرة أخوه ، قال القُتَبِىُّ : إخوتُه : المغيرة ونَوْفَلٌ وعَبْدُ شَمْسٍ ورَبِيعةُ بنو الحارث بن عَبْدِ الْمُطَّلِب[1] .

وزن فعلل :

وقوله : نَزَائِعَ جاءت من سِهَامٍ وسُرْدَد ، على وزن فَعَالٍ بفتح الفاء ، وسُرْدَد بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب ، وبفتح الدال ذكره غيرهما ، وهما موضعان من أرض عَكٍّ ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه ليس فى الكلام فُعْلَل بالفتح ، وحكاه الكوفيون فى جُنْدَب وسُرْدَد ، وغيرهما ، ولا ينبغى أيضاً على أصل سيبويه أن يمتنعَ الفتحُ فى سُرْدَد ، لأن

---

(١) أولاد الحارث بن عبد المطلب — كما ذكر المصعب — هم : نوفل ، وأبو سفيان الشاعر واسمه : المغيرة ، وربيعة، وعبد شمس وعبد المطلب، وأمية، وأروى ، ونوفل هو أسن ولد الحارث ص ٨٥ نسب قريش . أما العدوى فذكر أن له ثلاثة فقط هم ربيعة، ونوفل، وأبو سفيان ص٢٢ ح ف نسب قريش.

. . . .

إحدى الدالين زائدة من أجل التضعيف ، وإنما الذى يمتنع فى الأبنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه،فمثل سُرْدَدَ والسُّودَد والحُوَال[1] جمع حائل ، وماذكره بعضهم من طُحْلَب وبُرْقَع وجُؤْذَر ، فهو دخيل فى الكلام ، ولا يُجْعل أصلا ، ولا يمتنع أيضاً جُنْدَب بفتح الدال ، لأن النون زائدة[2] .

---

(١) فى الأصل والحلل وهو خطأ .

(٢) نقل ابن خالويه عن ابن دريد أنه قال : ليس فى كلامهم فعلل - بضم الفاء وفتح اللام إلا سؤدد وجوذر وجندب وخنطب كلها مفتوحة ومضمومة وقال الزبيــدى فى الاستدراك على العين : ليس فى الكلام على مثال فعلل إلا أحرف لا يقول بها البصريون مثل : طحلب - بضم الطاء واللام - وبرقع وجؤذر ص ٦٣ حـ ٣ المزهر للسيوطى . وفى كتاب التصريف للمازنى وشرحه لابن جنى ذكر أن الإجماع وقع على خمسة أمثلة للأسماء الرباعية التى لازيادة فيها ، ثم ذكر مثالا سادسا تجاذبه الخلاف وهو فعلل بضم الفاء وفتح اللام ، ثم قال ابن جنى : وأما السادس الذى يتنازع الناس فيه فجخدب ومثاله : فعلل - بضم الفاء وفتح اللام - حكاه أبو الحسن وحده بالفتح ، وخالفه فيه جميع البصريين إلا من قال بقوله ، والذى رواه الناس غيره جخدب بضم الدال ، وهو اسم لا صفة ، وقد حكى غيره : برقع وبرقع ، وطحلب وطحلب وجؤذر وجؤذر كلها بضم وفتح إلا أن جؤذراً ذكر أبو على أنه أعجمى ، قال : فلا حجة فيه ، والضم فى برقع وطلحب هو الشائع ص ٢٥ ، ٢٧ المنصف فى شرح التصريف حـ ١ وفى إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن السكيت فى باب فعلل بضم اللام وفعلل - بفتحها - بمعنى واحد. الفراء : يقال : برقع وبرقع وبرقوع . . ابن الأعرابى : عنصل وعنصل للبصل البرى ، وهو لئيم العنصر والعنصر أى الأصل،وهو دخلله ودخلله،أى خاصته.ويقال:قنفذ وقنفذ وجؤذر ، وجؤذر لولد البقرة ورجل قعددوقعدد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر . . ويقال : طحلب وطحلب ، ويقال فى غير هذا الباب منخل ومنخل ، ومنصل ومنصل للسيف .

. . . .

عود إلى أبي سفيان :

وكان أبو سُفيَان رَضِيعَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرضعتهما حَلِيمةُ ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لايفارقه ، فلما نُبِّىءَ كان أبعدَ الناس عنـــه ، وأهجاهم له إلى أن أسلم ، فـكان أَصَحَّ الناسِ إيمانًا ، وألزَمَهم له صَلَّى الله عليه وسلم ، ولأبى سُفيان هذا قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أنت يا أبا سُفْيَان ، كما قيل كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا[1] ، وقيل : بل قالها لأبى سُفْيَانَ بن حَرْبٍ ، والأول أصح .

وقول بُدَيْـل : حَمَشَتْهُم الحربُ ، يقال : حَمَشْتُ الرجل إذا أغضَبْته ، وحَمَشْتُ النارَ أيضاً إذا أوقدْتها ، ويقال : حَمَسْتُ بالسين .

عن إسلام سفيان بن حرب :

وذكر عَبْدُ بن حميد[2] فى إسْلَامِ أبى سُفْيَان بن حَرْبٍ أن العباسَ لمـا احتمله معه إلى قُبَّتِه ، وأصبح عنده ، رأى الناس وقد ثاروا إلى طُهورهم ،

---

(١) الفرا : الحمار الوحشى . ويقول الذين رووا هذا إن أبا سفيان استأذن على النبى « ص » فحجب قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتـــين ـ وهما جانبا الوادى ـ فقال « ص » يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد فى جوف الفرا ، يتألفه على الإسلام ، وقيل معناه : إذا حجبتك قنع كل محجوب . يضرب المثل لمن يفضل على أقرانه . وانظر أصل المثل فى الأمثال للميدانى ص١٣٦ ح٢ ط السنة المحمدية .

(٢) رواه ابن أبى شيبة .

. . . .

فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس ! ! أ أُمِرُوا فِيَّ بِشَيْءٍ ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كبّر فكبّر الناسُ بتكبيره ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم طاعةَ قوم جمعهم من هُهُنا وهُهُنَا ، ولا فارِس الأكارِم ، ولا الروم ذات القُرُون بأطْوَعَ منهم له ، وفي حديثِ عَبْد بن حميد أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالعُزَّى ؟ فسمعه عمرُ رضي الله عنه من وراء القُبَّة ، فقال له : تَخْرَا عليها ، فقال له أبو سفيان : وَيْحَكَ ياعمر ! ! إنك رجل فاحِشٌ دعني مع ابن عمِّي ، وإيَّاه أُكَلِّم .

وذكر قول أبي سُفيَان : لقد أصْبَحَ مُلْكُ ابن أخيك الغَدَاةَ عظيماً ، وقول العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله إنما أنكر العباسُ عليه أن ذكر الملك مُجَرَّداً من النُّبُوَّةِ مع أنه كان في أول دخوله في الإسلام ، وإلا فجائز أن يُسَمَّى مثل هذا مُلْكاً ، وإن كان لِنَبيٍّ فقد قال الله تعالى في داود ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَه﴾ وقال سليمان : ﴿وَهَبْ لي مُلْكاً﴾ غير أن الكراهية أظهر في تسمية حال النبي صلى الله عليه وسلم مُلْكاً لما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خُيِّر بين أن يكون نبياً عَبْداً ، أو نبياً مَلِكاً ، فالتفت إلى جبريل ، فأشار إليه أن تَوَاضَعْ ، فقال : بل نبياً عَبْداً أشبع يوماً ، وأجوع يوماً . وإنكار العباس على أبي سفيان يقوِّي هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده يكره أيضاً أن أن يُسَمَّى ملكا ، لقوله عليه السلام في حديث آخر : يكون بعده خُلَفَاء ،

. . . .

ثم يكون أمراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويُروى : ثم يعود الأمر بَزْبَزِيًّا ، وهو تصحيف ، قال الخطابى : إنما هو بِزِّيزَى ، أى قتل وسلب .

قول هند عن أبى سفيان :

وقول هند : اقتلوا الحميتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ . الحميتُ : الزِّقُّ ، نسبته إلى الضُّخم والسِّمَنِ ، والأحْمَسُ أيضاً الذى لا خير عنده ، من قولهم : عام أحْمَسُ إذا لم يكن فيه مَطَرٌ ، وزاد عَبْدُ بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالبٍ اقتلوا الأحْمَقَ ، فقال لها أبو سفيان : والله لَتُسْلِمِنَّ أو لأضربَنَّ عُنُقَكِ ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عِدَّتها ، ثم استقرَّا على نكاحهما وكذلك حَكِيم بن حِزَامٍ مع امرأته حُجَّةٌ للشافِعِىِّ ، فإنه لم يفرق بين أن تُسْلِم قبله ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرَّق مالكٌ بين المسألتين على ما فى المُوطَّأ وغيره .

إسلام أبى قحافة :

وذكر إسلام أبى قُحَافَةَ ، واسمه : عُثْمَانُ بن عَامِرٍ ، واسم أمه : قَيْلَةُ بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريد والله أعلم أصغر أولاده الذين لصُلْبه ، وأولادهم ، لأن أبا قُحافة لم يعش له ولد ذَكَرٌ إلا أبو بكر ، ولا نُعْرَفُ له بنت إلا أمَّ فَرْوَةَ التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه من الأشعث بن قَيْس ، وكانت قَبْله تحت تَمِيم الدَّارِىِّ ، فهى هذه التى ذكر

. . . .

ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةَ تَزَوَّجهَا قَيسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ ، فالمذكورة فى حديث أبى قُحافة هى إحدى هاتين على هذا ، والله أعلم .

وفى الحديث : وكان رأسُه ثَغَامَةً ، والثَّغَامُ من نبات الجبال ، وهو من الجَنْبَةِ ، وأشد ما يكون بياضاً إذا أمحَلَ ، والحَلِىُّ مِثْلُه يُشَبَّه به الشَّيْبُ ، قال الراجز :

ولِمَّتِى كأنها حَلِيَّـــة[1]

حكم الخضاب :

وقولُ النبىِّ — صلى الله عليه وسلم — فى شَيْبِ أبى قُحَافَة غَيِّروا هذا من شَعْرِهِ على النَّدْب ، لا على الوُجُوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغَيِّر شَيْبَه ، وقد روى من طريق أبى هُرَيْرَة أنه خَضَبَ . وقال مَنْ جمع بين الحديثين : إنما كانت شَيْبَاتٍ يَسِيرَةً يغيِّرها بالطِّيب . وقال أَنَسٌ : لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حَدَّ الخِضَابِ ، وفى البخارى عن عثمان بن مَوْهَب قال : أرَتْنِى أم سَلَمَةَ شَعْراً من شَعْر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيه أيضاً عن ابن مَوْهَبٍ قال : بعثنى أهلى بقـــدح إلى أُمِّ سَلَمَة ، وذكر

---

(١) الرجز هكذا :

لما رأت حليـــلتى عينيه
ولمتى كأنها حليه
تقول : هذى قرة عليه

. . . .

الحديث ، : وفيه اطَّلَعْتُ فى الجُلْجُل فرأيت شَعَرَاتٍ حُمْراً ، وهـذا كَلَامٌ مُشْـكِلٌ وشرحه فى مُسْنَد وَكِيع بن الجَرَّاح قال : كان جُلْجُلًا من فِضَّة صُنِع صِيوَانًا لشَعَرَاتٍ كانت عندهم من شَعْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : فهذا يَدُلُّ على أنه كان مَخْضُوبَ الشَّيْب ، وقد صح من حديث أَنَسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يَخْضِبَ إنما كانت شَعَرَاتٍ تُعَدُّ .

فالجواب : أنه لما تُوُفِّيَ خَضَبَ مَنْ كان عنده شيء من شَعْرِه تلك الشعرات ليكونَ أبقى لها ، كذلك قال الدَّارَقُطْنِى فى أسماء رجال الموطّأ له ، وكان أبو بكر يَخضِبُ بالحِنَّاء والكَتَم ، وكان عمر يَخْضِب بالصُّفْرَةِ ، وكذلك عُثْمَانُ وعبدُ الله بن عُمَرَ ، وكان فيهم من يَخْضِبُ بالخِطْرِ ، وهو الوَسْمَةُ ، وأما الصُّفْرَةُ ، فكانت من الوَرْسِ ، أو الكُرْكُم وهو الزَّعْفَرانُ ، والوَرْسُ ينبُت باليَمَنِ يقال لجيِّده : بادِرَة الوَرْسِ ، ومن أنواعه : المسف والحَبَشِىّ وهو آخره ، ويقال مِن الحِنَّاء : حَنَّأَ شَيْبَه ورَقَنَه ، وجمع الحِنَّاء حِنَّان على غير قياس ، قال الشاعر :

ولقد أَرُوحُ بِلِمَّةٍ فَينَانَةٍ سَوْدَاءَ قد رُوِيَتْ من الحِنَّانِ

من كتاب أبى حنيفة ، وبعضُ أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شَيْب أبى قُحَافَةَ : وجَنِّبوه السَّوادَ ، وأكثرُ العلماء على كراهة الخِضَابِ بالسَّواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهى لمن خَضَب بالسَّواد ، وقيل : أول من خَضَب بالسَّوادِ فِرْعَونُ ، وقيل : أول

. . . .

من خَضَبَ به من العربِ عبدُ المطلب ، وتَرَخَّص قومٌ فى الخِضَابِ بالسَّوادِ منهم محمد بن على ، وروى عن عُمَرَ أنه قال : أخْضِبوا بالسواد ، فإنه أنْكى للعــدو ، وأحَبُّ للنساء . وقال ابن بَطَّال فى الشرح : إذا كان الرجُل كَهْلا لم يبلغ الهرم جاز له الخِضَابُ بالسَّواد ، لأن فى ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإرْهَابِ على العَدُوِّ والتحبُّبِ إلى النِّساء ، وأما إذا قَوَّس واحدُ ودَبَّ فحينئذ يُكْرَه له السوادُ ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى قحافة: غَيِّروا شيبَه ، وجَنِّبُوه السوادَ[1] .

---

(١) عن ثابت قال : سئل أنس عن خضاب النبى « ص » فقال : لو شئت أن أعد شمطات كن فى رأسه فعلت ، قال : ولم يختضب ، زاد فى رواية : وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم ، واختضب عمر بالحناء بحتاً « أى : صرفاً ومحضاً » متفق عليه .

وعن ابن عمر أنه كان يصفر لحيته بالصفرة حتى تمتلىء ثيابه من الصفرة ، فقيل له : لم تصبغ بالصفرة ؟ قال : إنى رأيت رسول الله يصبغ بها ، ولم يكن شىء أحب إليه منها ، وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى عمامته « أبو داود والنسائى » .

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : دخلت على أم سلمة . فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبى « ص » مخضوباً « البخارى » .

وهى أحاديث أقوى مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة « أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد » .

. . . .

كداء وكدى :

فصل : وذَكَرَ كَدَاء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مَكَّة ، وكُدَىً وهو من ناحية عَرَفَة ، وبمكة موضعٌ ثالث يقال : كُدًا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا فى كَداء وكُدَىً[1] :

أَقْفَرَتْ بعد عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاء فكُدَىٌّ فالرُّكْنُ والبَطْحاء

والبيتُ لابن قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ يذكر بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بن عَبْدِ وُدٍّ[2] العامريِّين رَهْط سُهَيْل بن عَمْرو .

موقف ابراهيم بكداء :

وبكَدَاء وَقَفَ إبراهيمُ عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم ، كذلك روى سَعيد بن جُبَيْر عن ابنِ عَبَّاسٍ ، فقال : ﴿فاجْعَلْ أفئِدَةً من الناس

---

(١) هناك خلاف واسع فى هذه المواضع الثلاث وأوضح الاقوال ما ذكره البكرى فى معجمه منسوباً إلى على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى : كداً بالضم والتنوين مقصور بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قعيقعان ، وأما كدى مصغر فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن ، أما هو فقال عن كدى بالتصغير فى معجمه وفى السمط :إنه جبل قريب من كداء ، وأما كداء فقال البكرى : جبل بمكة . وكداء هذا الجبل هو عرفة بعينها . وفى المراصد عن كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبي عليه السلام من ذى طوى إليها ، وكداً بالتنوين بأسفل مكة . وانظر النهاية فى المفردات لابن الأثير وص ٣٩٩ السمط .

(٢) ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب .

. . . .

تَهْوِى إليهم ﴾ فاستجيبت دعوته ، وقيل له : أَذِّن فى الناس بالحجِّ يأتوك رِجَالا ، ألا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل يأتونِى ، لأنها استجابة لدعوته ، ثمن ثَمَّ — والله اعلم — اسْتَحَبَّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها مِنْ كَدَاء ، لأنه الوضع الذى دعا فيـه إبراهيمُ بأن يجعل أفئدةً من الناس تَهْوِى إليهم .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد :

فصل: وذكر نَزْعَ الرايةِ من سعد حين قال : اليوم يوم المَلْحَمَةِ . وزاد غير ابن إسحاق فى الخبر أن ضِرَارَ بن الخطابِ قال يومئذ شعراً حين سمع قول سعدٍ استعطف فيـه النبىَّ صلى الله عليه وسلم على قريشٍ ، وهو من أجود شِعْرٍ له :

يا نَبِىَّ الهُـدَى إليك لَجَا[1] حَـىُّ قُرَيْشٍ، ولاتَ حِينَ لَجَاء[2]

حِينَ ضَاقَتْ عليهُم سَعَةُ الأرْ ضِ وَعادَاهُم إلهُ السَّماء

---

(١) ترك همز لجا للوزن .

(٢) أثبت الألف فى لجاء للضرورة ، وإلا فلجأ مهموز من بابى نفع وتعب . وفى الاستيعاب فى ترجمة ضرار : وأنت خير لجاء . وقد روى ابن عساكر من طريق أبى الزبير محمد بن مسلم المكى عن جابر قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة رسول الله «ص» فقالت ، ثم ذكر هذه القصيدة . وعند الواقدى والأموى أن هذا الشعر لضرار . قال الحافظ : فكأن ضراراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ فى انعطافه صلى الله عليه وسلم على قريش .

. . . .

والتقت حلقتا البطان على القـــوم ونودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعداً يريد قاصمة الظهـــر بأهل الحجون والبطحاء

خزرجيٌّ لو يستطيع من الغيـــظ رمانا بالنسر والعواء[1]

فلئن أقحم اللواء ، ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء[2]

لتكونن بالبطاح قريش بقعة[3] القاع في أكف الإماء[4]

---

(١) جاء بعد هذا البيت :

دغر الصدر لايهم بشيء غير سفك الدما وسبى النساء

قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هنـــد بالسوءة الوداء

إذ ينادى بذل حى قريش وابن حرب بذا من الشهداء

(٢) بعده:

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج والأوس أنجـــم الهيجاء

(٣) فى رواية : فقعة بكسر الفاء وسكون القاف وفتح العين جمع فقع بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف ضرب من الكمأة ، وهى الرخوة البيضاء يشبه به الرجل الذليل ، لأن الدواب تنحله بأرجلها . وأما البقعة فكان يستنقع فيه الماء ، وبضم الباء وفتحها أيضاً القطعة من الأرض على غير هيئة التى إلى جنبها .

(٤) وبعده

فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ فى الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتاً كالحية الصماء

من مفردات القصيدة : البطان = حزام يجعل تحت بطن البعير يقال ذلك إذا اشتد الأمر . الصيلم = الداهية أو الأمر الشديد . الصلعاء : الداعية ، وقد حذف حرف العطف بينها وبين الصيلم للنظم وهو جائز فى غيره أيضاً . قاصمة الظهر = الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم . النسر = نجم . العواء = سيأتى شرحه ، دغر = اسم فاعل من دغر والدغرة = شدة =

. . . .

فحينئذٍ انتَزَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الرايةَ من سَعْد بن عُبَادَةَ فيما ذكروا ، والله أعلم ، ومدَّ فى هذا الشعر العَوَّاء ، وأنكر الفارسى فى بعض كتبه مَدَّها ، وقال : لومدت لقيل فيها العَيَّاء ، كما قيل فى العَلْياء ، لأنها ليست بصفة كالعَشْوَاء ، قال : وإنما هى مَقْصُورة كالشَّرْوَى والنَّجْوَى ، وغفل عن وجه ذكره أبو على القالى ، فإنه قال : من مد العَوَّاء فهى عنده فَعَّال من عَوَيْت الشىء إذا لويت طرَفه ، وهذا حسن جداً لاسيَّما ، وقد صح مدُّها فى الشعر الذى تقدم[١] ، وغيره ، والأصح فى معناها : أن العَوَّاء من الْعُوَّةِ ، والْعُوَّةُ هى الدُّبُرُ ، فكأنهم سَمَّوْها بذلك ، لأنها دُبُرُ الأسد من الْبرُوج[٢] .

خنيس بن خالد :

فصل : وذكر خُنَيْسَ بنَ خَالِدٍ ، وقولَ ابنِ هِشَامٍ : خُنَيْسُ من خُزَاعَة ، لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خُنَيْسُ بالخاء المنقوطة والنون ، وأكثر من ألف فى الْمُؤتلِفِ والْمُخْتَلِف يقول : الصواب فيه : حُبَيْش بالحاء

= توقد الحر . بهم = بضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة الفارس الذى لا يؤتى من شدة بأسه . ويقال أيضاً للجيش . الهيجاء = الحرب . القاع : المكان المستوى الواسع . أنظر ص ٣٠٦ ح ١٢ المواهب اللدنية ، ٢٩٥ ح ٤ البداية لابن كثير .

(١) قال الأزهرى : من قصر العوا شبهها بإست الكلب ، ومن مدها جعلها تعوى كما يعوى الكلب والقصر فيها أكثر ، وقول الفارسى الذى ذكره السهيلى موجود فى اللسان بتفصيل فى مادة عوا وكذلك الرد عليه فراجعه .

(٢) فى اللسان : تدعى وركى الأسد وعرقوب الأسد ، والعواء : منزل من منازل القمر ، وقيل : نجم من أنواء البرد ، وقيل غير هذا .

. . . .

المهملة والباء والشين المنقوطة ، وكذلك فى حاشية الشيخ عن أبى الوليد أن الصوابَ فيه حُبَيْش ، وأبوه خَالِد هو الأشْعَر بنُ حُنَيْفٍ ، وقد رفعنا نسبَه عند ذكر أم مَعْبَدٍ ، لأنها بنْته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الأسْعَرُ بالسين المهملة ، فهو الأسْعَرُ الجُعْفِىُّ ، واسمه : مَرْثَد بن عِمْرَانَ[1] ، وسُمِّى الأسعر لقوله:

فلا يَدْعُنِى قَوْمِى لِسَعْدِ بنِ مَالِكٍ لئن أنا لم أَسْعَرْ عليهم وأُثْقِبِ

يعنى بمالك : مَذْحِج .

وذكر الرَّجز الذى لكُرْز :

قد عَنِمَتْ صَفْرَاء من بنى فِهِرْ

أشار بقوله : صَفْرَاء إلى صُفْرةِ الخَلُوقِ ، وقيل : بل أراد معنى : قول امْرِئ القيس :

كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضُ بصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ الماء غير مُحَلَّلِ[2]

وكقول الأعشى :

[تُرْضيك مِنْ دَلٍّ ومِنْ حُسْنٍ مُخَالِطُه غَرَارَهْ[3]]

صَفْرَاء غَدْوتُها ، وصَفْرَاء العَشِيَّةِ كالعَرَارَهْ[4]

---

(١) ابن جمران فى السمط ص ٩٤ ، وفى المؤتلف للآمدى : ابن أبى حمران ، وكذلك فى الإكمال والاشتقاق . وقد سبق .

(٢) سبق البيت وشرحه ، وفى المعلقة واللسان : المقاناة . وقد أضاف البكر إلى وصفها ، وقيل : أراد كبكر الصدفة المقاناة الخ . وانظر شرح الزوزنى للمعلقات ص ١٥ ط ١٢٨٨ . والزيادة من المعلقة .

(٣) هذا البيت زدته من السمط .

(٤) رواية البيت هكذا فى السمط : بيضاء ضحوتها الخ .

. . . .

وقوله : من بنى فِهرْ بكسر الهاء ، وكذلك الصَّدِرْ فى البيت الثانى ، وأبو صَخْرٍ هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوْسَطُه ساكن ، فإنَّ منهم من ينقل حركة لام الفِعْل إلى عَيْن الفِعْل فى الوقْفِ ، وذلك إذا كان الاسمُ مرْفوعاً أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك فى النَّصْبِ ، وعِلَّةُ مُسْتَقْصاةٌ فى النحو .

قول : لماذا وموقعها :

وذكر خَبَر حِمَاسٍ وقولَ امرأتِه له : لماذا تُعِدُّ السلاحَ بإثبات الألِفِ، ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا معها ، والمعروفُ فى ما إذا كانت استفهاماً مجرورة أن تحذف منها الألف ، فيقال : لِمَ ، وبِمَ ، قال ابن السراج : الدليلُ على أن ذا جُعِلَتْ مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر ، فيقولون : لماذا قمت ، وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

قول رجزى حماس :

وقوله : وذو غِرارَيْنِ سريع السِّلّه بكسر السين هو الرواية ، يريد الحالة من سَلَّ السيف ، ومن أراد المصدر فتح .

وقوله : وأبو يَزيدَ قائم كالمُوتِمَة ، يريد : المرأةَ لها أيتامُ ، والأعرف فى مثل هذا مُوتِم مثل مُطْفِل ، وجمعها مياتِمُ ، وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية : المُوتِمة : الاسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث ، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ المُوتِمة

. . . .

من قولهم : وَتَمَ وأتَمَ إذا ثبت ، لأن الاسطوانة تثبت ماعليها ، ويقال فيها على هذا مُؤَتِّمَةٌ بالهمز ، وتجمع مآتم ، وموتِّمة بلا همز ، وتجمع : مواتم .

وقوله : وابو يَزِيدَ بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجةٌ لوَرْش [واسمه : عثمان بن سعيد بن عبد الله] حيث أبدل الهمزةَ ألفاً ساكِنَةً ، وهى متحركة ، وإنما قياسُها عند النحويين أن تكون بَيْن بَيْن .

ومثل قوله : وابو يزيد ، قول الفرزدق :

فلْيَرْعَ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ[١]

وإنما هو هَنَأَكِ بالهمز وتسهيلها بَيْن بَيْنَ ، فقلبها ألفاً على غير القِياس المعروف فى النحو ، وكذلك قولُهم فى المِنْسَأة ، وهى العصا ، وأصلها الهمز ، لأنها مِفْعَلَة من نَسأْتُ ، ولكنها فى التنزيل كما ترى[٢] ، وأبو يَزيدَ الذى عنى فى هذا البيت ، هو سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو خطيبُ قريشٍ .

وقوله : لهم نَهِيتٌ : النَّهِيتُ : صوتُ الصَّدْرِ ، وأكثر ما توصف به الأُسْدُ ، قال ابن الأسلت :

كأنهم أُسْدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهِتْنَ فى غِيلٍ وأَجْزَاعِ

---

(١) شطرته الأول : راحت بمسلمة البغال عشية . وهو من شواهد سيبويه ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) أى مهموزة فى سورة سبأ فى قصة موت سليمان .

. . . .

والغَمْغَمَةُ : أصواتٌ غيرُ مفهومة من اختلاطها .

طرف من أحكام أرض مكة :

ونذكر هاهُنا طرَفاً من أحكام أرض مَكَّةَ ، فقد اختلف : هل افتتحها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْوَةً أو صُلحاً ، ليبتنى على ذلك الحكم : هل أرضُها مِلْكٌ لأهلها أم لا؟ وذلك أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاجُّ ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمكة أن يَنْهى أهلَها عن كِرَاء دورها إذا جاء الحاجُّ فإن ذلك لايحل لهم . وقال مالك ـ رحمه الله ـ إن كان الناسُ لَيَضرِبُون فَسَاطِيطَهُم بدُور مكَّةَ لاينهاهم أحدٌ ، وروى أن دور مَكَّة كانت تُدْعَى السَّوائب(1) ، وهذا كُلُّه منتزع من أصلين أحدُهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ والمسجدِ الحَرَام الذى جَعَلْناهُ للنَّاسِ سَوَاءً العاكِفُ فيه والبَادِ ﴾ الحج : ٢٥ وقال ابنُ عُمَر وابنُ عباس : الحَرَم كُلُّه مسجد . والأصل الثانى : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دخلها عَنْوَةً غير أنه مَنَّ على أهلِها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يُقاس عليها غيرُها من البلاد ، كما ظن بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين ، أحدهما : ماخص الله به نبيَّه ، فإنه قال : ﴿ قُلِ الأنفالُ لِلهِ والرَّسولِ ﴾ الأنفال : ١ والثانى : ماخَصَّ الله تعالى به مكَّةَ فإنه جاء : لاتَحِلُّ غنائمُها ، ولا تُلْتَقطُ لُقَطَتُها ، وهى حرم الله تعالى وأَمْنُهُ ،

---

(1) روى الإمام أحمد عن علقمة بن نضلة قال : «كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن» .

. . . .

فكيف تكون أرضُها أرضَ خَرَاج ، فليس لأحدٍ افتتحَ بلداً أن يَسْلُكَ به سَبِيلَ مكة ، فأرضُها إذاً ودُورُها لأهلِها ، ولكن أوجب اللهُ عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كِراءً في مساكنها ، فهذا حكمُها فلا عليك بعد هذا ، فُتِحَتْ عَنْوَةً أو صُلحاً ، وإن كانت ظواهرُ الحديث أنها فُتِحَتْ عَنْوَةً(١) .

الهذلي القتيل :

وذكر الْهُذَلِيَّ الذى قُتِل ، وهو واقف ، فقال : أَقَدْ فَعَلْتُمُوها يامَعْشَر خُزَاعَة ، وروى الدَّارَقُطْنِي فى السُّنَن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت قاتلَ مُسْلِمٍ بكافر لقتلت خِرَاشاً بالْهُذَلِيِّ ، يعنى بالهذلى : قاتلَ ابنِ أَثْوَعَ ، وخِرَاشٌ هو قاتِله ، وهو من خُزَاعَة .

هل تعيذ الكعبة عاصياً ؟

فصل : وذكر قِصَّةَ ابن خَطَلٍ ، واسمه : عبدُ الله ، وقد قيل فى اسمه :

---

(١) يقول الإمام ابن القيم عن مكة : « إنها لا تملك ، فإنها دار النسك ، ومتعبد الخلق ، وحرم الرب سبحانه وتعالى الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فهى وقف من الله تعالى على العالمين ، وهم فيه سواء . ومنى مناخ من سبق » ثم يقول : « ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضى مكة ، ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وعطاء فى أهل مكة ، ومالك فى أهل المدينة ، وأبى حنيفة فى أهل العراق ، وسفيان الثورى والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه » ثم فصل الأمر فى أسلوب جميل فانظره ص ٤١٣ وما بعدها فى زاد المعاد ط السنة المحمدية .

. . . .

هِلَال ، وقد قيل : هلال كان أخاه ، وكان يقال لهما الخَطَلَان ، وهما من بنى تَيْم ابن غَالِبِ[١] بنِ فِهْرٍ ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فقُتِل وهو متعلق بأستار الكعبة ، ففى هذا أن الكعبة لاتُعيذ عاصياً ، ولا تَمْنَع من إقامة حَدٍّ واجب[٢] ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ دخله كان آمناً﴾ إنما معناه الخبر عن تعظيم حُرْمَة الحَرَم فى الجاهلية نعمة منه على أهل مكة ، كما قال تعالى:

---

(١) هو من قريش الظواهر . وذكر ابن دريد أن ابن خطل كان اسمه هلال، وأن أخاه كان عبدالله . وفى المقريزى أنه هلال. أنظر ص ١٠٦، ٤٧٩ الاشتقاق، ص ٣٧٨ إمتاع الأسماع .

(٢) فى المسألة خلاف طويل . ولقد كان العربى فى الجاهلية يرى قاتل أبيه أو ابنه فى الحرم فلا يهيجه . وروى الإمام أحمد عن عمر أنه قال : لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ، وذكر عن عبد الله بن عمر أنه قال: لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدهته . وروى مثله عن ابن عباس ، وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم ، بل لا يحفظ عن تابعى ولا صحابى خلافه . وإليه ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من أهل العراق ، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث : أما مالك والشافعى فيريان أنه يستوفى منه فى الحرم ، كما يستوفى منه فى الحل . وهو اختيار ابن المنذر . وقد وفى ابن القيم هذه المسألة بحثاً ، وذكر بالتفصيل أدلة الفريقين فى زاد المعاد ص ٤٢٠ وما بعدها جـ ٢ . وأقوى دليل لمن قال باستيفاء الحد منه فى الحرم قوله سبحانه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام، حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم) البقرة : ١٩١ وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس قوله : « من سرق أو قتل فى الحل ، ثم دخل الحرم ، فإنه لا يجالس ، ولا يكلم ، ولا يؤوى حتى يخرج ، فيؤخذ ، فيقام عليه الحد ، وإن سرق أو قتل فى الحرم أقيم عليه الحد» ففرق بهذا بين اللاجىء إلى الحرم ، وبين الجانى فيه . وهذا رأى بينه وبين هدى القرآن نسب متين .

. . . .

﴿ جَعَلَ اللهُ الـكَعْبَةَ البيتَ الحَرَامَ قِياماً للناس ﴾ إلى آخر الآية ، المائدة : ٩٧.
فـكان فى ذلك قِوَامٌ للناس ، ومصلحةٌ لذرية إسماعيلَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ
وهم قُطَّانُ الحَرَم ، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول : اجْعَلْ
أَفْئِدَةً من الناسِ تَهْوِى إليهم ، وعنـــدما قَتَل النبىُّ صلى الله عليه وسلم
ابنَ خَطَلٍ قال : لا يقتل قُرَشِيٌّ صَبْراً بعد هذا ، كذلك قال يونس فى روايته .

صلاة الفتح :

فصل : وذكر صَلَاةَ النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أمِّ هانىء ، وهى صَلَاةُ
الفَتْح ، تُعْرَف بذلك عند أهل العلم ، وكان الأُمَرَاء يصلونها إذا افتتحوا
بلداً . قال الطبرى : صَلَّى سَعْدُ بن أبى وَقَّاصٍ ، حين افتتح المدائن ، ودخَلَ
إيوان كسرى ، قال : فصَلَّى فيـــه صَلَاةَ الفَتح ، قال : وهى ثمانى رَكَعات
لا يُفصَل بَيْنَها ، ولا تُصَلَّى بإمام ، فبين الطبرى سُنَّةَ هذه الصلاةِ وصِفَتَها ،
ومن سُنَّتِها أيضاً أن لا يُجْهَر فيها بالقراءة ، والأصل ما تقـدم من صلاة النبى
ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث أمِّ هانىء وذلك ضحى[1] .

---

(١) عن أم هانىء أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله « ص » وهو بأعلى مكة ، فقام رسول الله « ص » إلى غسله ، فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه فالتحف به ، ثم صلى ثمانى ركعات سبحة الضحى « متفق عليه » ولكن فى رواية للبخارى ومسلم أنها قالت إن النبى « ص » دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات ، وقد قيل فى الجمع بين الروايتين أن يكون قد نزل فى بيتها بأعلى مكة ، وكانت فى بيت آخر بمكة ، فجاءت إليه ، فوجدته يغتسل . وفى حديث لأبى داود أنه « ص » كان يسلم بين كل ركعتين ، وكذلك ذكر =

. . . .

أم هانيء :

وأم هانىء اسمها : هِندُ تكنى بابنها هانِيء بن هُبَيْرَةَ ، ولها ابنٌ من هُبَيْرَةَ اسْمُه يوسُف ، وثالث وهو الأكبر اسمه : جَعْدَةَ ، وقيل : إيَّاه عنَتْ في حديث مالكٍ ، زعم ابن أُمي على أنه قاتل رجلا أَجَرْتُه فلان بن هُبَيْرَة ، وقد قيل فى اسم أُمِّ هانِيء . فاخِتَة(١) .

عبد الله بن سعد :

فصل : وذكر عبدَ اللهِ بن سَعْدِ بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لُؤَىٍّ يُكنى أبا يحيى ، وكان كاتبَ النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم ارتدّ ولحق بمكة ،

= ابن خزيمة . وقد صلى سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن فى إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ، وفى هذا رد على من زعم أن الصلاة هذه موصولة هذا وقد حقق الإمام ابن القيم رضى الله عنه الصلاة المسماة بصلاة الضحى ، تحقيقاً عظيما ، وجمع أكثر ما قيل فيها من أحاديث ، ومنها ما رواه البخارى : « لم يكن رسول الله « ص » يصلى الضحى إلا أن يقدم من مغيبه » ثم قال ابن القيم : فالذى أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر ، وفتحه وزيارته لقوم ونحوه ، وكذلك إتيانه مسجد قباء للصلاة فيه . . ولم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب إليها وحض عليها ، وكان يستغنى عنها بقيام الليل ، فإن فيه غنية عنها ، وهى كالبدل منه . . وابن عباس كان يصليها يوماً ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصليها ، فإذا أتى مسجد قباء صلاها . أما صلاة الفتح فهى هذه التى مر ذكرها ، وكانت ضحى ، فظنها من ظنها صلاة الضحى .

(١) هى أم هانىء بنت أبى طالب ابنة عم النبى « ص » وقد اختلف فى اسمها ، فقيل فاختة ، وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والأول أشهر ، وكانت زوج ن عائذ المخزومى .

. . . .

ثم أسلم وحسُن إسلامُه ، وعُرف فضلُه وجهادُه ، وكان على مَيْمَنة عمرو ابن العاص حين افتتح مصر ، وهو الذى افتتح إفْرِيقِيَّة سنة سَبْع وعِشْرين ، وغزا الأساوِدَ من النُّوبَةِ ، ثم هادنهم الْهُدْنَةَ الباقية إلى اليوم ، فلما خالف محمدُ بن أبى حُذَيْفة على عُثمان - رضى الله عنه - اعتزل الفِتْنَةَ ، ودعا الله عز وجل أن يقبضَه ، ويجعل وفاتَه بإثْرِ صلاةِ الصبح ، فصلى بالناس الصبحَ ، وكان يسلم تسليمتين عن يمينه ، وعن شِماله ، فلما سَلَّمَ التسليمةَ الأولَى عن يمينه ، وذهب ليسلِّمَ الأُخرى ، قُبِضت نفسُه ، وكانت وفاتُه بعُسْفان ، وهو الذى يقول فى حِصار عثمان :

أرى الأمر لايَزْدادُ إلاَّ تفاقُما ... وأنْصارُنا بالْمَكَّتَيْن قليلُ
وأسلمنا أهْلُ المدينة والهوى ... إلى أهلِ مِصر والذَّليلُ ذَليلُ

نميلة :

وأما نُمَيْلَة بن عبدِ الله الذى ذكره ابن إسحاق فهو ليثى أحد بَنِى كعب بن عامر بن لَيْث ، صَحِب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد كثيراً من مشاهده وغزواته .

عن ابن نقيذ والقينتين :

وأما الْحُوَيْرِثُ بن نُقَيْذٍ[1] الذى أُمر بقتله مع ابن خَطَلٍ ، فهو الذى

---

(١) بقية نسبه : ابن بجير بن عبد قصى .

. . . .

نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها ، هو وهبار ابن الأسود ، فسقطت عن دابتها ، وألقت جنينها .

وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما ، وهما سارة[1] وفرتنى فأسلمت فرتنى ، وآمنت سارة وعاشت إلى زمن عمر رحمه الله ، ثم وطئها فرس ، فقتلها .

عن الديات في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها ذكر الديات ، وذكر قتيل الخطأ ، وذكر شبه العمد وتغليظ الدية فيه ، وهي أن يقتل القتيل بسوط أو عصا ، فيموت ، وهو مذهب أهل العراق : أن لا قود[2] في شبه العمد ، والمشهور عن الشافعي أن فيه الدية مغلظة أثلاثا[3] ، وليس

---

(١) في بعض الروايات أنها ليست من القينتين ، وإنما هي مولاة عمرو ابن هشام ، وقيل مولاة لبني عبد المطلب ، لأنها كانت تؤذي رسول الله في مكة ، وقد قيل إنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عفي عنها ، أو هربت ، ثم أهدر دمها ، فهربت حتى استؤمن لها من الرسول « ص » . وقيل قتلها علي بن أبي طالب وقيل غيره وأما الجاريتان فهما قرتنا وقريبة ، أو فرتنا وأرنبة وقد قتلت أرنب أو قريبة . أنظر ص ٢٩٨ ح ٤ البداية لابن كثير ص ٣٧٨ ، ٣٩٤ إمتاع الأسماع للمقريزي .

(٢) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٣) أي ثلاث وثلاثون حقة ، وثلاث وثلاثون جذعة ، وأربع وثلاثون ثنية . الثنية من الغنم ، ما دخل في الثالثة ، ومن البقر كذلك ، ومن الإبل في السادسة ، والجذعة ما دخل في السنة الخامسة من الإبل ، ومن البقر والغنم مادخل في السنة الثانية . وقيل البقر في الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة . وقيل غير ذلك . وحديث شبه العمد أخرجه الخمسة إلا الترمذي .

. . . .

عند فقهاء الحجاز إلا قَوَدٌ فى عَمْدٍ أو دِيَةٍ فى خَطَأ تؤخذ أَخْمَاساً(١) على ما فَسَّر الفقهاء . وهو قول الليث ، وكذلك قال أهلُ العراق إن القَوَد لا يكون إلا بالسيف ، واحتجوا بأثَرٍ يُرْوى عن ابن مَسْعُودٍ مرفوعاً أن لا قَوَدَ إلا بحَدِيدَةٍ ، وعن عَلِيٍّ مَرْفُوعاً أيضاً : لا قَوَدَ إلا بالسيف ، ومن طريق أبى هُرَيْرَة لا قَوَد إلا بحديدةٍ ، وهو يدور على أبى مُعَاذ سُلَيمان بن أَرْقَمَ ، وهو ضعيف بإجماع ، وكذلك حديث ابن مَسْعود يدور على المُعَلَّى بن هِلال ، وهو ضعيفٌ مَتْروكُ الحديثِ ، وكذلك حديث عَلِيٍّ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ ، وحجة الآخرين فى أن القاتل يُقْتَل بما قُتِل به قولُه تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عليكُمْ فاعْتَدُوا عليه بمثل مااعْتَدى عَلَيْكم ﴾ البقرة : ١٩٤ ، وحديثُ اليهودى الذى رَضَخَ رأسَ الجارية على أَوْضَاحٍ(٢) لها ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يُرْضَخ رأسُه بين حَجَرين .

الصلاة في الكعبة :

وأما دخوله عليه السلام الكعبةَ وصلاته فيها ، فحديث بلالٍ أنه صلى

---

(١) عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون غير لبون ، وعشرون بنات مخاض . ابن اللبون أو بنت اللبون : ما دخل من الإبل فى الثالثة . والمخاض : اسم للنوق الحوامل ، وبنت المخاض ما دخلت فى السنة الثانية . وفى بنى اللبون خلاف . بل فى نفس الدية خلاف .

(٢) الاوضاح نوع من الحلى يعمل من الفضة وهو من حديث متفق عليه ، فقد وجدوا جارية رض رأسها ، فسألوها : من صنع بك هذا ، حتى ذكروا يهودياً ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودى ، فأقر ، فأمر الرسول ص برض رأسه بين حجرين .

. . . .

فيها ، وحديثُ ابن عباس أنه لم يُصَلِّ فيها ، وأخذ الناسُ بحديث بلال ، لأنه أثبت الصلاةَ وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت ، لا بشهادة النافى ، ومن تأوَّلَ قول بلالٍ أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشىء ، لأن فى حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس وروايةَ بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النَّحْر فلم يصَلِّ ، ودخلها من الغد فصلى ، وذلك فى حجة الوداع ، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حَسَن ، خرجه الدارقطنى ، وهو من فوائده(١) .

---

(١) عن ابن قال : دخل رسول الله « ص » البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم الباب ، فلما فتحوا كنت أول من ولج ، فلقيت بلالا ، فسألته : هل صلى فيه رسول الله « ص »؟ قال : نعم، بين العمودين اليمانيين « متفق عليه » وفى حديث البخارى وأحمد أنه « ص » صلى ركعتين بين السار يتين عن يسارك إذا دخلت وأنه خرج ، فصلى فى وجهة الكعبة ركعتين . وحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كبر فى البيت ولم يصل فيه قد أخرجه البخارى ، وقال إن إثبات بلال أرجح . لأنه كان مع النبى ، ولم يكن ابن عباس معه ، وإنما استند فى نفيه إلى أسامة تارة ، وإلى الفضل تارة . وقد روى نفى الصلاة مسلم عن أسامة من طريق ابن عباس ، ووقع إثبات صلاته فى الكعبة أيضاً عن أسامة من رواية ابن عمر ، ولهذا تترجح رواية بلال إذ ليس فيها مثل هذا التعارض « وعن عائشة قالت : خرج رسول الله « ص » من عندى وهو قرير العين طيب النفس ، ثم رجع إلى ، وهو حزين ، فقلت له ؟ فقال : إنى دخلت الكعبة ، ووددت أنى لم أكن فعلت ، إنى أخاف أن أكون أتعبت امتى من بعدى « الخمسة إلا النسائى وصححه الترمذى » وعن إسماعيل ابن أبى خالد قال : قلت لعبد الله ابن أبى أوفى : أدخل النبى « ص » البيت فى عمرته ؟ قال : لا « متفق عليه » وبهذا استدل الجمهور على أن دخول الكعبة ليس من مناسك الحج .

كسر الأصنام

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك :

وفى الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

قصة إسلام فضالة

قال ابن هشام : وحدثنى : أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم : وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شىء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة

كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ والإسلامُ
لَوْ ما رأيتِ محمَّداً وقَبِيـــلَه ... بالفتح يومَ تَكَسُّرُ الأصْنام
لرأيتِ دينَ اللهِ أضْحَى بَيِّنـاً ... والشِّرْكُ يغشَى وجهَه الاظلامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزّبير ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَير بن وَهَب: يا نبيّ الله إن صفوان بن أميَّة سيِّدُ قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمِّنْه ، صلى الله عليكَ ؛ قال ، هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِمامَته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عُمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان فِداك أبى وأمى ، اللهَ اللهَ فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! اغْرُب عنى فلا تكلِّمْنى ؛ قال : أى صفوان فِداك أبى وأمى ، أفضلُ النّاس ، وأبرُّ الناس ، وأحْلم الناس ، وخير النَّاس ، ابن عمك ، عزُّه عزُّك ، وشَرفه شرفك ، ومُلْكه مُلكك ؛ قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم : فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَنِي ، قال : صدق ؛ قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قُريش من أهل العلم أن صفوان قال لِعُمَيْر وَيْحَك ! اغْرُبْ عنى ، فلا تكلّمنى ، فإنك كذّاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُميَّة ، وأمّ حكيم عند عِكْرمة بن أبى جَهل ـ أسلَمَتا ؛ فأما أمّ حكيم فاستأمَنَت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لِعِكْرِمة فأمَّنَه ؛ فلحقتْ به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عِكْرِمة وصفوان أقرّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأوّل .

إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت : قال : رمى حسَّانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أحَلَّكَ بُغْضُهُ ... نجرانَ فى عَيْشٍ أحَذَّ لَئيم

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

. . . .

يارَسُولَ المَليك إنَّ لِسانى رَاتِقٌ ما فَتَقْتَ إذْ أنا بُورُ
إذْ أبارِى الشَّيطان فى سَنَن الغَىّ وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبور
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ لِرَبِّى ثم قَلْبِى الشَّهِيدُ أنتَ النَّذِير
إنَّنِى عَنْكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا مِنْ لُؤَىّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضاً حين أسلم :

مَنَعَ الرُّقادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ والليْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ
مِما أتانِى أنَّ أحْمَدَ لامَنِى فِيهِ فبِتُّ كأنَّنِى مَحْمُومُ
ياخيرَ مَنْ حَمَلَتْ على أوْصالها عَيْرانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ
إنى لَمُعْتَذِرٌ إليكَ مِنَ الذى أسديتُ إذْ أنا فى الضَّلال أهِيمُ
أيامَ تأمُرُنى بأغوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وتأمُرُنى بها مَخْزُومُ
وأمُدُّ أسبابَ الرَّدَى ويقودُنى أمْرُ الغُوَاةِ وأمْرُهم مَشْئُومُ
فاليَوْمَ آمَنَ بالنَّبِىّ مُحَمَّدٍ قَلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدى كلاهما زللى ، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل فى الصالحين كريم

قَرْمٌ عَلا بُنْيانُهِ مِنْ هاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّن فى الذُّرَا وأُرُومُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانئ

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبى وَهْبٍ المخزوميُّ فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أمّ هانئ بنت أبى طالب ، واسمها هِنْد ، وقد قال حين بلغه إسلام أمّ هانئ :

أشاقتكَ هِنْدٌ أمْ أتاكَ سُؤَالُهَا ... كذاكَ النَّوى أسْبابُها وانفتالُها

وقد أَرَّقَتْ فى رأس حِصْن ممنَّع ... بنجرانَ يسرى بعد ليلٍ خيالُها

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وتَعْذِلُنى باللَّيْلِ ضَلَّ ضَلاَلُهَا

وتَزْعُمُ أنى إنْ أطَعْتُ عَشِيرتى ... سأرْدَى وهل يُرْدِينِ إلّا زِيالُها

فإنى لِمِنْ قَوْمٍ إذا جَدَّ جدُّهُم ... على أىّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالُها

وإنى لحامٍ من وراء عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مجالُها

وصارت بأيديها السُّيوف كأنَّها ... مخاريقُ وِلْدانٍ ومنها ظِلاَلُهَا

وإنى لأقلَى الحاسدين وفِعْلَهُمْ ... على الله رزقى نفسُها وعيالُها

وإنّ كلام المرء فى غير كُنْهِهِ ... لكالنَّبْل تَهوِى ليس فيها نصالُهَا

فإن كنتِ قد تابعتِ دِينَ مُحمَّدٍ ... وعطَّفتِ الأرحامَ منك حِبالُهَا

فكونى على أعلى سَحِيقٍ بهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَبْراء يَبْسٍ بِلالُهَا

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحامَ منك حبالُها » .

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شَهِد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سُلَيم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غِفار أربع مائة ، ومن أسْلَمَ أربع مائة ؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُريش والأنصار وحُلفائهم ، وطوائف العرب من تَميم وقَيْس وأسد .

شعر حسان فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسَّان بن ثابت الأنصارى :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِوَاءُ ... إلى عَذْرَاءَ مَنزِلُهَا خلاءُ

دِيارٌ من بنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامسُ والسَّماءُ

وكانَتْ لا يَزال بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ

فدَعْ هذا ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إذا ذَهَبَ العِشاءُ

لِشَعْثاءَ التى قد تَيَّمَتْهُ ... فليسَ لِقَلْبِهِ منها شِفاءُ

كأنَّ خَبِيئَةً مِن بيتِ رأس ... يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ

إذا ما الأشرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْماً ... فهُنَّ لطيِّبِ الراحِ الفِداءُ

نُوَلِّيها المَلامَةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ

ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لَم تَرَوْها ... تُثير النَّقعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ

يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُصْغِيات على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماء

تَظَلُّ جِيادُنا مُتمطِّرات يُلَطِّمُهنَّ بالخُمرِ النساءُ

فإمَّا تُعرِضُوا عنَّا اعتمرْنا وكان الفتحُ وانكشف الغِطاء

وإلا فاصْبِرُوا لجِلادِ يومٍ يُعِينُ اللهُ فيه مَنْ يشاء

وجِبريلٌ رسولُ اللهِ فِينا ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاء

وقال الله: قد أرسلتُ عَبْداً يقُولُ الحقَّ إنْ نفع البَلاءُ

شَهِدتُ به فقُومُوا صدِّقُوهُ فقلتُم: لا نقوم ولا نَشاءُ

وقالَ اللهُ قد سَيَّرتُ جُنداً هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ

لنا في كلِّ يومٍ مِنْ معدٍّ سِباب أو قِتالٌ أو هجاءُ

فنحْكُمُ بالقَوافي مَنْ هَجانا ونَضرِب حين تختلِطُ الدِّماءُ

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنّي مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخفاءُ

بأن سيوفَنا تركَتْكَ عبداً وعبدُ الدَّار سادَتُها الإماءُ

هَجوتَ محمداً وأجبتُ عنهُ وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

أتَهجُوهُ ولستَ لهُ بكُفءٍ فشرُّكما لخيرِكما الفِداءُ

هَجَوتَ مُباركاً بَرًّا حَنيفاً أمِينَ اللهِ شيمتُه الوَفاءُ

أمَن يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ويمدَحُه وينصرُه سَواءُ؟

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرضي لعرض محمّد منكم وِقاءُ

لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبحري لا تُكدِّرُه الدِّلاءُ

قال ابن هشام: قالها حسّان يوم الفتح. ويُروى: «لسانى صارم لا عتب فيه» وبلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النِّساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمُر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

شعر أنس بن زنيم

فى الإعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زُنَيْم الدّيلى يعتذر إلى رسول ُالله صلى الله عليه وسلم ممن كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعى:

أأنتَ الذى تُهدى مَعَدٌ بأمره ... بَل ِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وقالَ لكَ اشْهَدِ

وما حَمَلتْ مِنْ نَاقةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أبرَّ وأوفى ذِمَّةً مِن مُحَمَّد

أحَثَّ على خيرٍ وأسبغَ نائلا ... إذا راحَ كالسَّيف الصَّقيلِ المُهَنَّدِ

وأكسى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابتذالِه ... وأعطى لرأس السَّابق المتجرِّد

تعلَّمْ رسولَ اللهِ أنَّكَ مُدركى ... وأنَّ وَعيداً مِنك كالأخذ باليد

تَعلَّمْ رسُولَ اللهِ أنَّكَ قادِرٌ ... على كل صِرْمٍ مُتْهِمين ومُنجد

تعلَّمْ بأنَّ الرَّكبَ ركْبُ عُوَيْمِر ... هُمُ الكاذبونَ المُخلفو كلِّ مَوْعِد

ونَبَّوا رسولَ الله أنّى هَجَوْتُه ... فلا حملَت سوطى إلىَّ إذن يَدِى

سوى أنى قد قلتُ ويلُ امِّ فتيةٍ ... أصيبُوا بنحْس لا يطْلق وأسْعُدِ

أصابَهُمْ مَنْ لم يَكُنْ لدِمائِهم ... كِفاء فعزتْ عَبْرَتى وتبلّدى

فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا … بعبد بن عبد الله وابنة مَهْود
ذُويب وكُلْثوم وسَلْمَى تتابعوا … جميعا فإلّا تدمع العين أكمَد
وسَلْمَى وسَلْمَى ليس حَىّ كمثله … وإخوته وهل مُلوك كأعْبُد ؟
فإنى لا دِينــا فتقت ولا دما … هَرَقتُ تبين عالمَ الحقّ واقصِد

شعر بديل فى الرد على ابن زنيم

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أمّ أصْرَم ، فقال :

بكى أنسٌ رزْنًا فأعوله البُــكا … فألاّ عَدِيّا إذ تُطَلُّ وتُبعَدُ
بكَيْتَ أبا عَبْسٍ لقُرْب دمائهـا … فتُعذِرَ إذْ لا يوقدُ الحربَ مُوقد
أصابهُمُ يومَ الخنــادِمِ فِتيَة … كِرامٌ فسلْ: منهم نفيلٌ ومعبَد
هنالك إن تسفحْ دموعُك لا تُلَم … عليهم وإن لم تدمع العينُ فاكمَدُوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

شعر بجير فى يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهَير بن أبى سُلْمى فى يوم الفتح :

نَفى أهلَ الحَبلَّقِ كُلَّ فَــجٍّ … مُزَيْنةُ غُــدْوَةً وبنو خِفاف
ضَرَبْناهُم بمـكة يومَ فَتح النّــبىّ الخيْر بالبيــضِ الخِفاف
صَبَحْناهم بسبْعٍ من سُلَيــمٍ … وألفٍ منْ بنى عثمان وافِ

نطا أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومــة الثقاف
فأبنا غانمين بمـا اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منـا مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

شعر ابن مرداس فى فتح مكة

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه وشعارهم يوم اللقـاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابـكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المـكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثنى بعض أهل العـلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده ، وهو حجر كان

يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبى محمد

فحرق عباس ضمار ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم .

شعر جعدة فى يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جعدة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحين له يوم الحديد متاح
أتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلا بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولفتا سددناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح

وهذه الأبيات فى أبيات له .

شعر بجيد فى يوم الفتح

وقال بجيد بن عمران الخزاعى :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام سحاب الهيدب المتراكب

. . . .

وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها　　كتاب أتى من خير مُمل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة　　لندرك ثأراً بالسيوف القواضب

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة

ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً　　وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره　　نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،

. . . .

فلما رآه القوم أخـــذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذِيمة ، قال : لما أمرنا خالدٌ أن نضعَ السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يابنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : ياجحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضِعَتِ الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

براءة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل خالد

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السَّيف فقَتل من قَتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللّهُمَّ إنى أبرأ إليك مّما صنع خالد بن الوليد .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُ كأنى لَقِمت لقمةً من حَيْس ، فالتذذْتُ طَعْمها ، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل علىّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه :

يارسول الله ، هذه سَرِيَّة من سَرَاياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحبّ ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليًا فيسهِّله .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : هل أنكَرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعَة ، فَنَهَمَهُ خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه ، فاشتدّت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطّاب : أما الأوّل يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : ياعلىّ ، أخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوَدَى لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه لَيدى لهم مِيلَغةَ الكلب ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بَقيَّة من المال ، فقال لهم علىٌّ رضوان الله عليه حين فرَغ منهم : هل بقى لكم بقيَّة من دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أُعطيكم هذه البقيَّة من هذا المال ، احتياطًا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسنت . قال : ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائمًا شاهرًا يديه ،

. . . .

حتى إنه لَيُرى مما تحت مَنْكِبَيه ، يقول : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرّات .

الاعتذار عن خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهمىّ ، وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنىّ : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبأْنا صَبأْنا .

بين خالد وبين ابن عوف

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جَذِيمة : يابنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عمِلت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرّ . فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته .

بين قريش وبنى جذيمة

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة ، وعَفَّان بن أبى العاص بن أُميَّة بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفَّان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولَقِيهم بأرض بنى جَذِيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتِل عوفُ بن عبد عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، ونجا عفَّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمَّت قُرَيش بغزو بنى جَذِيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلإ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجَهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقل لكم ما كان قِبَلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش

وقد قائل من بنى جَذِيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

ولولا مقالُ القَوْمِ للقَوْمِ أسلِمُوا ... للاقَت سُلَيْمٌ يومَ ذلكَ ناطحا

لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا

. . . .

فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا
ألظّت بخُطّاب الأيامى وطلّقت غداتئذٍ منهنّ من كان ناكحا

قال ابن هشام: قوله «يُشمر» «وألظّت بخُطّاب» عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن مرداس فى الرد على سلمى

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال: بل الجحّاف بن حكيم السُّلمى:

دعى عنكِ تقوال الضّلالِ كفى بنا
لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا
فخالدُ أولى بالتّعذّر منكمُ غداة علا نهجاً من الأمر واضحا
مُعاناً بأمرِ اللهِ يُزجى إليكمُ سوانحُ لاتكبُو له وبوارحا
نعوْا مالكا بالسّهل لمّا هبطْنهُ عوابسَ فى كابى الغبار كوالحا
فإن نكُ أثكلناكِ سلمى فمالكٌ تركتُمْ عليه نائحاتٍ ونائحا

الجحاف يرد على سلمى

قال الجحّاف بنُ حكيم السُّلمى:

شهِدْنَ مَعَ النّبىّ مُسوّماتٍ حُنَيْناً وهى دامِيَةُ الكلامِ
وغزوة خالد شهدت وجرّت سنابكُهنّ بالبلدِ الحرامِ
نعرض للطّعان إذا الْتَقَيْنا وجُوهاً لاتُعرّضُ لِلّطامِ

. . . .

وإستُ بخالعٍ عنّى ثيابى إذا هزَّ الكُماة ولا أرامى
ولكنى يجُولُ المُهْرُ تحتى إلى العَلوات بالعضب الحسام

حديث ابن أبى حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزُّهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جَذِيمة ، وهو فى سنى ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عُنُقه برُمَّة ، ونسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه : يافتى ؛ فقلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدى إلى هؤلاء النِّسْوَة حتى أقضى إليهنّ حاجة ، ثم تردُّنى بعد ، فتصنعوا بى مابدا لكم ؟ قال : قلت : والله لَيسيرٌ ماطلبت . فأخذت برمّته فقُدته بها ، حتى وقف عليهنّ ، فقال : اسْلَمى حُبَيْش ، على نَفَدٍ مِن العيش :

أرَيْتُكِ إذْ طالَبْتُكم فوجَدْتُكمْ بحَلْيَةَ أو أَلْفَيْتُكمْ بالخَوانِق
ألَمْ يَكُ أهْلاً أن يُنوَّلَ عاشِقٌ تَكلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدائِقِ
فلا ذنبَ لى قد قلت إذْ أهلُنا مَعا أثِيبى بوُدٍّ قبل إحدَى الصَّفائِق
أثِيبى بوُدٍّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى ويَنْأى الأميرُ بالحَبيبِ المُفارِق
فإنّى لا ضَيَّعتُ سِرَّ أمانَةٍ ولا راقَ عَيْنى عنكِ بعدَكِ رائِق
سِوَى أنّ ما نال العشيرة شاغلٌ عن الوُدِّ إلا أن يكونَ التَّوامُق

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر البيتين الآخِرَيْن منها له.

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حَدْرد الأسلمي قالت :

وأنت حُبَيِّت سبعاً وعشرا وِتْراً وثمانيــاً تترى

قال : ثم انصرفتُ به . فضُربت عُنُقه .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فِرَاس بن أبي سُنْبلة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُربتْ عُنُقه ، فأكبَّت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

شعر جذيمي في الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جَذِيمة :

جزَى الله عنا مُدْلجاً حيث أصبحتْ جزاءة بُوسَى حيث سارتْ وحلَّت

أقامُوا على أقضاضنا يَقسِمُونَها وقد نَهِلَتْ فينا الرِّماح وعَلَّت

فوالله لَوْلا دينُ آل محمَّد لقد هربت منهم خيُول فشلَّت

وما ضَرَّهم أن لا يُعِينوا كَتِيبة كرِجْل جَراد أرسلت فاشْمَعَلَّتِ

فإمّا ينيبوا أو يثُوبوا لأمْرِهمْ فلا نحن نجزيهم بما قد أضَلَّتِ

وهب يرد على الجذيمي

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دَعَوْنا إلى الإسْلامِ والحقّ عامراً فمَا ذَنْبُنا في عامرٍ إذْ تَوَلَّتِ

وما ذَنْبنا في عامرٍ لا أبا لَهُمْ لِأَنْ سَفِهَتْ أحلامُهم ثم ضَلَّتِ

. . . .

وقال رجل من بنى جَذِيمة :

لِيهنئْ بنى كَعْب مُقَدَّم خالد وأصحابِه إذْ صَبَّحتنا الكتائبُ
فلا تِرة يسعَى بها ابن خُوَيْلد وقد كنتَ مكفياً لوانك غائبُ
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتَهم ولا الداءمن يوم الغُميصاء ذاهبُ

شعر غلامٍ جذمى هارب أمام خالد

وقال غلام من بنى جَذِيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهنّ من جيش خالد :

رَخِّينَ أذْيالَ المُرُوط وارْبَعَنْ مَشْىَ حَيِيَّاتٍ كأنْ لم يُفزَعَنْ
إنْ تُمْنَعِ اليومَ نِساءٌ تُمْنَعَنْ

ارتجاز بنى مساحق حين سمعوا بخالد

وقال غِلمة من بنى جَذِيمة ، يقال لهم بنو مُساحِق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد عَلِمَتْ صفراءُ بيضاءُ الإطِلْ يَحُوزُها ذُو ثَلَّةٍ وذُو إبِلْ
لَأُغْنِيَنَّ اليومَ ما أغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر :

قد علمتْ صفراءُ تُلهِى العِرْسا لا تَملأ الحَيْزومَ منها نَهْسا
لَأَضرِبَنَّ اليومَ ضَرْباً وعْسا ضَرْبَ المُحِلّينَ مَخاضاً قُعْسا

وقال الآخر :

أقسمتُ ما إن خادرٌ ذو لِبدةٍ ... شَثْنُ البَنانِ فى غَداةِ بَرْدِهْ

جهمُ المُحيَّا ذو سِبال وَرْدَهْ ... يُرْزِمُ بينَ أيكةٍ وجَحْدَهْ

ضارٍ بتأكال الرجالِ وخَدْهْ ... بأصدقَ الغــداةَ منى نَجْدَهْ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنَخْلَة ، وكانت بيتاً يعظِّمه هذا الحىّ من قُريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سَدَنتُها وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمىُّ بمسير خالد إليها ، علَّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عُزُّ شُدِّى شدَّةً لاشَوَى لهاَ ... على خالدٍ ألْقى القِناعَ وشمِّرى

يا عُزَّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خالداً ... فبُوئى بإثمٍ عاجلٍ أو تَنَصَّرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبدالله ابن عُتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

. . . .

عن إسلام أبي سفيان وصاحبيه :

فصل : وذكر كَسْرَ الأصنام ، وطَمْسَ التَّماثيلِ ، ومقالةَ الحارثِ بنِ هِشَامٍ حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعتَّاب بن أَسِيد ، فتكلموا فأخبرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريلُ عليه السلام بالذى قالوه ، فصح بذلك يقينُهُم وحَسُن إسلامهم ، وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر قال : لعن النبى صلى الله عليه وسلم الحارثَ وأبا سفيان بن حَرْبٍ وصَفْوان بن أُمَيَّةَ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْس لك من الأَمْرِ شَىْء أَوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ الآية آل عمران : ١٢٨ قال : فتابوا بعدُ ، وحَسُن إسلامُهم ، وروينا بإسنادٍ مُتَّصِلٍ عن عَبْدِ الله ابن أبى بكر ، قال : خرج النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – على أبى سُفْيَانَ ، وهو فى المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال فى نفسه : ليت شِعْرِى بأىِّ شىء غلبتنى ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ضرب بيده بين كتفيه ، وقال : بالله غلبتك يا أباسفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . مِنْ مُسْنَد الحارثِ بن أبى أُسامَةَ ، وروى الزُّبَيْرُ بإسناد يرفعه إلى من سمع النبىَّ صلى الله عليه وسلم يمازح أبا سفيان فى بيت أم حَبِيبة وأبو سفيان يقول له تركْتُكَ، فتركتك العربُ، ولم تَنْتَطِحْ بعدها جَمَّاء ولا قَرْناء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يضحك، ويقول : أنت تقول هذا يا أباحَنْظَلَةَ . وقال مجاهد فى قوله جل وعز: ﴿عَسَى اللهُ أن يجْعَلَ بينكم وبين الذين عَادَيْتُمْ منهم مَوَدَّةً ﴾ الممتحنة : ٧ قال هى مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سُفْيَانَ . وقال أهلُ التفسير : رأى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى المنام أَسِيد بن أبى العِيصِ والياً على مكة

. . . .

مسلماً ، فمات على الكفر ، فكانت الرؤيا لولده عَتَّابٍ حين أسلم ، فولاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم دِرْهَماً ، فقال : أيها الناس أجاعَ اللهُ كَبِدَ مَنْ جاع على دِرْهَمٍ ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبْتُ فى ولايتى كلِّها إلا قميصاً مُعَقَّداً[1] كَسَوْتُه غلامى كَيْسَانَ ، وكان قد قال قبل أن يُسْلِم وسمع بلالا يُؤَذِّن على الكعبة ، لقد أكرم الله أسيداً ، يعنى : أباه أن لايكونَ سمع هذا فيسمع منه مايغيظه ، وكانت تحت عَتَّابٍ جُوَيْرِيَةُ بنتُ أبى جَهْلِ بن هِشَامٍ ، وهى التى خَطَبها عَلِىٌّ عَلَى فاطِمَةَ ، فشَقَّ ذلك على فَاطِمَةَ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فاطِمَةَ بَضْعَةٌ منى ، الحديث[2] ، فقال عَتَّابٌ : أنا أُرِيحُكم منها فتزوجها ، فولدت له عبدَ الرحمن المقتول يوم الجمل ، يُروى أن عُقَاباً طارت بكَفِّه يوم قُتِل ، وفى الكَفِّ خاتَمُه ، فطرحتها باليَمَامَةِ فى ذلك اليوم ، فعُرِفَتْ بالخاتم .

الحنفاء بنت أبى جهل :

وكانت لأبى جَهْلٍ بنتٌ أخرى ، يقال لها الحَنْفَاء كانت تحت سُهَيْل

---

(١) ضرب من برود هجر .

(٢) قصة جويرية فى الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة من غير أن تسمى . وفيها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً » . والسبب خوفه « ص » أن تفتن فاطمة فى دينها كما جاء مصرحاً به فى الصحيحين .

. . . .

ابن عَمْرٍو ، يقال : إنها ولدت له ابنه أنساً الذى كان يضعف[1] ، وفيه جرى المثلُ : أساء سَمْعاً فأساء إجَابَةً[2] ويقال : إنه نظر يوماً إلى رَجُلٍ على ناقة يتبعها خَرُوفٌ فقال : يا أَبتِ أذَاكَ الخَرُوفُ من تلك الناقة ؟ فقال أبوه : صدقت هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ ، وكانت حين خطبها قالت : إن جاءت منه حليلته بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطإ ما أنجبت ، وقد قيل فى بنت أبى جهل : الحنفاء : إن اسمها صَفِيَّةُ[3] فالله أعلم .

اسلام الحارث بن هشام :

وقال الحارثُ بن هِشَامٍ ، وقد قيل له : ألا تَرَى مايَصْنَعُ مُحَمَّدٌ من من كَسْرِ الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة[4] فقال : إن كان اللهُ يكره هذا ، فسيغيِّره ، ثم حَسُن إسلامُه رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ، فلم يزل جاهِداً مُجاهِداً ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

---

(١) من الضعفة ضعف الفؤاد وقلة الفطنة .

(٢) فى اللسان : جابة وقال وهكذا يتكلم به ، لأن الأمثال تحكى على موضوعاتها وهى اسم وضع موضع المصدر مثل الطاعة والطاقة والغارة والعارة ، وأصل المثل أن الأخنس بن شريق لقيه مع أبيه . فقال له : أين أدك يا فتى ، وأدك مصدر الفعل أم ، أى أين قصدك ، فظن أنس أنه يسأل عن أمه . فقال : انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جابة . أنظر اللسان مادة جوب والأمثال للميدانى ص ٣٣٠ ط السنة المحمدية .

(٣) وفى الأمثال أن اسمها صفية .

(٤) وفى رواية أنه قال : واثكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم ، قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة .

. . . .

إسلام بنت أبي جهل :

وأما بنتُ أبي جهل ، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة ، فلما قال المؤذنُ : أشهد أن مُحمَّداً رسولُ الله ، قالت : عَمْرِي لقد أكرمك اللهُ ورفع ذِكْرَكَ ، فلما سمعت : حَيَّ على الصلاة ، قالت : أمّا الصَّلاةُ فَسَنُؤَدِّيها ، ولكن والله ما نحب قلوبُنا مَنْ قَتَلَ الأحبَّةَ ، ثم قالت : إن هذا الأمر لَحَقٌّ ، وقد كان المَلَكَ جاء به أبي ، ولكن كَرِه مُخالَفَةَ قومِه ودينَ آبائه .

وأما أبو مَحذُورَةَ الجُمَحِيّ ، واسمه : سَلَمَةُ بن مِعْيَر ، وقيل سَمُرةُ[1] ، فإنه لما سَمِع الأذانَ ، وهو مع فِتيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكة أقبلوا يستهزءون ، ويحكون صوت المؤذن غيظاً ، فكان أبو مَحذُورَةَ من أحسنهم صوتاً ، فرفع صوته مُستهزئاً بالأذان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمثل بين يديه ، وهو يظن أنه مقتول ، فمسح النبيُّ صلى الله عليه وسلم ناصيتَه وصدره بيده ، قال : فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسولُ الله ، فألقى عليه النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأذانَ ، وعلّمه إيَّاه ، وأمره أن يؤذِّن لأهل مكة ، وهو ابن ستَّ عَشْرَةَ سنةً ، فكان مؤذنُهم حتى مات ثم عَقِبُه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر ، وفي أبي مَحذُورة يقول الشاعر :

---

(١) في الإصابة عند البلاذري عن اسمه : الأثبت أنه أدمس ، وجزم ابن حزم في أن سمرة أخوه . وخالف أبو اليقظان فجزم بأن أدمس بن معير قتل يوم بدر كافراً وأن اسم أبي محذورة سلمان بن سمرة ، وقيل غير ذلك .

. . . .

أمَا وَرَبِّ الـكَعْبَةِ المَسْتُورهْ ... وماتلا مُحَمَّدٌ مِنْ سُورهْ

والنَّغَمَاتِ من أبى مَحْذُورَهْ ... لأفعَلَنَّ فعـلة مَذْكُورَهْ

هند بنت عتبة :

وأمَّا هِندُ بنت عُتْبَةَ امرأةُ أبى سُفْيَانَ ، فإن مِنْ حَدِيثها يوم الفتح أنها بايعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو على الصفا ، وعُمَرُ دونه بأعلى العقبة ، فجاءت فى نِسْوَةٍ من قريش يُبَايِعنَ على الإسلام ، وعُمَرُ يكلمهن عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخذ عليهن أنْ لا يُشرِكْنَ بالله شيئاً قالت هند : قد علمت أنه لو كان مع الله غيرُه لأغنى عنَّا ، فلما قال : ولا يَسْرِقن قالت : وهل تَسْرِق الْحُرَّةُ ، لـكن يارسولَ الله أبو سُفْيان رجُلٌ مَسِيكٌ ربمـا أخذتُ من ماله بغير علمه ما يُصْلِح ولده ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خذى مايكفيكِ وولدكِ بالمعروف ، ثم قال : إنكِ لأنْتِ هند ؟[1] قالت : نعم يارسول الله اعفُ عنى ، عفا الله عنك ، وكان أبو سفيان حاضراً ، فقال : أنتِ فى حِلٍّ مما أخذتِ ، فلما قال : ولا يَزْنِينَ ، قالت : وهل تَزْنى الْحُرَّةُ يارسولَ الله ، فلما قال : ولا يَعْصِينَكَ فى معروف ، قالت : بأبى أنتَ وأمىّ ما أكرَمَك ، وأحسنَ مادَعَوْت إليه ، فلما سمعت : ولا يقتلن أولادَهن ،

(١) هذا لأنها كانت متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية الصحيحين : « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ، ويكفى بنى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله ص « خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك » .

. . . .

قالت : والله قد رَبَّيْناهُمْ صِغاراً ، حتى قتلتَهم أنتَ وأصحابك ببدرٍ كباراً .
قال : فضحك عُمَرُ من قولها حتى مال .

عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير :

فصل : وذكر حديثَ أبي شُرَيْح الْخُزَاعي ، واسمه : خُوَيْلِدُ بن عَمْرو ، وقيل : عَمْرو بن خُوَيْلد ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانىء بن عَمْرو . قال : لما قَدم عَمْرُو بن الزُّبَيْر مكة لقتال أخيه عبدِ الله بن الزبير بمكة ، هذا وَهْم من ابن هشام ، وصوابه : عَمْرُو بن سعيد بن العاصى بن أُمَيَّة ، وهو الأَشْدَقُ ، ويكنى أبا أُمَيَّة ، وهو الذى كان يسمى لَطِيمَ الشيطان ، وكان جَبَّاراً شديد البأس ، حتى خافه عبدُ الملك على مكة ، فقتله بحيلةٍ فى خبر طويل ، ورأى رجل عند موته فى المنام قائلا يقول :

أَلَا يالَقَوْمِي لِلسَّفَاهَةِ والْوَهْنِ ... وللعاجزِ الْمَوْهُونِ والرَّأْيِ ذِي الأَفْنِ

ولابنِ سَعِيدٍ بَيْنَما هو قائمٌ ... على قَدَمَيْه خَرَّ للوجْهِ والْبَطْنِ

رَأَى الحُصْنَ مَنْجَاةً من الموت فالتجا ... إليه ، فزارته الْمَنِيَّةُ فى الْحُصْنِ

فقصَّ رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتُمها ، حتى كان مِنْ قَتْلِه ما كان ، وهو الذى خَطَبَ بالمدينة على مِنْبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَعَفَ حتى سال الدمُ إلى أسفله فعرف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذى يُرْوى عنه كأنى بجبّارٍ من بَنِي أُمَيَّة يَرْعُفُ على مِنْبَرِى هذا حتى يسيلَ الدم إلى

. . . .

أسفله[1] ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فعُرِف الحديثُ فيه . فالصوابُ إذاً عَمْرو بن سَعِيدٍ لا عَمْرو بن الزبير ، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق ، وهكذا وقع في الصَّحِيحَيْن . ذكر هذا التنبيهَ على ابن هشام أبو عُمَر - رحمه الله - في كتاب الأجوبة عن المسائل المُسْتَغْرَبَة ، وهي مسائل من كتاب الجامع للبخاري تكلم عليها في ذلك الكتاب، وإنما دخل الوهمُ على ابن هشام أو على البَكَّائي في روايته من أجل أن عَمْرو بن الزُّبَيْرِ ، كان معادياً لأخيه عبدِ الله ومُعِيناً لبني أُمَيَّة عليه في تلك الفتنة ، والله أعلم .

أم حكيم بنت الحارث :

فصل : وذكر أمَّ حَكِيمٍ بنت الحارث ، وكانت تحت عِكْرِمَة بن أبي جهل[2] ، وأنها اتبعته حين فَرَّ من الإسلام ، فاسْتَأْمَنَتْ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسْتُشْهِد عِكْرِمَةُ بالشام ، فخطبها يزيدُ بن أبي سُفْيانَ وخالدُ بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فتزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجموعُ الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أمْهَلْتَ حتى يَفُضَّ الله جَمْعَهم ، قال : إن

---

(١) من الأحاديث التي ابتدعتها الأهواء السياسية .

(٢) روى أبو داود والنسائي أنه ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى ، فقال أهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره اللهم لك عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً غفوراً كريماً ، فجاء فأسلم . وقد روى البيهقي قصة إسلامه مطولة .

. . . .

نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم ، فقالت : دونك ،فابتني بها ، فلما أصبح التقت الجموعُ وأخذت السيوفُ من كلِّ فريقٍ مأخذها فقتل خالد ، وقاتلت يومئذ أمُّ حكيمٍ ، وإن عليها للرَّدْع المخلوق[1] ، وقتلت سبعة من الروم بعمود الفُسْطَاطِ بقَنْطَرَة تُسَمَّى إلى اليوم بقنطرة أمِّ حكيم وذلك في غزوة أجْنَادَيْنِ[2] .

دم ربيعة بن الحارث :

وذكر في خُطْبَة النبي صلى الله عليه وسلم : ألا كُلُّ مَأْثُرَة أو دَمٍ أو مَالٍ يُدْعى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، وفي بعض روايات الحديثِ : وأولُ دمٍ أضعه دمُ رَبيعةَ بن الحارثِ . كان لربيعةَ ابنٌ قُتِـل في الجاهلية اسمُهُ آدمُ ، وقيل تَمَّام ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات في خلافة عُمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين .

حول التخيير بين القصاص وبين الدية :

فصل : وذكر في حديث ابن شُرَيْح[3] قوله عليه السلام : فمن قُتِـل

---

(١) يعني : كانت متطيبة حديثاً .

(٢) في الإصابة : في معركة مرج الصفر .

(٣) أصل حديث أبي شريح في الصحيحين عن أبي هريرة : من قتل له قتيل ، فهو بخير النظرين ، إما أن يفتدى ، وإما أن يقتل . وقد رواه الجماعة لكن لفظ الترمذي ، إما أن يعفو وإما أن يقتل . وقد رواه أبو داود والنسائي . وقد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة هكذا « من أصيب بدم أو خبل - والخبل الجراح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص أو يأخذ العقل ، أو يعفو ، =

. . . .

بعد مَقَامى هذا ، فأَهْلُه بخير النَّظرَيْن ، إن شاءوا قَدِمَ قاتله ، وإن شاءوا فَعَقْلُه ، وهو حديث صحيح ، وإن اختلفت فيه ألفاظُ الرُّوَاةِ وظاهره على هذه الرواية أنَّ وَلىَّ الدَّم ، هو المخيَّر إن شاء أخَذَ الدية ، وهو العَقْل ، وإن شاء قتل ، وقد اختلف الفقهاء فى فصلٍ من هذه المسألة ، وهو أن يختار ولىُّ المقتول أخذ الدية ، ويأبى القاتل إلا أن يُقْتَصَّ منه ، فقالت طائفة بظاهر الحديث ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفةٌ يقتل القاتل ، ولا يُجْبَر على إعطاء المال ، وتأولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم ، وقال بها طائفةٌ من السَّلَفِ ، وقال آخرون بظاهر الحديث ، وهو قولُ الشافعى ، وأشهب ، ومَنْشَأُ الاختلافِ من الاحتمال فى قوله تعالى : ﴿ فمن عُفِىَ له مِنْ أخيه شَىْءٌ فاتِّبَاعٌ بالْمَعْروفِ ﴾ فاحتملت الآية عند قوم أن تكون مِنْ واقعة على وَلِىِّ المقتول ، ومن أخيه أى مِنْ وَلِيِّه المقتول ، أى : من ديته ، وعُفِى له أى : يُسِّر له شىءٌ من المال ، واحتمل أن تكون مِنْ واقعة على القاتلِ وعُفِىَ من العَفْو عن الدم ، ولا خلاف أن المتَّبِعَ بالمعروف ، هو وَلِىُّ الدم ، وأن المأمورَ بأداء بإحسانٍ هو القاتل ، وإذا تدبرت الآية ، عرفت مَنْشَأَ الخلاف منها ، ولاح من سِيَاقَةِ الكلام أى القولين أولى بالصواب .

وأما ماذكرت من اختلافِ ألفاظِ النَقَلَةِ فى الحديث ، فيحصرها سبعةُ ألفاظ

= فإن أراد رابعة ، فخذوا على يديه ، أى أراد زيادة على القصاص أو الدية أو العفو .
وقد فسر ابن عباس . (فمن عفى له) . الآية : العفو أن يقبل فى العمد الدية ، والاتباع بالمعروف : يتبع الطالب بمعروف ، ويؤدى إليه المطلوب بإحسان . البخارى والنسائى والدارقطنى .

. . . .

أحدها : إما أن يَقْتُلَ وإما أن يُفادِى .

والثانى : إما أنْ يُعقَل أو يُقَاد .

الثالث : إما أن يَفدِى وإما أن يُقتَل .

الرابع : إما أن تُعْطَى الدِّيةُ أو يُقَادَ أهلُ القتيل .

الخامس : إما أن يَعفُو أو يَقْتُلَ .

السادسُ : يُقْتَل أو يُفَادَى .

السابع : من قَتل مُتَعمِّداً دُفع إلى أولياء المقتول ، فإن شاءوا قَتَلُوا وإن شاءُوا أخذوا الدِّيَة . خرجه الترمذى . ورواية ابن إسحاقٍ فى السيرة تامةٌ ، وفى بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم ، وفى بعضها قوةٌ لروايةِ أشْهَبَ فتَأمَّلها[1] .

النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء :

وخطبتُه عليه السلام أطولُ مما ذكره ابنُ هِشَامٍ ، وفيها من رواية الشيبانى عن ابن إسحاق نَهْيُهُ عن صِيام يومين ، وصلاةِ ساعَتَيْن : يعنى طلوعَ الشمس وغروبَها ، وأن لا يتوارث أهلُ مِلَّتين ، وعن لُبْسَتَيْنِ وطُعْمَتَيْنِ ،

---

(١) وفى روايته « وإن أحبوا أخذوا العقل ثلاثين حقة وثلاثين جذعة ، وأربعين خلفة فى بطونها أولادها » وقد أخرجه الترمذى وابن ماجة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده . ويقول الشوكانى فى نيل الأوطار عن حديث أبى شريح : فى إسناده محمد بن إسحاق ، وقد أورده معنعناً . وهو معروف بالتدليس . فإذا عنعن ضعف حديثه » ص ٧ جـ ٧ .

. . . .

وفسّرتا فى الحديث، فقال: اللِّبْستان: اشتمال الصَّمَّاء، وأن يحتبى الرجل[١] وليس بين عورته والسماء حجابٌ. والطُّعْمتان: الأكل بالشِّمال، وأن يأكل منبطحاً على بطنه.

شعر ابن الزبعرى:

فصل: وذكر شعرَ ابن الزِّبَعْرى: الزِّبَعْرى: البعير الأزَبُّ[٢] مع قِصَرٍ، وفيه:

راتِقٌ ما فتقتُ إذ أنا بُور

قوله: فتقت يعنى: فى الدين، فكل إثم فَتْقٌ وتمزيقٌ، وكل توبةٍ رَتْقٌ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة: نَصُوحٌ من نَصَحْتُ الثوبَ إذا خِطْته، والنِّصاحُ: الخيطُ[٣]، ويشهد لصِحَّة هذا المعنى قولُ إبراهيمَ بن أدْهَمَ:

---

(١) اشتمال الصماء: أن يتجلل الرجل بثوبه، ولا يرفع منه جانباً، وإنما قيل لها صماء لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء. والفقهاء يقولون: هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبيه، فتنكشف عورته.

والاحتباء: أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى عنه، لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته.

(٢) الزبب فى الإبل كثرة شعر الوجه والعثنون. وابن دريد يقول هو من قولهم: رجل زبعرى إذا كان غليظاً كثير الشعر.

(٣) والنصاح كشداد، والناصح والناصحى: الخياط.

. . . .

نُرَقِّعُ دُنْيانَا بتمزيقِ دينِنا فلا دِينُنا يَبْقَى ، ولا ما نُرَقِّعُ

وقوله : إذ أنا بُور ، أى : هالِكٌ ، يقال : رجل بُورٌ وبائر ، وقوم بُورٌ ، وهو جمعُ بائرٍ كان الأصل فيه فُعُل بتحريك الواو ، وأما رَجُلٌ بُورٌ ، فوزنُه فُعْل بالسكون ، لأنه وَصْفٌ بالمَصْدر ، ومنه قيل : أرضٌ بُورٌ من البَوارِ ، وهو هَلَاكُ المَرْعَى ويُبْسُه .

وقولُ ابن الزِّبَعْرَى :

والليلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بهيم

الاعتلاج : شِدَّةٌ وقوة ، وقد تقدم شرحُها . والبهيم : الذى ليس فيه لون يخالط لونَه .

وقوله : سُرُحُ اليدين غَشُومُ . الغَشُومُ : التى لا تَرُدُّ عن وجهها ، ويروى : سَعُومُ ، وهى القوية على السير .

حول شعر حسان :

فصل : وذكر شعر حَسَّان يوم الفتح وأوله :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِوَاء

ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجِوَاء كذلك ، وبالجِواء كان منزلُ الحارثِ بن أبى شَمِرٍ ، وكان حَسَّانُ كثيراً ما يَرِدُ على مُلوك غَسَّان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل .

. . . .

وقوله : إلى عَذْرَاءَ ، هى قرية عند دِمَشْقَ ، فيها قُتِل حُجْرُ بن عَدِيٍّ وأصحابه .

وقوله : نَعَمٌ وشاء . النَّعَمُ : الإبلُ ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغَنَم والبَقَرُ والإبلُ . والشاءُ والشَّوِيُّ : اسمٌ للجميع كالضَّأْن والضَّئِين والإبْـلِ والإبِيل، والمَعْز والمَعِيز ، وأما الشَّاةُ ، فليست من لفظ الشَّاء ، لأن لام الفعل منها هاء . وبنو الخشخاس : حَيٌّ من بنى أَسَدٍ .

وقوله : الرَّوامِسُ والسَّماءُ ، يعنى : الرياح والمطَر . والسماءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التى هى السَّقْفُ ، ولم يعلم ذلكَ من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غِضَابَا[1]

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السَّماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم فى جَمْعِه : سُمِيٌّ وهم يقولون فى جمع السماء : سَمَاواتٍ وأَسْمِيَةً ، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْن .

وقوله : ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ . الطَّيْفُ : مصدر طاف الخيالُ يَطيفُ طَيفاً، ولكن لا يقال للخيال : هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طَاف ، لأنه

---

(١) الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء ، وبعده :

بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا
ومحفزة الحزام بمرفقيها كشاة الربل أفلتت الكلابا

لا حقيقةَ للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ ، وهو تَوَهُّم وتَخَيُّلٌ ، فإن كان شيء له حقيقةٌ قلت فيه : طائف ، وفى مَصْدره : طَيْفٌ كما فى التنزيل ﴿ طائِفٌ من الشَّيْطَانِ ﴾ الأعراف : ٢٠١ وقد قرىء أيضاً طَيفٌ من الشَّيْطَانِ ، لأن غُرورَ الشَّيطان وأمانيه تُشَبَّه بالخيال ، وما لا حقيقة له . وأما قولُه : ﴿ فَطَافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ن : ١٩ فليس فيه إلا اسْمُ الفاعل دون المصدرِ ، لأن الذى طاف عليها له حقيقةٌ ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جِبْرِيلُ عليه السلام ، فتحصَّل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ : الخيالُ ولا حقيقةَ له ، فلا يُعَبَّر عنه إلا بالطَّيْفِ ، وحديثُ الشيطان وَوَسْوَسَتُه ، يقال فيه : طائِفٌ وَطَيْفٌ ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل ، لا يُعَبَّر عنه بطَيْفٍ ، ولا بِطَوَّافٍ ، فقف على هذه النُّكْتَة فيه .

وقوله : يؤرقنى إذا ذهب العشاء ، أى : يسهرنى ، فيقال : كيف يُسهره الطيفُ ، والطيفُ حُلُمٌ فى المنام ؟ .

فالجواب : أن الذى يُؤَرِّقه لوعةٌ يجدها عنـد زَوَاله كما قال [حبيب بن أوسٍ أبو تمام] الطائى :

ظَبْىٌ تَقَنَّصْتُه لما نَصَبْتُ له ... من آخِرِ اللَّيْلِ أشْرَاكاً من الحُلُمُ

ثم انْثَنَى ، وبنا من ذِكْره سَقَمٌ ... باقٍ ، وإن كان مَعْسُولاً من السَّقَمِ [1]

---

(١) من قصيدة له يمدح بها مالك بن طوق . أولها :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم ... عليه وسم من الأيام والقدم =

. . . .

وقد أحسن فى قوله من آخر الليل تنبيهاً على أنه سهر لَيْلَه كُلَّه ، إلا ساعةَ جاء الخيالُ من آخره ، فكأنه مُسْتَرَقٌ من قَوْلِ حسان :

وخيال إذا تغور النُّجُومُ

ونظير قوله : يُؤَرِّقُنى ، أى يورقنى بزواله عنى قولُ البُحْتُرِىّ :

أَتَمَّت بنا بعد الهُدُوِّ فسامحت ... بوَصْلٍ متى تَطلُبْهُ فى الجدِّ تَمْنَعِ

وَوَلَّت كأن البَيْنَ يَخلُجُ شَخْصَها ... أوانَ تَوَلَّتْ من حَشَائِى وأَضْلُعِى (١)

وقوله : لِشَعْثَاءَ التى قد تَيَّمَتْهُ . شَعْثَاء التى يُشَبِّب بها حَسَّانُ هى بنت سَلَّام بن مِشْكَم اليَهُودِى ، وروى أنه قال: يامَعْشَرَ يَهُودَ قد علمتم أن محمداً نبىٌّ، ولولا أن تُعيَّر بها شَعْثَاءُ ابْنَتِى لَتَبِعْتُه ، وقد كان تحت حَسَّان أيضاً امرأةٌ اسمُها شَعْثَاء بنتُ كاهِنِ الأَسْلَمِيَّة ، ولدت له أُمَّ فِراسٍ .

= وقبل البيتين قوله :

زار الخيال لها لابل أزاركه ... فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم

وانظر نقد الآمدى لهذا البيت ، ثم اعتذاره عنه ، وما قاله الشريف المرتضى فى طيف الخيال ص ٧ ط ١٩٦٢ بتحقيق الأستاذ الصيرفى ، ص ٦ ح ٣ أمالى المرتضى والسعادة .

(١) ذكر معهما المرتضى فى أماليه ستة أبيات ص ٦ ح ٣ وفيه : نطلبه وهو الصواب بدلا من تطلبه . ويقول المرتضى عن البحترى « ولأبى عبادة البحترى فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ، فانه تغلغل فى أوصافه ، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره » المصدر السابق

. . . .

وقوله: كأنَّ خَبِيئَةً من بيتِ رَأْسٍ إلى آخره، خبر كأن فى هذا البيت محذوفٌ، تقديره: كأن فى فيها خبيئةً، ومثل هذا المحذوف فى النَّكِراتِ حَسَنٌ كقوله:

إنَّ مَحَلًّا وإنَّ مُرْتَحَلاً[1]

أى: إن لنا مَحَلًّا، وكقول الآخر:

ولكنَّ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُه[2]

وفى صحيح البخارى فى صفة الدَّجَّالِ: أعوَر كأن عِنَبَةً طافيةً، أى: كأنه فى عينه، وزعم بعضُهم أن بعد هذا البيت بيتاً فيه الخبر وهو:

على أنيابِها أَوْ طَعْمُ غَضٍّ من التُّفَّاحِ هَصَّره اجْتِنَاءُ[3]

---

(١) هو الأعشى، والشطرة الأخرى: وإن فى السفر ما مضى مهلا.

(٢) روى سيبويه للفرزدق بيتاً هو:

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى ولكن زنجى عظيم المشافر

هكذا برفع زنجى. ثم قال: والنصب أكثر فى كلام العرب كأنه قال: ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابتى، ولكنه أضمر هذا كما يضمر ما يبنى على الابتداء. انتهى.

وعلى رفع زنجى يكون اسم لكن محذوفا والتقدير: ولكنك زنجى، وقد أنشده اللسان بنصب زنجى بإضمار الخبر، وهو أقيس. والبيت فى هجاء رجل من ضبة، فنفاه عنها، ونسبه إلى الزنج. أنظر ص ٢٨٢ ح ١ كتاب سيبويه واللسان مادة شفر.

(٣) هو فى ديوانه المطبوع فى أوربا.

. . . .

وهذا البيتُ موضوعٌ لايُشْبِه شعرَ حسَّان ولا لفظه.

وقوله : نُوَلِّيها الملامةَ إن أَلَمْنَا ، أى : إن أتينا بما نُلاَم عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكر . والمَغْتُ : الضرب باليد ، واللِّحاء : المُلاَحاةُ باللسان ، ويروى أن حسَّاناً مرَّ بفتيةٍ يَشْرَبُون الخمرَ فى الإسلام ، فنهاهم ، فقالوا : والله لقد أردنا تركها فيزيِّنُها لنا قولُك :

وَنَشْرَبُها فتتركُنا مُلُوكاً

فقال : والله لقد قلتها فى الجاهلية وما شربتها منذ أسلمتُ ، وكذلك قيل : إن بعضَ هذه القصيدةِ قالها فى الجاهلية ، وقال آخرها فى الإسلام .

معنى التفضيل في شركما :

وفيها يقول لأبى سفيان : فَشَرُّكُمَا لَخيْرِكُما الفِدَاء . وفى ظاهرِ اللفظِ بَشَاعَةٌ ، لأن المعروف أن لايقال هو شرُّهما إلا وفى كليهما شرٌّ ، وكذلك : شرٌّ مِنْك ، ولكن سيبويه قال فى كتابه : تقول مررت برجل شرٌّ منك ، إذا نقص عن أن يكونَ مِثلَه ، وهذا يدفع الشَّناعَةَ عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شرُّ صُفُوفِ الرجال آخرُها » يريد : نُقصانَ حظِّهم عن حظِّ الأوَّلِ ، كما قال سيبويه ، ولايجوز أن يريد التفضيل فى الشر والله أعلم .

يلطلم أو يطلم :

وفيها قوله فى صفة الخيل : يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ . قال ابن دُرَيْد

. . . .

فى الجمهرة : كان الخليلُ رحمه الله يروى بيت حسان يُطَـمِّمُهُنَّ بالخُمُرِ ، وينكر يُلَطِّمُهُنَّ ويجعله بمعنى : يُنَفِّضُ النساءُ بخُمُرِهِنَّ ماعليهن من غُبارٍ أو نحو ذلك ، وأَتْبَعَ بذلك ابنُ دريد قوله : الطَّلْمُ ضَرْبُكَ خُبْزَةَ المَلَّةِ بيدك لِتَنْفُضَ ماعليها من الرَّماد ، والطُّلْمَة : الخُبْزَةُ ، ومنه حديث أبى هُرَيْرَةَ : مَرَرْنا بقوم يُعالِجون طُلْمَةً لهم ، فَنَفَّرْناهم عنها ، فاقتسمناها ، فأصابتْنى منها كِسْرةٌ ، وكنت أسمع فى بلدى أنه مَنْ أكل الخبز سَمِن ، فجعلت أنظر فى عِطْفِى : هل ظَهَر فِىَّ السِّمَنُ بعد . ومما جاء فى الحديث من هذا المعنى أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم رُؤِى يمسح وَجْهَ فَرَسِه بردائه ، فقال : عُوتِبْتُ الليلة فى الخيل .

وفيها :

ونُحْكِم بالقوافى مَنْ هَجَانا

نُحْكِم : أى نَرُدُّ ونَقْرَعُ ، هو من حَكَمَةِ الدَّابَّةِ ، وهو لجامها ، ويكون المعنى أيضاً : نُفْحِمُهم ونُخْرِسُهم ، فتكون قوافينا لهم كالحَكَماتِ للدَّوابِّ .
قال زُهَير :

قد أُحْكِمَتْ حَكَماتِ القدِ والأَبقا[1]

وفى هذه القصيدةِ : مَوْعِدُها كَدَاءُ ، وفى رواية الشيبانى : يسيل بها كُدَىٌّ أو كَدَاءُ .

---

(١) أوله : القائد الخيل منكوبا دوائرها . والقد : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والأبق : القنب .

. . . .

وقد ذكرنا كُدَيًّا وكَدَاء ، وذكرنا معهما كُدًى ، وزاد الشيبانى في روايته أبياتاً فى هذه القصيدة وهى :

وهاجت دُونَ قتالِ بنى لُؤَىٍّ ... جَذِيمة إنَّ قَتْلَهُم شِفَاءُ

وحِلْفُ الحارثِ بن أبى ضِرَارٍ ... وحِلْفُ قُرَيْظَةٍ فينا سَوَاءُ

أولئك مَعْشَرٌ أَبَوْا علينا ... ففى أَظْفَارِنا مِنْهم دِمَاءُ

سَتُبْصِر كيف نَفْعَل بابنِ حَرْبٍ ... بِمَوْلاكَ الذين هُمُ الرِّدَاءُ

حول شعر أنس بن سليم :

فصل : وذكر شعر أنس بن سليم[1] الدِّيلى وفيه :

وأُكْسَى لِبُرْدِ الخَالِ قبل ابتِذَالِه

الخالُ : من بُرُود اليَمَن وهو من رَفيع الثياب . وأحسبه سُمى بالخال الذى بمعنى الخُيَلاءِ كما قال زيد بن عَمْرو بن نُفَيل : البرَّ أَبْغِى لا الخَالَ ، وفيه :

تَعَلَّم رسولَ الله أنك مُدْرِكى ... وأنَّ وَعِيداً منك كالأَخْذِ باليَدِ

وهذا البيتُ سقط من رواية أبى جَعْفَر بن الورد ، كذا ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ ، رحمه الله ، ومعناه من أحسن المعانى ينظر إلى قول النابغة :

فإنك كالليْلِ الذى هو مُدرِكى ... وإن خِلْتُ أن المُنْتَأَى عنك واسع

---

(١) فى السيرة : زنيم وهو الصواب ، ولعله سهو من السهيلى .

. . . .

خَطَاطِيف حُجْنٍ فى حِبالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ

فالقَسِيمُ الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والقَسِيمُ الثانى كالبيت الثانى ، لـكنه أطْبَعُ منه ، وأوْجَزُ . وقول النابغةِ كالليل فيه من حُسْنِ التشبيه ماليس فى قول الدِّيلى ، إلا أنه يَسْمُج مثلُ هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نورٌ وهُدًى ، فلا يُشَبَّه بالليل ، وإنما حَسُن فى قول النابغةِ أن يقول كاللَّيْـلِ ، ولم يَقُلْ كالصُّبْح ، لأن الليل تُرْهَبُ غوائلُه ، ويُحْذَر من إدراكه مالا يُحْذَر من النَّهار ، وقد أخذ بعضُ الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من ابن عبَّادٍ :

كأن بلاَد الله وهى عَرِيضَةٌ تَشُدُّ بأقصاها علىَّ الأنامِلا

فَأَيْن مَفَرُّ المرءِ عنك بنفسِه إذا كان يَطْوِى فى يديك المَراحِلا

وهذا كُلُّه معنى مُنْتَزَعٌ من القدماء . روى الطبرى أن « مِنُوشِهْرَ بن إيرَجَ بن أفْرِيدُون بن أثْفِيان » وهو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه أعنى زَمانَ مِنُوشِهْرَ قال حين عقــد التاج على رأسه فى خطبة له طويلة : « أيها الناسُ إن الخلقَ للخالِق ، وإن الشكر لِلْمُنْعِم ، وإن التَّسْلِيمَ للقادر ، وإنه لا أضْعَفَ من مَخْلُوق طالباً أو مَطلوباً ، ولا أقوى من طالب طَلِبَتَه فى يده ، ولا أعْجَزَ من مطلوب هو فى يد طالبه .

قول شعر بجير بن زهير :

وأنشد لِبُجَيْرِ بن زُهَيْرٍ :

نَفَى أَهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنو خُفَافِ

. . . .

الخَبَلَّقُ : أرض يسكنها قبائلُ من مُزَيْنَة ، وقَيْسٍ ، والخَبَلَّقُ : الغنَمُ ، الصِّغَارُ ، ولعله أراد بقوله : أهْلَ الخَبَلَّقِ أصحابَ الغَنَم ، وبنو عُثْمَانَ هم مُزَيْنَةُ وهم بنو عُثْمانَ بن لاطِمٍ بن أد بن طَابِخَةَ ، ومُزَيْنَةُ أمُّهُمْ بنتُ كَلْب بن وَبَرَة ابن تَغْلِبَ بن حُلْوَانَ بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ ، وأختُها : الحَوْأَبُ التى عُرِفَ بهـا ماء الحَوْأبِ المذكور فى حديثِ عائشةَ ، وأصلُ الحَوْأبِ فى اللغة : القَدَحُ الضَّخْمُ الواسع ، وبنو خُفَافٍ : بَطْنٌ من سُلَيْم ، وقوله :

ضَرَبْنَاهُمْ بمَكَّةَ يوم فَتْحِ النَّـــبِى الخَـيْرِ بالبِيضِ الخِفَافِ

فى البيت مداخلة وهو انتهاءُ القَسِيم الأول فى بعض كلمةٍ من القَسِيم الثانى ، وهو عَيْبٌ عندهم إلا فى الخَفِيف والهَزج ، ومعنى الخَيْرِ أى ذو الخَيْرِ ، ويجوز أن يريد الخَيِّرَ نخفف ، كما يقال هَيْن وهَيِّن. وفى التنزيل : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ الرحمن : ٧٠ .

وقوله : كما انْصاع الفُوَاقُ من الرِّصَافِ ، أى : ذَهَب ، والرِّصَافُ : عُصْبَةٌ تُلْوَى على فوق السَّهْم ، وأراد بالفواق الفوق ، وهو غريب .

وذكر صاحب العين فى الفُواقِ صوت الصَّدر ، وهو بالهمز فى قول ابن الأعرابى ، لأنه من ذوات الواو .

عباس بن مرداس والذين حرموا الخمر :

وذكر عَبَّاسَ بن مِرْدَاسٍ ، ويكنى أبا الفضل ، وقيل : أبا الهَيْثَمِ ، ومن ذريته عبدُ الملك بن حبيب فقيه الأندلس ، ونسبه : عَبَّاسُ بن مِرْدَاس بن أبى عامرِ بن جارِيَةَ

. . . .

ابن عَبْدِ بن عبَّاس[١] بن رِفَاعَة بن الحارث[٢] بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم السُّلَمِيّ كان أبوه حاجباً لحَرْبِ بن أُميَّة، وقتلتهما الجِنُّ فى خَبَرٍ مَشْهُورٍ[٣] وعباس ممن حرَّم على نفسه الخمر فى الجاهلية، وحرَّمها أيضاً على نفسِه قبل الإسلام أبو بكر وعُثمان وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ، وقيس بن عاصم، وقبل هؤلاء حرَّمها على نفسِه عبدُ المطلب بن هَاشِمٍ وَورَقَةُ بن نَوْفل وعبدُ الله بن جُدْعَان وشَيْبَةُ بن رَبِيعة والوليدُ بن المُغيرة، ومن قُدماء الجاهلية عامرُ بن الظَّرِب العَدْوانِيّ.

وذكر فى سبب إسلام عباس ماسمع من جَوْفِ الصنم الذى كان يعبده، وهو ضِمارِ بكسر الراء وهو مثل حَذَامِ ورَقَاشِ، ولايكون مثلُ هذا البِناء إلا فى أسماء المؤنَّثِ، وكانوا يجعلون آلهتَهم إناثاً كاللَّاتِ والْعُزَّى وَمَناة، لاعتقادهم الخبيثِ فى الملائكةِ أنها بَنَاتٌ. وفى ضِمَارِ لغةُ أهل الحجاز، وبنى تميم البناء على الكسر لاغير من أجل أن آخرَه راء، ومالم يكن فى آخره راء كحَذَامِ ورَقَاشِ، فهو مَبْنِيٌّ فى لغةِ أهل الحجازِ ومُعْرَبٌ غيرُ مُجْرى فى لغة غيرهم[٤] كذلك قال سِيبَوَيْه.

---

(١) فى الإصابة: ابن حارثة بن عبد بن عبس.

(٢) فى الإصابة: ابن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهثة.

(٣) خرافة أخرى مما يقال عن الجن.

(٤) أى يجرونه مجرى مالا ينصرف فيرفع بالضم بدون تنوين، وينصب ويجر بالكسرة. وقد جاءت الأشعار على لغة أهل الحجاز. وقد ضبط القاموس ضمار على وزن كتاب وكذلك ضبط فى المراصد وهى بفتح الضاد=

. . . .

وذكر ابن أبى الدنيا فى سبب إسلام عباسٍ حديثاً أسنده عن رجاله عن الزُّهْرِىّ عن عبد الرحمن ، بن أنسٍ السلمانى عن عَبَّاسٍ بن مِرْدَاسٍ أنه كان فى لِقَاحٍ له نِصْفَ النَّهارِ ، فاطلعت عليه نعامَةٌ بيضاءُ عليها راكب عليه ثِيَابٌ بَياضٍ فقال لى : ياعباس أَلَم تر أنَّ السَّماء كفت أحراسها ، وأن الحَرْبَ جَرَعَتْ أنفاسَها ، وأن الخَيْـلَ وضعت أحْـلَاسَها ، وأن الذى نزل عليه البِرُّ والتُّقَى يومَ الاثنين ليلَةَ الثُّلاثاء صاحب النَّـاقَةِ القَصْوَاء . قال : فخرجت مَرْعُوباً قد راعنى مارأيتُ ، وسعيت ، حتى جئت وَثَـناً لى ، يقال له الضِّمار كنا نَعْبُدُه ونُـكَلَّم من جَوْفِه ، فـكنست ماحوله ، ثم تمسحت به ، فإذا صائح يصيح من جوفه :

قُل للقبائل من قُرَيْشٍ كُلِّها هَلَكَ الضِّمارُ وفاز أهل المَسْجد[1]
هَلَكَ الضِّمَارُ وكان يُعْبَـد مُدَّةً قبل الصَّلَاةِ على النَّبيِّ مُحَمَّدِ
إن الذى وَرِث النُّبُوَّة والهُدَى بعد ابن مَرْيَمَ من قُرَيْشٍ مُهْتَدِى

قال فخرجت مَذْعُوراً حتى جئت قومى ، فقصصت عليهم القصـةَ ، وأخبرتهم الخبَرَ فخرجت فى ثلاثمائةٍ من قومى من بنى حَارِيَةَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم تَبَسَّمَ ، وقال : إلَىَّ يا عباسُ ، كيف إسلامك ؟ فقصصتُ عليه القصة ، فقال :

= موضع للعرب به وقعة . أما البكرى فضبط ضمار بفتح الضاد وقال : حجر كان لبنى سليم يعبدونه . كان سبب إسلام عباس بن مرداس .

(١) فى السيرة والبكرى : من سليم . وأودى ضمار وعاش أهل المسجد.

. . . .

صدقت ، فأسلمت أنا وقومى[١] .

شعر جعدة :

فصل : وذكر فى شِعْرِ جَعْدَةَ الْخُزَاعِيِّ غَزَالَ ، وهو اسم طريقٍ غير مصروف ، وقال كُثَيِّر فى قصيدته المشهورة يذكر غَزَال :

أناديك ماحَجَّ الْحَجِيجُ وكَبَّرَتْ بَفِيفَا غَزَالٍ رُفْقَةٌ وَأَهَلَّتِ[٢]

وكذلك لِفَت اسم موضع ، وفى لِفْتٍ[٣] يقول مَعْقِلُ بن خُوَيْلِدٍ :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ وقد بَلَغْنا جِبَالَ الْجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تَهَامِ

نَزِيعاً[٤] مُحْلِباً من أهل لِفْتٍ لِحَيٍّ بين أَثْلَةَ والنِّجَامِ

وقد تقدم هذا البيتُ الأخيرُ فى باب الهجرة[٥] .

سرية خالد إلى بنى جذيمة :

وذكر سَرِيَّةَ خالد إلى بنى جذيمة ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبنى جَذِيمة .

---

(١) الشعر مصنوع ولاشك ، فليس فيه نفحة من عصره ، والقصة كذلك موضوعة ولا شك أو لعلها رؤيا كما فهم ابن حجر فى الإصابة .

(٢) القصيدة بطولها كلها فى الأمالى ص ١٠٧ ح ٢ ط ٢ .

(٣) لفت قيدها البكرى بكسر اللام وفتحها . وقيدها القاضى عياض — كما فى المراصد بثلاثة أوجه منهـــا ما ذكرنا ، وبفتح اللام والفاء ، وقد سبق الكلام عنها .

(٤) سبق الكلام عن البيتين فى باب الهجرة .

(٥) بل تقدم البيتان .

. . . .

وذكر شعر امرأةٍ ، اسمها : سَلْمى ، وفيه :

ومُرَّةُ حتى يتركوا الْبَرْكَ ضابحا

الْبَرْكُ : جماعةُ الإبل ، ومَا صَعَ : جَالَدوقاتَل ، وضابحاً من الضَّبْح ، وهو نَفَسُ الخيْل والإبل إذا عُبِّيت ، وفى التنزيل ﴿ والعاديات ضَبْحاً ﴾ وفى الخبر : من سمع ضَبْحَةً بلَيْـلٍ ، فلا يَخرُج مخافَةَ أن يُصيبه شَرٌّ . قال الراجز :

نحن نَطَحْنَاهُم غَدَاةَ الْجَمْعَيْنِ
بالضَّابِحَاتِ فى غُبَارِ النَّقْعَيْن
نَطْحاً شَدَيداً لا كَنَطْحِ الطورين

والضَّبْحُ والضَّبْى مصدر ضَبَحَتْ وضُبِيَت أى شُوِيَتْ وقُلِيَت ، قاله أبو حنيفة . قال : والْمَضَابى والْمَضَابِح هو الْمَقَالِى .

وذكر تبرُّأ النبى - صلى الله عليه وسلم - مما فعل خالدٌ ، وهذا نحوٌ مما روى عن عُمَرَ حين قال لأبى بَكْر الصديق رضى الله عنهما : إن فى سيف خالد رهقاً .. إن فى سيف خالد رَهَقاً فاقْتُلْه ، وذلك حين قَتَل مالكَ بن نُوَيْرَةَ ، وجعل رأسه تحت قِدْرٍ حتى طُبِخ به[1] ، وكان مالك ارتد ، ثم راجع الإسلام ، ولم يظهر ذلك لخالد ، وشهد عنده رجلان من الصَّحابة برجوعه إلى الإسلام ، فلم يقبلهما ، وتزوج امرأته ، فلذلك قال عمر لأبى بكر : اقتله ، فقال : لا أفعل لأنه مُتأوِّل .

---

(١) لايظن برجل بمجده التاريخ كخالد أن يقترف مثل هذه القسوة والمثلة التى نهاه عنها دينه .

. . . .

فقال : اعْزِلْه ، فقال : لا أُغمِدُ سيفاً سلَّه الله على المشركين ، ولا أعزِل والياً
وَلَّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول الرجل للمرأة : اسلَمِي حُبَيْشُ على نَفَدِ العيش[1] النَّفَدُ
مصدر نَفِد إذا فنِي ، وهو النَّفادُ ، وحُبَيْشُ مُرَخَّمٌ من حُبَيْشَةَ .

شعر أبي حدرد :

وحَلْيةُ والخوانقُ : مَوْضِعَانِ ، والوَدَائِقُ : جمع وديقةٍ ، وهو شدة
الحر فى الظهيرة ، سميت بذلك من الوَدْق ، لأن فى ذلك الوقتِ يسيل لعابُ
الشمس ، وهو ماتراه العينُ كالسّراب ونحوه ، وقال الرّاجز :

وقام ميزانُ النهار ، فاعتدل ... وسال للشمس لُعَابٌ فنزل

وقال : الأحول : يقال : وَدَقَ إذا دنا من الأرض ، ويقال : هو وادق
السرة إذا كانت مائلة إلى جهة الأرض وأنشد :

وادِقاً سُرّاتُها

فعلى هذا تكون الوَدِيقَةُ من وَدَقَتِ الشمسُ إذا دنت من الأُفق ، فاشتد
حرّها ، والله أعلم .

وقوله : فَهَمَّه خالدٌ ، أى : زَجَره ، وجَبَهَه ، وروى النّسائىُّ فى قصة
المرأة التى ماتت مُكِبَّةً على الرجل المقتول قال : حدثنا محمد بن على بن حَرْب

(١) فى السيرة : من العيش .

غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْد بن الصِّمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مُجَرِّباً ، وفى ثقيف سيدان لهم . فى الأحلاف : قاربُ بن الأسود

عن على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيدَ النَّحْوى عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث سَرِيَّةً ، قال : فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إنى لست منهم ، عشقت امرأة فلحقتها ، فدعونى أنظر إليها نظرة ، ثم اصْنَعُوا بى مابدَا لكم ، قال : فإذا امرأة طويلة أدْمَاء ، فقال لها : اسْلَمِى حُبَيْشُ قبل نَفَدِ العَيْشِ ، وذكر البيتين الأولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقِصى الوزن ، وبعدها قالت : نَعَم فَدَيْتُك ، فقدَّموه فضربوا عُنُقَه ، فجاءت المرأةُ فوقفت عليه ، فشَهِقَتْ شَهْقَةً أو شَهْقَتَيْن ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجلٌ رحيم . خَرَّجه النَّسَوِىُّ فى باب قَتْلِ الأسارى من مُصَنَّفه .

ابن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك : ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصرى .

فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة فى شِجَارٍ له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نِعم مَجَالُ الخيل ! لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا سَهْلٌ دَهِس ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهَاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعَار الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيَّام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشَّاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خَلْف كلّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليُقاتل عنهم ، قال : فَأنْقَضَ به . ثم قال : راعِىَ ضأنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْت فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، ولوَدِدْتُ أنَّكمْ فعلتم مافعلتْ كعبٌ وكِلابٌ ، فمن شهدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانِكَ الجَذَعان من عامر ، لا ينفعان ولا يضرّان ، يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ارْفَعْهُم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعَليا قومهم ، ثم

ألقَ الصُّبَّاء على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيعُنَّني يا معشر هوازن أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدُريد ابن الصمة فيها ذِكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفُتنى :

يا ليتنى فيها جَـذَعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وطْفاءَ الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَـدَعْ

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« ياليتنى فيها جَـذَعْ »

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدُّوا شدَّةَ رجل واحد .

قال : وحدثنى أميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدّث : أنَّ مالك ابن عوف بعث عيونًا من رجاله ، فأتوه وقد تفرّقت أوصالُهم ، فقال : ويلَكُمْ ! ما شأنُكمْ ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابَنا ما ترى ، فوالله ماردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدَ الله

ابنَ أبى حَدْرد الأسلمى ، وأمَره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر (فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذّبتنى فربما كَذّبْتَ بالحقّ ياعمر ، فقد كذّبتَ من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر)

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أميّة أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أُميّة ، أعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً ، فقال صفوان : أغَصْباً يامحمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤدّيها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مِائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً . واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّاب بن أسِيد بن أبى العِيص بن أُميّة بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلّف عنه من

الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَمِيّ :

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهِم ... وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ

يا لَهْفَ أمّ كِلابٍ إذ تُبَيِّتُهم ... خيلُ ابن هَوْذَة لا تُنْهَى وإنْسانُ

لا تَلْفِظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتكم ... أنّ ابنَ عمِّكم سعدٌ ودُهْمان

لن تَرْجِعوها وإن كانَتْ مُجَلِّلَةً ... مادام في النَّعَم المأخوذ ألْبانُ

شَنْعاء جُلِّل من سَوآتها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ

ليستْ بأطيَبَ مما يشْتَوِي حَذَفٌ ... إذْ قال : كلُّ شواءِ العَيرِ جُوفانُ

وفي هوازِنَ قومٌ غيرَ أن بهِمْ ... داءَ اليمانِي فإن لم يغدِرُوا خانُوا

فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عَهْدُهُمُ ... ولو نَهَكْناهُمُ بالطَّعْنِ قد لانُوا

أبْلِغْ هوازِنَ أعْلاها وأسفَلها ... مِنّي رسالَةَ نُصْح فيه تِبْيانُ

أنى أظُنُّ رسولَ اللهِ صابِحَكُمْ ... جَيْشاً لَهُ في فَضاءِ الأرْضِ أركانُ

فيهم أخوكم سُلَيم غيرَ تارِكِكُمْ ... والمسلِمُونَ عِبادَ اللهِ غَسَّانُ

وفي عِضادَته اليُمنى بنو أسَدٍ ... والأجْرَبان بنو عَبْسٍ وذُبْيان

تكاد تَرْجُفُ منه الأرض رَهبتَه ... وفي مُقَدَّمه أوْسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوْس وعثمان : قَبيلا مُزَيْنَة .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، في هذا اليوم ، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، وكان ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنوط

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزّهريّ ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت كفّار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنْواط ، يأتونها كلّ سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنَبات الطَّريق : يارسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَل لَنا إلَهاً كما لَهُم آلِهَةٌ ، قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ . إنها السُّنَنُ ، لتركَبُنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم .

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلْنا واديَ حُنين انحدرنا

فى وادٍ من أوْدية تِهامة أجوف حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، قال : وفى عَماية الصُّبح ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شِعابه وأحنائه ومَضايقه وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدّوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شَدّوا علينا شَدّة رجل واحد ، وانْشَمر الناس راجعين ، لا يَلْوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس؟ هَلُمُّوا إلىّ أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء ، حملَت الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

الذين ثبتوا

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علىٌّ بن أبى طالب والعباسُ بن عبد المطَّلب ، وأبو سفيانَ بن الحارث ، وابنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ بن الحارث ، وأسامةُ بن زيد . وأيمَنُ بن عُبيد ، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سُفيان المغيرة ، وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له

أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أدْرَكَ طَعَن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه .

الشماتة بالمسلمين

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلَّم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته . وصرخ جَبَلة بن الحنبل — قال ابن هشام : كَلَدَةُ ابن الحنبل — وهو مع أخيه صفوانَ بن أميَّة مشرك فى المدَّة التى جعل له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السِّحْرُ اليومَ ! فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ الله فاكَ ، فوالله لأن يَرُبَّنى رجلٌ من قُريش أحبُّ إلىَّ من أن يَرُبَّنى رجل من هَوازن .

شعر حسان فى هجاء كلدة

قال ابن هشام : وقال حسَّان بن ثابت يهجو كَلَدَة :

رأيْتُ سَوَاداً مِن بَعيد فراعَنى ... أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمّ حَنْبَل

كأنّ الذى ينزو به فَوْقَ بَطْنِها ... ذراعُ قَلُوصٍ من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أُميَّة ، وكان أخا كَلَدَة لأمِّه .

شيبة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بنى عبد الدّار . قلت : اليومَ أدركُ ثأْرى من محمد ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أقْتُل محمداً . قال : فأدَرْتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تَغَشَّى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغْلَبَ اليوْمَ من قِلَّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

الانتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهْرى . عن كَثير بن العبَّاس ، عن أبيه العبَّاس بن عبد المطَّلب ، قال : إنى لمَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَة بغلته البيضاء قد شَجَرْتُها بها ، قال : وكنت امرأً جَسِيما شديد الصوت ، قال . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شىء ، فقال : ياعباس ، اصْرُخْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْك ! قال : فيذهب الرجل ليثْنى بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقذفها فى عنقه ؛ ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلِّى سبيله ، فيؤمّ

. . . .

الصوت ، حتى ينتهىَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : يا لَلأنصار . ثم خَلَصَت أخيراً : يا لَلخَزْرَجِ . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مُجتَلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع مايصنع ، إذ هوى له علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىّ بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارىّ على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجْتَلد الناس ، فوالله مارجَعَتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته ، فقال من هذا ؟ قال: أنا ابن أمك يارسول الله .

رأى أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسولَ الله صلى الله

. . . .

عليه وسلم التفت ، فرأى أمّ سُلَيم بنت مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طَلْحَةَ وهى حازمة وسطها بِبُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعُزَّها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته مع الخِطام ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُلَيم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سُلَيم ؟ قال : ومعها خِنْجَر ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخِنْجَر معكِ يا أمّ سُلَيم ؟ قالت : خِنجَر أخذته ، إنْ دنا منى أحدٌ من المُشركين بَعَجْته به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ماتقول أمّ سُلَيم الرُّمَيْصاء .

شعر مالك بن عوف فى الهزيمة

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين وَجه إلى حُنين ، قد ضمّ بنى سُلَيْم الضحاكَ بن سُفيانَ الكِلابى ، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يَرْتجزُ بفرسه :

أقْدِمْ مُحاجُ إنّه يومٌ نُكُرْ ... مِثْلى على مِثْلكَ يحْمى ويَكُرّ

إذا أُضيعَ الصّفُّ يَوْماً والدُّبُرْ ... ثم احزألّتْ زُمَرٌ بعد زُمَرْ

كَتائبٌ يكِلُّ فيهنَّ البَصَرْ ... قد أطعُن الطّعنة تَقذى بالسُّبُرْ

حين يُذَمُّ المُستكينُ المنجَحِرْ ... وأطعنُ النَّجلاء تَعْوى وتَهِرّْ

لهَا مِنَ الجوْف رَشاشٌ مُنهمِرْ تَنفهِقُ تاراتٍ وحيناً تنفجِرْ

وثعلبُ العامِلِ فيها مُنْكَسِرْ يازَيْدُ يابن هَمْهمٍ أيْنَ تفرّ

قد نَفِد الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ قد علم البيضُ الطّويلاتُ الخُمُرْ

أنِّىَ فى أمْثالها غيرُ غَمِرْ إذْ تُخْرَجُ الحاصنُ من تحت السُّتُرْ

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أقْدِمْ مُحاجُ إنّها الأساوِرَهْ ولا تَغُرّنَّكَ رِجْل نادِره

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم .

من قَتل قتيلا فله سلبه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدّث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غِفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركا ، قال : وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته فضربت يده فقطعتُها ، واعتنقنى بيده الأخرى، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم ـ ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام. وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومرّ به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من قَتل قتيلا فله سَلَبُه ، فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأجْهضنى عنه

القتال ، فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى مِنْ سَلَبه ، فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تَعْمد إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سَلَب قتيله ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاردد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً ، فإنه لأوّلُ مالٍ اعْتَقَدْتُه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلا

نزول الملائكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، أنه حدث عن جُبَيْر ابن مُطْعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناس يَقْتَتِلون مثل البِجَادِ الأسْوَد ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مَبْثُوثٌ قد ملأ الوادى ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

هزيمة المشركين من أهل حنين

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين ، وأمكن رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خَيلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ   واللهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتِ خَيْلَ اللهِ خيْلَ اللاَّتِ   وخَيْلُهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحَرَّ القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار فلما قُتِل أخذها عثمان ابن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه ، قال : أبعده الله ! فإنه كان يُبْغض قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس . أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أغْرَلُ ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلُب قَتْلى ثقيف ، إذ كشف العبدَ يسلُبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أنَّ ثقيفاً غُرْل . قال المُغيرة ابن شُعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لاتقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال : ثم جعلت أكشف له عن القَتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَّنين كما ترى !

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارِب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ،

فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين : رجلٍ من غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلاَّ ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أُوَيس .

رائية ابن مرداس

فقال عبّاس بن مرداس السُّلَمى يذكر قارب بن الأسود وفِرارَه من بنى أبيه وذا الخمار وحَبْسه قومَه للموت :

ألا مَنْ مُبَلِّغٍ غَيْلانَ عَنِّى وسَوْفَ ـ إخالُ ـ يأتيه الخبيرُ
وعُرْوَةَ إنَّمَا أُهْدِى جَوَاباً وقَوْلاً غيرَ قولِكُما يَسيرُ
بأنَّ مُحمَّداً عبدٌ رسول لربٍّ لا يَضِلُّ ولا يَجُورُ
وجدناه نَبِيًّا مثل مُوسَى فكلُّ فَتًى يُخايِرُهُ مخِيرُ
وَبِئْسَ الأمْرُ أمْرُ بَنِى قَسِىّ بوَجٍّ إذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ
أضاعُوا أمْرَهُمْ ولكُلِّ قَوْمٍ أميرٌ والدَّوائرُ قد تَدُورُ
فَجِئْنا أُسْدَ غاباتٍ إليهِمْ جُنودُ اللهِ ضاحيةً تَسيرُ
يؤمُّ الجَمْعَ جمعَ بَنِى قَسِىّ على حَنَقٍ نَكادُ له نَطيرُ
وأُقْسِمُ لو هُمُ مكَثوا لَسِرْنا إليهِمْ بالجُنود ولم يَغُوروا
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى أبحْناها وأُسْلِمَتِ النُّصُورُ
ويومٌ كانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ فأقْلَعَ والدِّماء به تَمُورُ

مِنَ الأيَّامِ لم تَسْمَعْ كيومٍ ... ولم يَسْمَعْ به قومٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فى الغَبار بنى حُطَيْطٍ ... على راياتِها والخَيْـلُ زُورُ
ولم يكُ ذو الخِمار رئيسَ قَوْمٍ ... لهم عَقْلٌ يُعاقِب أو مَكِيرُ
أقامَ بِهِمْ على سَنَنِ المَنايا ... وقد بانتْ لِمُبْصِرِها الأُمُورُ
فأفْلَتَ مَنْ نجا منهمْ جَرِيضاً ... وقُتِّلَ منهمُ بَشَرٌ كثيرُ
ولا يُغْنِى الأُمورَ أخُو التَّوانى ... ولا الغَلِق الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ
أحانَهُمُ وحانَ وَمَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وأفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بنو عوفٍ تَمِيحُ بهم جِيادٌ ... أُهِينَ لها الفَصافِصُ والشَّعِيرُ
فلَوْلا قارِبٌ وبنو أبيهِ ... تُقُسِّمَتِ المَزارِعُ والقُصُورُ
ولكنَّ الرياسةَ عُمِّمُوها ... على يُمْنٍ أشار به المُشِيرُ
أطاعوا قارِبًا ولهم جُدودٌ ... وأحلامٌ إلى عِزٍّ تَصِيرُ
فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلامِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النَّاسِ ما سَمَرَ السَّمِيرُ
وإن لم يُسْلِمُوا فَهُمُ أذانٌ ... بحربِ اللهِ ليسَ لهُمْ نَصِيرُ
كما حَكَّتْ بنى سَعْدٍ وحَرْبٌ ... بِرَهْطِ بنى غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ
كأنَّ بنى مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرٍ ... إلى الإسلامِ ضائِنَةٌ تَخُورُ
فقُلْنا أسْلِمُوا إنَّا أخُوكُمْ ... وقد بَرأتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدورُ
كأنَّ القومَ إذْ جاءوا إلينا ... مِنَ البَغْضاءِ بعدَ السِّلْمِ عُورُ

قال ابن هشام: غَيْلان: غَيْلان بن سَلَمة الثقفى، وعُرْوة: عُروة بن مسعود الثقفى.

مصرع دريد

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتَوا الطائف ومعهم مالك ابن عَوف وعسكر بعضهم بأَوْطَاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نَخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نَخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّان ابن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذْعَة فيما قال ابن هشام ـ دُرَيْد بن الصّمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَارٍ له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا رَبيعة بن رُفَيع السُّلَمىّ ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْن شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّر الرحل ، وكان الرحل فى الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصِّمَّة ، فرُبّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءَك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمَّهات لك ثلاثاً .

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْد فى قتل ربيعة دُريداً :

لعمرُكَ ما خَشيتُ على دُرَيْدٍ ... ببَطْن سُمَيْرَةٍ جَيْشَ العَناقِ
جَزَى عنهُ الإلهُ بنى سُلَيْمٍ ... وعقَّتْهُمْ بما فَعَلوا عَقاقِ
وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم ... دِماءَ خِيارِهم عند التَّلاقى
فرُبَّ عظيمةٍ دافعتَ عنهمْ ... وقد بَلَغَتْ نفوسُهُم التَّراقى
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهُمْ ... وأُخرَى قد فككْتَ من الوَثاقِ
ورُبَّ مُنَوِّهٍ بكَ مِن سُلَيم ... أجَبْتَ وقد دَعاكَ بلا رَماقِ
فكانَ جزاؤُنا منهُمْ عُقُوقاً ... وهَمّاً ماعَ منهُ مُخُّ ساقِ
عَفَتْ آثار خَيلِك بعد أيْنٍ ... بذِى بَقَرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضاً :

قالوا قتلنا دُرَيداً قلتُ قد صَدقوا ... فظلّ دمعِى على السرْبالِ يَنْحدرُ
لَوْلا الذى قَهرَ الأقْوامَ كُلَّهُمُ ... رأت سُلَيْمٌ وكَعْب كيف تأتمِرُ
إذَنْ لصَبَّحهم غِبّاً وظاهِرةً ... حيثُ استقرّتْ نواهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دُرَيداً : عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبانَ بن ثَعْلبة بن رَبيعة

مصرع أبى عامر الأشعرى

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَل أوْطاسٍ أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ،

فناوشوه القتال ، فرُمِي أبو عامر بسهم فقُتِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعريّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه ، وهزمهم . فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيْد هو الذى رَمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تسألوا عنى فإنى سَلَمَهْ ... ابنُ سَمادير لِمَنْ تَوَسَّمَهْ

أضربُ بالسَّيف رُءوس المسلمَهْ

وسمادير : أمه .

حال بنى رئاب فى المعركة

واستحرّ القتل من بنى نَصر فى بنى رِئاب، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس — وهو الذى يُقال له ابن العَوْراء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب — قال : يارسولَ الله ، هلَكت بنو رِئاب . فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهمّ اجبُر مُصيبَتَهم .

موقف قوم مالك بن عوف

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فَوارس من قومه ، على ثَنِيَّةٍ من الطَّريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تمضِي ضُعَفاؤُكم ، وتَلحق أُخراكم . فوقف هناك حتى مضى مَن كان لِحَق بهم من مُنْهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عَوْف فى ذلك :

ولولا كَرَّتانِ على مُحاجٍ ... اضاق على العَضاريط الطَّريقُ
ولولا كَرُّ دُهْمانَ بن نَصر ... لدَى النَّخَلاتِ مُنْدَفَع الشَّديق
لآبَتْ جعفرٌ وبنو هِلال ... خزَايا مُحْتَبين على شُقُوق

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عَوف فى غير هذا اليوم. ومما يدُلك على ذلك قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة فى صَدْر هذا الحديث: مافعلت كَعْب وكلاب؟ فقالوا له: لم يَشْهدها منهم أحد. وجعفرٌ بن كلاب. وقال مالك ابن عوف فى هذه الأبيات: «لآبَتْ جَعفرٌ وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ فقالوا: نرى قوْماً واضعى رِماحهم بين آذان خيلهم، طويلةً بوادُّهم؛ فقال: هؤلاء بنو سُلَيم، ولا بأسَ عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى قوماً عارضى رِماحهم، أغفالا على خيلهم؛ فقال: هؤلاء الأوْس والخزْرَج، ولا بأس عليكم منهم فلما انتهَوْا إلى أصل الثَّنيَّة سلكوا طريق بنى سُلَيم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى فارساً طويل البادِّ، واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء، فقال هذا الزُّبير بن العوَّام وأحلِف باللاَّت ليخالطَنَّكم، فاثبُتوا له. فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنِيَّة أبصر القوم، فصَمَد لهم، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم عنها.

شعر سلمة فى فرارة

قال ابن إسحاق : وقال سَلَمَة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنِى ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ ... ولقد عرفْتِ غَداةَ نَعْف الأظْرُب

أنِّى مَنَعْتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ... ومشَيْتُ خَلْفَكِ مثل مَشْىِ الأنكَب

إذ فرَّ كلُّ مُهَذَّبٍ ذى لِمَّـةٍ ... عَنْ أمِّه وخَليله لم يَعْقُب

عود إلى حديث مصرع أبى عامر

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن أبا عامرٍ الأشعرىَّ لقى يوم أوْطاس عشرةَ إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدُهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمَّ اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليـه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهمّ لا تشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعـــدُ فحَسُن إسلامه . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شَريدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أخَوانِ : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَـه ، والآخر رُكبته ، فقتـلاه . ووَلِىَ الناسَ أبو موسى الأشعرى فحمل

عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جُشَم بن معاوية يرثيهما :

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْــلُ العَـلاء وأوْفَى جَمِيعاً ولَمْ يُسْنَدَا
هُمَا القاتِلانِ أبا عامِرٍ وقد كان ذا هَبَّـةٍ أرْبَدَا
هُمَا ترَكاه لدَى مَعْــرَكٍ كأنَّ على عِطْفِه مُجْسَدَا
فلم ترَ فى النَّاسِ مِثْلَيْهِمَا أقَـلَّ عِثاراً وأرْمَى يَدَا

النهى عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُون عليها ، فقال: ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه: أدرِكْ خالداً ، فقل له : إن رسولَ الله ينهاك أن تقتل وَليداً أو امرأة أو عسيفاً .

شأن الشيماء وبجاد

قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعــد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قَدَرتم على بِجادٍ ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فلا يَفْلِتَنَّكم ، وكان قد أحدث حَدَثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْماءَ ، بنت الحارث بن عبد العُزّى أختَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرَّضاعة ، فعَنُفُوا عليها فى السِّياق ، فقالت للمسلمين : تعلّموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرَّضاعة ؛ فلم يصدّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عُبيد السَّعْدي ، قال : فلما انتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يارسول الله ، إني أختك من الرضاعة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَضَّة عَضَضْتَنِيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكَتُك ؛ قال : فعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحْببتِ فعندي مُحَبَّةً مُكْرَمَة ، وإن أحْبَبْتِ أنْ أمَتِّعَك وترجعي إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتّعني وتردّني إلى قومي ، فمتّعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحَدهُما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حُنين : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ ﴾ .

شهداء يوم حنين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهِد يوم حُنَيْن من المسلمين :

من قريش ثم من بني هاشم : أيْمَن بن عُبيد .

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطَّلب ابن أسد ، جَمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُرَاقة بن الحارث بن عديّ ، من بني العَجْلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

سبايا حنين يجمعون

ثم جُمِعَتْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْن وأموالُها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفارىّ ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرَانة ، فَحُبِسَتْ بها .

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنَين :

لوْلا الإلهُ وعَبْدُه وَلَّيْتُمْ حينَ استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبانِ
بالجِزع يوْمَ حَبا لَنا أقْرانُنا وسَوابِحٌ يَكْبُونَ للأذْقانِ
مِنْ بينِ ساعٍ ثوْبُهُ فى كَفِّهِ ومقطَّرٍ بِسَنابِكٍ ولَبانِ
واللهُ أكْرَمَنا وأظْهَرَ دِينَنا وأعَزَّنا بِعبادَةِ الرَّحمنِ
واللهُ أهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وأذَلَّهُمْ بِعبادَةِ الشَّيْطانِ

قال ابن هشام : ويَرْوِى فيها بعضُ الرُّواة :

إذْ قامَ عَمُّ نَبِيِّكم ووَلِيُّه يدعُون : لَكتيبةِ الإيمانِ
أينَ الذينَ هُمُ أجابوا ربَّهُمْ يَوْمَ العُرَيض وبَيْعة الرِّضْوانِ

شعر لعباس بن مرداس فى يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مِرداس فى يوم حُنَين :

إنى والسَّوابح يومَ جَمْعٍ ... وما يَتلو الرَّسولُ مِن الكتابِ
لقد أحببتُ ما لَقِيتْ ثَقِيفٌ ... بجَنب الشِّعْب أمسٌ من العذاب
هُمُ رأسُ العدوِّ من اهلِ نَجْدٍ ... فقتلُهُمُ ألَذُّ مِنَ الشَّرابِ
هَزَمْنا الجَمْعَ جمعَ بَنى قَسِىٍّ ... وحَكَّتْ بَرْكَها ببنى رِئاب
وصِرْماً من هِلالٍ غادرتهمْ ... بأوْطاس تُعَفَّر بالتُّرابِ
ولو لاقَيْنَ جَمْعَ بنِى كِلابٍ ... لَقامَ نِساؤُهم والنَّقْع كابى
ركَضْنا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ ... إلى الأوْرال تَنْحِطُ بالنِّهابِ
بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتُهُ تَعَرَّض للضِّراب

قال ابن هشام : قوله « تُعَفَّر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

ابن عفيِّف يرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عُفَيِّف النَّصْرىّ ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخِرَةٌ رِفاعةُ فى حُنَينٍ ... وعبَّاس بن رَاضِعةِ اللِّجابِ
فإنَّك والفِجارَ كذاتِ مِرْطٍ ... لرَبَّتِها وتَرْفُلُ فى الإهابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عُفَيِّف هذين البيتين لمَّا أكثرَ عباسٌ على هَوازِن فى يوم حُنَين ورفاعة من جُهينة

شعر آخر لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق : وقال عبّاس بن مرداس أيضاً :

يا خاتم النُّبَاءِ إنّكَ مُرْسَلٌ   بالحقّ كلُّ هُدى السَّبيل هُداكا
إنّ الإلهَ بنى عليكَ محبّــــةً   فى خَلْقِهِ ومُحمّـــداً سَمّاكا
ثُمّ الذينَ وَفَوْا بمـا عاهدتَهم   جُندٌ بعَثْتَ عليهمُ الضّحّاكا
رجُــلاً به ذَرَبُ السِّلاح كأنّه   لمـا تَـكَنّفَه العَـدُوُّ يَرَاكا
يغشَى ذوى النَّسَبِ القريب وإنما   يبغى رِضاَ الرّحمن ثم رِضاكا
أُنْبيكَ أنى قـد رأيتُ مَكَرّهُ   تحتَ العَجاجة يدْمَغُ الإشراكا
طَوْراً يُعانِق باليَدَينِ وتارةً   يَفْرِى الجماجِمَ صارماً بتّاكا
يغشَى به هامَ الـكماة ولو ترَى   منـه الذى عاينتُ كان شِفاكا
وبنو سُلَيْم مُعْنِقُون أمامه   ضَرْباً وطَعْناً فى العدوّ دِراكا
يَمْشُون تحْتَ لِوَائِهِ وكأنّهُمْ   أُسْدُ العَرِينِ أرَدْنَ ثَمّ عِراكا
مايَرْتَجُون من القَرِيبِ قرابة   إلاّ لطاعَة ربهم وَهَوَاكا
هذى مَشاهدُنا التى كانَتْ لَنا   مَعْروفةً وَوَلِيُّنا مَوْلاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إمّا تَرَىْ يا أُمَّ فرْوةَ خَيلَنا   منها مُعَطَّـلة تُقاد وظُلَّعُ
أوْهَى مُقارَعَة الأعادِى دمَّها   فيها نَوافذُ مِن جِراحٍ تَنْبَعُ

. . . .

فلربَّ قائلةٍ كفاها وقعُنا ... أزمَ الحروب فسربُها لا يُفزعُ

لا وفدَ كالوفدِ الأُلَى عقدوا لنا ... سَبَباً بحبلِ محمدٍ لا يُقطع

وفدٌ أبو قطنٍ حُزابة منهمُ ... وأبو الغُيوث وواسعٌ والمِقنع

والقائد المِئَة التى وفَّى بها ... تسعَ المِئين فتمَّ ألفٌ أقرعُ

جمعتْ بنو عوفٍ ورهط مُخاشنٍ ... ستًّا وأحلب من خُفافٍ أربعُ

فهناك إذْ نُصِرَ النبيُّ بألفنا ... عقدَ النبيّ لنا لواءً يلمعُ

فُزْنا برايتِهِ وأوْرَثَ عقدُهُ ... مجدَ الحياة وسُودَداً لا يُنزعُ

وغداةَ نحنُ معَ النبيّ جناحُه ... ببطاحِ مكّةَ والقنا يتهزّعُ

كانتْ إجابَتُنا لداعى ربِّنا ... بالحقِّ منّا حاسرٌ ومُقنَّعُ

فى كلِّ سابغةٍ تخيَّر سَرْدَها ... داودُ إذ نَسَجَ الحديدَ وتُبّعُ

ولنا على بئرَىْ حُنينٍ موكبٌ ... دَمغَ النِّفاقَ وهَضبة ما تُقلَع

نُصِرَ النبيّ بنا وكُنّا مَعْشَراً ... فى كلِّ نائبةٍ نَضرّ وننفَعَ

ذُدْنا غداتئذٍ هوازنَ بالقنا ... والخيلُ يغمُرُها عجاجٌ يسطعُ

إذْ خافَ حدَّهم النبيُّ وأسندوا ... جمعاً تكاد الشمسُ منه تخشعُ

تُدعَى بنو جُشَم وتُدعَى وسْطه ... أفناء نصرٍ والأسنّةُ شُرَّعُ

حتى إذا قالَ الرسولُ محمّدٌ ... أبنى سُلَيمٍ قد وفيتُمْ فارْفعوا

رُحْنا ولولا نحنُ أجحَفَ بأسُهم ... بالمؤمنين وأحرزُوا ما جمّعُوا

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حُنَين :

عَفا مِجْدَلٌ مِن أهلِهِ فَمُتالِعُ ... فَمِطْلا أريكٍ قد خَلا فالمَصانعُ

دِيارٌ لنا يا جُمْل إذْ جُلُّ عيشِنا رخيٌّ وصرف الدار للحَىِّ جامعُ
حُبَيِّبَةٌ ألْوتْ بها غُرْبة النَّوَى لِبَيْنٍ فهل ماض من العيش راجعُ
فإن تبْتغى الكُفَّارَ غيرَ ملومَة فإنى وزيرٌ للنَّبِيِّ وتابع
دعانا إليهم خَيْرُ وفْد عَلِمتهم خُزَيْمَةُ والمَرّار منهم وواسعُ
فجئنا بألفٍ من سُلَيْم عليهمُ لَبُوسٌ لهم من نَسْج داوُدَ رائعُ
نُبايعُهُ بالأخْشَبَيْنِ وإنَّمَا يَدَ اللهِ بينَ الأخْشَبَيْنِ نُبايعُ
فجُسْنا معَ المَهْدِىّ مكَّة عَنْوَةً بأسْيافنا والنَّقْعُ كابٍ وساطعُ
عَلَانيةً والخيلُ يَغْشَى مُتونها حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجوْف ناقع
ويومَ حُنَين حين سارَت هَوازِنٌ إلينا وضاقتْ بالنُّفوس الأضالعُ
صَبَرْنا مع الضَّحَّاك لايستفِزّنا قِرَاعُ الأعادِى منهم والوقائعُ
أمامَ رسولِ اللهِ يخفِقُ فوْقَنا لواء كخُذْرُوف السَّحابة لامعُ
عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ معْتص بسيفِ رسول اللهِ والموتُ كانعُ
نَذُود أخانا عن أخينا ولو نَرَى مَصالاً لكُنَّا الأقربِينَ نتابعُ
ولكن دينَ اللهِ دينُ محمَّدٍ رضينا به فيه الهُدَى والشَّرائعُ
أقامَ به بعد الضَّلالةِ أمْرَنا وليس لأمرٍ حمَّهُ اللهُ دافِعُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حُنَيْن :

تَقَطَّعَ باقى وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلٍ بعاقبة واستبدلَتْ نيَّةً خُلْفا
وقد حلَفَتْ باللهِ لاتقطعُ القُوَى فما صَدقَت فيه ولا برَّت الحَلْفا

خُفافِيَّـــة بَطْنُ العَقِيق مَصِيفُها ... وتحتلّ فى البادين وَجْرَة فالعُرْفا

فإنْ تَتْبَعِ الكُفّارَ أمُّ مُؤَمَّلٍ ... فقد زوّدَتْ قلبى على نأيِها شَغْفا

وسوفَ يُنَبِّيها الخبيرُ بأنّنا ... أبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا

وأنّا مَعَ الهَادِى النَّبِىّ محمَّدٍ ... وَفَيْنا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألفا

بِفِتْيان صِدْق من سُلَيم أعِزَّةٍ ... أطاعوا فما يعْصُون من أمره حَرْفا

خُفافٌ وذَكْوانُ وعَوفٌ تَخالهم ... مَصاعِبَ زافَتْ فى طَرُوقَتِها كُلْفا

كأن النَّسِيجَ الشُّهبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أُسُوداً تلاقَتْ فى مراصدها غُضْفا

بنا عَزَّ دينُ اللهِ غيرَ تَنَحُّل ... وزِدْنا على الحىّ الذى معهُ ضِعْفا

بمكَّة إذْ جِئْنا كأنَّ لِوَاءَنا ... عُقابٌ أرادَتْ بعد تحلِيقِها خَطْفا

على شُخَّصِ الأبصار تحسِبُ بينها ... إذا هِىَ جالت فى مَرَاوِدها عَزْفا

غداة وَطِئْنا المُشركين ولم نجدْ ... لأمرِ رسولِ اللهِ عَدْلا ولاصَرْفا

بمُعْتَرَكٍ لايَسْمَعِ القَوْمُ وَسْطَه ... لنا زَجمَة إلا التّذامُرَ والنَّقْفا

بِبِيضٍ نُطِيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ... ونَقْطِفُ أعناقَ الكُماة بها قَطْفا

فكائن تركْنا من قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ ... وأرْمَلَةٍ تَدْعو على بَعْلها لَهْفا

رِضَا اللهِ نَنْوِى لارضا النّاس نبتغى ... ولله ما يَبْدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

ما بالُ عَيْنِكَ فيها عائِرٌ سَهِرٌ ... مثلُ الحماطةِ أغضَى فوقَها الشُّفُرُ

عَيْنٌ تأوَّبها مِنْ شَجْوِها أرَقٌ ... فالماء يَغْمُرها طَوْراً ويَنْحَدِرُ

كأنَّه نَظْمُ دُرٍّ عنـــدَ ناظِمَةٍ   تَقَطَّعَ السِّلْكُ منـــه فهو مُنْتَثِرُ

يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجو مودَّتَه   ومَنْ أتى دُونَه الصِّمَّانُ فالحَفَرُ

دَعْ ماتقدَّم من عهد الشَّباب فقَدْ   وَلَّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ

واذْكُرْ بلاءَ سُلَيْمٍ في مواطنها   وفي سُلَيْمٍ لأهل الفخر مُفْتَخر

قَوْمٌ هُم نَصَرُوا الرَّحمن واتَّبعوا   دِينَ الرَّسول وأمرُ النَّاس مُشْتَجِر

لا يَغْرِسون فَسِيلَ النَّخل وَسْطَهم   ولا تَخاوَرُ في مَشْتاهُم البَقَر

إلا سَوابحَ كالعِقْبانِ مقرَّبةً   في دارةٍ حولَها الأخطارُ والعَكَرُ

تَدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ في جوانبها   وحيُّ ذَكْوانَ لامِيلٌ ولا ضُجُر

الضَّاربونَ جُنود الشِّرْكِ ضاحِيَةً   ببطن مكَّة والأرواحُ تَبْتَدِرُ

حتى دَفَعْنا وقَتْلاهُمْ كأنَّهُمُ   نَخْلٌ بظاهِرَة البَطْحاءِ مُنْقَعِر

ونحنُ يومَ حُنَين كانَ مشهَدُنا   للدين عِزّاً وعندَ الله مُدَّخَر

إذ نركبُ المَوْتَ مخضَرّاً بطائِنُه   والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر

تحت اللِّواء مع الضحاك يقْدُمُنا   كما مَشَى اللَّيثُ في غاباتِه الخَدِر

في مأزِقٍ من مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها   تَكادُ تأْفِلُ منه الشَّمْسُ والقَمَر

وقد صَبَرْنا بأوْطاسٍ أسِنَّتَنا   للهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنا ونَنْتَصِرُ

حتى تأوَّبَ أقوامٌ منازِلَهم   لولا المليكُ ولولا نحنُ ماصَدَرُوا

فما تَرى مَعْشَراً قَلُّوا ولا كَثُرُوا   إلاَّ قَدَ اصْبَحَ مِنَّا فيهم أثَر

وقال عبَّاس بن مِرْداس أيضاً :

يا أيُّها الرَّجُــلُ الذى تَهْوِى به   وجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ

إمَّا أتَيْتَ على النَّبِيِّ فقُلْ لَهُ حقًّا عَلَيكَ إذا اطْمَأَنَّ المجْلِسُ

ياخيرَ من رَكِبَ المطِيَّ ومنْ مَشَى فوقَ التراب إذا تُعَدُّ الأنْفُسُ

إنا وَفَيْنا بالذى عاهَدْتَنا والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضرَسُ

إذْ سالَ مِنْ أفناء بُهْثَةَ كُلِّها جمعٌ تَظَلُّ به المخارِمُ تَرْجُس

حتى صَبَحْنا أهْلَ مكَّة فَيْلَقاً شَهْباء يقدُمُها الهُمامُ الأشْوَسُ

من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ بيضاء مُحْكَمَة الدِّخال وقَوْنَس

يُروِى القناة إذا تجاسَر فى الوَغَى وتخاله أسَداً إذا مايَعْبِسُ

يَغْشَى الكَتِيبَةَ مُعْلِماً وبكَفِّه عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ يِدْعَس

وعلى حُنَيْن قد وَفَى مِن جَمْعِنا ألفٌ أُمِدَّ به الرَّسولُ عرَنْدَس

كانُوا أمامَ المُؤمنين دَرِيئَةً والشَّمْسُ يومئذ عليهم أشْمُس

نَمْضِى وَيحْرُسُنا الإلهُ بحِفظِه واللهُ ليسَ بضائع من يَحْرُسُ

ولقد حُبِسْنا بالمَناقِب مَحْبِساً رَضِىَ الإلهُ بِهِ فَنِعْمَ المَحْبِسُ

وغَداةَ أوْطاس شدَدْنا شَدَّةً كفَتِ العدوَّ وقيلَ منها: ياأحبِسوا

تَدْعُو هوازِنُ بالإخاوة بَيْننا ثَدْىٌ تَمُدّ به هوازِنُ أيْبَسُ

حتى ترَكْنا جمْعَهم وكأنَّه عيْرٌ تعاقَبه السِّباعُ مُفَرَّسُ

قال ابن هشام: أنشدنى خلفٌ الأحمر قوله: «وقيل منها يا احْبِسوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له بألفِ كَمِىٍّ لا تُعَدُّ حَوَاسِرُه

حَمَلْنا له فى عامِلِ الرُّمْحِ رايةً ... يذودُ بها فى حَوْمةِ الموْتِ ناصرُه

ونحن خَضَبْناها دَماً فهو لَوْنُها ... غداةَ حنينٍ يومَ صفوانُ شاجِرُه

وكنَّا على الإسْلام مَيْمَنَةً له ... وكانَ لنا عَقدُ اللِّواءِ وشاهِرُه

وكُنَّا لَهُ دُون الْجنودِ بِطانَةً ... يُشاوِرُنا فى أمْرِه ونُشاوره

دعانا فسمَّانا الشِّعارَ مُقَـدَّماً ... وكُـنَّا لهُ عَوْناً على مَن يُناكِره

جَزَى اللهُ خَيراً من نبىّ محمداً ... وأيَّده بالنَّصْر واللهُ ناصِرُه

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: «وكنَّا على الإسلام» إلى آخرها، بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوّله: «حملنا له فى عامِل الرمح راية». وأنشدنى بعد قوله: «وكان لنا عَقد اللِّواء وشاهرُه»، «ونحن خضَبناه دماً فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

مَنْ مُبْلِغ الأقْوَام أنَّ محمَّداً ... رسولُ الإله راشدٌ حيثُ يَمَّما

دَعا ربَّه واستَنْصر اللهَ وَحْدَه ... فأصبَح قد وَفَّى إليه وأنعَما

سَرَيْنا وواعدنا قُدَيْداً محمداً ... يؤَمّ بنا أمراً مِنَ اللهِ مُحْـكَماَ

تمارَوْا بنا فى الفَجْر حتى تبيَّنوا ... معَ الفَجْرِ فِتياناً وغاباً مُقَوّما

على الخَيْلِ مشدُوداً علينادُرُوعُنا ... ورَجْـلا كدُفَّاع الأَتِىّ عرَمرَما

فإنّ سَراةَ الحىّ إنْ كنتَ سائِلا ... سُلَيْمٌ وفيهم منهمُ مَنْ تَسَلَّما

وجندٌ مِنَ الأنصار لايَخْـذلُونه ... أطاعوا فما يَعْصونَهُ ما تَـكَلَّما

فإن تك قد أمَّرْتَ فى القوم خالداً ... وقدَّمْتَه فإنّه قـد تقـدّما
بجُنْد هـداه اللهُ أنتَ أميرُه ... تُصيبُ به فى الحقّ من كان أظلَما
حَلَفتُ يميناً برّةً لِمُحمّدٍ ... فأكْمَلْتُها ألفاً من الخيل مُلْجَما
وقال نبىّ المُؤمنينَ تقـدَّموا ... وحُبَّ إلينا أن نـكون المُقدَّما
وبِتْنا بنهى المُسْتَدير ولم يَكُنْ ... بنا الخوفُ إلا رَغْبةً وتحزُّما
أطَعْناكَ حتى أسْلَمَ النّاسُ كُلُّهم ... وحتى صَبَحْنا الجمْعَ أهلَ يلَمْلَما
يَضِلّ الحِصان الأبلَقُ الوَرْدُ وسْطه ... ولا يَطْمَئنّ الشَّيْخُ حتى يُسَوّما
سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحًى ... وكلّ تراهُ عن أخيه قد احْجَما
لدُنْ غُدْوَةً حتى تَرَكْنا عَشِيَّةً ... حُنَيْناً وقـد سالَتْ دَوافعُه دَما
إذا شئْتَ مِنْ كلّ رأيْتَ طِمِرّةً ... وفارِسَها يَهْوِى ورُمحاً مُحطَّماً
وقد أحْرَزَت منّا هوازنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحْرَما

شعر ضمضم فى يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَمَ بن عَبْد بن حَبيب ابن مالك بن عَوْف بن يَقَظة بن عُصَيّة السُّلَمىّ فى يوم حُنَين ، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكَم بن خالد بن الشَّريد ، فقتل به مِحْجَناً وابن عمّ له ، وهما من ثقيف :

نحن جَلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب ... إلى جُرَشٍ من أهل زيّان والفَم
نُقَتِّلُ أشبالَ الأُسُود ونبتغى ... طَوَاغِىَ كانَتْ قبلَنا لم تُهَدَّم

فإن تفخروا بابن الشَّريد فإنَّنى ... تركتُ بوجّ مأتمًا بعدَ مأتمِ

أباتَهما بابن الشَّريد وغرَّه ... جِوارُكمُ وكان غيرَ مُذمَّمِ

تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِماحُنا ... وأسيافُنا يَكْلِمْنَهمْ كلَّ مَكْلَمِ

وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضاً :

أبْلغْ لديكَ ذَوِى الحلائل آيةً ... لا تأمَنَنَّ الدَّهْرَ ذاتَ خِمارِ

بَعْد التى قالَتْ لجارَة بيْتِها ... قد كنتُ لو لَبِثَ الغزِىُّ بِدارِ

لمَّا رأتْ رجلا تسَفَّع لونَه ... وَغْرُ المَصِيفةِ والعِظامُ عوارِى

مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ لَيْلِه ... مُتَسَرْبِلا فى دِرْعِهِ لِغوَارِ

إذا لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ ... جرْداءَ تُلْحِقُ بالنِّجادِ إزارى

يومًا على أثَرِ النِّهابِ وتارةً ... كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مع الأنْصارِ

وزُهاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أزْهَقْتُها ... مَهَلاً تَمَهُّلُه وكلَّ خَبارِ

كيما أُغَيِّرَ ما بها مِنْ حاجَة ... وتَودُّ أنى لا أؤُوب فَجارِ

رثاء أبى خراش لابن العجوة

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أُسِر زُهير بن العَجْوَة الهُذَلىّ يوم حنين ، فكُتِف ، فرآه جميل بن مَعْمَر الجُمَحِىُّ ، فقال له : أأنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خِراشٍ الهُذَلىّ يَرْثيه ، وكان ابن عمه :

عَجَّفَ أضْيافى جميلُ بنُ مَعْمَرٍ ... بذى فَجَرٍ تأوِى إليه الأرامِلُ

طَويل نِجاد السَّيف ليس بجَيْدر إذا اهتزَّ واسترْخَتْ عليْه الحَمائلُ
تَكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ إزارَهُ من الجُودِ لمَّا أذْلَقَتْه الشَّمائلُ
إلى بيْته يأوِى الضَّريكُ إذاشَتا ومُسْتَنْبِحٌ بالى الدَّرِيسَيْن عائل
تَروَّح مَقْرُوراً وهبَّتْ عشِيَّة لهاَ حَدَبٌ تحتَثُّه فيُوَائلُ
فما بالُ أهل الدَّار لم يتصدَّعوا وقد بانَ منها اللَّوْذعىُّ الحُلاحِلُ
فأُقسم لو لاقيتَه غيرَ مُوثَق لآبك بالنَّعْف الضِّباعُ الجيائلُ
وإنَّك لو وَاجَهْته إذ لَقيتَه فنازلته أو كنتَ ممَّن يُنازله
لظلَّ جميلٌ أفحشَ القوْمِ صِرْعَة ولكنَّ قِرْنَ الظَّهْر للمَرْء شاغل
فليْسَ كعَهْدِ الدار يا أُمَّ ثابتٍ ولكن أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلِ
وعاد الفَتى كالشَّيْخ ليس بفاعل سوَى الحقِّ شيئاً واستراحَ العواذِل
وأصْبَحَ إخْوَانُ الصفاء كأنَّما أهالَ عليهم جانِبَ التُّرْبِ هائلُ
فلا تحْسَبى أنِّى نسيتُ ليالياً بمكَّةَ إذ لم نَعْدُ عمَّا نُحاولُ
إذِ النَّاس ناسٌ والبلادُ بغِرَّة وإذْ نحن لا تُثْنى علَيْنا المَداخلُ

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فِراره :

مَنَعَ الرُّقادَ فما أُغمضُ ساعةً نَعَمٌ بأجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ
سائلْ هوازِنَ هل أضُرُّ عدوَّها وأُعينُ غارمَها إذا ما يَغْرَم
وكَتيبَةٍ لَبَّسْتُها بكَتِيبَةٍ فِئتَين منها حاسِرٌ ومُلأَّمُ

ومُقَدَّمٍ تَعْيا النُّفوسُ لضيقه ... قُدِّمته وشُهودُ قَوْمِى أعْلَمُ

فورَدْته وتركْتُ إخْوانًا له ... يَرِدُون غَمْرته وغَمْرَتُه الدَّمُ

فإذا انجلَتْ غمراتُه أوْرَثْنَنى ... مجْدَ الحياة ومجْدَ غُنْمٍ يُقْسَم

كلَّفتمونى ذَنْبَ آل مُحَمَّدٍ ... واللهُ أعْلمُ مَنْ أعَقُّ وأظْلَمُ

وخَذَلتمُونى إذ أقاتلُ واحداً ... وخَذلتمُونى إذ تقاتلُ خَثْعَمُ

وإذا بَنَيْتَ المَجْدَ يهْدم بعضُكم ... لا يَسْتَوِى بانٍ وآخَرُ يَهْدِمُ

وأقَبّ مِخْماصِ الشتاءِ مُسارعٍ ... فى المَجْدِ يَنْمى للعُلى مُتَكَرِّمِ

أكْرَهتُ فِيهِ ألَّةً يَزَنِيَّةً ... سَحْماء يَقْدُمُها سِنان سَلْجَم

وتَركت حَنَّتَه تردُّ وَلِيَّه ... وتقولُ ليس على فُلانَةَ مقدمُ

ونصبْتُ نَفْسى للرِّماح مُدَجَّجاً ... مثل الدَّرِيئةِ تُسْتَحَلّ وتُشْرَمُ

هوازنى يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضاً ، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذْكُرْ مسيرَهُم للنَّاس إذ جَمَعُوا ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ

ومالكٌ مالكٌ مافوقَه أحدٌ ... يومَ حُنَيْن عليه التَّاجُ يأتَلِقُ

حتى لَقُوا الباس حينَ الباس يَقدُمُهم ... عليهمُ البَيْضُ والأبْدان والدَّرَقُ

فضارَبُوا الناسَ حتى لم يروْا أحَداً ... حوْلَ النَّبىّ وحتى جَنَّهُ الغَسَقُ

. . . .

ثُمّت نُزّل جبريلٌ بنَصرِهمِ ... مِنَ السّماء فمهزوم ومُعتَنَق

منّا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلنا ... لمنَّعتْنا إذَنْ أسْيافُنا العُتُقُ

وفاتَنا عُمَر الفاروق إذ هُزِمُوا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرْجه العَلقُ

جشمية ترثى أخويها

وقالت امرأة من بنى جُشَم ترثى أخوَين لها أصيبا يوم حنين :

أعَيْنىَّ جُودَا على مالكٍ ... مَعاً والعلاء ولا تجْمُدَا

هُما القاتِلانِ أبا عامرٍ ... وقد كان ذَا هَبَّة أرْبدا

هما تركاهُ لدى مُجْسَد ... ينُوء نَزِيفاً وما وُسِّدا

أبو ثواب يهجو قريشاً

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحار ، أحد بنى سعد بن بكر :

ألا هل أتاكَ أنْ غلَبتْ قريشٌ ... هَوازنَ والخطوبُ لها شُرُوطُ

وكُنّا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... يجىء مِن الغِضاب دمٌ عَبيط

وكُنا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... كأنّ أنُوفَنا فيها سَعوط

فأصْبحْنا تُسَوِّقنا قُرَيْشٌ ... سِياقَ العِيرِ يحْدُوها النَّبيط

فلا أنا إن سُئلتُ الخسفَ آبٍ ... ولا أنا أنْ ألينَ لهُمْ نَشِيط

سَيُنْقلُ لحمُها فى كلِّ فَجّ ... وتُكتَب فى مسامعها القُطوط

ويُروى «الخطوط» ، وهذا البيت فى رواية أبى سعد .

. . . .

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدنى خلف الأحمر قوله : « يجىء من الغضاب دَم عبيطُ » وآخِرَها بَيْتاً عن غير ابن إسحاق .

ابن وهب يرد على ابن أبى ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيِّد ، فقال :

بِشَرْطِ اللهِ نضرب مَن لَقينا ... كأفضل مارأيتَ مِن الشروط
وكنَّا ياهوازنُ حينَ نَلْقَى ... نَبُلّ الهامَ من عَلَق عَبيط
بجَمْعِكُمُ وجمع بنى قَسِيّ ... نَحُكُّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخَبيط
أصَبْنا مِنْ سراتِكمُ ومِلْنا ... بقَتلٍ فى المُباينِ والخَليط
بهِ المُلْتاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ الموْتَ كالبَكر النَّحِيط
فإنْ تَكُ قَيسُ عَيْلانٍ غِضاباً ... فلا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهمْ سَعُوطِى

شعر خديج فى يوم حنين

وقال خَديج بن العوجاء النَّصْرى :

لمَّا دَنَوْنا من حُنَيْنَ ومائِه ... رأيْناسَواداًمنكرَ اللَّونأخصَفا
بمَلْمُومَةٍ شَهْباءَ لو قَذَفُوا بها ... شَماريخَ من عُزْوَى إذن عادَ صَفْصَفا
ولو أنّ قَوْمى طاوَعَتْنى سَراتُهم ... إذَنْ ما لَقينا العارض المُتَكَشِّفا
إذنْ ما لقينا جُنْدَ آل محمّد ... ثمانِينَ ألْفاً واسْتَمَدُّوا بخِندفا

. . . .

ذكر غزوة حنين

وحُنَيْنٌ الذى عُرِف به الموضعُ هو : حُنَيْنُ بن قَانِية بن مِهْلَايِل(١) كذا قال البكرى ، وقد قدمنا أنه قال فى خَيْبر مثل هذا أنه ابن قانية ، فالله أعلم .

من البلاغة النبوية :

ويقال لها أيضاً غَزْوَة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وَطَسْتُ الشىءَ وَطْساً إذا كدرته ، وأثرت فيه. والوَطِيسُ : نُقْرَةٌ فى حَجَرٍ توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوَطِيسُ التَّنُّور ، وفى غزوة أَوْطَاسٍ قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حَمِىَ الوَطِيس(٢) ، وذلك حين استَعَرَتْ الحربُ ، وهى من الكَلِم التى لم يُسْبَق إليها صلى الله عليه وسلم ، فمنها هذه ، ومنها : مات حَتْفَ أنفِه ، قالها فى فضل مَنْ مات فى سبيل الله فى حديثٍ رواه عنه عبد الله بن عَتِيكٍ ، قال : ابن عتيكٍ : وماسمعت هذه الكلمةَ يعنى : حَتْفَ أنفِه من أحدٍ العربِ قبله — صلى الله عليه وسلم — ومنها لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتَيْن(٣) قالها لأبى عَزَّةَ الجُمَحِىِّ يوم أُحُدٍ ، وقد مضى حديثُه .

(١) فى البكرى : قاينة بن مهلائيل .

(٢) قيل عن الوطيس — غير التنور — إنه الضراب فى الحرب . والوطء الذى يطس الناس أى يدقهم ، وقال الأصمعى : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها . وقد عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

(٣) متفق عليه ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة « السيوطى » .

. . . .

ومنها : لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَان ، وسيأتى سببهما .

ومنها : قوله عليه السلام : ياخَيْل الله اركَبى ، قالها يوم حُنَيْن أيضاً فى حديث خَرَّجه مُسْلِمٌ ، وقال الجاحظ فى كتاب البَيَانِ عن يُونُس بن حبيبٍ : لم يَبْلُغنا من روائع الكلام مابلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم [1] ، وغُلِّط فى هذا الحديث ، ونُسِب إلى التَّصْحيف ، وإنما قال القائل : مابلغنا عن البَتِّىِّ ، يريد عثمان البَتِّي [2] فصحّفه الجاحظُ ، قالوا : والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَجَلُّ من ان يخلط مع غيره من الفُصَحاء ، حتى يقال : ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيرهِ ، كلامه أجلُّ من ذلك ، وأعلى ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة والخنساء :

فصل : وذكر دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةَ الْجُشَمِى أحدَ بنى جُشَمِ بن بكرِ بن هَوَازن ، وفيه تقول الخَنْساء حين خطبها : ما كنت تاركةً بنى عمى ، كأنهم صُدورُ الرماح ومرتثة شيخاً من بنى جُشَم [3] ، وهو دُرَيْد بن الصِّمَّة بن بكر

(١) فى البيان : ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ص ١٨ ح ٢ البيان والتبيين ط ١٩٤٨ .

(٢) نسبة إلى بت موضع بنواحى البصرة . رأى عثمان أنساً وروى عن الحسن البصرى .

(٣) العبارة فى الأغانى فى ترجمة دريد بن الصمة « يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ، وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد » وفى الإصابة : « أدع بنى عمى الطوال مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً » .

. . . .

ابن عَلْقَمَةَ بن خُزَاعَةَ بن غَزِيَّةَ بن جُشَمٍ بن مُعَاوِيَةَ بن بكرِ بن هوازِنَ ، يكنى أبا قُرَّةٍ ؛ ويُرْوَى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يَوْمَئِذٍ ابنَ ستين ومائة ، وروى أبو صالح كاتبُ الليث عن اللَّيث قال : كان دُرَيْدٌ يومئذ ابن عِشْرِين ومائة .

وقوله : فى شِجَارٍ له ، الشِّجَارُ : مثلُ الْهَوْدج ، وفى العين : الشِّجَارُ خَشَبُ الْهَوْدَج .

وقوله : فأَنْقَضَ به ، أى : صَوَّت ، بلسانه فى فَمِه من النَّقِيض ، وهو الصوت ، وقيل : الإنقاضُ بالإصْبَعِ الوُسْطَى والإبْهَام ، كأنه يدفع بهما شيئاً وهو معنى قول البرقى .

وقوله : راعى ضَأن ، يُجَهِّله بذلك ، كما قال الشاعر :

أَصْبَحْتُ هُزْءًا لِرَاعِي الضَّأنِ أعجبه ماذا يُرِيبُكَ مِنِّى رَاعِيَ الضَّأنِ

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لرجل : قم فما نَفَعَكَ صداغَ ولاراعى ضَأْنٍ . والدُّرَيْدُ فى اللغة : تصغير أَدْرَد ، وهو تصغير الترخيم ، والصِّمَّةُ : الشجاع ، وجمعه : صِمَمٌ .

مالك بن عوف وابن هدرد :

وذكر مَالِكَ بن عَوْف النَّصْرِيّ رئيس المشركين يوم حُنَيْنٍ ، وهو مالك بن عَوْفِ بن سَعْد بن ربيعةَ بن يَرْبُوع بن واثلةَ بن دُهْمَان بن نَصْرِ ابن مُعَاوِيَة بن بَكر بن هَوازِن النَّصْرِي .

. . . .

وذكر بعث النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبدَ الله بن أبى حَدْرَدٍ عيناً إلى هَوَازِن ، وهو عبدُ الله بن سَلَامة بن سَعْد ، وسَلامةُ هو أبو حَدْرَدٍ ، وهو من بنِى هَوَازِن بن أسلم بن أفْصَى بن حَارِثَة ، وهم إخوةُ الأوسِ والخَزْرَج ، أعنى بنى أسْلَمَ بن أفْصَى ، مات عبدُ الله سنة إحدى وسبعين ، وهو العام الذى قُتِل فيه مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ . شَهِد ابنُ أبى حَدْرَدٍ مع النبى - صلى الله عليه وسلم ـ الْحُدَيْبِيَةَ ، ومابعدها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

حول قصيدة عباس النونية :

وذكر شعر عباس وفيه :

أصابَتِ العامَ رِعْلاً

وهى قبيلة من سليم ، وفى الحديث : قَنَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شَهْرين يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَانَ وعُصَيَّة ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة .

وقوله :

خَيْلِ ابن هَوْذَةَ لا تُنْهَى وإنسان

إنسانُ : قبيلة من قَيْس ، ثم من بنى نَصْر ، قاله البرقى ، وقيل : هم من بنى جُشَم بن بَكْرٍ ، ومن بنى إنسان : شَيْطَانُ بن مُدْلَجٍ صاحب حيدة[1] وهى

---

(١) فى الأمثال الميدانى : حيرة . وقد قال شيطان يذكر شؤمها .

جاءت بما يزبى الدهيم لأهلها   حيرة أو مسرى حيرة أشأم

. . . .

فَرَسٌ له تَضرِب بها العربُ المثلَ فى الشُّؤم ، فيقال أشأم من حميدة ، وسبب ذلك خبر يطول ، ذكره الأصبهانى فى الأمثال .

سعد ودهمان :

وسعدٌ ودُهْمَان ابنا نَصرِ بن مُعاوية بن بَكر ، كذا وجدتُه فى بعض المُعَلَّقات ، والمعروف فى قيس : دُهْمَان بن أَشْجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفَان والد نَصر ابن دُهْمان الذى عاش مائة وتسعين سنة ، حتى تقوّم ظهرُه بعد انحناء ، واسْوَدَّ شعرُه بعد ابْيِضَاضٍ ، فكان أعجوبة فى العالم ، وقال الشاعر :

لِنَصْرِ بن دُهْمَانَ الْهُنَيْدَةَ عاشها وتِسْعِين حَوْلًا ثم قُوِّمَ فانْصاتا

وعاد سوادُ الرأسِ بعد ابْيِضَاضِه ولكنه من بعد ذلك قد ماتا[1]

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدَّارَقُطْنِى رحمه الله .

وحُنَيْنٌ : اسم جَبَلٍ ، ومنه المثل : أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حُنَيْنًا .

وقوله : مِمَّا يَشْتَوِى حَذَفٌ . الحَذَفُ : غَنَمٌ سُودٌ صِغارٌ تكون باليمن ، وفى الحديث سَوُّوا صُفوفَكم ، لا تَتَخَلَّلُكُمُ الشياطينُ كأنَّها بَنَاتُ حَذَفٍ[2]

---

(١) سبق هذا الشعر ، والهنيدة : المائة .

(٢) رواية أحمد : « سووا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا فى أيدى إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب فى باب « الحث على تسوية الصفوف » رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبرانى ، وأخرج نحوه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر ، وأخرجا نحوه أيضاً من حديث أنس .

. . . .

يعنى فى الصَّفّ فى الصلاة ، هكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت ، والذى أراد الشاعر : إنما هو رَجُلٌ ، فلعله كان يسمى بحَذَفٍ ، والحَذَفُ هى الغنم السُّودُ التى ذكرنا .

وقوله :

كُلُّ شِواءِ العَيْرِ جُوفَانُ[1]

يقال : إنه شُوِى له غُرْمُولُ حِمارٍ ، فأكله فى الشِّوَاء فوجده أجْوَفَ ، وقيل له : إنه القُنْبُ ، أى : وعاء القَضِيب ، فقال : كُلُّ شِوَاءِ العَيْرِ جُوفَانُ ، فضُرب هذا الكلامُ مَثَلًا ، وقيل : كان فَزَارِىٌّ و تَغْلِبِىٌّ وكَلْبِىٌّ اجتمعوا فى سَفَر ، وقد اشتَوَوا حِمارَ وَحْشٍ ، فغاب الفَزَارى فى بعض حاجاتِه ، فأكل صاحباه العَيْرَ واختَبآ له غُرْمُولَه ، فلما جاء قالا له : هذا خَبَّأْنا لك ، فجعل يأكل ، ولا يُسيغه ، فضحكا منه ، فاخترط سَيْفَه ، وقال : لأقتلنّكما إن لم تأكُلاه ، فأبى أحدُهما فضربَه بالسيف ، فأبان رأسَه ، وكان اسمُه : مِرْقَمه ، فقال صاحبُه طاحَ مِرْقَمَهْ ، فقال الفَزَارِىُّ ، وأنت إن لم تَلْقَمَهْ أراد : تلْقَمُها، فطرح حرَكَة الهاء على الميم ، وحذف الألف كما قد قيل فى الحيرة أى رجال به أى بها ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لا تَأمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به   على قَلُوصِكَ ، واكْتُبْها بأَسْيَارِ

لا تَأْمَنَنْه ولا تَأْمَنْ بوائقَه   بعد الذى امْتَلَّ أيْرَ العَيرِ فى النار

---

(١) يضرب فى تساوى الشىء فى الشرارة ، والمثل فى مجمع الامثال للميدانى ، ولكن ليس فيه القتل الذى سيذكر ، وفيه الرجال : عبسى وفزارى وغطفانى .

. . . .

أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ غُرْمُولاً مُخَاتَلَةً فلا سَقَاكُمْ إلَهِي الخالقُ البَارِي

من كتاب الأمثال للأَصْبَهَانىّ . فهذا الفَزَارِىُّ هو حَذَفُ المذكور فى البيت ، والله أعلم .

وقوله :

والأَجْرَبانِ بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ

سماهما بالأَجْرَبَيْن تشبيهاً بالأجْرَبِ الذى لا يُقْرَبُ ، وقال مَجْذُومٌ من العَرَبِ :

بِأَىِّ فِعَالٍ رَبِّ أُوتيتُ ما أَرَى أَظَلُّ كأنِّى كُلَّما قُمْتُ أَجْرَبُ

أى : يُفَرُّ منى ، وفى الخبر أن عُمَرَ لما نَهى الناسُ عن مُجالَسَة صَبِيغ بن عَسَلٍ كان كُلَّما حلَّ موضعاً تفرّق الناسُ عنه كأنه بعيرٌ أجْرَبُ[1] ، ومن

(١) فى القاموس : عسيل بالتصغير ، وفى غيره : عسل . وقصة صبيغ مع عمر أنه سأله عن الذاريات ، ثم عن المقسمات ، ثم عن الجاريات ، فأجابه عمر ، ثم أمر بضربه ، فضرب مائة ، وجعل فى بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى ، وحمله على قتب ، وكتب إلى أبى موسى : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى . فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجد شيئاً ، فكتب فى ذلك إلى عمر ، رضى الله عنه ، فكتب عمر : ما إخاله إلا قد صدق ، فخل بينه وبين مجالسة الناس . ويقول البزار عن أبى بكر بن أبى سبرة راوى الحديث : إنه لين ، وعن سعيد بن سلام راوى الحديث عن أبى أسبرة : ليس من أصحاب الحديث : ويقول ابن كثير : الحديث ضعيف رفعه . وأقرب فيه أنه موقوف على عمر رضى الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر ، =

. . . .

رواه الأجْرَبانُ بضم النون ، فهو جائز فى كل اثنين مُتَلازِمَيْن كالجَلَمَيْن ، يقال فيهما . الجَلَمانُ[1] بضم النون ، وكذلك القمَرَانُ ، وروى أن فاطمةَ ـ رضى الله عنها ـ نادت ابنَيْها فى ليلةٍ ظُلْمَةٍ : ياحَسنَانُ ياحُسَيْنانُ بضم النون، قاله الهروى فى الغريبين .

أنا ابن عبد المطلب :

فصل : وذكر قول النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أين أيها الناس ؟ ! أنا محمد ، أنا رسول الله ، وفى غير هذه الرواية :

أنا النبىُّ لا كذِب   أنا ابنُ عبدِ المطلب[2]

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلامُ فى مثل هذا ، وأنه ليس بشعرٍ حتى يقصد به الشعر . وللخطابى فى كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابنُ عبدِ المُطَّلب ، قال : إنما خص عبدَ المطلب بالذكر فى هذا المقام ، وقد انهزم الناسُ تشبيهاً لنبوَّته ، ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رُؤيا عبدالمطلب المبشِّرة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولِمَا أنبأت به الأحبارُ والرُّهْبانُ ، فكأنه يقول : أنا ذاك ، فلابد مما وُعِدْت به لئلا يَنْهزموا عنه ،

= وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . وأقول : وشيئاً آخر قد يكون ارتياباً ، أو محاولة لتشكيك . وقد روى الحافظ ابن عساكر قصة صبيغ مطولة .

(١) المقراضان ، واحدهما : جلم ، والجلم : اسم يقع على الجلمين .

(٢) فى رواية البخارى ومسلم .

. . . .

ويظنوا أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا .

شيبة ومحاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر قصة شَيْبَةَ بن عُثْمَانَ حين أراد قَتلَ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فجاء شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبي خَيْثَمةَ في تاريخه ، قال شيبة : اليوم آخذ بثاري ، فجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم مِنْ خلفه ، فلما هَمَمْتُ به حَالَ بيني وبينه خَنْدَقٌ من نارٍ وسُورٌ من حديد ، قال : فالتفت إليَّ النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — وَتَبَسَّم ، وعَرَف الذي أردت ، فمسح صدري ، وذهب عني الشَّكُّ ، أو كما قال ، ذهب عني بعضُ ألفاظِ الحديث(١) .

أم سليم والفرار يوم حنين :

وذكر أمَّ سُلَيْم وهي مليكة بنت مِلْحَانَ ، وقال في اسمها رُمَيْلَة ، ويقال : سُهَيْلَة ، وتعرف بالغُمَيْصاءِ والرُّمَيْصاءِ لِرَمَصٍ كان في عينيها ، وأبو طَلْحَةَ بعلُها هو زَيْد بن سَهْلِ بن الأسود بن حَرَامٍ وهو القائل :

---

(١) في رواية البيهقي قال شيبة : فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعباس ابن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ، ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله

. . . .

أنا أبو طَلْحَةَ ، واسمى : زَيْد   وكل يوم فى سِلَاحِى صَيْد

وقول أمِّ سُلَيم : يارسولَ الله اقْتُلْ هؤلاءِ الذين ينهزمون عنك .

إن قيل: كيف فرَّ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبقَ معه منهم إلا ثمانيةٌ ، والفرارُ من الزحف من الكبائر ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا فى يوم بدر ، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عُمَر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : ﴿ ومَن يُوَلِّهِم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ فيؤمئذ إشارةٌ إلى يوم بدرٍ ، ثم نزل التحقيقُ من بعد ذلك فى الفارِّين يوم أُحُدٍ وهو قوله : ﴿ ولقد عفا اللهُ عنهم ﴾ وكذلك أنزل فى يوم حنين : ﴿ ويوم حُنَيْنٍ إذ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكم ﴾ إلى قوله : ﴿ غفور رحيمٌ ﴾ وفى تفسير ابن سلام : كان الفرارُ من الزحف يومَ بَدْرٍ من الكبائر ،وكذلك يكون من الكبائر فى مَلْحَمَةِ الرُّوم الكُبْرى[1] ، وعند الدَّجَّال ، وأيضاً فإن المنهزمين عنه عليه السلامُ رجعوا لحينهم ، وقاتلوا معه حتى فَتَحَ الله عليهم .

= صلى الله عليه وسلم وقال : ياشيب ادن منى ، اللهم أذهب عنه الشيطان ، قال : فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إلى من سمعى وبصرى ،فقال : ياشيب قاتل الكفار .

(١) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله «ص» : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ،فيقول المسلمون : لا والله لانخلى بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم =

. . . .

حول رجز مالك :

وقول مالك فى رَجَزِه :

قد أطعَن الطّعْنَةَ تَقْذِى بالسُّبُر

= فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية ، فبيناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج ، فبيناهم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم ، فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه فى حربته » مسلم .

وفى مسلم نفسه ولكن عن عبد الله بن مسعود أن ملحمة الروم تكون بين أهل الشام وبين الروم ، وأن المعركة تستمر أربعة أيام ، وأن صريخ الدجال يجيئهم ، فيترك المسلمون ما بأيديهم .

وفى مسلم نفسه أن صريخ الدجال يظهر حين يغزو سبعون ألفاً من بنى إسحاق مدينة جانب منها فى البر ، وجانب منها فى البحر وأن هؤلاء السبعين ألفاً تقاتلونها بغير سلاح ! !

وعند أبى داود عن معاذ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » .

وفى رواية لأبى داود والترمذى « الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » .

وفى رواية لأبى داود أن المسلمين سيصالحون الروم ، وأن الروم والمسلمين يغزون معاً عدواً ، وأن نصرانياً سيصيح : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين ، =

. . . .

السُّبُرُ : جمع سابر ، وهو القَتِيلُ الذى يُسْبَر به الْجُرْحُ أى : يُخْتبَر .

وقوله فى الرَّجز الآخر :

أقدِم مُحَاجُ إنها الأساوِرهْ

وقولُ ابن هشام : هما لغير مالك فى غير هذا اليوم ، يعنى يوم القادسية ، وكانت الدولةُ فيه للمسلمين على الفُرْس ، والأساوِرَةُ : مُلوكُ الفرس ، وقُتِل فى ذلك اليوم رُسْتُمُ مَلِكُهم دون الملِكِ الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعْد بن أبى وقَّاص ، وقد ذكرنا قبل : بم سُمِّيت القادسية .

وذكر حديث أبى قَتَادَةَ فى سَلَبِ القتيل ، قال : فاشتريت بثَمَنِه مَخْرفًا فإنه لأوَّلُ مال اعتقدته ، يقال اعتقدت مالى ، أى : اتخذت منه عُقْدَةً ، كما تقول : نُبْذَة ، أو قِطْعة ، والأصل فيه من العَقْد ، وأن من مَلَك شيئًا عقد عليه ، وأنشد أبو على [القالى] :

ولما رأيتُ الدَّهْرَ أنحتْ صُروفُه عَلَيَّ وأوْدَتَ بالذَّخائِرِ والعُقَدْ

=ويكسر الصليب ، فتغدر لروم ، وتجمع للملحمة ، ويستشهد الذين يحملون السلام من المسلمين . هكذا الروايات ، وفيها اضطراب واضح كما ترى .

ويحدثنا التاريخ أن معاوية حاول فتح القسطنطينية فى سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م وأنه هزم بأسطوله العربى قسطنطين هزيمة ماحقة ، لكنه لم يدخل المدينة التى كانت عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تفتح القسطنطينية إلا فى عهد محمد الثانى العثمانى وذلك فى أواخر ٨٥٦ هـ — ١٤٥١ م أى فى القرن التاسع الهجرى فلنعتصم بهدى القرآن حين تضطرب بنا الشعاب .

. . . .

حَذَفْتُ فُضُولَ العَيْشِ حتى رَدَدْتُها — إلى القُوتِ خَوْفاً أنْ أُجاءَ إلى أحَدْ[1]

ويروى : كأنّلْتُه ، وهى رواية الموطأ ، ويقال : مَخْرَف بفتح الراء وكسرها ، وأما كسر الميم فإنما هو المِخْرَفِ ، وهى الآلة التى تُخْتَرَفُ بها الثمْرَةُ أى تُجْتَنَى[2] بفتح الميم معناه البُسْتَان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحربى ، وأجاد فى تفسيره ، فقال : المَخْرَفُ : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فما فوق ذلك ، فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ماقاله الحربى ماقاله أبو حنيفة ، قال : المَخْرَفُ : مثل الخَرُوفَة ، والخَرُوفَةُ : هى النخلة يخترفُها الرجلُ لنفسه ولعياله ، وأنشد :

مثل الْمَخارِفِ مِنْ خيلان أو هَجَرَا

قال : ويقال للخَرُوفَةِ : خَرِيفَةٌ أيضاً .

السلب للقاتل :

وفى هذا الحديثِ من الفقه أن السَّلَبَ للقاتل حُكماً شَرْعِياً جعل ذلك الإمامُ له ، أو لم يجعله ، وهو قول الشافعى[3] ، وقال مالك : إنما ذلك إلى

---

(١) بعدهما :

وقلت لنفسى : أبشرى وتوكلى — على قاسم الأرزاق والواحد الصمد
فإن لا تكن عندى دراهم جمة — فعندى بحمد الله ماشدَّت من جلد

ص ١٢٧ جـ ٢ الأمالى للقالى . وقد قال : أنشدنا أبو بكر ، قال : أنشدنا عبد الأول : قال : أنشدنى حماد ، قال : أنشدنى أبى لنفسه .

(٢) فى القاموس : زنبيل صغير يخترف فيه أطايب الرطب .

(٣) وهى إحدى الروايتين عن أحمد . ويرى أبو حنيفة أيضاً أنه لا يستحق إلا بشرط الإمام بعد القتال ، فلو نص قبله لم يجز .

. . . .

الإمام له أن يقولَ بعد مَغْمَغِة الحرب : مَنْ قَتَل قتيلا فله سَلَبُه[١] ، ويكره مالكٌ رحمه الله أن يقول ذلك قبل القِتال لئلا يخالِط النية غَرَضٌ آخرُ غير احتساب نفسِه لله تعالى ، وقد ذكرنا فى غَزْوَة بدرٍ فى هذه المسألة ماهو أكثر من هذا .

نزول الملائكة :

وقول جُبَيْرِ بن مُطْعِم : لقد رأيت مثل البِجَاد ، يعنى الكِسَاءَ من النمل مَبْثُوثاً ، يعنى رآه ينزِل من السماء . قال : لم أشك أنها الملائكة ، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر : رأيت رجالا بيضاً على خَيْل بُلْقٍ ، وكانت الملائكةُ فأراهم اللهُ لذلك الهوازنى على صُوَرِ الخيل والرجال ترهيباً للعدو ، ورآهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المبثوث إشعاراً بكثرة عددها ، إذ النمل لا يُستطاع عَدُّها مع أن النمـلَةَ يُضْرَب بها المثلُ فى القوة ، فيقال : أقوى من النملة ، لأنها تحمل ماهو أكبر من جِرْمِها بأضْعافٍ ، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك : جعل الله قوتك قوةَ النَّملَةِ ، فأنكر عليه ، فقال : ليس فى الحيوان مايحمل ماهو أكبر منه إلا النَّملة[٢] ، وهذا المثل قد ذكره الأصْبَهَانى فى كتاب الأمثال مَقْرُوناً بهذا الخبر ، وقد أُهْلِكَ بالنمل أمةٌ من الأمم ، وهم جُرْهُم .

---

(١) حديث : من قتل قتيلا فله سلبه حديث متفق عليه من حديث أبى قتادة . وقد قال مالك : لم يبلغنى أن النبى « ص » قال ذلك إلا يوم حنين ، وإنما نفل النبى « ص » بعد أن برد القتال . وللامام ابن القيم تفصيل فى منشأ النزاع فى هذا الأمر وغيره فانظره ص ٤٥٧ ج ٢ زاد المعاد .

(٢) النملة بضم النون : النميمة . وكنية النمل : أبومشغول ، والنملة : أم نوبة وأم مازن . وسميت النملة نملة لتنملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . يقول =

. . . .

حول قصيدة ابن مرداس :

فصل : وذكر قول عباس :

وسوف إخال يأتيك[1] الخبيرُ

الفعل المستقبلُ هو : يأتيكَ ، وإن كان حرفُ سوف داخلًا على إخال في اللفظ ، فإن مايدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدرى وسوف إخال أدرى[2]

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يُسْتَقْبل ، وإنما يريد أن يَخَالَ الآن أنْ سيكون ذلك ، وقوله :

فإن يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ ماسَمَر السَّمِيرُ

أنوفَ الناس انتصب على الحال ، لأنه نكرة لم يتعرَّف بالإضافة ، لأنه لم يرد الأنوفَ بأعيانها ، ولكن أشرافًا ، وهذا كقوله :

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ[3]

= الدميرى : « وليس فى الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره ، على أنه لايرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف حمل نوى التمر » حياة الحيوان .

(١) فى السيرة : يأتيه .

(٢) بقية البيت : أقوم آل حصن أم نساء ، وبعده :

فمن فى كفه منهم خضاب كمن فى كفه منهم قناء

(٣) من معلقة امرىء القيس فى وصف فرسه .

. . . .

لأنه جمله كالقيد ، ومثله ماذكرناه قَبْلُ فى : نصب غمائم الأبْصَار ، على الحال ، وليس هذا من باب مامنعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت مررت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يجز ، والذى أراده الخليل هو ما ذكرناه فى غير موضع من استعارةِ الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوفَ الناس تريد : أشرافهم ، فمثل هذا يكون وَصْفاً للنَّكِرَة وحالا من المعرفة ، وقد ألحق بهذا الباب : له صَوْتٌ صَوْتُ الحمارِ ، على الصِّفة ، وضعَّفه سيبويه فى الحال ، قال : وهو فى الصفة أَقْبَحُ ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّر ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرر اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وأسْلمَت النُّصُورُ . ذكر البرقى أن النُّصُور هاهنا جمع : ناصر ، وليس هو عندى كذلك . فإن فاعِلا قَلَّ مايجمع على فُعُول ، وإن جُمِع فليس هو بالقياس المُطَّرِدِ ، وإنما هم بنو نَصْرٍ من هَوَازِن رَهْطِ مالك بن عَوْف النَّصْرِىّ يقال لهم النُّصُور ، كما يقال لِبَنِى الْمُهَلَّب الْمَهَالِبة ، ولِبَنِى الْمُنْذِر : الْمَنَاذِرة ، وكما يقال الأشْعَرُون ، وهم بنو أشْعَر بن أُدَد ، والتُّوَتْيَاتُ لبنى تُوَيْتِ بن أسد .

جمع أخ وابن :

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضافة ، كما أنشدوا :

. . . .

ولما تبيَّنَّ أصواتنا بكين وفدَّيننا بالأبينا[1]

ويجوز أن يكونَ وَضَع الواحدَ موضعَ الجميع ، كما تقدم فى قوله : أنتم الوالدُ ، ونحن الولدُ .

من وصف الزبير :

وقوله فى صفة الزبير : طويل البادّ ، أى : الفخْذ ، والبَدَدُ : تباعُدُ مابين الفَخِذَيْنِ .

من أحكام القتال :

وقوله فى المرأة المقتولة : أدرِكْ خالِداً ، فقل : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليداً ، أو امرأةً ، أو عَسِيفاً العَسِيفُ : الأجيرُ ، وهذا مُنْتزَعٌ من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : ﴿ وقاتلوا فى سبيلِ الله الذين يُقاتِلُونَكم ﴾ فاقتضى دليلُ الخطاب الا تُقتَل المرأةُ إلا أن تقاتِلَ ، وقد أخطأ من قاس مَسْأَلة المُرْتَدَّةِ على هذ المسألةِ ، فإن المرتدَّةَ لاتُسْترَقُّ ولاتُسْبَى ،

---

(١) نقل سيبويه عن الخليل قوله : « إن ألحقت فيه النون والزيادة التى قبلها قلت : أبون، وكذلك أخ تقول : أخون لاتغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئا كما يقولون : دمون ، ولا تغير بناء القرب عن حال الحرفين لأنه بنى عليه إلا أن تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير الحرفين » ثم استشهد بالبيت ، وقال : إنه جاهلى . وإن شئت كسرت ، فقلت آباء وآخاء . ويقول السيرافى عن البيت إنه لزياد بن واصل السلمى . أنظر خزانة البغدادى ص ٣٦٢ جـ ٤ ط السلفية .

. . . .

كما تُسْبَى نساء الحربِ وذَرَارِيهم ، فتكون مالاً للمسلمين ، فنهى عن قَتْلِهِنَّ لذلك .

حكم رفع اليد في الدعاء :

وذكر فيمن استشهد أبا عامر ، واسمه : عُبَيْدُ بن سُلَيم بن حَضَّار ، وهو عم أبي مُوسى عبدِ الله بن قيس الأشعَرِي ، وهو الذى استَغْفَر له رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حين قُتِل رافعاً يديه جِدًّا ، يقول : اللَّهُمَّ اغفر لعبيد أبي عامر ثلاثاً ، وفيه من الفقه رفعُ اليدين فى الدعاء ، وقد كرهه قوم ، روى عبدُ الله بن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم فى الدعاء ، فقال : أَوَ قَدْ رفعُوها ؟ قطعها اللهُ ، والله لو كانوا بأعلَى شاهِقٍ ما ازدادوا من الله بذلك قُرْباً وذكر لمالك أن عامرَ بن عبد الله بن الزُّبَير كان يدعو بأثرِ كلِّ صلاةٍ ، ويرفع يديه ، فقال : ذلك حَسَنٌ ، ولا أرى أن يرفعهما جِدًّا . وحجة من رأى الرفعَ أحاديثُ منها ما ذكرناه آنفاً ، ومنها حديثٌ تقدَّم فى سَرِيَّةِ الغُمَيْصاء حين رفعَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يديه ، وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صَنَع خالدُ بن الوليد ثلاث مرات ولكل شيء وجهٌ ، فمن كَرِه ، فإنما كره الإفراطَ فى الرفع كما كره رفعَ الصوت بالدعاء جداً . قال صلى الله عليه وسلم : أرْبِعُوا على أنفسكم ، فإنكم لاتدعون أصَمَّ ولا غائباً ، وهو معنى قول مالك الذى قدمناه فى رفع اليدين .

الحفنة وشاهت الوجوه :

فصل : ومما ذُكِر فى غَزْوَةِ حُنَيْنٍ من غير رواية ابن إسحاق الحَفْنَةُ التي

. . . .

أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من البَطْحَاء ، وهو على بَغْلَتِه ، فرمى بها أوجه الكُفَّارِ ، وقال : شاهت الوجوه[1] ، فانهزموا . والمستقبلُ من شاهت : تَشَاهُ ، لأن وزنه فَعِل ، وفيه أنَّ البَغْلَة حَضَجَت به إلى الأرض حين أخذ الحَفْنَة ، ثم قامت به ، وفسروا حَضَجَتْ ، أى : ضربت بنفسها إلى الأرضِ ، وألصقت بطنَها بالتراب ، ومنه الحِضَاجُ ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِد إلى شىء ، وأُميل إليه ، والبَغْلَة التى كان عليها يَوْمَئِذٍ هى التى تُسَمَّى البَيْضَاء[2] ، وهى التى أهداها إليه فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ ، وقد تقدم ذكر الأخرى ، واسمها : دُلْدُلُ وذِكْرُ من أهداها إليه .

نداء أصحاب الشجرة :

وذكر نداءَ العباسِ : يامَعْشَرَ أصحابِ السَّمُرَةِ ، وكان العبَّاسُ صَيِّتاً جَهِيراً . وأصحاب السَّمُرَةِ : هم أصحابُ بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشَّجَرَةِ ، وكانت الشجرةُ سَمُرَةً .

---

(١) فى رواية لمسلم أنهم لما غشوا النبي « ص » نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال : شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأت عينه تراباً تلك القبضة فولوا منهزمين . وفى رواية أخرى أنه تناول حصيات من الأرض ، وأنه لم ينزل من على البغلة . فالله أعلم .

(٢) عن ابن سعد وجماعة ممن صنفوا فى السيرة أنها دلدل ، وفيه نظر ، لأن دلدل أهداها له المقوقس ، وقد روى مسلم أنه كان على بغلة له بيضاء كما ورد فى الروض ولكن فى مسلم أيضاً أنه كان على بغلته الشهباء ، وقد زعم النووى أن البيضاء والشهباء واحدة ، ولا يعرف له غيرها . ولكن ذكر غير واحد بغلته دلدل ، غير أن ابن الصلاح زعم أن دلدل والبيضاء اسمان لبغلة واحدة .

. . . .

الضحاك بن سفيان :

فصل : وذكر الضَّحَّاكَ بن سُفْيَان الكِلَابِي ، وهو الضَّحَّاكُ بن سُفْيَانَ ابن عَوْف بن كَعْب بن أبي بكر بن كِلاب الكِلابِيّ، يكنى أباسعيد ، وكان يقوم على رأس النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَوشِّحاً بالسيف ، وكان يُعَدُّ وحدَه بمائة فارسٍ ، وكانت بنو سُلَيْم يوم حُنَيْن تسعمائة ، فأمَّره عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أن قد تَمَّمَهُم به ألفاً ، وإياه أراد عباس بن مِرْدَاسٍ بقوله :

جُنْدٌ بعثتَ عليهم الضَّحَّاكَا

وقال البرقي : ليس الضَّحَّاكُ بن سفيان هذا بالكلابي ، إنما هو الضحاك ابن سُفْيَان السُّلَمِي .

وذكر من غير رواية البكائي عن ابن إسحاق نسبَه مرفوعاً إلى بُهْثَةَ ابن سُلَيْمٍ ، ولم يذكر أبو عُمَر في الصحابة إلا الأول ، وهو الكلابي ، فالله أعلم.

قصيدة ابن مرداس العينية :

وذكر شِعْرَ عباس بن مِرْدَاسٍ الذي أوله :

عفا مِجْدَلٌ من أَهْلِه فَمُتَالِعُ

المِجْدَلُ : القصر ، وهو في هذا البيتِ اسمٌ عَلَمٌ لمكان .

وفيه :

فِطَـلَا أريكٍ

. . . .

المِطْلُ : يُمَدُّ ويُقْصَر ، وهى أرض تَعْقِل الرِّجْلَ عن المشى ، فقيل : إنها مِفْعَال من الطَّلْيِ وهو الجرى يُطْلَى ، أى تُعْقَل رِجْلُه ، وقيل : إن المِطْلَاء فِعْلَاء من مَطَلْتُ إذا مَدَدْتُ ، وجمعه : مَطَال فى الأمالى :

أمَا تَسْأَلان الله أن يَسْقِيَ الحِمَى ... ألَا فَسَقَى اللهُ الحِمَى فالمَطَالِيَا[1]

وفيه :

نَذُود أخانا عن أخِينا ، ولو نرى ... مَصَالاً لـكنّا الأقْرَبِين نتابع

يريد أنه من بنى سُلَيْم ، وسُلَيْمٌ من قيس ، كما أن هَوَازِن من قَيْسٍ ، كلاهما ابن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسٍ ، فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا ، ونذودهم عن إخوتنا من سُلَيْمٍ ، ولو نرى فى حكم الدين مَصالاً مَفْعَلاً من الصَّوْلَة ، لـكنا مع الأقربين هَوَازن :

ولـكنَّ دِينَ اللهِ دِينُ مُحَمَّدٍ ... رضينا به فيه الهُدَى والشَّرائِع

وفيه قوله :

دَعَانا إليه خيرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهم ... خُزَيْمَةُ والمَدَّارُ[2] منهم وواسِعُ

هؤلاء وفد بنى سُلَيْمٍ وفدوا على النبى — صلى الله عليه وسلم — فأسلموا ،

---

(١) فى الأمالى أن هذا الشعر لرجل طلق امرأتين من أهل الحمى ص ١٩١ ج ١ ط ٢ . ومن الشعر :

وإنى لأستسقى لشفتين بالحمى ... ولو تملكان البحر ما سقتانيا

(٢) فى رواية : المرار .

. . . .

ثم دَعَوا قومهم إلى الإسلام ، فذكر فيهم الْمَدَّار السُّلَمِىَّ ، وواسعًا الشَّامِىَّ ، وخُزَيْمَةَ ، وهو خُزَيْمَةُ بن جَزِىٍّ أخو حِبَّانَ بن جَزِىٍّ ، وكان الدَّارَقُطْنِى يقول فيه : جِزِىٌّ بكسر الجيم والزاى .

وفيها :

يدَ الله بين الأَخْشَبَيْنِ نُبايع

من قول الله تعالى : ﴿إنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعون الله يَدُ اللهِ فوقَ أيْدِيهم﴾ أقامَ يدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مقام يدِه ، كما قال ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فى الحَجَرِ الأسْوَدِ : هو يَمِينُ اللهِ فى الأَرْضِ (1) ، أقامه فى الْمُصافحة والتَّقبيل مَقَامَ يمين الْمَلِكِ الذى يصافح بها ، لأن الحاجَّ وافدٌ على الْمَلِكِ الأَعْلَى وزائرٌ بيتَه ، فجعل تقبيلَه الحَجَر مُصافَحَةً له ، وكما جُعلت يمينُ السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمينَ الرحمن سبحانه تَرْغيباً فى الصَّدَقة ، وتبشيراً بقبولها ، وتعظيما لحرمةِ مَنْ أُعْطِيت له ، فإنما أعطاها المتصدِّق لله سبحانه ، وإياه سُبْحانَه أقْرضَ ،

---

(1) رواه الطبرانى فى معجمه ، وهو موقوف على ابن عباس وهو سقط من القول لا يصح نسبته إلى مؤمن . وإليك ما يقوله الإمام ابن القيم فى قوله سبحانه : (يد الله فوق أيديهم) . . « لما كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، ويضرب بيده على أيديهم ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى ، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه ، وفوق الخلائق كلهم ، كانت يده فوق أيديهم ، كما أنه سبحانه فوقهم » ص ١٧٢ ج ٢ الصواعق المراسلة . وهذا خير من تأويل السهيلى الذى يعطى لأصحاب وحدة الوجود وجهاً ! !

. . . .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويأخُذُ الصَّدَقاتِ ﴾[1] التوبة : ١٠٤ وقال صلى الله عليه وسلم : إنما يضعها فى كف الرحمن يُرَبِّيها له الحديث .

شعر عباس الطائى :

وقول عباس فى الشعر الكافى :

إن الإلَهَ بَنى عليك مَحبَّـةً فى خلقـــه ومُحَمَّداً سَمَّاكَا

معنى دقيق وغرض نبيل وتَفَطُّنٌ لحكمة نَبَوِيَّةٍ قد بيَّنَّاها فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره فى تسمية الله تعالى لنبيه مُحَمَّداً وأَحْمَد[2] ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأنَّ أُمَّه أُمِرَتْ فى المنام أن تسميه محمداً ؛ فوافق معنى الاسم صفةَ المسمَّى به موافقةً تامَّةً قد بينا شَرْحَها[3] هنالك ، ولذلك قال : بَنَى عليكَ محبةً ، لأن البناء تركيب على أُسٍّ ،فأسَّسَ لهسبحانه مُقَدِّمَاتٍ لِنُبُوَّته منها : تسميتُه بمحمد قبل أن يُولد ، ثم لم يزل يدرجهفى محامد الأخلاق

---

(١) رواية البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجة وابن خزيمة فى صحيحه هى : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والفلو — بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر الصغير ، وقيل : الفطيم من أولاد ذوات الحافر .

(٢) سبق الكلام عن هذا . وأنه كان هناك من سمى بمحمد وأحمد فى الجاهلية وانظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق لابن دريد ، وص ١٣٠ المحبر لابن حبيب فقد ذكر سبعة ممن سموا باسم محمد .

(٣) علقنا على شرحه بما قاله ابن القيم وأبدع فيه .

. . . .

وما تحبه القلوب من الشِّيم ، حتى بلغ إلى أعلى المحامد مَرْتَبَةً ، وتكاملت له المحبةُ من الخالق والخَلِيقة ، وظهر معنى اسمه فيه على الحقيقة ، فهو اللَّبِنَةُ التى استتم بها البناء ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث قال : إن الإلَهَ بنى عليك ، البيت .

الداماء والدأماء :

وقوله : فى العَيْنِيَّةِ الأُخْرَى يصف الخيل :

أو هى مُقارَعةُ الأعادى دمَّها

يريد شَحْمَها ، يقال : أَدْمِمْ قِدْرَكَ بِوَدَكٍ ، ودَمَمْتُ الشىء : طَلَيْتُه ، ومنه : الدَّامَّاء أحد جُحْرَةِ اليَرْبُوعِ ، لأنه يَدُمّ بابه بِقِشْرٍ رقيق من الأرض ، فلا يراه الصائد ، فإذ طُلِب من القاصعاء أو الراهطاء أو النَّافقاء أو العانقاء ، وهى الأبواب الأُخر نَطَحَ برأسِه بابَ الدَّامَّاء فخرقه ، وأما الدَّأْماء بالتخفيف ، فهو البحر وهو فَعْلَاء ، لأنه يُهْمَزُ فيقال : دَأْمَاء ، قاله أبو عبيد

شعر عباس القاوى :

وذكر شعر عباس القاوى ، وفيه :

بعاقبةٍ واستَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا

النية : من النوى وهو البُعْد . وخُلْفاً يجوز أن يكون مَفْعُولا من أجله أى : فعلت ذلك من أجل الخُلْفِ ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً

. . . .

للاستبدال ، لأن استبدالها به خُلْفٌ منها لما وَعَدته به ، ويقوِّى هذا البيتَ البيتُ الذى بعده :

وقد حَلَفَتْ بالله لا تقطع القُوَى

يعنى : قُوَى الحَبْلِ ، والحَبْلُ هنا : هو العَهْدُ ، ثم قال :

فما صَدَقَتْ فيه ، ولا بَرَّتِ الحَلِفَا

وهذا هو الخُلْفُ المتقدمُ ذِكْرُه .

وقوله :

وَفَيْنَا ولم يَسْتَوْفِها مَعْشَرٌ أَلْفَا

أى : وفينا ألفاً ولم يستوفها غيرُنا ، أى : لم يَسْتَوْفِ هذه المدةَ غيرُنا من القبائل .

وقوله :

إذا هى حالت فى مرَاودها عزفا

يجوز أن يكون جمع مِرْوَدٍ[1] وهو الوَتَد ، كما قال الآخرُ يصف طَعْنةً :

ومُسْتَنَّةٍ كاسْتِنَانِ الخرو فِ قد قَطَع الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهُنا فى قول بعضهم : المُهْرُ ، وقال آخرون : والفرَسُ يسمى خَروفاً ، ومعناه عندى فى هذا البيت أنها صِفة من خَرَفْتُ الثَّمرةَ إذا جَنَيْتُها

---

(١) فى الأصل : مردود .

. . . .

فالفرسُ خَرُوفٌ للشَّجَرِ والنَّبات ، لانقول: إن الفَرَسَ يُسَمَّى خَرُوفاً في عُرْف اللغة ، ولكن خَرُوف في معنى أَكُول ، لأنه يَخْرُف ، أي : يأكل ، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدَّوَابِّ ، ويجوز أن يكون في مراودها جمع مَرَاد ، وهو حيث تَرودُ الخيلُ تذهَبُ وتَجِيء فَمَراد ومَرَاوِد ، مثل مَقام ومَقَاوم ، ومَنَار ومَنَاوِر .

وقوله : لنا زَجْمَةٌ إلا التَّذامُرَ والنَّقْفَا .

يقال: ما زَجَمَ زُجْمَةً[1] ، أي ما نَبَس بكلمة ، وقَوْسٌ زَجُومٌ ، أي : ضعيفة الإرْنَانِ .

وقوله : إلا التَّذامُرَ ، أي يُذَمِّر بعضُنا بَعْضاً ، ويُحَرِّضُه على القتل والنَّقْف : كسر الرُّءوسِ ، وناقِفُ الحَنْظَلَة : كاسِرُها ومُسْتَخْرِجُ مافيها .

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها :

قال المؤلف : وإنما قلنا في هذه القصيدةِ وفي التي بعدها الفَاوِيَّة والرَّاوِيَّة ، لأن النسب إلى حروف المعجَم التي أواخرها أَلِفُ هكذا ، هو بالواو ، قاله أبو عُبَيْدٍ وغيرُه ، وفي التصغير تُقْلَبُ أَلِفُها ياءً ، تقول في تصغير باء : بُيَيَّة ، وخاء : خُيَيَّة ، وما كان آخرُه حرفاً سالماً من هذه الحروف قُلِبت ألفه واواً في التصغير ، فتقول في الذالِ : ذُوَيْلَة ، وفي الضاد : ضُوَيْدَة ، وكذلك قال صاحبُ العين ، وقياسُ الواو في النحو أن تُصَغَّر : أُوَيَّة بهمزة [في] أولها .

---

(١) في الأصل : رجمة .

. . . .

القصيدة الراوية :

وقول عباس فى القصيدة الراوية :

مِثْلُ الْخَمَاطَةِ أَغْضَى فوقها الشُّفُرُ

الْخَمَاطَةُ من ورق الشجر : مافيه خُشُونَةٌ وحُرُوشَةٌ وقال أبو حنيفة : الْخَمَاطُ : وَرَقُ التِّينِ الْجَبَلِيّ . وقال أيضاً فى باب القَطَانِى : الْخَمَاطُ : تِبنُ الذُّرَة ، إذا ذُرِّيَتَ ، وله أُكَالٌ فى الجِلْدِ . والعائر : كالشَّىْءِ يتنخَّس فى العَين كأنه يَعُورُهَا . وجعله سَهِراً ، وإنما السَّهِرُ الرجل ، لأنه لم يَفْتُرْ عنه ، فكأنه قد سَهِر ، ولم يَنَمْ ، كما قال آخر فى وصف بَرْقٍ :

حتى شئاها كليل موهناً عمل   باتت طِرَاباً وبات الليلُ لم يَنَمِ

شئاها : شاقها ، يقال : شاه وشاءه بمعنى واحد ، أى شاقه ، وأنشد :

ولقد عهدت تشاء بالأظعان

فتأمله فإنه بديع من المعانى .

وقوله : الصَّمَان والخَفَرُ : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الخَفَرِى من أهل الحديث . والعَكَر : جمع عَكَرَةٍ ، وهى القِطْعَةُ الضَّخمَةُ من المال . وعَكَرَةُ اللسانِ أيضاً : أصلُه ، وماغلظ منه ، وعَكَدَته[1] أيضاً بالدال .

---

(١) فى اللسان : العكدة — بضم العين وسكون الكاف — والعكدة بفتحهما أصل اللسان والذنب وعقدته . أما فى القاموس فقال : العكدة بضم العين وسكون الكاف ، العصعص . وبالتحريك . أصل اللسان وأصل القلب .

قصيدة عباس السينية :

وقوله في السِّينية :

وَجْناء مُجْمَرَةُ المناسم عِرْمِسُ

وَجْناء : غليظة الوَجنات بارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها ، وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طُول السفار ، ويقال : هي الوَجْنة في الآدميين ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ ، ولا يقال : وَجْناء . قاله يعقوب . ومُجْمَرَةُ المناسِم ، أي : نكبت مَنَاسِمَها الجِمارُ ، وهي الحِجارة ، والعِرْمِسُ : الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ ، وتُشَبَّه بها الناقة الجَلْدة ، وقد يريد بمُجْمَرَةٍ أيضاً أن مناسمها مجتمعةٌ مُنْضَمَّةٌ ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجمرت المرأةُ شَعْرَها إذا ظفرته وأجمر الأمير الجيش أي حبسه عن القفول قال الشاعر :

مُعَاوِيَ إمَّا أن يُجَهَّز أهلُنا إلينا ، وإما أنْ نؤوبَ معاويا
أأَجْمَرْتَنا إجمارَ كِسْرَى جُنُودَه ومَنَّيْتَنَا حتى نَسِينا الأمانيَا

وقوله :

كانوا أمامَ المؤمنين دَرِيئةً

الدريئة : الحَلْقَة التي يتعلم عليها الرمي ، أي : كانوا كالدَّريئَةِ للرِّماح .

وقوله :

والشَّمسُ يومئذ عليهم أشْمَسُ

يريد : لمعَانَ الشمسِ ، في كل بَيْضَةٍ من بَيْضَاتِ الحديد ، والسيوف ،

كأنها شمسٌ . وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .

وفيها قوله:

والخيلُ تُقْرَعُ بالـكُماة وتُضرَس

أي : تضرب أضراسُها بالُّلجُم . تقول : ضَرَسْتُهُ ، أي ضربت أضراسه ، كما تقول : رَأَسْتُهُ ، أي أصبت رأسه.

قصيدة عباس الميمية :

وقوله : فى كلمته الميميَّة :

وفيهمْ مِنهُمُ مَنْ تَسَلَّما

يريد : وفى سُلَيْم مَنْ اعتَزَى إليهم من حُلفائهم ، فَتَسَلَّم بذلك ، كما تقول : تَقَيَّس الرجلُ ، إذا اعتَزَى إلى قَيْسٍ . أنشد سيبوَيْه :

وقَيْس عَيْلَانَ ومَنْ تَقَيَّسا[1]

---

(١) يقول ابن قتيبة : تأتى تفعلت بمعنى إدخالك نفسك فى أمر حتى تضاف إليه ، أو تصير من أهله ، ثم أتى بأمثلة واستشهد بهذا الرجز المنسوب إلى رؤبة ولكن ابن برى يقول : الرجز للعجاج وليس لرؤبة . وصواب إنشاده : وقيس بالنصب ، لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أرؤساً

وجواب إن فى البيت الثالث :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

أنظر اللسان مادة قيس، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥٧ ، ص ٣٢٢ من شرح أدب الكاتب للجواليقى ، وقد سبق الحديث .

. . . .

حول قصيدة ضمضم بن الحارث :

وأنشد لضَمْضَم بن الحارثِ ، وهو ممن شهد حُنَيْناً مع المسلمين ، وكان ينبغى لأبى عُمَرَ رحمه الله أن يذكره فى الصَّحابة ، لأنه من شَرْطه ، فلم يفعل ، وقد أنشد له ابن إسحاق مايدل على أنه منهم لقوله :

يَوْماً على أثَرِ النِّهَابِ وتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مع الأنصار

يعنى: فرسه، وكذلك لم يذكر أبو عُمَرَ ضَمْضَم بن قَتَادَةَ العُجَلِيّ ، وله حديث مشهور فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يارسولَ الله، إنى قد تزوجت امرأة فولدت لى غُلاما أَسْوَد ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل لك من إبلٍ ، فقال : نعم[1] والحديثُ مشهور ، غير أنه لم يُسَمَّ باسمه فى الصحيحين ، وسمى فى بَعْضِ المُسْنَدات ، وذكره عبد الغنى فى المُبْهَمَاتِ ، وذكر عبدُ الغنى فى الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من بنى عِجْلٍ، فقدم المدينةَ عجائزُ من عِجْل ، فسُئِلْن عن المرأةِ التى ولدت الغلامَ الأسودَ ، فقلن :كان فى آبائها رَجُلٌ أسْوَدُ .

---

(١) بقية الحديث : قال : فما ألوانها ؟ قال : فيها الأحمر والأسود وغير ذلك ، قال : فأنى ذلك ؟ قال : عرق نزع ، قال : هذا عرق نزع ، قال : فقدم عجائز من بنى عجل ، فأخبرن أنه كان للمرأة جدة سوداء . قال أبو موسى فى الذيل : إسناده عجيب . قال الحافظ : أصل القصة فى الصحيحين من حديث أبى هريرة . وسيأتى .

. . . .

شعر أبي خراش :

وذكر شِعْرَ أبى خِراشٍ ، واسمه : خُوَيْلِدُ بنُ مُرَّةَ شاعر إسلامى مات في خلافةِ عمر رحمه الله : من نَهْشِ حَيَّةٍ نَهَشَتْه ، كان سببها أضيافٌ نزلوا به ، وخبره بذلك عجيب ، وله فيه شعر . والخِراشُ : وَسْمٌ لإبل يكون من الصُّدْغ إلى الذَّقْن : فقوله :

تـكاد يداه تُسْلِمان إزَارَه من الُجودِ لما أذْلَقَتْه الشمائلُ

يريد : أنه من سَخَائه ، يريد أن يتجرَّد من إزاره لسائله ، فيُسْلِمه إليه ، وألفيت بخطِّ أبى الوليد الوقشى : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه الرُّتبة : السَّخاء ، وكذلك فسره الأصمعى والطُّوسِى ، وأمَّا على ما وقع في شِعْرِ الْهُذَلِيِّ ، وفسر في الغريب المصنف ، فهو الجوعُ[1] وموضعُه في الشعر المذكور يتلو قولَه : تَرَوَّح مَقْرُوراً .

وفى الغريب رداءَه بدل إزاره .

وقوله :

ولـكن قِرْنَ الظَّهْر للمرء شاغل

قِرن بالقاف : جمعه : أقْرَان ، ويروى :

ولـكن أقْرَانَ الظهور مَقَاتِل

---

(١) عقب الخشنى على تفسيره بالجوع . ويكادأن يكون الجود هنا على أصله يعنى : كثرة العطاء

. . . .

مَقاتل: جمع مِقْتَل بكسر الميم، مثل مِحْرَبٍ من الحرب ، أى من كان قِرْن ظهر ، فإنه قاتلٌ وغالب .

وقوله يصف الريح :

لها حَدَبٌ تحتثه فَيُوائل

بالحاء المهملة وقع فى الأصل ، وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حَدَباً ، فيكون هذا منه ، وإلا فالخَدَبُ بالخاء المنقوطة أشبهُ بمعنى البيت ، لأنهم يقولون : ريح خَدْباء كان بها خدباً[1] ، وهو الهَوَجُ[2] .

من شعر مالك بن عوف :

وذكر فى آخر بيت من شعر مالك بن عوف :

مثلُ الدَّرِيئة تستحل وتشرم

الدريئة : الحلقة التى يتعلم عليها الطعن ، وهو مهموز[3] ، وتُستَحَلُ بالحاء المهملة ، وقع فى الأصل ، وفى غيره: تُسْتَخَلُ بالخاء مُعْجَمَةً ، وهو أظهر فى المعنى من الخِلَال ، وقد يكون لِتُسْتَحَلّ وَجْهٌ من الحل إذ بعده تُشْرَمُ ، وكلاهما قريب فى المعنى .

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) فى الأصل : الهودج. والتصويب من المعاجم .

(٣) جعلها القاموس فى باب درى أيضاً .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

فى سنة ثمان

ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال.

ولم يشهد حُنَيناً ولا حِصارَ الطائف عُروةُ بن مسعود، ولا غَيْلان بن سَلَمة، كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدَّبّاباب والمَجانيق والضُّبُور.

ثم سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كَعْب بن مالك، حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف:

شعر كعب

قَضَيْنا مِنْ تِهامَة كلَّ رَيْبٍ   وخَيْبَرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخَيِّرُها ولو نَطَقَتْ لقالَتْ   قواطِعُهُنّ: دَوْساً أوْ ثَقِيفا
فَلسْتُ لحاضِنٍ إنْ لم تروْها   بِساحة داركم منّا أُلوفا
ونَنْتَزِعُ العُرُوش ببطن وَجٍّ   وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلُوفا
ويأتيكُمْ لنا سَرَعانُ خَيلٍ   يُغادر خَلفه جمعاً كَثيفا
إذا نزَلُوا بساحَتكُمْ سمعتُمْ   لها ممّا أناخ بها رَجِيفا
بأيْدِيهمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفاتٌ   يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتوفا
كأمْثال العقائق أخلَصَتْها   قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضرَبْ كَتِيفا

تخال جَدِيَّة الأبطال فيها   غداةَ الزَّحْف جاديًّا مَدُوفا

أجِدَّهُمُ أليسَ لهُمْ نَصِيحٌ   مِنَ الأقْوامِ كانَ بنا عَرِيفا

يُخبِّرُهُم بأنَّا قد جَمَعْنا   عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا

وأنَّا قد أتيناهُمْ بزَحْفٍ   يُحيط بسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفا

رئيسُهم النبيُّ وكانَ صُلْباً   نقيَّ القلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفا

رشيدَ الأمْرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ   وحِلْمٍ لم يكن نَزِقًا خَفِيفا

نُطيعُ نبيَّنا ونطيعُ رَبًّا   هو الرَّحمن كانَ بنا رَءُوفا

فإن تُلْقوا إليْنا السِّلْمَ نقبل   ونجعَلْكُمْ لنا عَضُداً وَرِيفا

وإن تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ   ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تُنيبوا   إلى الإسلامِ إذْعاناً مُضِيفا

نُجاهدُ لا نُبالى مَنْ لَقِينا   أأهلَكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفا

وكم مِنْ مَعْشَرٍ ألَبُوا علَيْنا   صميمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفا

أتَوْنا لا يَرَوْنَ لهم كِفاءً   فجَدَّعْنا المَسامِعَ والأنوفا

بكُل مهنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيل   يَسوقُهُمْ بها سَوْقاً عَنِيفا

لأمرِ اللهِ والإسلامِ حتى   يقومَ الدِّين معتدلا حَنِيفا

وتُنْسى اللاتُ والعُزَّى ووَدّ   ونَسْلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا

فأمسَوْا قد أقرُّوا واطْمأنُّوا   ومَن لا يَمْتنعْ يقبل خُسُوفا

كنانة يرد على كعب

فأجابه كِنانة بن عبد ياليلَ بن عمرو بن عُمير ، فقال :

مَنْ كانَ يَبْغِينا يُرِيدُ قِتالَنا ... فإنَّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها

وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترَى ... وكانت لَنا أطْوَاؤُها وكُرُومُها

وقد جرّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخبرَها ذو رأيِها وحَلِيمُها

وقد عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحقَّ أنَّنا ... إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدود نُقيمُها

نُقوِّمُها حتى يَلِينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَفُ للحقِّ المُبين ظَلُومُها

عَلَيْنا دِلاصٌ من تُراثِ مُحرِّق ... كلَوْن السماء زَيَّنَتْها نُجومُها

نُرَفِّعُها عنّا ببيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدتْ فى غَمْرة لا نَشِيمُها

قصيدة شداد فى المسير إلى الطائف

قال ابن إسحاق : وقال شدادُ بن عارض الجُشَمىّ فى مَسِير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لا تنْصُرُوا اللاتَ إن اللهَ مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَنْ هوَ ليس بمُنْتَصِرُ

إن التى حُرِّقت بالسُّدّ فاشتعلَتْ ... ولم يُقاتَلْ لَدَى أحْجارها هَدَرُ

إنّ الرسولَ متى ينزلْ بلادَكُمُ ... يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق : فسَلَك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَة

. . . .

اليَمانيةَ ؛ ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاء مِن لِيَّة ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ بِبُحْرَة الرُّغاء، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقِيد به في الإسلام ، رَجلٌ من بني لَيْث قَتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجَّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له : الضَّيْقة ، فقال : بل هي اليُسْرَى ؛ ثم خرج منها على نَخِب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخَرِّبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناس من أصحابه بالنَّبْل ؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أُصيب أولئك النَّفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سَلَمة بنت

أبى أُميَّة ، فضرب لها قُبَّتين ، ثم صلى بين القبَّتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُميَّة بن وهب بن مُعَتِّب ابن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيض ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وتراموْا بالنَّبْل .

أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام : ورماهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجنيق . حدثنى من أثق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من رَمى فى الإسلام بالمَنْجنيق ، رَمى أهلَ الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابَةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَحْرِقوه ، فأرْسَلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتَلوا منهم رجالا ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

بين أبى سفيان وثقيف

وتقدّم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرةُ بن شُعْبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفاً:

أنْ أمِّنونا حتى نُكلِّمكم ، فأمنوها ، فدَعَوْا نساءً من نساء من قُرَيش وبنى كِنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهن السِّباءَ ، فأَبَيْنَ ، منهن : آمنةُ بنت أبى سُفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داوُد بن عُروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أمّ داود ميمونة بنت أبى سُفيان ، وكانت عند أبى مُرَّة بن عُرْوة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرَّة .

قال ابن إسحاق : والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفُقَيْمِيَّةُ أُمَيْمَةُ بنت الناسىء أُمَيَّةَ بن قَلْع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويامغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعَدُ رِشاءً ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمداً إن قطعه لم يُعْمَر أبداً ، فكَلِّماه فليأخذْ لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحم ، فإنَّ بيننا وبينه من القرابة مالا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

تفسير أبى بكر لرؤيا الرسول

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصدّيق وهو محاصر ثقيفاً : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَةٌ مملوءة زبْداً ، فنقرها ديك ، فهَراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنّ أنْ تُدْرِكَ منهم يومك هذا

ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

سبب ارتحال المسلمين

ثم إنّ خُويلة بنت حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يارسول الله ، أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائف حُلِىَّ بادية ابنة غَيْلانَ بن سَلَمة ، أو حُلِىَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يُؤذن لى فى ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماحديث حدّثتنيه خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أوما أُذِن لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذّن عُمَرُ بالرّحيل .

عيينة بن حصن

فلما استقلّ الناسُ نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إنّ الحىّ مقيم قال : يقول عُيَيْنَة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً كِراماً ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعُيَينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إنى والله ماجئت لأُقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد

الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتَّطِئُها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفاً قوم مَنا كير .

ونزل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عَبِيدٌ ، فأسلَمُوا ، فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لمَّا أسلم أهلُ الطائف تكلَّم نفر منهم فى أولئك العَبيد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عُتَقاء الله ؛ وكان ممن تكلَّم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبيد .

شعر الضحاك وموضوعه

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَوْسِيّ ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قَيس : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قَيس : خُذ يامروان بأهلك أولَ رجل من قَيْس تلقاه ، فلقى أُبىّ بن مالك القُشَيْرىّ ، فأخذه حتى يُؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحاك بن سُفيانَ الكِلابى ، فكلّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ،

وأطاق لهم أُبىّ بن مالك ، فقال الضحاك بن سُفيان فى شىء كان بينه وبين أُبىّ بن مالك :

أتنسى بلائى يا أُبَىّ بْنَ مالك ... غداة الرسول مُعرِضٌ عنك أشْوسُ
يقودك مَرْوان بن قَيْس بحبله ... ذليلا كما قِيد الذَّلول المُخَيَّسُ
فعادتْ عليكَ من ثَقيفٍ عِصابةٌ ... متى يأتهم مُسْتَقْبِسُ الشرّ يُقْبِسوا
فكانُوا هُمُ المولى فعادت حُلومُهم ... عليك وقد كادتْ بك النَّفس تيأسُ

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق

الشهداء فى يوم الطائف

قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استُشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قُرَيش ، ثم من بنى أميَّة بن عبد شمْس : سعيد بن سعيد بن العاص ابن أُميَّة ، وعُرْفُطَة بن جَنَّاب ، حليفٌ لهم ، من الأسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : عبد الله بن أبى بكر الصدّيق ، رُمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أُميَّة بن المغيرة ، من رَمْية رُمِيَها يومئذ .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

واستُشهد من الأنصار : من بنى سَلِمَة : ثابت بن الجَذَع .

ومن بنى مازن بن النَّجار : الحارث بن سَهْل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوذان بن معاوية .

فجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث.

قصيدة بجير فى حنين والطائف

فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحِصار ، قال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى يذكر حُنَيْناً والطائف :

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَـينٍ وغداةَ أوْطاسٍ ويومَ الأبْرَقِ

جَمَعَتْ بإغْوَاء هَوَازِنُ جَمْعَها فتَبَـدَّدُوا كالطَّائر المتمزّقِ

لم يَمْنَعُوا مِنَّا مَقاماً وَاحِـداً إلا جِدَارَهُمُ وبطنَ الخَنْدَقِ

ولقدْ تعرَّضْنا لـكَيما يَخْرُجُوا فتحَصَّنوا مِنَّا بباب مُغْلَقِ

ترْتد حَسْرانا إلى رَجْرَاجةٍ شَهْباءَ تلمعُ بالمنايا فَيْلَقِ

. . . .

مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لو قَذَفُوا بها حَضَنًا لظلّ كأنّه لم يُخْلَقِ

مَشْيَ الضِّرَاءِ على الهَرَاسِ كأنّنا قُدُرٌ تَفَرَّقُ في القِيادِ وتَلْتَقِي

في كلّ سابغة إذا ما استحْصَنَتْ كالنِّهْي هَبَّتْ ريحُهُ المترَقْرِقِ

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نعالَنا من نَسْجِ داودَ وآلِ مُحَرِّقِ

أمر أموال هوازن وسباياها

وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا حتى نزل الجِعْرَانة فيمَنْ معه من الناس، ومعه من هوازن سَبْيٌ كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف: يارسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفاً وأْتِ بهم.

ثم أتاه وَفْد هوازن بالجِعْرانة، وكان مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازنَ ستة آلاف من الذّراريّ والنساء، ومن الإبل والشّاءِ ما لا يُدْرَى ما عِدّتُه

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله ابن عمرو: أنّ وَفْد هوازِنَ أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا، فقالوا: يارسول، إنا أصْلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك، فامْنُن علينا، مَنَّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازنَ، ثم أحدُ بني سعد

. . . .

ابن بكر ، يُقال له زُهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يارسول الله ، إنما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كنّ يكفُلْنك ، ولو أنَّا مَلَحْنا للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذِر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويُروى : ولو أنا مالحْنا الحارث بن أبى شِمْر ، أو النُّعمان ابن المنذِر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله ابن عمرو ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله ، خَيَّرْتنا بين أموالِنا وأحسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا ، فهو أحبّ إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صلَّيت الظُّهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظُّهر ، قاموا فتكلَّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنةُ بن حِصْن : أما أنا وبنو فَزَارَةَ فلا . وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا وبنو سُلَيم فلا فقالت بنو سليم : بلى ،

ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مِرْداس لبنى سُلَيم : وَهَّنْتُمُونى

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّاً من تمسَّك منكم بحقه من هذا السَّبْى فله بكلّ إنسان ستُّ فرائض ، من أول سَبْى أصيبُه ، فرُدُّوا إلى النَّاس أبناءهم ونِساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السَّعدىّ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يُقال لها رَيْطة بنت هِلال بن حَيَّان بن عُمَيرة بن هِلال بن ناصرة بن قُصَيَّة ابن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطَى عثمان بن عفَّان جارية ، يُقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطَى عمرَ بن الخطَّاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمَر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عُمَر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَح ، ليُصْلِحُوا لى منها ، ويهيّئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجت من المسجد حين فرَغْتُ ، فإذا النَّاس يَشْتَدُّونَ ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءَنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازنَ ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيِّ نسباً ، وعسى أن يعظُم فِدَاؤها . فلما ردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بستّ فرائض ، أبى أن يَردَّها ، فقال له زُهَير أبو صُرَد : خُذها عنك ، فوالله ما فُوها ببارِدٍ ، ولا ثديُهَا بناهِدٍ ، ولا بطنها بوالِدٍ ، ولا زوجُها بواجد ، ولا درُّها بماكِدٍ . فردّها بستِّ فرائضَ حينَ قال له زُهَير ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنةَ لقِيَ الأقرَع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتَها بيضاءَ غَريرة ، ولا نَصَفا وَثيرَة .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالـكا أنه إن أتاني مُسلماً رددتُ عليه أهلَه وماله ، وأعطيته مِائةً من الإبل ، فأُتِيَ مالكٌ بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يَعلَموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له ماقال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِيَ به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مِائةً من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمِعْتُ بمِثْله ... في النّاس كُلِّهم بمثل محمّدِ

. . . .

أوْفى وأعطَى لجزيل إذا اجْتُدِى ... ومَتى تَشأْ يُخْبِركَ عما فى غد

وإذا الكَتِيبةُ عرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمْهرِىّ وضَرْب كُلّ مُهَنَّدِ

فكأنّهُ لَيْثٌ على أشْبالِهِ ... وسْط الهبَاءَةِ خادرٌ فى مَرْصَدِ

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ، وتلك القبائل : ثُمَالَةُ ، وسَلِمَةُ ، وفَهْم ، فكان يُقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضَيَّق عليهم ؛ فقال أبو مِحْجَن بن حَبيب بن عمرو بن عُمير الثَّقفى :

هابَتِ الأعْدَاءُ جانِبَنا ... ثُم تَغزُونا بنو سَلِمَهْ

وأتانا مالكٌ بِهِمِ ... ناقِضاً للعَهْدِ والحُرُمَهْ

وأتَوْنا فى مَنازِلنا ... ولقد كنا أولى نَقِمَهْ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتَّبعه الناس يقولون : يارسول الله ، أقسِم علينا فَيْئَنا من الإبل والغنم ، حتى ألْجَئُوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال: أدُّوا علىّ ردائى أيُّها النَّاس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامَةَ نَعَما لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانًا ولا كذَّابًا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه ، فجعلها بين أصْبَعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط ، فإنّ الغُلُولَ يكون على أهله عاراً وناراً وشَناراً يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خُيوط شعر ،

فقال : يارسول الله ، أخذت هذه الكُبَّة أعملُ بها بَرْذَعة بَعيرٍ لى دَبِر ؟ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أمَّا إذ بلغتْ هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرَحَها من يده

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلَم ، عن أبيه : أن عَقيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه متلطِّخ دماً ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونكِ هذه الإبرة تَخيطين بها ثيابَك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِىَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخيَط . فرجع عَقيل ، فقال : ما أرَى إبرتكِ إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُؤلَّفةَ قُلُوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألَّفهم ويتألَّف بهم قومَهم ، فأعطى أبا سفيانَ بن حرب مِائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مِائة بعير ، وأعطى حَكيم ابن حِزام مِائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن هشام : نَصير بن الحارث بن كَلَدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارثَ بن هشام مائة بعير ، وأعطى سُهَيْل

ابن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس مائة بعيرٍ ، وأعطى العَلاء بن جارية الثَّقفى ، حَليف بنى زُهْرة مائة بعير ، وأعطى عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النَّصْرىّ مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أميَّة مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالا من قُرَيش ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحِىّ ، وهشام بن عَمْرو أخو بنى عامر بن لُؤَىّ ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثَة ابن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىّ خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عبَّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فسَخِطها ، فعاتب فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مِرْداس يُعاتب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

كانَتْ نِهَـابًا تَلافَيْتُها بكَرّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ
وإيقاظِىَ القَوْمَ أنْ يَرْقُدُوا إذا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أهْجَعِ
فَأصْبَحَ نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـدِ بينَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ
وقد كنتُ فى الحرْبِ ذَا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيئًا ولم أُمْنَعِ
إلاَّ أفائِـلَ أُعْطِيتَهَا عَـديدَ قَوائِمِها الأرْبَعِ

. . . .

وما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ   يفوقانَ شَيْخِيَ فى المَجْمَعِ
وما كنتُ دون امرىء منهما   ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونُسُ النَّحْوى :

فما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ   يَفُوقان مِرْداس فى المَجْمَعِ

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانَه ، فأعطوه حتى رَضِى ، فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن عبَّاس بن مرْداس أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نَهْبِى ونهبُ العُبَيْد بين الأقرع وعُيَيْنة » ؟

فقال أبو بكر الصدّيق : بين عُيينة والأقرع ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : (وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى لَهُ) .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين .

من بنى أميَّة بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أميَّة ، وطليق ابن سفيان بن أميَّة ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أميَّة .

ومن بنى عبدالدار بن قصىّ : شَيْبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العُزّى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السَّنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عَمِيلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، وعِكْرِمة بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زُهَير بن أبى أميَّة بن المُغيرة ، والحارث ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسُفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسَّائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهم بن حُذيفة بن غانم .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خلف ، وأُحَيحة بن أميَّة بن خلَف ، وعمير بن وهب بن خَلَف .

ومن بنى سَهْم : عدىّ بن قيس بن حُذافة .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : حُوَيطِبُ بن عبد العُزىّ بن أبى قَيس بن عبد وُدّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية ابن عروة بن صَخْر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثَةَ بن عدىّ بن الدِّيل .

ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، و لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع

ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مِرْداس بن أبى عامر ، أخو بنى الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيم .

ومن بنى غطفان، ثم من بنى فزارة: عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرعُ بن حابس بن عِقال ، من بنى مُجاشِع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ : أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعطيت عُيَيْنَةَ بن حِصْن والأقرعَ بن حابس مِائَةً مِائَةً ، وتركت جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه سلم : أما والذى نفس محمد بيده لَجُعَيل بن سُراقة خيرٌ من طِلَاع الأرضِ ، كُلّهم مثل عُيَيْنة بن حِصْن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما لِيُسْلِما ، ووَكَلْتُ جُعَيل بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عُبيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسر ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتَليد بن كلاب الليثىّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلّقاً نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمىّ يومَ حُنَين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عَدَلْتَ ؛ قال : فغضِب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وَيْحَكَ ! إذا لم يكن العَدْلُ عندى ، فعند مَنْ يكون ؟ ! فقال عمر ابن الخطّاب : يارسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دَعْه فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة ، يُنظر فى النَّصْل ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوقِ ، فلا يوجد شىء ، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن علىّ بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عُبيدة ، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة .

شعر حسان فى حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى

قريش وقبائلِ العرب ، ولم يعطِ الأنصارَ شيئًا ، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

زادَتْ هُمومٌ فماء العين مُنْحَدِرٌ	سَحًا إذا حَفَلَتْهُ عَــبْرَةٌ دِرَرُ
وَجْداً بشمَّاء إذْ شمَّاء بهْــكَنَةٌ	هَيْفاء لاذَنَنٌ فيها ولا خَوَر
دَعْ عنكَ شَمَّاءَ إذ كانت مودّتُها	نَزْراً وشرُّ وِصَالِ الواصِلِ النَّزِر
وأْتِ الرَّسولَ فقُل يا خيرَ مؤتَمَنٍ	للمُؤمنين إذا ما عُدِّدَ البَشَر
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْي نازحةٌ	قُدَّامَ قوم هُمُ آوَوْا وهُمْ نصرُوا
سَمَّاهُمُ اللهُ أنصاراً بنَصْرِهِمِ	دينَ الهُدَى وعَوَانُ الحرب تسْتَعِرُ
وسارعوا في سبيلِ اللهِ واعترفُوا	للنَّائبات وما خامُوا وما ضجِرُوا
والناس ألبٌ علينا فيك ليس لنا	إلا السُّيوفَ وأطْرافَ القَنا وَزَرُ
نجالِدُ النَّاسَ لا نُبْقِي على أحَدٍ	ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِي به السُّوَرُ
ولا تَهِرّ جُناةُ الحَرْب نادِيَنا	ونحنُ حين تَلَظَّى نارُها سُعُرُ
كما ردَدْنا ببَدْرٍ دون ماطَلَبُوا	أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعْف من أُحُد	إذْ حزَّبتْ بطَراً أحزابَها مُضَر
فما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا	منَّا عِثاراً وكلّ الناس قد عثرُوا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : لما أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى من تلك العَطايا ،

فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقدْ لقى واللهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه ، فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يارسول الله ، إنّ هذا الحىّ من الأنصارِ قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ ، قَسَمْتَ فى قومك ؛ وأعطيت عطَايا عِظَاماً فى قبائل العرب ، ولم يَكُ فى هذا الحىِّ من الأنصارِ منها شىء . قال : فأين أنت مِنْ ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا من قوْمى . قال : فاجْمَعْ لى قومك فى هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصارَ فى تلك الحَظِيرَةِ قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصارِ ، فأتاهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: يامَعْشَرَ الأنصارِ : ما قالَةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَةٌ وَجَدْتُموها عَلَيَّ فى أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالَةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنُّ وأفْضَلُ ثم قال : ألا تُجيبونى يا مَعْشَرَ الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنّ والفَضْل. قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أتيتَنا مُكَذَّباً فصدّقناك ، ومَخْذُولا فنَصَرْناك ، وطريداً فآوَيْناك ، وعائلا فآسَيْناك . أوَجَدْتم يامَعْشَرَ الأنصار فى أنفسكم فى لُعاعَةٍ من الدّنيا تألَّفْتُ بها قوْماً ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامِكم ، ألا ترضوْن يامعشر الأنصار، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالِكم ؟

فوالذى نفسُ محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْباً وسَلَكت الأنصارُ شِعْباً ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار. اللهُمَّ ارْحَم الأنصارَ ، وأبناءَ الأنصارِ ، وأبناءَ أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلُوا لِحاهُم ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْما وحظّاً . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرّقوا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفىء فحُبِس بمَجَنَّة ، بناحية مَرِّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عُمْرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عَتَّاب بن أسيدٍ على مكّة ، وخلّف معه مُعاذ بن جَبَل ، يفقّه الناس فى الدين ، ويعلّمهم القرآن ، واتّبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء .

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبىُّ صلى الله عليه وسلم عَتَّابَ بن أسيد على مكّة رزقه كلَّ يوم درهما ، فقام فخطب الناسَ ، فقال : أيها الناس ، أجاعَ الله كَبِد من جاع على درهم ،

. . . .

فقد رزقنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم درهما كلّ يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

وقت العمرة

قال ابن إسحاق : وكانت عُمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القَعْدة ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقيَّة ذى القعدة أو فى ذى الحِجَّة .

قال ابن هشام : وقَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لستّ ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُجّ عليه، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عتَّابُ بن أسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شِرْكِهِمْ وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القَعدة إذ انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهَير بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهير يُخبره أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتل رِجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شُعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كلّ وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض ؛ وكان كَعب بن زُهَير قد قال :

ألا أبْلِغا عَنّى بُجَيْراً رِسالةً فهل لكَ فيما قلتُ وَيْحكَ هَلْ لَكا؟

فبَيِّن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعِلٍ عَلى أيِّ شيء غيرِ ذلك دَلَّكا

على خُلُقٍ لم ألْفِ يَوْماً أبا لَهُ عَلَيْهِ وما تُلْفِى عَلَيْهِ أباً لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ولا قائلٍ إمَّا عَثرْتَ : لَعاً لَكا

سَقاكَ بِها المَأْمونُ كأْساً رَوِيَّةً فأنْهَلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى بُجَيْراً رسالةً فهل لكَ فيما قلتُ بالخيْف هل لَكا

شَرِبتَ معَ المأمون كأساً رَوِيَّة فأنهَلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

وخالفتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَه على أىِّ شىء وَيْبَ غيرِك دَلَّكا

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أباً عليه ولم تُدْرِك عليه أخاً لَكا

فإن أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائلٍ إمَّا عَثرْتَ : لَعاً لَكا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيراً كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون : ولما سمع :

« على خُلُق لم تُلفِ أمًّا ولا أبًا عليه » قال : أجل ، لم يُلف عليه أباه ولا أمّه.

ثم قال بُجَير لكعب :

مَنْ مُبْلِغ كَعْباً فهلْ لكَ فى التى | تلوم عليها باطلا وهْىَ أحْزَمُ
إلى الله (لا العُزّى ولا اللاتِ) وحْدَه | فتنجو إذا كان النَّجاء وتَسلمُ
لَدَى يَوْمٍ لا ينجُو وليس بمُفْلِتٍ | من النَّاس إلا طاهرُ القَلْب مُسْلِم
فدينُ زُهير وهو لاشىء دينُه | ودين أبى سُلْمَى علىَّ مُحَرَّم

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كَعْباً الكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به مَنْ كان فى حاضره من عَدُوّه ، فقالوا : هو مقتول : فلما لم يجد من شىء بُدّاً ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأمِنهُ . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب بن زُهَير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائباً مُسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يارسول الله كعب بن زُهَير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دعنى وعدوَّ الله أضرِبْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً ، نازعا (عما كان عليه) قال فغضب كعبٌ على هذا الحىّ من الأنصار ، لِما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانَتْ سُعادُ فقَلْبى اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلوا ... إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحول

هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ

تَجْلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ

تَنْفِى الرِّياحُ القَذَى عنهُ وأفْرَطَهُ ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يَعالِيلُ

فَيالَها خُلَّةً لو أنها صَدَقَتْ ... بوَعْدها أوْ لَوَ انَّ النصحَ مَقْبولُ

لكنها خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ من دَمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ

فما تَدومُ على حالٍ تَكونُ بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثْوابِها الغُولُ

وما تمسّكُ بالعهد الذى زعمت　　　إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيلُ

فلا يغرّنكَ مامنّتْ وما وعدت　　　إنّ الأمانىّ والأحلامَ تضليلُ

كانتْ مواعيدُ عرقوبٍ لهاَمثلا　　　وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

أرجو وآملُ أنْ تدنو مودّتُها　　　وما إخال لدَينا منكِ تنويل

أمْستْ سُعادُ بأرضٍ لايبلّغها　　　إلا العِتاقُ النّجيبات المراسيلُ

ولن يُبلّغَها إلا عُذافِرةٌ　　　لهَا على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ

من كلّ نضّاخة الذِّفرى إذا عرقت　　　عرضَتُها طامِسُ الأعلامِ مجهولُ

ترمى الغُيوبَ بعينَىْ مُفردٍ لهَقٍ　　　إذا توقّدتِ الحِزّانُ والمِيلُ

ضخمٌ مُقلّدها فعمٌ مقيّدها　　　فى خَلقِها عن بنات الفحلِ تفضيلُ

غلباءُ وجناءُ عُلكومٌ مُذكّرة　　　فى دفّها سعةٌ قُدّامُها مِيلُ

وجِلدُها مِن أطومٍ مايؤيّسه　　　طِلح بضاحِيَة المتنَيْن مهزُولُ

حرْف، أخُوها أبوها مِنْ مُهجّنةٍ　　　وعمُّها خالُهَا قوداءُ شِمليلُ

يَمشى القُرادُ عليها ثم يزْلِقُهُ　　　مِنها لَبانٌ وأقرابٌ زَهاليلُ

عَيرانةٌ قُذِفتْ بالنّحض عن عُرُضٍ　　　مِرفقُها عنْ بَنات الزّورِ مفتولُ

كأنّما فاتَ عينَيها ومَذبحها　　　من خَطمِها ومن اللّحيَيْن بِرطيل

تمُرّ مثلَ عسيبِ النّخل ذا خُصَلٍ　　　فى غارزٍ لم تخوّنْهُ الأحاليلُ

قنواءُ فى حُرّتَيها للبَصير بها　　　عِتقٌ مُبينٌ وفى الخدّين تسهيلُ

تخْدِى على يسَراتٍ وهْىَ لاحِقةٌ　　　ذَوابلٍ مسُّهنّ الأرضَ تحليلُ

———

. . . .

ثُمر الْعُجايات يتركْن الحصى زِيَماً — لم يَقِهِنَّ رُءوسَ الأُكْمِ تنعيلُ

كأنَّ أوْبَ ذِراعَيها وقد عرِقَتْ — وقد تلفع بالقورِ العساقيلُ

يوْماً يظلّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِداً — كأنَّ ضاحِيَهُ بالشَّمْسِ مَمْلُولُ

وقال للقوْمِ حادِيهِمْ وقد جعلت — وُرْقُ الجنادِبِ يرْكُضْن الحصا قِيلوا

شَدَّ النهارِ ذراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ — قامت فجاوبها نُكْدٌ مثاكِيلُ

نوّاحة رِخْوَة الضَّبْعين ليسَ لها — لمّا نعَى بِكْرها النَّاعون معقولُ

تَفْرِي اللَّبانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعُها — مُشَقَّقٌ عن تَراقيها رَعابيلُ

تَسْعَى الغُواة جَنابَيها وقولُهم — إنَّك يابنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

وقالَ كلُّ صَدِيقٍ كُنتُ آمُلُه — لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عنكَ مَشْغُولُ

فقُلتُ خَلُّوا سَبِيلِي لا أبا لَكُمُ — فكُلُّ ما قدَّر الرَّحمنُ مَفْعُول

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالت سلامتُه — يوْماً على آلةٍ حَدْباء مَحْمولُ

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعَدَني — والعَفْو عند رسولِ اللهِ مأْمُول

مَهْلاً هَداكَ الذي أعْطاكَ نافِلَةَ الـقرآن فيها مَواعيظٌ وتَفْصِيلُ

لا تأخُذَنِّي بأقْوال الوُشاة ولَمْ — أُذْنِب ولو كَثُرَتْ فيَّ الأقاوِيلُ

لقد أقُومُ مَقاماً لو يقُومُ به — أرَى وأسمعُ مالو يَسْمعُ الفِيلُ

لظَلَّ يَرْعَدُ إلا أنْ يكون له — مِنَ الرَّسول بإذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

حتى وضعتُ يميني ما أُنازِعُه — في كفِّ ذي نَقِماتٍ قِيلُه القِيلُ

فَلَهُوَ أخوفُ عندي إذْ أُكلِّمُه — وقيلَ إنَّكَ مَنْسوبٌ ومَسْئُولُ

من ضَيْغَم بضَراء الأرض مُخْدَرُهُ — في بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيلُ

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامين عيشُهما · لَحْمٌ من النَّاسِ مَعْفُورٌ خَراديلُ
إذا يُساوِر قِرْناً لا يَحِلّ لهُ · أن يترُكَ القِرْن إلا وهو مَفْلُولُ
منه تَظَلّ سِباع الجوّ نافرةً · ولا تَمشّى بواديه الأراجيلُ
ولا يزَالُ بوَاديه أخُو ثِقَةٍ · مُضَرَّجُ البزِّ والدُّرْسانِ مأكول
إنّ الرَّسول لَنورٌ يُسْتَضاءُ به · مُهَنَّدٌ من سُيوف الله مَسلول
فى عُصْبةٍ مِن قُريشٍ قال قائلُهم · ببَطن مكَّة لمَّا أسْلَمُوا زُولُوا
زالُوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف · عند اللِّقاء ولا مِيل مَعازِيلُ
شُمُّ العرانين أبْطال لَبُوسُهُم · من نَسْج داوُد فى الهَيْجا سَرَابيلُ
بِيضٌ سَوَابغ قد شُكَّت لها حَلَق · كأنها حَلَق القَفْعاء مَجْدُولُ
ليسُوا مَفاريح إن نالت رِماحُهُم · قَوْماً وليسُوا مجازِيعاً إذا نيلوا
يَمْشون مَشْىَ الجمال الزُّهْر يَعصِمهم · ضَربٌ إذا عَرَّد السُّودُ التَّنابيلُ
لا يَقَع الطَّعْنُ إلا فى نُحورهمُ · ومالَهُم عَن حياض الموت تَهليل

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبيته: « حَرْف أخوها أبوها » وبيتُه: « يمشى القُرَاد »، وبيته: « عَيْرانةٌ قُذِفَتْ »، وبيته: « تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْل »، وبيته: « تَفْرِى اللَّبان » وبيته: « إذا يُساوِرُ قِرْناً » وبيته: « وَلا يزال بواديه »: عن غير ابن إسحاق.

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتَادَة : فلما قال كَعْبٌ : « إذا عرّد السُّودُ التّنابيل » ، وإنما يريدُنا معْشَر الأنصارِ ، لِمَا كان صاحبنا صنَعَ به ماصنع ، وخصّ المهاجِرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِدحته ، غضِبَت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهُم من اليَمَن :

مَن سَرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ ... فى مِقْنَب من صالحى الأنصارِ
ورِثُوا المَكارِمَ كابِراً عَن كابِرٍ ... إنَّ الخِيارَ هُمُ بنُو الأخْيارِ
المُكْرِهين السّمْهرىّ بأذرعٍ ... كَسَوَالِف الهندىّ غير قِصار
والنّاظِرِينَ بأعْيُنٍ مُحْمَرّةٍ ... كالجمْر غير كَليلة الأبْصارِ
والبائعِينَ نُفوسَهُم لنبيِّهم ... للمَوْتِ يومَ تعانُقٍ وكِرَارِ
والقائدِينَ النّاسَ عن أديانهمْ ... بالمَشْرَفِىّ وبالقَنا الخطّار
يتطهَّرُون يَرَوْنَهُ نُسْكا لهم ... بدِماء مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفّارِ
دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطن خَفِيَّة ... غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوارِى
وإذا حلَلْتَ لِيَمْنَعوك إليهمُ ... أصْبَحْتَ عند مَعاقل الأعفارِ
ضَرَبوا عَلِيًّا يوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً ... دانَتْ لوَقْعَتِها جميعُ نِزَارِ
لو يعلَمُ الأقوامُ عِلْمِىَ كلَّه ... فيهمْ لصَدَّقنى الذين أمارِى
قومٌ إذا خوَتِ النُّجومُ فإنهم ... للطّارِقين النّازلِينَ مَقارِى

. . . .

فى الغُرّ مِن غسّانَ من جُرثومةٍ　　أعْيَتْ مَحافِرُها على المِنْقارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بانتْ سُعادُ فقلبي اليوْم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن علىّ بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كَعْب بن زُهَير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبول »

غزوة الطائف

ذكر بعضُ أهْلِ النَّسَبِ أن الدَّمُونَ بن الصَّدِفِ ، واسم الصَّدِفِ: مَالِكُ ابن مالِكِ بن مُرَتّعِ بن كِندَةَ من حَضْرَمَوْتَ أصاب دَماً من قومه ، فلحق بثَقِيفٍ ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يُطِيفُ ببلدِكم ، فبناه ، فسُمِّى به الطائف ، ذكره البكرى هكذا[1] قال : وإنما هو الدَّمُون بن عُبَيْدِ ابن مالك بن دَهْقَلٍ ، وهو من الصَّدِفِ ، وله ابنان أدركا النبىّ - صلى الله عليه وسلم - وبايعاه ، اسم أحدهما : الهُمَيْل ، والآخر : قَبِيصَةُ ، ولم يذكرهما أبو عُمَرَ فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

---

(١) ذكر هذا فى معجم ما استعجم .

. . . .

وذكر أن أصل أعنابها أن قَيْس[1] بن مُنَبِّه ، وهو ثقيف أصاب دماً في قومه أيضاً ، وهم إيادٌ ففر إلى الحجازِ ، فمر بامرأةٍ يهودية فآوته[2] ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قُضُباً من الحُبْلَةِ وأمرته أن يغرِسَها في أرض وصفتها له ، فأتى بلاد عَدْوَانَ ، وهم سكان الطائف في ذلك الزمان ، فمر بسُخَيْلَة[3] جارية عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيّ ، وهي ترعى غنمًا ، فأراد سِبَاءها ، وأخذ الغنم ؛ فقالت له : ألا أدلك على خير مما هَمَمْتَ به ، اقْصِدْ إلى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوّجه من بِنْتِهِ زينبَ بنتِ عامر ، فلما جَلَت عَدْوَانُ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قَسِيٌّ ، وهو ثَقيفٌ ، فمنه تناسل أهلُ الطائف ، وسمى : قَسِياً بقسوة قلبه حين قَتَل أخاه أو ابن عمه[4] ، وقيل : سُمّي ثَقِيفاً لقولهم فيه : ما أثْقَفَه حين ثَقِفَ عامراً حتى أمِنَه وزَوّجه بنتَه .

وذكر بعضُ المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائفِ ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة « ن » حيث يقول : ﴿ فطاف عليها طائفٌ من رَبِّك وهم نائمون﴾ ن :١٩ . قال : كان الطائفَ جبريلُ عليه السلامُ اقتلعها من مَوْضِعِها ، فأصبحت كالصَّرِيم ، وهو الليل ، أصبح موضعُها كذلك ،

---

(١) في الأصل قيس . ولكنه قسي كما سيذكر ، وكما ورد في كتب النسب
(٢) في البكري « فاتخذها أماً ، واتخذته ابناً » .
(٣) في معجم البكري : خصيلة ، وقيل : زبينة .
(٤) في البكري : ابن عمه ، وأنه قال عقب قتله :

وحربة ناهلٍ أوجرت عمراً ... فما لي بعده أبـداً قرار

. . . .

ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حَوْل البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ، فسُمِّيَتْ باسم الطائفِ الذى طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بضَروانَ[1] على فراسِخَ من صَنْعاءَ ، ومن ثَمَّ كان الماء والشجرُ بالطائف دون ماحولها من الأرَضِين ، وكانت قصةُ أصحابِ الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيسيرٍ ، ذكرهذا الخبَر النقاشُ وغيرُه[2] .

فإن قيل: فإذا كان ثقيفٌ هو قَسِىَّ بن مُنَبِّهٍ ، كما قال ابن إسحاق وغيره ، فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قَسِىّ ، فجعله ابناً لِقَسِىّ ؟

قيل : إنما أراد سيبويه أن الحَىَّ سُمِّى ثقيفاً ، وهم بنو قَسِىٍّ ، كما قالوا باهلة ابن أعْصُرَ ، وإنما هى أمهم ، ولكن سُمِّى الحَىُّ بها ، ثم قيل فيه : ابنُ أعْصُر[3] ، كذلك قالوا : ثقيف بن قَسِىٍّ على هذا ، ويقوى هذا أن سِيبَويْه إنما قال حاكياً :هؤلاء ثقيف بن قَسِىٍّ .

---

(١) فى الأصل : ضوارن والتصويب من البكرى وتفسير ابن كثير ، وهى على بعد ستة أميال من صنعاء كما نقل ابن كثير عن سعيد بن جبير .

(٢) أقوال بلا سند . والنقاش يفترى الكثير ، وقد ورد أنهم من أهل الحبشة ، وأنهم كانوا أهل كتاب .

فى الاشتقاق : من قبائل سعد بن قيس:أعصر بن سعد ، وهو أبو غنى وباهلة والطفاوة ، ولقب أعصر لبيت قاله ، وكان من المعمرين . والبيت كما هو فى اللسان :

أبنى إن أباك غير لونه كر الليالى واختلاف الأعصر

ثم قال عن باهلة إنها امرأة من مذحج أو من همدان ، وإنها حضنت كل أولاد معن بن أعصرِ أومعن بن مالك بن أعصر .

. . . .

آلات الحرب في الطائف :

فصل: وذكر تعلُّم أهل الطائف صَنْعَةَ الدبابات والمَجانيق والضُّبُور. الدَّبَّابَةُ: آلةٌ من آلات الحرب يدخل فيها الرجالُ فيدُبُّون بها إلى الأسوار لينقُبُوها، والضُّبُور: مثلُ رءوس الأسفاط يُتَّقى بها في الحرب عند الانصراف، وفى العين: الضَّبْرُ جلود يُغَشّى بها خشبٌ يُتَّقى بها في الحرب. وفى الحديث عن الزهرى أن الله — تبارك وتعالى — حين مسخ بنى إسرائيل قِرَدَةً مسخ رُمَّانَهم الْمَظَّ، وبُرَّهم الذُّرَةَ، وعِنَبهم الأَرَاكَ، وَجَوْزَهُم الضَّبْر، وهو من شَجَر الْبَرِّيَةِ وله ثمر كالجَوْزِ لا نَفْعَ فيه، فهذا معنى آخر غير الأول. وقال أبو حنيفة في الضَّبْر: إنه كالجَوْزِ يُنَوِّر ولا يُطْعِم[1] قال: ويقال أَظَلُّ الظِّلالِ: ظِلُّ الضَّبِرَةِ وظل التَّنْعِيمَة، وظل الحجر، قال: وورقها كبار كَثيفةٌ، فكان ظلُّها لذلك أَلْمَى[2] وأما المَظُّ الذى تقدم ذكره فى الحديث فهو رُمَّانُ البرِّ يُنَوِّر، ولا يُثْمِر، وله جُلَّنَارٌ، كما للرُّمَّان[3] يُمْتَصُّ منه المَذَخُ، وهو عَسَل كثير يُشْبِع مَن امتصه حتى يملأ بطنه، ذكره أبو حنيفة فى النبات.

---

(١) فى اللسان: ولا يعقد.

(٢) ظل ألمى: كثيف.

(٣) الجلنار. زهر الرمان معرب كلنار. وفى الأصل: الزمان بدلا من الرمان.

. . . .

وأما المجانيق[1] : فمعروفة وهى أعجمية عربتها العَرَبُ . قال كُرَاعٌ : كُلُّ كلمة فيها جيم وقافٌ ، أو جيم وكاف فهى أعجمية ، وذلك كالجِواِلق والجُواق[2] وجِلَّق والكَيْلَجَةُ وهى مِكْيالٌ صغير ، والكفجلار[3] وهى المِغْرَفةُ والقَبْجُ وهو الحَجَل وما كان نحو ذلك ، والميم فى مِنْجَنِيق أصلية عند سيبويه والنون زائدة ، ولذلك سقطت فى الجمع[4] .

حول شعر كعب :

وذكر شعر كعب وفيه :

وكم من معشر ألبوا علينا

أى جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثال العقائِقِ أخلَصَتْها قُيُونُ الْهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفا

---

(١) جمع منجنيق بفتح الميم وكسرها آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة ، وقد تذكر فارسيتها من جهنيك ، أى : أنا ما أجودنى وجمعها منجنيقات ومجانق ، وقد جنقوا ، وجنقوا ، ومجنقوا .

(٢) بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وجمعه جوالق كصحائف وجواليق بفتح الجيم وجوالقات بضم الجيم ، أما الخفاجى فى شفاء الغليل فيقول : بالضم مفرد وجمعه جوالق بالفتح نادر معرب . وبعضهم ـ ومنهم سيبويه ينكر جوالقات لأنهم جمعوا جوالق جمع تكسير . وفى اللسان : الجوالق بضم الجيم وفتح اللام وكسرها مفرد . ولم أجد جواق فلعله يعنى : جوسق ، وهـــو اسم قصر صغير .

(٣) لم أهتد إلى ضبطها .

(٤) فى القاموس جمعها : منجنيقات ومجانق ومجانيق .

. . . .

العقائق : جمع عَقِيقة ، وهو البَرْقُ تنعق عنه السحابُ[1] .

وقوله : لم تُضرَبْ كَتيفاً ، جمع كَتِيفة ، وهى صحيفة من حديد صغيرة ، وأصل الكَتِيف : الضَّيِّقُ من كُلِّ شىء .

شعر كنانة :

وذكر شعر كِنانَةَ بن عَبْدِ ياليل الثَّقَفِى ، وفيه :

وكانت لنا أطواؤها وكُرومُها

الأطواءُ : جمع طَوِىٍّ ، وهى البئر ، جُمعتْ على غير قياس تَوَهَّموا سُقوطَ ياء فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة[2]

وفيها :

وقد جرَّبتْنا قبلُ عمرُو بن عامر

إنما قال هذا جواباً للأنصار ، لأنهم بنو حارثةَ بن ثَعْلَبَةَ بن عمرو بن عامر ، وعمرٌو هو مُزَيْقِياءُ ، وعامرٌ هو ماء السماء ، ولم يُرِدْ أن الأنصارَ جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خُزَاعَةُ لأنهم بنو رَبِيعة بن حارثة بن عَمْرو بن عامر فى أحد القولين ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال البَكْرِىُّ فى معنى

---

(١) عرفه القاموس : العقيقة من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه ، ولعل تنعق : تنشق .

(٢) يقول ابن الأثير : الطوى فى الأصل صفة فعيل بمعنى مفعول ، فلذلك جمعوه على الأطواء ، كشريف وأشراف ، وإن كان قد انتقل إلى باب الإسمية

. . . .

هذا البيت : إنما أرادَ بنى عَمْرو بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وكانوا مُجَاوِرين لِثَقِيفٍ وأُمُّهم عَمْرَةُ بنت عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ ، وأختها زينب كانت تحت ثقيف ، وأكثر قبائل ثقيفٍ منها ، وكانت ثقيفٌ قد أنزلت بنى عمرو ابن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النِّصْفُ فى الزَّرع والثَّمر ، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك ، وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم ، فحاربتهم بنو عَمْرو بن عامر ، فلم يَظْفرُوا منهم بشىء ، وجَلَوا عن تلك البلادِ ، ولذلك يقول كِنَانَةُ :

وقد جَرَّبْتنا قبلُ عمرُو بن عامر

البيت ذكره البكرى فى خبر طويل لخصته[1] .

أول من رمي بالمنجنيق في الجاهلية والاسلام :

فصل : وذكر حِصَار الطائف ، وأن أول من رمى بالْمَنْجَنِيقِ فى الإسلام النبىُّ صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلفُ : وأمَّا فى الجاهِلِيَّة ، فيذكر أن جَذِيمَةَ بنَ مالكِ بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس ، وهو المعروفُ بالأَبْرَشِ أولُ من رمى بالْمَنْجَنِيق ، وكانَ من ملوكِ الطَّوائف ، وكان يُعرف بالوَضَّاح ، ويقال له أيضاً مُنادِم الفرْقَدَيْنِ ، لأنه رَبأ بنفسه عن مُنَادمة الناس ، فكان إذا شرب نادم الفرْقَدَيْنِ عُجْباً

---

(١) أنظر ص٧٧، ٧٨ ج١ معجم ما استعجم للبكرى، ولكن البكرى ينسب هذه القصيدة إلى الأجش بن مرداس بن عمرو بن عامر ين سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى .

. . . .

بنفسه ، ثم نادم بعد ذلك مالـكا وعَقِيلًا اللَّذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُوَيْرَة يرثى أخاه مالـكا] :

وكُنا كَنَدْمانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً من الدَّهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعا[1]

ويُذكر أيضاً أنه أولُ من أوْقَد الشمع .

غيلان بن سلمة :

وذكر حُلِىَّ بادِيَة بنت غَيْلَان ، وهو غَيْلَانُ بن سَلَمَة الثَّقَفِىّ ، وهو الذى أسلم ، وعنده عَشْر نِسْوة ، فأمره النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن يُمْسِك أربعاً[2] ، ويفارق سائرهن ، فقال فقهاءُ الحجاز : يختار أرْبعاً ، وقال فقهاءُ

---

(١) وبعده :

وعشنا بخـــير فى الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلمـــا تفرقنا كأنى ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان ضرار بن الأزور الأسدى قد قتل مالـكا بأمر خالد بن الوليد . ومالك وعقيل ابنا فارج هما اللذان عثرا على عمرو بن عدى بن أخت جذيمة فى أودية السماوة بعد ضلاله فيها عدة سنوات ، فحملاه إلى خاله جذيمة ، ثم سألاه منادمته ، فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهم . وهما اللذان يذكرهما أبو خراش الهذلى فى شعره بقوله :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا خليـــلا صفاء مالك وعقيل

ويضرب المثل بهما للمتواخيين ، فيقال : كندمانى جذيمة وقد دامت لهما رتبة المنادمة ـ كما قيل ـ أربعين سنة .

(٢) روى حديثه هذا أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم . ولحديثه هذا عند الحافظ فى الإصابة تخريجات عديدة فراجعه فى ترجمة غيلان .

. . . .

العِراقِ : بل يُمْسِك التى تَزَوَّجَ أولا ، ثم التى تليها إلى الرابعة[١] ، واحتج فقهاءُ الحجازِ بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يَسْتَفْصِله أيتهن تَزَوَّجَ أوَّلُ ، وتركُه للاستفصال دليلٌ على أنه مُخَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلا من أصول العموم ، فقال أبو المعالى فى كتاب البُرْهان : تَرْكُ الاستفصال فى حكاياتِ الأحْوالِ مع الاحتمال يتنزل منزلةَ العموم فى المقال ، كحديث غَيْلَانَ . وغَيْلَانُ هذا هو الذى قَدِم على كسرى ، فسأله أى ولده أحب إليه؟ فقال غيلان : الغائبُ حتى يَقْدُم ، والمريضُ حتى يُفِيق ، والصغير حتى يَكْبَر ، فقال له كسرى : ما غذاؤُك فى بلدك ؟ قال : الخبز : قال : هذا عَقْلُ الخبزِ ؛ تفضيلا لعقله على عقول أهل الوَرَ ، ونسب المبرد هذه الحكايةَ مع كِسْرَى إلى هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفَرَج .

بادية بنت غيلان :

وأما بادية ابنته ، فقد قيل فيها : بادِنة بالنون ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهى التى قال فيها هيتُ المخنَّثُ لعبد الله بن أبى أُمَيَّة : إن فَتَح اللهُ عليكم الطائف ، فإنى أدلك على باديةَ بنت غَيْلان ، فإنها تُقْبِلُ بأَرْبَع وتُدْبِر بِثَمَانٍ ، فسمعه النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قاتلك

---

(١) يقول أبو حنيفه : إن تزوجهن فى عقد واحد فسد نكاح الجميع ، وإن تزوجهن مترتباتٍ ثبت نكاح الأربع ، وفسد نكاح من بعدهن ، ولا تخيير ، أما الجمهور فعلى التخيير .

. . . .

اللهُ لقد أمْعَنْتَ النَّظَرَ ، وقال : لايدخلن هؤلاء عليكن[1] ثم نفاه إلى روضة خَاخ ، فقيل : إنه يموت بها جُوعاً فأذِن له أن يدخل المدينة كل جُمُعةٍ يسأل الناس ، ويُرْوى فى الحديث زيادةٌ لم تقع فى الصحيح بعد قوله : وتُدْبِر بِثَمانٍ[2] مع ثَغْرٍ كالأُقْحُوَانِ ، إن قامت تَثَنَّتْ ، وإن قعدت تَبَنَّتَ[3] ، وإن تكلمت تَغَنَّتْ ، يعنى من الغُنَّةِ ، والأصل تَغَنَّنَتْ ، فقلبت إحدى النونين ياء ، وهى هيفاء[4] شَمُوع نجْلَاءُ كما قال قَيْسُ بن الخَطِيم :

بَيْضَاء فَرْعَاء يُسْتَضَاءُ بها ... كأنها خُوطُ بَانَةٍ قَصِفُ

---

(١) الرواية فى صحيح البخارى : لايدخل عليكم . هذا ولم تسم بادية فى صحيح البخارى . وحديث هيت عند مسلم وأبى داود والنسائى دون تسميته .

(٢) يعنى - كما قال القالى فى الأمالى - أنها تقبل بأربع عكن ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عكنة طرفين ، فصارت ثمانية ص ١٦٠ ، ج١ الأمالى . والعكنة : الطى الذى فى البطن من السمن .

(٣) أى فرجت رجليها لضخم ركبها كأنه شبهها بالقبة من الأدم وهى المبناة لسمنها وكثرة لحمها ، وقيل : شبهها بها إذا ضربت وطنبت انفرجت وكذلك هذه إذا قعدت تربعت وفرجت رجليها والنهاية لابن الأثير . وقيل من تبنت الناقة إذا باعدت ما بين فخذيها عند الحلب ص ٤٢٢ سمط اللآلى .

(٤) فى سمط البكرى : فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها فى القسامة ، وتجزأ معتدلا فى الوسامة . وقد نسب هذا الوصف لنعيان المخنث وهو يصف عائشة بنت طلحة ص ٤٢١ سمط اللآلى .

. . . .

تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ ، وهى لاهِيَةٌ كأنما شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفُ[١]
تَنَامُ عن كبر شَأْنِهَا فإذا قَا مت رُوَيْداً تـكاد تَنْغَرِفُ[٢]

وفى هذا البيت صَحَّفَ ابنُ دُرَيْدٍ أعنى قولَه : تَغْتَرِقُ ، فقال هو بالعين المهملة ، حتى هُجِىَ بذلك[٣] ، فقيل :

أَلَسْتَ قِدْماً جعلت تَعْتَرِقُ الـ ـطَّرْفَ بجهْـلٍ مكان تَغْتَرِقُ
وقُلت : كان الخِبَاءُ من أَدَمٍ وهو حِبَاءٌ يُهْـدَى ويُصْطَدَقُ[٤]

(١) بعده :

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف

وقد ضبطت نزف فى اللسان كما ذكرت . والنزف الاسم من نزف فلان دمه ومن نزفه الدم ينزفه إذا خرج منه كثيراً . والنزف : الضعف الحادث عن ذلك. أما فى البيت ، فقد قال ابن الأعرابى: من الضعف والانبهار — ولم يزد على ذلك قال غيره : النزف هنا الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان ، وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف . ومعنى تغترق : تستغرق عيون الناس بالنظر إليها ، وهى غافلة ثم هى رقيقة المحاسن كأن دمها ودم وجهها نزف والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه ذهب تهيج الدم ، فصارت رقيقة المحاسن « اللسان مادة غرق ومادة نزف » .

(٢) تنثنى أو تنقصف من دقة خصرها .

(٣) هجاه المفجع البصرى ، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن جنب .

(٤) ذكره الشيخ بدر الدين الزركشى فى كراسة له سماها : عمل من طب لمن حب، وروى البيت الاول هكذا :

ألست مما صحفت تغترق الط رف بجهـل فقلت تعترق

ورواه التيجانى فى تحفة العروس :

ألم تصحف ، فقلت تعترق الط رف بجهل مكان تغترق

ص ٣٦٦ ج٢ المزهر للسيوطى .

وكان صَحَّفَ أيضاً قول مُهَلْهِل ، فقال فيه : الخباء[1] ، وبادية هذه كانت تحت عبدِ الرحمن بن عوفٍ ، فولدت له جُوَيْرِية وهى امرأة الْمِسْوَر ابن مَخْرَمَةَ .

المخنثون الذين كانوا بالمدينة :

وكان الْمُخَنَّثُون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هِيتٌ هذا ، وهَرِمٌ وماتِع[2] ، وإنه ، ولم يكونوا يُزَنُّونَ بالفَاحِشَة الكُبرى ، وإنما كان تَأْنِيثُهم لِيناً فى القول وخِضَاباً فى الأيدى والأرْجُلِ كَخِضَابِ النِّساء ، ولعباً كَلَعِبِهِنَّ ، وربما لَعِبَ بعضُهم بالكُرَّج[3] ، وفى مراسيل أبى داود أن عُمَرَ بن الخطاب رَضِى الله عنه ، رأى لاعباً يلعب بالكُرَّج ، فقال : لولا أنى رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَنفَيْتُهُ من المدينة .

عيينة

وذكر عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، واسمه : حُذَيْفَةَ ، وإنما قيل له : عُيَيْنَةُ لشَتَرٍ كان بعينه .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

وذكر العبيد الذين نَزَلُوا من الطائف ، ولم يُسَمِّهم ، ومنهم أبو بَكَرَة

(١) سبق قول مهلهل عند الحديث عن جنب .

(٢) ذكرهم البكرى فى السمط ص ٤٢١ وقد نقله الحافظ فى الإصابة عن البكرى وقال : هدم بالدال .

(٣) دخيل معرب كره لا أصل له فى العربية وهو مثل المهر يتخذ ليلعب عليه ، ولهذا نسب إليه المخنث فقيل عنه : الكرجى .

. . . .

نُفيع بن مَسْرُوحٍ تَدَلّى من سُور الطائف على بَكْرةٍ ، فكنى أبا بَكْرةٍ ، وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عَبْداً للحارثِ بن كَلَدَة المُتَطبِّب ، وهو زوج سُمَيَّةَ مَوْلاةِ الحارث أمِّ زياد ابن أبي سُفْيانَ ، وأم سَلَمَةَ بن الأزرق ، وبنو سَلَمَة بن الأزرقِ ، ولهم صِيتٌ وذِكْرٌ بالمدينة ، وقد انتسبوا إلى غسّان ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ فى المعارف، فجعل سُمَيَّةَ هذه المذكورةَ أمَّ عمّارِ بن ياسرٍ ، وجعل سَلَمَةَ بن الأزرقِ أخا عمّارِ بن ياسر لأُمِّه ، وقد ذكر أن الأزرق خرج من الطائف ، فأسلم وسُمَيَّةُ قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جَهْل ، وهى إذ ذاك تحت ياسرٍ أبى عمار ، كما تقدم فى باب المَبْعَثِ. فتبيَّن غلطُ ابن قُتَيْبَةَ ووهمُه ، وكذلك قال أبو عُمَر النَّمَرِيّ كما قلت . ومن أولئك العبيد : المُنْبَعِثُ ، وكان اسمه المُضْطَجِعَ ، فبدّل النبيُّ صلى الله عليه وسلم اسمَه ، وكان عبْداً لعثمانَ بن عامر ابن مُعَتِّبٍ .

ومنهم يُحَنَّسُ النَّبّال ، وكان عَبْداً لبعضِ آل يَسارٍ .

ومنهم : وَرْدَانُ جَدُّ الفُرَاتِ بن زَيْد بن وَرْدَانَ ، وكان لعبد الله بن رَبِيعَةَ بن خَرَشَةَ ، وإبراهيمُ بن جابر ، وكان أيضاً لخَرَشَةَ ، وجعل النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — وَلاءَ هؤلاءِ العبيدِ اسادَتِهم ، حين أسلموا . كل هذا ذكره ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام(١) .

---

(١) ومنهم : يسار ، وأبو السائب ومرزوق . ص ٤١٨ إمتاع الأسماع للمقريزى.

. . . .

وذكر أبو عمر فيهم نَافِع بن مَسْرُوح، وهو أخو نُفَيْع أبى بَكْرَة، ويقال فيه وفى أخيه ابن الحارث بن كَلَدَة .

وذكر ابنُ سلاَّم فيهم نافعاً مَوْلى غَيْلان بن سلمة الثقفى، وذكر أن وَلاءَه رجع إلى غَيْلاَن حين أسلم وأحسبه وَهماً من ابن سَلاَّم ، أو مِمَّن رواه عنه ، وإنما المعروفُ نافع بن غَيْلاَن، والله أعلم .

من نسب بجير بن زهير :

وذكر شعر بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى ، واسم أبى سُلْمَى : رَبيعةُ ، وهو من بنى لاطِم بن عُثْمانَ ، وهم مُزَيْنَةُ ، عرفوا بأمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وَبْرَةَ ، وأن أختها الحوأبُ ، وبها سُمِّى ماء الحَوْأب ، وعُثمان هو ابن أدٍّ بن طابِخة .

حول شعر بجير :

وقوله :

كانت عُلاَلَةَ يومَ بَطْنِ حُنَيْنِ

هذا من الإقواء الذى تقدم ذكرهُ ، وهو أن ينقُص حَرْفاً من آخر القَسِيم الأول من الكامل ، وهو الذى كان الأصْمَعِىُّ يسميه المُقْعَد[1] .

---

(١) وكذلك كان يسميه الخليل لنقصانه من عروض البيت قوة . وأبو ذر الخشنى يقرأ حنيناً مصغرة أى بتضعيف الياء مع كسرها مصغرة ، وبهذا لا يكون فى البيت إقواء .

. . . .

وقوله: كانت عُلالَة. العُلالَة : جَرْىٌ بعد جَرْى ، أو قِتَالٌ بعد قِتَالٍ[1] ،
يريد : أن هَوَازِنَ جمعت جَمْعَها عُلالَةً فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من
عُلالَة ضرورةً ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة ، وإن كانت الرِّواية
بخفض يومٍ ، فهو أولى من التزام الضَّرُورة القبيحة بالنَّصْب ، ولكن
ألفَيْتُه فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليومُ مخفوضاً بالإضافة جاز فى عُلالَة أنْ
يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمُها عائداً على شىء تقدم ذكره ،
ويجوز الرفع فى عُلالَة مع إضافتها إلى يوم على أنْ تكون كان تامةً مكتفية
باسم واحدٍ ، ويجوز أن تجعَلها اسماً عَلَماً للمصدر مثل بَرَّة وفَجارِ[2]، وينصب
يومُ على الظرف كما تقيد فى النُّسخة .

وقوله : ترتد حَسْرَاناً، جمع : حَسِير وهو الكَالِيلُ. والرَّجْرَاجة : الكَتِيبةُ
الضَّخْمَةُ من الرَّجْرَجَةِ ، وهى شِدَّةُ الحركة والاضطراب . وفَيْلَقٌ : من
الفِلْقِ ، وهى الداهية. والهَرَاسُ: شَوْكٌ معروف والضِّراء :الكلاب ، وهى
إذا مَشَت فى الهَرَاسِ ابتغت لأيديها موضعاً ، ثم تضع أرجلَها فى موضع
أيديها ، شَبَّه الخيل بها . والغُدُرُ : الوُعول المُسِنَّةُ . والنِّهْىء : الغَدِيرُ، سمى
بذلك ، لأنه ماء نَهَاهُ ما ارتفع من الأرض عن السَّيَلان فوقف .

---

(١) وهى من العلل : الشرب بعد الشرب ، وأراد به هاهنا معنى التكرار
كما قال أبو ذر ص ٤١٠ .

(٢) فجار اسم للفجرة والفجور مثل قطام ، وهو معرفة علم غير مصروف
وبرة كذلك اسم علم غير مصروف بمعنى البر. قال النابغة:

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار

. . . .

وقوله : جُدُلٌ : جمع جَدْلاء ، وهى الشديدة الفَتْلِ ، ومن رَوَاه : جَدْلٍ، فمعناه : ذات جَدْلٍ .

وقوله : وآل مُحَرِّقٍ يعنى عَمْرَ بن هِنْدٍ ملكَ الحِيرَةِ ، وقد تقدم فى أول الكتاب سَبَبُ تَسْمِيته بمُحَرِّقٍ ، وفى زمانه وُلِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا — والله أعلم .

ومنها ومسح ظهر آدم:

فصل : وذكر انصراف النبى صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دَحْنَا . ودَحْنَا هذه هى التى خُلِق من تُرْبها آدمُ صلى الله على نبينا وعليه ، وفى الحديث : إن الله خلق آدم من دَحْنَا ، ومسح ظَهْرَه بِنَعْمَان الأرَاكِ[1] رواه ابنُ عبّاس ، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعدخروجه من الجنة باتفاقٍ من الروايات ، واختلفت الروايةُ فى مسح ظهره، فروى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن

---

(١) قال البكرى : موضع بسيف البحر ، وفى اللسان : بين الطائف ومكة ، وعند ياقوت أنها من مخاليف الطائف : ويرى البكرى أن ابن إسحاق أراد أنه سلك على وحى ، إذ ليس فى الطائف سيف بحر . ونعمان : وادى عرفة دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . وفى ياقوت : واد ينبته — أى ينبت الأراك — ويصب إلى ودان بلد غزاه النبى وهو بين مكة والطائف ، يسكنه هذيل ، ومعجم ياقوت وكتابه المشترك وضعاً ، وزعمه أن الله خلق آدم من دحنا قول لا يثبته سند صحيح . ويخالف ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض . ثم : ألا يكفينا ماورد فى القرآن .

ذلك كان فى سماء الدنيا قبل هُبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدى ، وكلتا الروايتين ذكرهما الطبرى .

وقوله : حتى نزل الجِعْرَانَةَ ، بسكون العين فيها هو أصح الروايتين ، وقد ذكر الخطابى أن كثيراً من أهل الحديث يشددون الراء[1] ، وقد ذُكر أن المرأة التى نَقَضت غزلها من بعد قُوَّةٍ كانت تُلقَّب بالجِعْرَانة ، واسمها : رَيْطَةُ بنت سَعْد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

حول قول زهير أبي صرد :

فصل : وذكر زُهَيراً أبا صُرَدٍ ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : ولو أنَّا مَلَحْنا للحارث بن أبى شَمِرٍ ، أو للنعمان بن المُنْذِرِ ، وقد تقدم فى أول الكتاب التعريفُ بالحارثِ وبالنعمان ، ومَلَحْنا : أرضعنا ، والمِلْحُ : الرضاع قال الشاعر :

فلا يُبْعِدُ اللهُ رَبُّ العبا … دِ والمِلْحِ ما ولَدَتْ خالِدَهْ

هُمُ المُطْعِمُو الضَّيفِ شَحْمَ السَّنَا … مِ والكاسِرُو والليلةِ البارِدَهْ

وهُمْ يَكْسِرون صُدُورَ القَنا … بالخَيْلِ تُطْرَد أو طارِدَهْ

فإن يكن الموتُ أفناهم … فلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوَالِدَهْ

وأما زُهَيْرٌ الذى ذكره فهو ابن صُرَدٍ يُكْنَى أبا صُرَدٍ ، وقيل أبا جَرْوَلٍ ،

---

(١) بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هكذا يقوله العراقيون ، أما الحجازيون فيخففون ، فيقولونها بالضبط الأول . وكذلك الحديبية ، العراقيون يشددون ، والحجازيون يخففون .

. . . .

وكان من رؤساء بنى جُشَمٍ ، ولم يذكر ابن إسحاق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو :

أُمْنُنْ علينا رَسُولَ اللهِ فى كَرَمٍ فإنك المرءُ نرجوه وننتظر

أمْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَمْلها فى دَهْرِها غِيَرُ

يا خَيْرَ طِفْلٍ ومَوْلودٍ ومُنْتَخَبٍ فى العالمين إذا ما حُصِّل البشرُ

إن لم تَدَارَكْهُم نَعْماءُ تَنْشُرها يا أرجحَ الناس حِلْماً حين يُخْتَبر

امنُن على نِسْوَةٍ قد كنت تَرْضَعُها

إذْ فوك تملأه من مَحْضِها الدِّرَرُ

إذ كنتَ طفلا صغيراً كنتَ تَرْضَعُها[1]

وإذ يزينُك ما تأتى وما تَذَرُ

لا تجعلنا كمن شالَت نعامَتُه واسْتَبْقِ منا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ

يا خَيْرَ من مرحت كُمْتُ الجياد به

عند الهِيَاجِ إذا ما اسْتُوقِدَ الشَّرَرُ

إنا لنشكر آلاءً وإن كُفِرَتْ وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَر

---

(١) فى البداية : امنن على نسوة قد كنت ترضعها .

. . . .

إنا نؤمّل عفواً منك تُلْبِسُه[1] هذى البرِيَّةَ إذ تَعفو وتَنْتَصِر
فاغفِر عفا الله عما أنت راهِبُه يومَ القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفَرُ

من أحكام السبايا :

فصل : وذكر ردَّ السَّبَايَا إلى هَوَازِن ، وأنه مَنْ لم تَطِبْ نفسه بالرد عَوَّضه مما كان بيده ، واستطاب نفوس الباقين ، وذلك أن المَقاسِمَ كانت قد وقعت فيهم ، ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ على الأسرى بعد القَسْمِ ، ويجوز له ذلك قبل المَقَاسِم ، كما فعل النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل خَيْبَرَ حين مَنَّ عليهم ، وتركهم عُمّالاً للمسلمين فى أرضهم التى افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً ، كذلك قال أبو عُبَيْدٍ ، قال : ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ عليهم ، فيردَّهم إلى دارِ الحرب ، ولكن على أن يؤدوا الجِزْيَةَ ، ويكونوا تحت حُكْمِ المسلمين ، قال : والإمام مُخَيَّر فى الأسرى بين القتل والفِداء والمَنِّ والاسْتِرْقَاق والفِداء بالنفوس لا بالمال كذلك ، قال أكثرُ الفقهاء هذا فى الرجال ، وأما الذَّرَارِى والنِّساء ، فليس إلا الاسْتِرْقَاق ، أو المُفَادَاة بالنفوس دون المال كما تقدم .

وذكر الجارية التى أُعْطِيهَا عبد الله بن عمر ، وأنه بعث بها إلى أخواله من بنى جُمَح ليصْلِحُوا له منها كى يصيبها ، وهذا لأنها كانت قد أسلمت ، لأنه لا يجوز وَطْء وَثَنِيَّةٍ ولا مَجُوسِيَّةٍ بِمِلْكِ يَمِينٍ ، ولا بنكاح حتى تُسْلِم ، وإن

---

(١) فى الأصل : منك عفواً .

. . . .

كانت ذاتَ زَوْج ، فلا بـد أيضاً من استبرائها ، وأما الكتابيات ، فلا خلافَ فى جوازِ وَطْئهنَّ بملكِ اليمينِ ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عَمْرو بن دينار إباحةُ وَطْء المجوسية والوثنية بملك اليمين ، وقول الله تعالى : ﴿ ولا تَنْكِحوا الْمُشْرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ ﴾ تحريم عام إلا ما خَصَّصَتْه آيةُ المائدة من الكتابيَّاتِ ، والنكاحُ يقع على الوطء بالعَقْدِ والمِلْكِ .

حول سبي حنين :

وكان سبْيُ حُنَيْنٍ ستةَ آلاف رأسٍ(١) ، وكان النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وَلّى أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفى حديثٍ آخر ذكره الزبير بإسناد حَسَنٍ أن أبا جَهْم بن حُذَيْفَةَ العَدَوىّ كان على الأنفال يوم حُنَيْن ، فجاءه خالدُ بن البَرْصاء ، فأخذ من الأنفال زمامَ شَعْرٍ فمانعه أبو جَهْم ، فلما تمانعا ضربه أبو جَهْمٍ بالقَوْس فشَجَّهُ مُنَقِّلَةً(٢) ، فاستعدى عليه خالدٌ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : خذ خمسين شاةً ودَعْه ، فقال أَقِدْنِى منه ، فقال خذ مائة ، ودَعْه ، فقال : أَقِدْنِى منه ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أُقِصُّك مِنْ وَالٍ عليك ، فقُوِّمت الخمْسُون والمائة بخمسَ عشْرَةَ فَرِيضَةً من الإبل ، فمن هنالك جعلت دِيَةُ الْمُنَقِّلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً(٣) .

---

(١) وقيل كان مع هذا من الإبل أربعة وعشرون ألف ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية .

(٢) منقلة كمحدثة : الشجة التى تنقل منها فراش العظام .

(٣) وردت ديتها فى حديث صحيفة عمرو بن حزم . الذى قال عنه أبو داود =

. . . .

إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم :

فصل : وأما إعطاء رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم المؤلَّفةِ قلوبُهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تكلمت الأنصارُ فى ذلك ، وكثرت منهم القالَة ، وقالت : يُعْطِى صَنَادِيدَ العَرَبِ ولا يُعْطِينا ، وأسيافُنا تَقْطُر من دمائِهم ، فالعلماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خُمسِ الخُمْسِ ، وهذا القول مَرْدُودٌ لأن خُمسَ الخُمْس مِلْكٌ له ولا كلامَ لأحدٍ فيه .

القول الثانى : أنه أعطاهم من رأس الغَنيمة ، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبى صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى (قُل الأنفالُ لله والرسول) وهذا القولُ أيضاً يرده ما تقدم من نَسْخِ هذه الآية ، وقد تقدم الكلامُ عليها فى غزوة بدر ، غير أن بعضَ العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُنَيْنٍ فأيَّد اللهُ رسولَه وأمدَّه بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتحُ ، رد الله تعالى أمرَ المغانم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئاً وقال لهم : ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَر الأنصار أن يذهبَ الناسُ بالشّاةِ والبَعِير ، وتَرْجِعُوا برسول الله إلى رحالِكم ، فطيَّب نفوسَهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به .

والقول الثالث : وهو الذى اختاره أبو عُبَيْدٍ أن إعطاءهم كان من الخُمْس حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين .

= لا يصح .. ولا أحدث به : وقال ابن حزم فى المحلى : صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لا تقوم بها حجة . والفريضة : أصلها البعير المأخوذ فى الزكاة ، ثم اتسع فيه .

. . . .

فصل : ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم حُنَيْن أن خالدَ بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ ، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ يَدلُّني على رَحْلِ خالدٍ حتى دُلَّ عليه ، فوجده قد أُسْنِد إلى مُؤَخِّرة رحله ، فنفث على جُرْحِهِ فَبَرِىءَ ، ذكره الكَشِّي .

وصف عجوز ابن حصن :

فصل : وذكر عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وقولَ زُهَيْر بنِ صُرَدٍ له في العَجُوز التي أخذها : ما فُوها ببَارِدٍ ، ولا ثَدْيُها بناهِدٍ ، ولا دَرُّها بما كِدٍ ، ويقال أيضاً بناكِدٍ ، يريد: ليست بغَزِيرَةِ الدَّرِّ ، والنُّوقُ النُّكْدُ :الغزيراتُ اللَّبَنِ ، وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أيضاً نَكِدَ لبنُها إذا نقص ، قاله صاحب العين ، والصحيح عند أكثرهم أن النُّكْد هي القليلات اللبن من قوله عز وجل : (لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِدًا) وأن المُكْدَ بالميم هي الغزيراتُ اللبن ، قال ابن سراج ، لأنه من مَكَدَ في المكان إذا أقام فيه ، وقد يقال أيضاً : نَكِدَ في معنى مَكدَ ، أي ثبت .

الأقرع بن حابس :

وذكر الأقرعَ بن حابس ، وكان من المؤلَّفة قلوبُهم ، ثم حَسُن إسلامُه بعد ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : (ولِلّهِ على النّاسِ حِجُّ البيت) أفي كلِّ عام يارسول الله ؟ قال : لو قُلْتُها لَوَجَبَتْ ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أَقْطَعَ أبيَضَ بن حَمَّالٍ الماء الذي

. . . .

بمأرب : أتدرى ما أقطعته يا رسولَ الله ؟ إنما أقطعته الماء العِدّ(١) ، فاسترجعه النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - وهو حديث مشهورٌ ، غير أنه لم يُسَمِّ قائل هذا الكلام فيه إلا الدَّارَقُطنى فى روايته ، وزاد فيه أيضاً : قال أبيض : على أن يكون صَدَقةً منى يارسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نَسَبُ الأقرع بن حابسٍ ، فهو ابن حابس بن عِقَالِ بن محمد بن سُفْيَان بن مُجَاشعٍ [بن دارمٍ] التَّميمىّ الْمُجَاشِعىّ الدَّارِمىّ ، وأما عُيَيْنَةُ ، فاسمه : حُذَيفَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ الفَزَارِىّ ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف :

فصل : وذكر تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالكَ بن عَوْفٍ على ثُمَالَةَ وبنى سَلِمَةَ وفَهْم. وثمالة هم بنو أسلم بن أحجن أُمُّهم : ثُمَالَةُ . وقول أبى مِحْجَنٍ فيه :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزُونا بنو سَلِمَهْ

هكذا تقيد فى النسخة بكسر اللام ، والمعروف فى قبائل قَيْسٍ : سَلَمَةُ بالفتح إلا أن يكونوا من الأَزْدِ ، فإن ثُمَالَةَ المذكورين معهم حَىٌّ من الأَزْدِ وفَهْم من دَوْس ، وهم من الأزد أيضاً ، وأمهم : جَدِيلَةُ وهى من غَطَفَان بن قَيْس بن عَيْلان ، على أنه لا يُعْرف فى الأزد سَلِمَة إلا فى الأنصار ، وهم من

---

(١) أى الدائم الذى لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد . وقد روى حديثه هذا أبو داود والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه

. . . .

الأَزْد وسَلِمَةُ أيضاً في جُعْفِي هم ، وسَلِمَةُ بن عَمْرِو بن ذُهْلِ بن مُرّانِ بن جُعْفِيّ، وسَلِمَةُ في جُهَيْنَةَ أيضاً سَلِمَةُ بن نَصْر بن غَطَفَان بن قَيْس بن جُهَيْنَةَ وجُعْفِيٌّ من مَذْحِج ، وجُهَيْنَةُ من قُضَاعَةَ(١) .

وأما مِحْجَنٌ ، فاسمُه : مالك بن حَبِيب ، وقيل : عبد الله بن حَبِيب بن عَمْرِو بن عُمَيْر بن عَوْف بن عُقْدَةَ بن غِيَرَةَ بن عَوْف بن قَيْسٍ الثَّقَفِي ، وقد تقدم نَسَبُ أَحْجَن عند ذكرنا لَهَب بن أحْجَن قبل باب المبعث .

وذكر أبا السَّنَابِل بن بَعْكَك ، واسمه : حَبَّةُ أحد بني عَبْدِ الدار ، وكان شاعراً وحديثُه مع سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّة حين آمَتْ من زَوْجِها مَذْكُورٌ في الصِّحَاح(٢) .

قول النبي صلى الله عليه وسلم لمرداس :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لعباس بن مِرْدَاسٍ أنت القائل : فأصبح نَهْبِي ونَهْبُ العُبَيْدِ بَيْنَ الأَقْرَع وعُيَيْنَة ؟

---

(١) في القاموس « وبنو سلمة بطن من الأنصار ، وابن كهلاء في بجيلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل ، وابن غطفان بن قيس وعميرة ابن خفاف بن سلمة ، وعبد الله بن سلمة البدري الأحدي ، وعمرو بن سلمة الهمداني وعبد الله بن سلمة المرادي ، وأخطأ الجوهري في قوله : وليس سلمة في العرب غير بطن الأنصار » وقد نقل اللسان قول الجوهري ولم يعقب عليه .

(٢) لما مات زوج سبيعة وضعت حملها وتهيأت للخطاب ، فأنكر عليها أبو السنابل ، وقال : حتى تعتدي أربعة أشهر وعشرا ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعلمها أن قد حلت . هذا ما ورد في الصحيحين . أقول : وفي القرآن عن عدة ذات الحمل : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) . وقد روى أنها ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر . وقد أخرج قصة سبيعة البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي . وفي الأصل عن نسبتها الإسلامية .

. . . .

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَة والأقْرَع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ، يعنى فى المعنى ، وأما فى الفصاحة ، فالذى أجْرِى على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأفصح فى تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القَبْلِيَّة تكون بالفَضْل نحو قوله تعالى : ﴿من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين﴾ وتكون بالرُّتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى ، فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة ، فهم فى الرتبة قبل النصارى ، وقَبْلِيَّة بالزمان نحو ذكر التَّوْرَاة والإنجيلِ بعدَه ونوحاً وإبراهيم ، وقَبْلِيَّة بالسَّبَب ، وهو أن يَذْكُرَ ماهو عِلَّةُ الشىء وسَبَبُ وجوده ، ثم يُذكَر المُسَبَّب بعده ، وهو كثير فى الكلام مثل أن يَذكر معصيةً وعقاباً أو طاعةً وثواباً فالأجود فى حكم الفَصَاحَةِ تقديمُ السبب.

القبلية بين الأقرع وعيينة :

والأقرع وعُيَيْنَةُ من باب قَبْلِيَّة المَرْتَبَةِ ، وقَبْلِيَّة الفَضْل ، أما قَبْلِيَّة الرُّتبة فإنه من خِنْدِفَ ، ثم من بنى تميم ، فهو أقرب إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم من عُيَيْنَةَ ، فترتب فى الذكر قَبْلَه ، وأما قَبْلِيَّةُ الفَضْل ، فإن الأقْرَعَ حَسُن إسلامُه وعُيَيْنَةُ لم يزل مَعْدُوداً فى أهل الجفاء حتى ارتدَّ وآمن بِطُلَيْحَةَ ، وأُخِذ ، أسيراً فجعل الصِّبْيانُ يقولون له ـ وهو يساق إلى أبى بكر ـ وَيْحَك ياعَدُوَّ الله ارتَدَدْتَ بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنت ، ثم أسلم فى الظاهر ، ولم يزل جافياً أحْمَقَ حتى مات ،

. . . .

وبِحَسْبِكَ تَسْمِيةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له : الأَحْمَق الْمُطاع[1] ومما يذكر من جَفَائِه أن عَمْرو بن مَعْدِى كَرِب نزلَ به ضيفاً ، فقال له عُيَيْنَةُ : هل لك فى الخمر نَتَنَادَمُ عليها ؟ فقال عمرو : أَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً فى القرآن ؟ فقال عُيَيْنَةُ إنما قال : فهل أنتم مُنْتَهُون ، فقلنا نحن : لا ، فَشَرِبَا .

حديث ذى الخويصرة

وذكر حديثَ ذِى الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِى ، وما قال فيه النبيُّ عليه السلام وفى شيعته ، وقال فى حديث آخر : يَخْرُجُ من ضِئْضِئِه قومٌ تحقرون صلاتَكم إلى صَلاتِهِم ، وصيامكم إلى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُون من الدين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة الحديث[2] ، فكان كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظهر صِدْقُ الحديث فى الخوارج ، وكان أولُهم من ضِئْضِئِى ذلك الرجلِ ، أى : من أَصْلِه ، وكانوا من أهل نَجْدٍ التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم : منها يَطْلع قَرْنُ

---

(١) رواه سعيد بن منصور والطبرانى . لأنه كان قد دخل على النبى «ص» بدون استئذان ، وعنده عائشة فقال : من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال: عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها يعنى امرأته ؟ فقال له النبى : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا أستأذن على مضرى . فقالت عائشة من هذا؟ فقال الأحمق المطاع . وقد ذكر الشافعى فى كتاب الأم فى باب من كتاب الركاز أن عمر قتل عيينة على الردة .

(٢) أصل الحديث فى الصحيحين .

. . . .

الشَّيْطَانِ ، فكان بدؤُهم من ذى الْخُوَيْصِرَةِ ، وكان آيتهم ذو الثُّدَيَّة الذى قَتَله علىٌّ رضى الله عنه ، وكانت إحدى يديه كَثَدْيِ المرأة ، واسم ذى الثُّدَيَّة نافع ، ذكره أبو داود ، وغيره يقول اسمه : حُرْقُوص [بن زهير][1] وقول أبى داود أصحُّ ، والله أعلم .

شعر حسان في عتابه صلى الله عليه وسلم :

وذكر شعر حسان وفيه :

هَيْفَاء لاذَنَنٌ فيها ولاخَوَرُ

الذَّنَنُ : الْقَذَرُ والتَّفْلُ ، والذَّنِينُ المخاط ، والذَّنَنُ أيضاً ألاَّ ينقطع حيضُ المرأة ، يقال : امرأة ذَنَّاء ، ولو روى بالدال المهملة لكان جيِّداً أيضاً ، فإن الدَّنَنَ بالدال هو قِصَرُ العُنُقِ وتطامُنِها ، وهو عَيْبٌ . والْبَهْكَنَةُ : الضَّخْمَةُ .

حول عتاب النبى للأنصار :

فصل : وذكر قول النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأنصار : مَاقَالَةٌ بلغتنى

---

(١) كذا فى القاموس ، وفى الملل والنحل ، الشهرستانى ، وهو من المحكمة الأولى الذين خرجوا على على بن أبى طالب ، واجتمعوا بحروراء قرية بظاهر الكوفة . ويقول أبو سعيد الخدرى فيما رواه الصحيحان عن الخوارج « آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر » ثم يقول : « وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم . وأنا معه . وأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعت » .

. . . .

عنكمُ وجِدَةٌ وجدتموها فى أنفسكم ، هكذا الرواية : جِدَةٌ والمعروف عند أهل اللغة : مَوْجِدَة إذا أردت الغَضَب ، وإنما الجِدَةُ فى المال .

وقوله عليه السلام : فى لُعَاعَةٍ من الدنيا تألفتُ بها قوماً ، ليُسْلِموا . اللُّعَاعَةُ بَقْلةٌ ناعمة ، وهذا نحو من قوله عليه السلام : المالُ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، واللَّعَةُ من هذا المعنى، وهى المرأة المليحة العَفيفة ، واللَّعْلَعُ : السَّرابُ ، ولُعَاعُهُ : بَصِيصُه[1] .

جعيل بن سراقة :

وذكر جُعَيْلَ بن سُرَاقَةَ ، وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — فيه : ووكَلْتُ جُعَيلَ بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه . نسب ابنُ إسحاق جُعَيْلا إلى ضَمْرَةَ ، وهو معدود فى غِفَارٍ، لأن غِفاراً ، هم بنو مُلَيْل بن ضَمْرَةَ من بنى لَيْث بن بَكْر ابن عَبْدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ . وأما حديث التَّمِيمى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعْطَى المؤلفة قلوبَهم : لم أرك عدلت ، فغضب النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إذا لم يكن العَدْل عندى ، فعند مَنْ يكون ؟ وقال أيضاً : إنى أرى قِسْمَةً ما أُريد بها وَجْهُ الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيأمَنُنى اللهُ فى السماء ، ولا تأمَنُونى ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فالرجل هو ذو الخُوَيْصِرَة ، كذلك جاء ذكره فى الحديث[2] .

---

(١) فى اللسان : ولعاع الشمس: السراب، والأكثر : لعاب الشمس واللعلع: السراب ، واللعلعة : بصيصه .

(٢) هكذا ورد اسمه فى الصحيحين : ذو الخويصرة رجل من بنى تميم .

. . . .

ويذكر عن الواقدى أنه قال : هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْر السَّعْدى من سَعْدِ تميم ، وقد كان لحرْقوصٍ هذا مشاهد محمودة فى حَرْب العراق مع الفُرس أيام عُمَرَ ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نحيبة الخارجى :

حتى ألاقى فى الفِرْدَوْس حُرْقُوصاَ

ولذلك قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضِئْضِئِه قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وذكر صفة الخوارج ، وليس ذو الخُوَيْصِرَة هذا ذا الثُّدَيَّة الذى قتله علىٌّ بالنَّهْر ، وأن ذلك اسمُه نافعٌ ، ذكره أبو داود ، وكلام الواقدى حكاه ابن الطلاع فى الأحكام له .

شعر بجير وكعب ابنى زهير :

فصل : وذكر قصَّةَ بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى ، واسم أبى سُلْمى : ربيعة بن رِيَاح أحد بنى مُزَيْنَةَ .

وفى شعر كعب إلى أخيه بُجَيْر :

سَقَاكَ بها المأمونُ كأْساً رَوِيَّةً

ويُروى : المحمودُ فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك المأمون والأَمين كانت قريشٌ تسمى بهما النبىَّ صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بُجَيْر :

. . . .

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمَّا ولا أباً عليه،ولم تُدْرِكْ عليهأخاً لَكا[1]

إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدةٌ ، وهى كَبْشَةُ بنت عَمَّار السُّحَيْمِيَّة فيما ذكرابن الأعرابى عن ابن الكَلْبى .

وقوله : إماَّ عَثَرْتَ لَعاً لَكا ،كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . قال الأعشى :

فالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أنْ يُقَال لَعاً لَها[2]

وأنشد أبو عُبَيْد :

فلا لَعاً لبنى فعلان إذ عَثَرُوا

وقول بُجَير :

ودين زُهَيْر وهْو لاشَىْء دينُه

روايةٌ مستقيمة ، وقد رواه القالى ، فقال : وهو لاشىء غيره ، وفسّره على التقديم والتأخير أراد : ودين زهير غيره ، وهو لاشىء.ورواية ابن إسحاق أبعد من الإشكال وأصح ، والله أعلم .

وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زُهَيْرٌ ، وكذلك ابنه عُقْبَةُ

---

(١) فى السيرة : .

على خلق لم ألف يوماً أباله عليه وما تلقى عليه أبالكا

(٢) البيت فى اللسان هكذا :

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

وكذلك هو فى معجم ابن فارس ، وفى ديوان الأعشى . وفى نوادر أبى زيد ص ٣٨ .

. . . .

ابن كَعْبِ بن زُهَيْر يُعْرَف عُقْبَة بالْمُضَرَّب ، وابن عُقْبَة الْعَوَّام[1] شاعرٌ أيضاً ، وهو الذى يقول :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل تَغَيَّر بعدَنا   مَلَاحةُ عَيْنَىْ أُمِّ عمرٍو وجِيدُها

وهل بَلِيَتْ أثوابُها بعد جِدَّةٍ   ألَا حَبَّذَ أخلاقُها وجَدِيدُها[2]

ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجاد من قول كَعْبٍ :

لو كنت أَعْجَبُ من شَىْءٍ لأَعْجَبَنِى   سَعْىُ الفتَى وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ

يسعى الفتى لأمور ليس يُدْرِكها   فالنَّفْسُ واحدةٌ والْهَمُّ مُنْتَشِرُ

والمرء ماعَاشَ مَمْدودٌ له أَمَلٌ   لاتنتهى العَيْنُ حتى ينتهى الأثَرُ

وقوله :

إن كنت لا تَرْهَبُ ذَمِّى   لِمَا تَعْرِف من صَفْحِى عن الجاهِلِ

---

(١) كان فى عهد بنى العباس . وفى سمط البكرى عنه « شاعر مفلق مقل من شعراء الحجاز .. والعوام من المعرقين فى الشعر ، لأنهم خمسة شعراء فى نسق ، وكان زبيعة أبو سلمى شاعراً » ص ٣٧٣، ٣٧٤ .

(٢) بعده:

نظرت إليها نظرة ما يسرنى   بها حمر أنعام البلاد وسودها

ومن القصيدة فى حماسة أبى تمام :

ونبئت سوداء الغميم مريضة   فأقبلت من مصر إليها أعودها

فوالله ما أدرى إذا أنا جئتها   أأبرئها من دائها أم أزيدها

والشعر فى امرأة كلف بها من بنى عبد الله بن غطفان ، فخرج فى ميرة إلى مصر فعلم أنها مريضة ، فترك ميرته وكر راجعاً إليها . فلما رآته أشارت إليه أن يرجع إلى ميرته،فرجع ، فلما ماتت رثاها بقصيدة منها :

سقى جدثاً بين الغميم وزلفة   أحم الذرى واهى العزالى مطيرها

أنظر الحماسة بشرح التبريزى .

. . . .

فاخش سُكُوتِى إذ أنا مُنْصِتٌ   فيك لِمَسْمُوع خَنَا القائِلِ
فالسَّامِعُ الذَّمِّ شريكٌ له   ومُطْعِم المأكُولِ كالآكِلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أهلِها   أسرَعُ من مُنْحَدِر سائِلِ
ومَنْ دعا الناس إلى ذَمِّه   ذَمُّوه بالحَقِّ وبالباطِلِ

قصيدة بانت سعاد :

وذكر قصيدته :

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ

وفيها قوله :

شُجَّتْ بذى شَبَم

يعنى : الخمرَ ، وشُجَّت كُسِرت من أعلاها لأنَّ الشَّجَّة لا تكون إلا فى الرأس ، والشَّبَمُ البَرْدُ ، وأفرطه : أى مَلَأه . والبيض اليعَالِيلُ : السَّحابُ ، وقيل : جبال ينحدر الماءُ من أعلاها ، واليعَالِيلُ أيضاً : الغُدْرَانُ ، واحدُها يَعْلُولٌ ؛ لأنه يُعِلُّ الأرضَ بمائه .

وقوله : ياوَيْحَها[1] خُلَّةً قد سِيطَ من دَمِها .

أى خُلِطَ بلحمها ودمها هذه الأخلاقُ التى وصفها بها من الوَلَع وهو

---

(١) فى السيرة : لكنها .

. . . .

الخُلف ، والكذبِ ، والمَطْلِ ، يقال : ساط الدمَ والشرابَ إذا ضرب بعضه ببعض . وقال الشاعر يصف عبدَ الله بن عباس :

صَمُوتٌ إذا ما زَيَّنَ الصَّمتُ أهلَه   وفَتَّاقُ أبْكَارِ الكَلامِ المُخَتَّمِ

وَعَى ما حَوَى القرآنُ من كُلِّ حِكْمَةٍ

وسِيطَت له الآدابُ باللَّحْمِ والدمِ

والغُول : التي تَترَاءى بالليل . والسِّعْلاةُ ما تراءى بالنَّهار من الجن ، وقد أبطل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حكم الغُول حيث قال : لا عَدْوَى ولا غُولَ[1] ، وليس يعارضُ هذا ما رُوِى من قوله عليه السلامُ : إذا تَغَوَّلت

---

(١) لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول « أحمد ومسلم » عن جابر . والصفر فى زعم العرب : حية تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، وأنها تعدى . وقيل أراد به النسىء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفرهو الشهر الحرام ، فأبطله . والهامة تقدم ذكرها . ويقول ابن الأثير : هى من طير الليل ، وقيل: هى البوم وكان العرب يتشاءمون بها ،وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقونى ، فإذا أدرك بثأره طارت وقيل غير ذلك . والغول عند ابن الأثير جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس ، فتتغول تغولا ، أى : تتلون تلونا فى صور شتى،وتغولهم أى : تضلهم عن الطريق وتهلكهم .

والنفى إما للوجود ، وإما للزعم. ولم لا يكون للأمرين ؟! وقد تأول ابن الاثير نفى العدوى بقوله « وقد أبطله الإسلام ، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى ، فأعلمهم النبى « ص » أنه ليس الأمر كذلك ، وإنما الله هو الذى =

. . . .

الغِيلانُ فارْفَعُوا أصواتكم بالأذان[1] ، وكذلك حديث أبى أيوب مع الغول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غُولَ إنما أبْطل به ما كانت الجاهليةُ تتقوله من أخبارِها وخُرافاتِها معها

وقوله :

كانت مواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً .

هو : عُرْقُوبُ بن صَخْر من العَمَالِيق الذين سكنوا يَثْرِبَ ، وقيل : بل هو من الأوْسِ والخَزْرَجِ ، وقصَّتُه فى إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَدَ أخاه بجَنَا نَخْلةٍ له وَعْداً من بعد وَعْدٍ ، ثم جَذَّها لَيْلاً ، ولم يُعْطه شيئاً .

والتَّبْغِيلُ:ضرب من السَّيْر سريع ، والحُزَّان جمع حَزْن وهو ماغَلُظ من الأرْض .والمِيلُ ماانسع منها :

وقوله : ترمى النِّجادَ،وأنشده أبو على : تَرْمى الغُيُوبَ ، وهو جمع غَيْب، وهو ما غار من الأرض ، كما قال ابنُ مقبل :

لَزْمُ الغُلَامِ وَرَاءَ الغَيْبِ بالحجر

وقوله :

حَرْفٌ أبوها أخوها من مُهَجَّنَةٍ وعَمُّها خالُها قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

القَوْدَاء : الطَّويلةُ العُنُقِ.والشِّمْلِيل :السريعة.والحَرْفُ : الناقة الضامر .

= يمرض وينزل الداء ، ولهذا قال فى بعض الاحاديث : فمن أعدى البعير الاول ، أى : من أين صار فيه الجرب ، هذا لأن الواقع والتجربة تؤكد وجود العدوى

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو ضعيف .

. . . .

وقوله : من مُهَجَّنَةٍ ، أى : من إبل مُهَجَّنَةٍ مُسْتَكرمة هِجانٍ .

وقوله :أبوها أخوها أى : إنهما من جنس واحد فى الكَرَم ، وقيل : إنها من فَحْل حَمَلَ على أُمِّه فجاءت بهذه الناقة ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت للناقة التى هى أمُّ هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فعَمُّها خالها على هذا ، وهو عندهم من أكْرَمِ النتاج ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقوله : أقرابٌ زَهَالِيل ، أى : خَواصِر مُلْسَ ، واحدُها : زُهْلُول والبِرْطِيلُ : حَجَرٌ طَويلٌ ، ويقال : للمِعْوَل أيضاً : بِرْطِيلُ .

وقوله : ذَوَابِل وَقْعُهُنَّ[1] الأرضَ تَحْليلُ .

تحليل ، أى قليلٌ . يقال : ما أقام عندنا إلاَّ كتَحْلِيل الألِيَّة ، وكتَحِلَّة القسِم ، وعليه حمل ابن قُتَيْبة قوله عليه السلام لن تمسَّه النارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَم ، وغلّط أباعبيد حيث فسره على القَسَم حقيقةً . قال القُتَبىُّ : ليس فى الآية قَسَمٌ لأنه قال : ﴿وإنْ مِنكُمْ إلا وارِدُها﴾ ولم يُقْسِم . قال : الخطابى: هذه غَفْلةٌ من ابن قُتَيْبَة فإن فى أول الآية : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهم والشياطينَ ﴾ وقوله : ﴿ وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُها ﴾ داخلٌ تحت القسم المتقدم .

وقوله : بالقُور العَساقِيل . القُورُ : جمع قَارَة ، وهى الحِجارَةُ السُّودُ .

---

(١) فى السيرة : مسهن .

. . . .

والعَساقِيلُ هنا السَّرابُ ، وهذا من المَقْلُوب ، أراد وقد تَلفَّعَتْ القودُ بالعَساقِيل .

وفيها قوله :

تَمْشِي[1] الغُواةُ بِجَنْبَيها ، أي بجَنْبَيْ ناقته .

عن القول والقيل إعراباً ومعنى :

وقوله : إنك يا بْن أبي سُلْمَى لَمَقْتُول . ويُرْوى : وقِيلُهم ، وهو أحسن في المعنى ، وأولى بالصَّواب ؛ لأن القِيلَ هو الكلام المَقُولُ فهو مُبْتَدأ ، وقوله : إنك يابن أبي سُلْمَى لمَقْتُول : خَبرٌ ، تقول : إذا سئلت ما قِيلُك ؟ قيلي : إن الله واحدٌ ، فقولك : إن اللهَ واحدٌ هو القيلُ ، والقَوْلُ مصدر كالطَّحن والذَّبْح ، والقِيلُ اسْمٌ لِلْمَقُولِ كالطِّحْن والذِّبْح بكسر أوله ، وإنما حَسُنَت هذه الروايةُ ، لأن القَوْلَ مصدرٌ فيصير : إنك يابن أبي سُلْمَى في موضع المفعول فيه ، فيبقى المبتدأ بلا خَبَر إلاَّ أن تجعل المَقُول هو القَول على المَجاز ، كما يُسَمَّى المخلوقُ خَلْقاً ، وعلى هذا يكون قوله عَزَّ وجل : ﴿ وقِيلِهِ يارَبِّ ﴾ في مَوْضع البَدَل من القِيل ، وكذلك قوله : ﴿ إلاَّ قِيلاً : سَلاَماً سَلاَماً ﴾ مُنْتَصِبٌ بفعل مُضْمَرٍ ، فهو في موضع البَدَل من قِيلاً وكذلك قوله : ﴿ ومَنْ أَصْدَقُ من الله قِيلاً ﴾ أي : حديثاً مَقُولاً ، ومن

---

(١) في السيرة : تسعى .

. . . .

هذا الباب مسألةٌ من النحو ذكرها سِيبَوَيْه ، وابن السراج فى كتابه ، وأخذ الفارسى منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقولُ : إنى أحمد الله ، بكسر الهمزةِ ، فهو على الحكاية ، فظن الفارسى أنه يريد على الحكاية بالقَوْل ، فجعل إنى أحمد الله فى موضع المفعول بأقول ، فلما بقى له المبتدأ بلا خَبَر تكلَّف له تقديراً لا يعقـــل ، فقال : تقديرُه أول ما أقول : إنى أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إلى أن أوّلَ هذه الكلمة التى هى إنى أحمد الله موجودٌ أى : أوّلُ هذه الكلمة مَوْجُودٌ ، فآخرها إذاً مَعْدُومٌ ، وهذا خُلْفٌ من القَوْل ، كما ترى ، وقد وافقه ابنُ جِنِّى عليه ، رأيته فى بعض مسائله ، قال : قلت لأبى عَلِىٍّ لم لا يكون : إنى أحمد الله فى موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : ﴿ إنا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ ﴾ أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أى : أول القيلِ الذى أقوله إنى أحمد الله على حكاية الكلام المَقُول ، وهذا الذى أراد سيبويه ، وأبو بكر بن السراج ، وإن فتحت الهمزة من أنّ صار معنى الكلام أولُ القول لا أول القِيل ، وكانت ما واقعةً على المصدر ، وصار معناه : أول قولى الحمدُ إذ الحمدُ قولٌ ولم يُبَيِّن مع فتح الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمـــد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزةِ قد بين كيف حمد حين افتتح كلامَه ، بأنه قال : إنى أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزةِ قد بين كيف حمد حين افتتح كلامَه ، بأنه قال : إنى أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على

. . . .

هذه المسألة ، وتدبرها إعراباً ومعنى ، فقلّ : من أحكمها وحسْبُك أنّ الفارسىّ لم يفهم عمّن قبله ، وجاء بالتخايط المتقدّم ، والله المستعان .

عود إلى بانت سعاد :

والخراديل : القِطع من اللحم ، وفى الحديث فى صفة الصّراط : فمنهم المُوبَقُ بعمله ، ومنهم المُخَرْدَلُ ، أى تُخَرْدِلُ لَحمَه[1] الكلاليبُ التى حوْل الصِّراط ، سمعت شيخَنا الحافظَ أبا بكر رحمه الله يقول: تلك الكَلَاليبُ هى الشّهَوات ، لأنها تجذب العبدَ فى الدنيا عن الاستِقامة على سوَاءِ الصّراطِ ، فتُمَثّل له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بضَرَاء الأرضِ . الضَّرَاءُ : ماوَارَاك من شَجَرٍ ، والخَمَرُ : ماواراك من شَجَرٍ وغيره .

وقوله : بواديه الأراجيلُ ، أى : الرَّجّالة ، قيل: إنه جمع الجمع ، كأنه جمع الرَّجْلَ ، وهم الرَّجّالة على أرْجُل ، ثم جمع أرْجُلا على أرَاجِل ، وزاد الياء ضَرُورةً . والدَّرْسُ : الثوبُ الخَلَقُ . والقَعْقاءُ : شجرة لها ثمر كأنه حِلَقٌ .

ويُروى أن النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أنشده كعب :

إن الرّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيُوفِ الله مَسْلُولُ

نظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر .

---

(١) خردلت اللحم بالدال والذال : فصلت أعضاءه وقطعته .

. . . .

وقوله :

ليس لهم[1] عن حياض الموت تَهْلِيلُ

التهليلُ : أن يَنْكصُ الرجلُ عن الأمر جُبْناً .

وقوله فى الأنصار :

ضَرَبُوا علياً يوم بَدْرٍ ضَرْبةً[2]

بنو على : هم بنو كِنانَةَ ، يقال لهم : بنو عَلِيّ لما تقدم ذكره فى هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بنى كنانة .

وقوله : إذا عرَّدَ[3] السُّودُ التَّنَابِيل : جمع تِنْبَالٍ وهو القصير ، وقوله : عرَّدَ ، أى : هرب . قال الشاعر :

يُعَرِّدُ عنه صحبُه وصديقُه وَيَنْبُشُ عنه كلبُه وهو ضارِبُه

علة السواد فى أهل اليمن وشرح بيت لحسان :

وجعلهم سُوداً لمَا خَالَطَ أهل اليمن من السُّودان عند غَلَبة الحَبَشَةِ على بلادهم[4] ، ولذلك قال حسان فى آل جَفْنَةَ :

---

(١) فى السيرة : ومالهم .

(٢) هذا من قصيدة كعب الراوية .

(٣) عاد إلى اللامية .

(٤) ترك السهيلى كثيراً من مفردات القصيدة دون شرح ، وهنا أنقل عن الخشنى معانى ماترك السهيلى : بانت : ذهبت وفارقت ، متبول : هالك . متيم :=

. . . .

أولاد جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهم   بيضُ الوُجوهِ من الطِّرازِ الأوَّلِ

يعني بقوله: من الطِّرازِ الأول، أن آل جَفْنَةَ كانوا من اليَمَن، ثم استَوْطنُوا الشام بعد سَيْلِ العَرِمِ، فلم يخالطهم السُّودان كما خالطوا مَنْ كان من اليمن، من الطِّراز الأوَّل الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم.

= معبد مذلل. أغن: الظبي الصغير الذي في صوته غنة. غضيض: فاتر الطرف هيفاء: ضامرة البطن والخصر. عجزاء: عظيمة العجيزة، وهو الردف. تجلو: تصقل. والعوارض: الاسنان هنا. الظلم: شدة بريق الأسنان، ويقال: هو ماؤه. منهل: مسقى. الراح: من أسماء الخمر. محنية: منتهى الوادي، ويقال: ما انعطف منه. أبطح: موضع سهل. مشمول: هبت عليه ريح الشمال، وهي عندهم باردة إذا هبت. والقذا: ما يقع في الماء من تبن أو عود أو غيره، وكذا ما يقع في العين. صوب: مصر. غادية: سحابة مطرت بالغدو. اليعاليل: الحباب الذي يعلو على وجه الماء وهي رغوته، راجع شرح السهيلي. الخلة هنا: الصديقة المراسيل: السريعة. عذافرة: ناقة ضخمة. الاين: الفتور والإعياء. والإرقال والتبغيل: ضربان من السير. نضاحة: يرشح عرقها. الذفرى: عظم في أصل الاذن. عرضتها: الشيء الذي يقوى عليه، ومن رواه ولاجها، فمعناه: أضعفها طامس: متغير. الأعلام: العلامات التي تكون في الطرق يهتدى بها، وأراد أنه ليس بها علم. النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض. المفرد: هنا الثور الوحشي الذي انفرد في الصحراء. اللهق: الابيض بفتح الهاء وكسرها. مقلدها: عنقها. فعم: ممتلىء. مقيد: موضع القيد. قوداء: طويلة. شمليل: سريعة. لبان: صدر أقرب: جمع قرب وهي الخاصرة وما يليها. زهاليل: أملس. عيرانة: تشبه العير في شدته ونشاطه، والعير هنا: حمار الوحش. النحض: اللحم الزور: أسفل الصدر. قنواء: في أنفها ارتفاع. حرتاها: أذناها. قاب: قرب، تقول: بيني وبينه قاب قوس أي قرب قوس، لحييها: هو تثنية لحى. وهو العظم الذي عليه الخد،

. . . .

وقوله : حول قبر أبيهم، أى إنهم لعزهم لم يحلوا عن منازلهم قط ، ولا فارقوا قبر أبيهم .

= واللحية لذى اللحية : والخطم : الانف . وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هى فاس طويلة ، وتمر : تمد وتحرك ، العسيب : جريد النخل الخصل : جمع خصالة اللفافة من الشعر ، غارز : قليل اللبن ، لم تخونه: لم تنقصه ، ولم تضعفه، والاحاليل جمع إحليل وهو الثقب الذى يخرج منه اللبن ، وهو من الذكر الذى يخرج منه البول. يسرات : يعنى قوائمها لانها تحسن السير بها كلها ، ذوابل :شداد ، عجايات جمع عجاية ، وهى عصبة تكون فوق مربط القيد من ذى الخف، ومن ذى الحافر. وزيم : متكسر متفرق : الاكم : الكدى ، واحدتها أكمة ، الحرباء : ضرب من العظاء ويقال : هى أم حبيش . مرتبىء : مرتفع.ضاحية : ما برز منه للشمس ، محلول : محرق ، الملة : الحجارة والحر والرماد ، والحادى: الذى يسوق.والجنادب جمع جندب ، وهو ذكر الجراد ، قيلوا : أمر من القائلة ، أى انزلوا واستريحوا كان أوب ذراعيها : الاوب الرجوع . تلفع : اشتمل ، العساقيل : لمع السراب الفاقد : التى فقدت ولدها ، الشمطاء : التى خالطها الشيب. معولة : رافعة صوتها بالبكاء . المثاكيل : جمع مثكال ، وهى الفاقد أيضاً ، الضبعان : لحتا العضدين ، تفرى : تقطع ، رعابيل : قطع متفرقة، على آلة حدباء محمول : النعش أو الداهية أى ، لا يستقر عليها ، اظل ترعد من وجد بوادره، البوادر: اللحم الذى بين العنق والكتف.ضيغم: أسد. مخدر الاسد: غابته وأجمته . عثر :اسم موضع تنسب إليه الاسود . غيل: أجمة أيضاً . يلحم : يطعم اللحم . ضرغامين:أسدين، وأراد بهما شبيهه .معفور: ممرغ بالعفر ،وهو التراب. خراديل : متقطعة . يساور :يواثب، مفلول . أى قد أثر فيه الجرى : موضع . مضرج : مخضب بالدماء . أنكاس : جمع نكس : وهو المقصر عن غاية الكرم أو الضعيف ، ليست من الخشن ، كشف: لا تراس لهم ، أو الذى لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج المعازيل : الذين لا سلاح معهم . الزهر : البيض . العرانين : الانوف . سوابغ : كاملة شكت : أدخل بعضها فى بعض ، فقعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك تشبه به =

غزوة تبوك

فى رجب سـنة تسع

التهيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثمَّ أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحِجَّة إلى رجب ، ثم أمر الناسَ بالتَّهَيُّؤ لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمَر بن قتادة ،

مدح آخر لكعب :

ومما أجاد فيه كعب بن زُهَيْرٍ قولُه يمدح النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

تَخْدِى به الناقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِراً بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ

فَفِى عِطَافَيْه أو أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ مايعلم اللهُ من دِينٍ ومِنْ كَرَمِ

= حلق الدرع . بجدول : محكم السرد . تهليل : فرار «انتهى من ص ٤١٥ - ص ٤٢١ شرح السيرة لابى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى . وقد أورد ابن إسحاق القصيدة دون إسناد ، ورواها البيهقى فى الدلائل بإسناد متصل. ويقول ابن كثير فى البداية عن كون النبى صلى الله عليه وسلم أعطى كعباً بردته «هذا من الأمور المشهورة جدا ، ولكن لم أر ذلك فى شىء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه » ص ٣٧٢ ج ٤ هذا وقد ذكر الزبيدى فى طبقات النحاة أن بندار الأصفهانى كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بانت سعاد ، ومنها قول زهير والد كعب

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا وليت وصلا لنا من حبلها رجعا

ص ٥٩ ج ٣ المواهب ،

وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ حدث فى غزوة تبوكَ مابلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدِّث ما لايحدِّث بعض : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زَمان من عُسْرة الناس ، وشِدّة من الحرّ ، وجذبٍ من البلاد : وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غزوة إلا كَنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمُدُ له ، إلا ما كان من غزوة تَبوكَ ، فإنه بيَّنها للناس، لِبُعد الشُّقّة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى يصْمُد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَته ، فأمر الناسَ بالجِهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

شأن الجد بن قيس

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدّ ابن قيس أحد بنى سَلِمَة : ياجَدّ ، هل لك العامَ فى جِلَاد بنى الأصفر ؟ فقال : يارسول الله ، أوَ تأذنُ لى ولا تفْتِنِّى ؟ فوالله لقد عَرَف قومى أنه مامن رجل بأشدَّ عُجْباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر أن لاأصبر، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنتُ لك . ففى الجدِّ ابن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى ، ألا فِى الفِتْنَةِ سَقَطوا ، وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرينَ ﴾ التوبة : ٤٩ . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ .

المنافقون المثبطون

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تَنْفِروا فى الحرّ، زهادة فى الجهاد، وشكاًّ فى الحقّ، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِى الحَرّ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً، جَزاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ التوبة: ٨١، ٨٢.

شعر الضحاك فى تحريق بيت سويلم

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة عمن حدّثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جدّه، قال: بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أنّ ناساً من المُنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودىّ، وكان بيته عند جاسومَ، يُثَبِّطونَ النّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوكَ، فبعث إليهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم طلحةَ ابن عُبيد الله فى نفَر من أصحابه، وأمَرهُ أن يُحرِّق عليهم بيت سُوَيْلِم، ففعل طلحة. فاقتحمَ الضَّحاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجلُه، واقتحم أصحابه، فأفْلَتوا. فقال الضحاك فى ذلك:

كادَتْ وبَيْتِ الله نارُ محمّدٍ ... يَشِيطُ بها الضَّحَّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ

وظَلْتُ وقد طَبَّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنوءُ على رجْلى كَسِيراً ومِرْفَقى

سَلامٌ عليكم لا أعودُ لمِثْلِها ... أخافُ ومن تَشْمَلْ به النارُ يُحْرَقِ

حض أهل الغنى على النفقة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره ، وأمَر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلان فى سبيل الله ، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفقَ عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم يُنفِق أحدٌ مثْلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفَّان أنفق فى جيش العُسْرَة فى غزوة تَبُوك ألف دينار ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرضَ عن عثمان ، فإنى عنه راض .

قصة البكائين والمعذرين والمتخلفين

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكّاءون ، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عَوْف : سالم بن عُمَير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليْلى عبدالرحمن ابن كَعْب ، أخو بنى مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن حُمام بن الجموح ، أخو بنى سَلِمَة ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنىّ — وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزنى — وهَرَمِىّ بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعِرْباضُ بن سارِية الفَزارىّ . فاستحملوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهْلَ حاجة ،

فقال : لا أجد ما أحمِلُكم عليه ، فتولَّوْا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَنًا ألا يجدوا ما يُنفِقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أنَّ ابن يامين بن عُمَيْر بن كَعْب النَّضْرى لَقِىَ أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحاً له ، فارتحلاه ، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذِرهم الله تعالى . وقد ذُكر لى أنهم نَفَرٌ من بنى غفار .

ثم استَتَبَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمعَ السيرَ ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شكّ ولا ارتياب : منهم : كعبُ بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سَلِمة ، ومُرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلالُ بن أميَّة ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف . وكانوا نفر صِدق ، لا يتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكَرَه على ثَنِيَّة الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلَمةَ الأنصارىَّ .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدىّ عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مَخْرَجه إلى تَبوكَ : سِباعَ بن عُرْفُطَة .

المنافقون المتخلفون

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أُبىّ معه على حِدَة عسكرَه أسفلَ منه ، نحوَ ذُباب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلَّف عنه عبد الله بن أُبىّ ، فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الرَّيْب .

إرجاف المنافقين بعلىّ

وخَلَّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهْلِه ، وأمَرَه بالإقامة فيهم ، فأرجَف به المنافقون ، وقالوا : ماخلفه إلا استثقالا له ، وتخفُّفاً منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىّ ابن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف ، فقال : يانبىّ الله ، زَعَم المنافقون أنك إنَّما خلّفتنى أنك استَثْقَلْتنى وتخفّفت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكنى خَلّفتك لما تركتُ ورائى ، فارجع فاخْلُفْنِى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى ياعلىّ أنْ تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبىّ بعدى ، فرجع علىّ إلى المدينة ؛ ومَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يَزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم

ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع علىّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قصة أبى خيثمة

ثم إن أباخَيثمة رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجَد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائِطه ، قد رشَّت كلُّ واحدة منهما عريشها ، وبرّدت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وماصنعتا له ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحّ والرِّيح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعام مهيَّأ ، وامرأةٍ حسناء ، فى ماله مقيم ، ماهذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زاداً ، ففعلتا . ثم قدَّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تَبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجمحىّ فى الطريق ، يطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلَّفَ عنى حتى آتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبِل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا

يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلَّم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَوْلى لكَ يا أبا خيثمة . ثم أخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قَيْس :

لمَّا رأيتُ النَّاسَ فى الدين نافَقُوا ... أتيتُ التى كانَتْ أعفَّ وأكْرَما

وبايَعْتُ باليُمْنَى يدى لمُحَمَّد ... فلم أكتسِب إثْمًا ولم أغشَ مَحْرَما

تركتُ خضيباً فى العَرِيش وصِرمَةً ... صَفايا كِراماً بُسْرُها قد تحمَّما

وكنت إذا شكَّ المنافقُ أسمَحَتْ ... إلى الدين نفسى شطرَه حيثُ يمَّما

مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحِجْر نزلها ، واستقَى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تَشرَبُوا من مائها شيئاً ، ولا تَتَوضَّئُوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبلَ ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرُجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنِق على مَذْهبه ؛ وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيىء . فأخبِر بذلك رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ ألا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للّذِي أصيب على مذهبه فشفى، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيِّئاً أهدته لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن سَهل بن سعد السَّاعدىّ ، وقد حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنْ قد سمَّى له العبَّاسُ الرجلين ، ولكنه استودَعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجَّى ثوبه على وجهه ، واستحَثَّ راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارْتَوَى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النِّفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفى عشيرته ، ثم يَلبسُ بعضُهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ

من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحِجر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السَّحابةَ ، فأمطرَت حتى ارْتوَى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويْحَك ، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابةٌ مارَّة .

مقالة ابن اللُّصَيت

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقته ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يُقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا بَدْرِيًّا ، وهو عم بنى عمرو بن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصَيْتَ القَيْنُقاعى ، وكان منافقاً .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصيب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللُّصَيت ، وهو فى رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمَّدٌ يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ماعلَّمنى الله وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبستها

شجرة بزمامها ،فانطلِقُوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة ابن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعَجَبٌ من شىء حدَّثناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذى قال زيدُ بن لُصَيْت ؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل عُمارة على زيد يجأ فى عُنقه ويقول : إلىَّ عباد الله ، إنَّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر ، أخْرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى ، فلا تَصْحبْنى .

قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل مُتَّهماً بشرٍّ حتى هَلك .

إبطاء أبى ذر

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلَّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكُ فيه خير فسيُلحِقُه الله تعالى بكم ، وإن يَكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلَّف أبو ذَرّ ، وأبطأ به بعيرُه ؛ فقال : دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقُه الله بكم ، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوَّم أبو ذرّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعَه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثَرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ماشياً . ونزل رسولُ الله فى

بعض منازله ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هـذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذر . فلما تأمَّله القومُ قالوا : يارسول الله ، هو والله أبو ذرّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذرّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثني بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلميّ ، عن محمد بن كَعب القُرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمانُ أبا ذرّ إلى الرَّبَذَةِ ، وأصابه بها قدَره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأتُه وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفِّناني ، ثم ضَعانى على قارعة الطَّريق ، فأوّل رَكْب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنِه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق : وأقبل عبدُ الله ابن مسعود فى رَهْطٍ من أهل العراق عُمَّار ، فلم يَرُعْهم إلا بالجنازة على ظهر الطَّريق ، قد كادت الإبل تَطؤُها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكى ويقول : صدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروْه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك .

تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلِمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر — قال ابن هشام : ويقال مَخْشِيٌّ — يُشيرون إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تَبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسِبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ! والله لكأنَّا بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : والله لودِدْت أنى أقاضَى على أن يُضْرب كل رجل منَّا مائة جَلْدَةٍ ، وإنَّا نَنفَلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعَمَّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احْترقُوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقُل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمَّار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها يا رسول الله ، إنما كنَّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ . وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكأن الذى عُفِى عنه فى هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَم بمكانه ، فقُتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة

ولما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تبُوكَ ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ ، صاحب أيلة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجِزْية ، وأتاه أهل جَرباء وأذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم .

كتاب الرسول لصاحب أيلة

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبي رسول الله ليُحَنَّةَ ابن رُؤْبة وأهل أيلة ، سُفنهم وسيَّارتهم في البرّ والبحر : لهم ذمَّة الله ، وذمَّة محمد النبيّ ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثاً ، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلّ أن يُمنَعوا ماء يَردونه ، ولا طريقاً يُريدونه ، من برّ أو بحر .

أُكيـــدر

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة ، وهو أُكَيْدِر بن عَبْد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البَقَر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين ، وفي ليلة

مُقْمِرة صائفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطّ ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قباء من دِيباجٍ مُخَوَّصٌ بالذّهب ، فاستلبَه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أُكيدر حين قدم به على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمَنَاديل سعد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأُكَيْدر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيئ : يقال له بُجَيرُ بن بُجَرَة ، يذكر قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البقَر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارَكَ سائقُ البقراتِ إنى   رأيتُ الله يَهْدى كلّ هادِ
فمَن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ   فإنّا قدْ أُمِرْنا بالجهادِ

. . . .

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتَبوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها .
ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

حديث وادي المشقق ومائه

وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل ، ما يُرْوِي الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بواد يُقال له وادي المُشَقَّق ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه! ثم لعنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوشل ، فجعل يصب في يده ماشاء الله أن يَصُبّ ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء – كما يقول من سمعه – ما إنّ له حسًّا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعُنَّ بهذا الوادي . وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

قيام الرسول على دفن ذي البجادين

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قُمْت من جوف الليل ، وأنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبَّعتها أنظر إليها ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قدمات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أدْنِيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقِّه قال : اللهم إنى أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحُفرة .

لم سمى ذو البجادين ؟

قال ابن هشام : وإنما سُمّى ذو البِجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبِجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهَرَب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البِجادين لذلك ، والبجاد أيضاً : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القَيس :

كأنّ أباناً فى عَرانين وَدْقه ... كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

أبو رهم فى تبوك

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيْمَةَ اللَّيثى ، عن ابن أخى أبى رُهْمٍ الغِفارى ، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثومَ بن الحُصَين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

. . . .

غزَوْتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس فطفقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفْزِعنى دنوّها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْزِ ، فطفقت أُحوِز راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل؛فزاحمتْ راحلتى راحلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه فى الغَرْز ، فما استيقظت إلا بقوله : حَسِّ ، فقلتُ : يارسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمَّن تخلَّف عن بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط . فحدَّثته بتخلُّفهم . قال: فما فعل النَّفر السود الجعاد القصار؟ قال : قلت : والله ماأعرف هؤلاءِ منا . قال : بلى الذين لهم نَعَم بشَبَكة شَدَخ ؛ فتذكّرتهم فى بنى غِفار ، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أم لهم رهْط من أسلم كانوا حُلفاء فينا ، فقلت : يارسول الله ، أولئك رهْط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مامنع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً فى سبيل الله ؟ إن أعزَّ أهلى علىّ أن يتخلَّف عنى المهاجرون من قُريش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَمُ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار

. . . .

قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشم أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرّقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بينَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .... إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثْنَى عشر رجلا : خِذَام بن خالد ، من بنى عُبَيْدِ بن زَيْد ، أحد بنى عَمرو بن عَوْف ، ومن داره أُخرج مسجد الشِّقاق ، وثَعْلَبَة ابن حاطب من بنى أُمَيَّة بن زيد ، ومُعَتِّب بن قُشَير ، من بنى ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وأبو حَبِيبَة بن الأَزْعَرِ ، من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَّاد بن حُنَيْفٍ ، أخو سَهْل بن حُنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع بن جارية ، وزَيْد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارثِ ، من ضُبَيْعَةَ ، وبَحْزَج ،

. . . .

من بنى ضُبَيْعَةَ ، و بِجَاد بن عثمان ، من بنى ضُبَيْعَةَ ، ووَدِيعَة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لُبَابَة بن الْمُنْذِر .

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مسماة : مسجدٌ بتَبُوك ، ومسجد بثَنِيَّة مِدْرَان ، ومسجد بذات الزِّرَاب ، ومسجد بالأَخْضَر ، ومسجد بذات الخِطْمِيِّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطَرَف البَتْراء ، من ذنب كَوَاكِب ، ومسجد بالشِّق ، شِقِّ تارا ، ومسجد بذى الجِيفَة ، ومسجد بصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصَّعِيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القُرَى ، ومسجد بالرُّقْعة من الشِّقَّة ، شِقة بنى عُذْرَةَ ، ومسجد بذى المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين

فى غزوة تبوك

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلَّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلَّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميَّة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلِّمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن التخلف

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرىّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلّف عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ماتخلَّفت عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطُّ ، غير أنى كنت قد تخلَّفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحداً تخلّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثَقْنا على الإسلام ، وما أُحبّ أنّ لى بها مشهدَ بدر ، وإن كانت غزوةُ بدر هى أذْكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلَّفتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قطُّ أقْوَى ولا أيسر مِنى حين تخلَّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلَّى للناس أمرَهم ليتأهَّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لايجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لايجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقلَّ رجل يريد أن يتغيَّبَ إلا ظنّ أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظِّلال ، فالناس إليها صُعْر ؛ فتجهّز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهَّز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر الناس بالجدِّ ، فأصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهَّز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتَفَرَّط الغزو ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفتُ فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغَ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : مافعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله ، حبسه بُرْداهُ ، والنَّظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ! والله يارسول الله ما عَلمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلاً من تبوك ، حضرنى بَثّى ، فجعلت أتذكَّر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غداً وأستعين على ذلك كلّ ذى رأى من أهلى ؛

. . . .

فلما قيل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادماً زاح عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعتُ أن أصدقه ، وصبّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قَدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلَّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علانيَتهم وأَيْمانهم ، ويستغفر لهم ، ويَكِل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئتُ فسلَّمتُ عليه ، فتبسم تبسم المُغضَب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلَّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جَدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثاً كذِباً لترضينّ عنى ، وليُوشكنّ الله أن يُسْخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صِدقاً تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلَّفت عنك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقْضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالٌ من بنى سَلِمة ، فاتَّبعونى فقالوا لى : والله ماعلمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لاتكون اعتذرت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله مازالوا بى حتى أردتُ أن أرجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأُكذّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان

قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ماقيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرَّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبى) أُمَيَّة الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أُسوة ، فصمَتُّ حين ذكروهما لى ، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلَّف عنه ، فاجتَنَبَنَا الناسُ ، وتغيَّروا لنا ، حتى تنكَّرتْ لى نفسى والأرضُ ، فماهى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولايكلمنى أحد ، وآتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرَّك شَفَتَيه بردِّ السلام علىَّ أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفتُّ نحوَه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىَّ من جفوة المسلمين ، مشَيتُ حتى تسوَّرت جدار حائط أبى قَتادة . وهو ابن عمِّى ، وأحبُّ الناس إلىَّ ، فسلمت عليه ، فوالله ماردَّ علىَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أُحبّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدوت إلى السُّوق ، فبينا أنا أمشى بالسُّوق ، إذا نَبطىّ يسأل عنى من نَبط الشام ، مما قَدِم بالطعام يَبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً فى سَرَقة من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ،

. . . .

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوان ولا مَضيعة ، فالحق بنا نُواسِك » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ماوقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال : فعَمَدتُ بها إلى تَنُّور ، فسَجَرْته بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين. إذا رسولُ رَسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أُطلِّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تَقرَبها ، وأرسل إلىّ صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يَقضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض . قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إن هلال ابن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟قال : لا، ولكن لايَقْرَبنك ؛ قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أميّة أن تخدُمه ؛ قال : فقلت : والله لاأستأذنه فيها، ماأدرى مايقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابّ . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رحُبَت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على

ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج .

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بتَوْبة الله علينا حين صلَّى الفجر ، فذهب الناس يُبشّروننا ، وذهب نحو صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجل إلىَّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشِّرنى ، نزعت ثوبىَّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقَّانى الناس يبشِّروننى بالتَّوْبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توْبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيَّانى وهنَّأنى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلَّمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يَبرُق من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أُمُّك ، قال : قلت : أمن عندك يارسولَ الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنَّا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك .

قال: قلت إنى مُمْسِك سَهْمى الذى بخيبر ؛ وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجَّانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدِّث إلا صدقاً ما حييت ، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ مما أبلانى الله ، والله ماتعمَّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٧ ـ ١١٩ .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علىَّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلِك كما هَلَك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ما قال لأحد ، قال : ﴿ سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذَا انقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فأَعْرِضُوا عنهم إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فإنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فإنَّ اللهَ لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ ﴾ . التوبة : ٩٥ ، ٩٦ .

قال : وكنَّا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم ، حين حَلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عُروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّ فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى

الإسلام رجاء أن لايخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلمـــا أشرف لهم على عِلِّيَة له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يُقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَنى سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتّاب ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ماترى فى دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثلَه فى قومه لـكَمَثَل صاحب ياسين فى قومه .

ثم أقامت ثَقيف بعد قتل عُروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمَرُوا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عُتْبَةَ بن المُغيرَة بن الأخْنَس : أن عَمْرو بن أميَّة ، أخا بنى عِلَاجِ ، كان مُهاجراً لعبدِ ياليلَ بن عمرو ، الذى بينهما سيء ، وكان عمرو بن أُمَيَّة من أدْهَى العرب ، فمَشى إلى عبد ياليلَ بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عَمْرو بن أمية يقول لك : أخْرُج إلىّ ، قال : فقال عبدُ ياليلَ للرسول : وَيْلك ! أعَمْرو أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظُنّه ، لَعَمْرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحَّب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ماقد رأيت ، قد أسلمت

. . . .

العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم : فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضُهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأْتَمَرُوا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلَّموا عَبْدَ يالِيلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سنّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِع بعُرْوَةَ . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو نَابُ القوم وصاحبُ أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ماصُنع بعُرْوَة بن مسعود ، لكى يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه . .

فلما دنَوْا من المدينة ، ونزلوا قناة ألفَوْا بها المُغيرة بن شُعبة ، يرعَى فى نَوْبته رِكابَ أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيتها نُوَباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقفيين ، وضبر يشتدّ ، ليبشر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب

ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطاً ، ويكتتبوا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمُغيرة : أقسمت عليك بالله لاتسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدّثه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه . ثم خرج المُغيرة إلى أصحابه ، فروّح الظُّهر معهم وعلّمهم كيف يحيُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحيَّة الجاهلية ، ولمَّا قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبَّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم . وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاماً يأتيهم من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئاً مسمّى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يَتَسلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكْرهون أن يُروعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حَرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ؛ وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم ، أمّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنًّا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقُّه فى الإسلام وتعلُّم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مابقى من رمضان ، بفِطرنا وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتسحَّر ، لتأخير السُّحور ؛ ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : مانرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضع يده فى الجَفْنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفَطورنا وسَحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرّف بن عبد الله ابن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ماعهد إلىّ

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز في الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة ، في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدْم ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضربها بالمِعول ، وقام قومه دونه ، بنو مَعَتِّب ، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يَبْكين عليها ويقلن :

لَتُبْـكَيَنَّ دُفَّاع أَسْلَمها الرُّضَّاع
لم يُحْسِنوا المِصاع

قال ابن هشام : « لَتَبْـكَيَنَّ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرةُ يَضْربها بالفأس : واهاً لك ! آهاً لك ! فلما هدمها المُغيرة ، وأخذ مالهاَ وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع ، ومالها من الذهب والجَزْع .

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ،

وأن لايجامعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ، فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تولَّيا منْ شئْتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ؛ فقال رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم : وخالَكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالَنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة دَيناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسولَ الله ، ولكن تَصِل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّين علىّ ، وإنما أنا الذى أُطلبُ به ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يَقْضى دَينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المُغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروه والأسود دَينَهما ، فقضى عنهما .

وكان كتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبىّ ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إنّ عِضاهَ وَجّ وصَيْدَه لايُعْضَدُ ، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يُجلَد وتُنزَع ثيابه ، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤْخذ فيبلغ به إلى النبىّ محمد ، وإن هذا أمر النبىّ محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبى بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب
رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه
وذكر براءة والقصص فى تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيَّة شهر رمضان وشوّالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع ، ليقيم المسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلَّف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفون بغير ما يظهرون، منهم مَنْ سُمّى لنا، ومنهم مَنْ لم يُسمَّ لنا، فقال عزّ وجلّ : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى لأهل

العهد العام من أهل الشرك ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ : أي بعد هذه الحجة ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ : أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ . فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ ﴾ : يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلا ﴿ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ : أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمة ، ولا في الشهر الحرام ﴿ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ ، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحيّ من قريش ، وهي الدّيل من بني بكر بن وائل ، الذين كانوا

دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أى المشركون الذين لاعهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : الإل : الحِلْف . قال أوس بن حَجَر ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بَنو مالك والإلّ مَرْقَبةٌ ... ومالكٌ فيهمُ الآلاء والشَّرفُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فَلا إلّ من الآلال بَيْنى ... وبينكمُ فَلا تَأْلُنّ جُهْداً

والذمّة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهَمْدانى ، وهو أبو مَسْروق ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذِمَّةٌ أن تُجاوِزوا ... من الأرض معروفاً إلينا ومُنْكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له وجمعها : ذِمم .

﴿ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ أى قد اعتدوا

عليكم ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

اختصاص الرسول عليًّا بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنَيف ، عن أبي جعفر محمد بن علىّ رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق ليُقيم للناس الحجّ ، قيل له : يارسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا علىّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ، فخرج علىّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ، وأجّل

الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدّة، فهو له إلى مدته. فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان.

ثم قَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

ما نزل في الأمر بجهاد المشركين

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاصّ، وَمَنْ كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم، فيقتل بعدائه، فقال: ﴿ألا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ﴾ أى من بعد ذلك ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ،وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِج: أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِيَاطِ﴾: أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ قال الشاعر :

واعلم بأنّك قد جُعلتَ وليجَةً ساقوا إليك الحَتْفَ غيرَ مَشُوب

ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قولَ قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاجّ ، وعمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَعْمُر مساجدَ الله أى من عمرها بحقها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلا اللهَ ﴾ : أى فأولئك عُمّارها ﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ وعسى من الله : حقّ .

ثم قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ﴾ .

ما نزل فى الأمر بقتال المشركين

ثم القصة عن عدوّهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ،

وتوليهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فلتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أى من وجه غير ذلك ﴿ إِنْ شَاءَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ : أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

ما نزل فى النسىء

ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها ، فقال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراماً : أى كما فعل أهلُ الشرك ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ الذى كانوا يصنعون ﴿ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سوءُ أعمالِهِمْ ، وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الكافرينَ ﴾.

ما نزل فى تبوك

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونِفاقَ من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعَى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ ﴾ ، ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ ﴾

ما نزل فى أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لاتَّبَعُوكَ ، ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ،

وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴾ : أى إنهم يستطيعون ﴿ عَفا اللهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ ﴾ ؟ . . . إلى قوله : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مازادُوكُمْ إلاَّ خَبالاً ، ولَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدعُ بن مالك الهَمْداني :

يَصْطادكَ الوحِدَ المُدِلَّ بشأوِه   بشَريج بين الشَّدِّ والإيضاع

وهذا البيت فى قصيدة له .

عود إلى ما نزل فى أهل النفاق

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بنُ أُبَىّ بن سَلول ، والجدّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم ، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ . لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴾ : أى من قبل أن يستأذنوك ، ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ : أى ليُخذّلوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك ﴿ حتى جاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كارِهُونَ .

. . . .

وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلا تَفْتِنِّى ألا فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمّى لنا ، الجدّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمَة ، حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أوْ مَغارَاتٍ أوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدَقَاتِ ، فَإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا ، وَإنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إنما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها ، والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وفِى الرِّقَابِ ، والغارِمِينَ وفى سَبِيلِ اللهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ باللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئاً صدّقه . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ : أى يسمع الخير ويصدّق به .

ثم قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾ ، وكان الذى قال وديعة بن ثابت ، أخو بنى أميَّة بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عُفِىَ عنه ، فيما بلغنى : مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعىّ ، حليف بنى سَلِمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمع .

ثم القصَّةَ من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ . وكان الذى قال تلك المقالة الُجلاس بن سُوَيد بن صامت ، فرفعها عليه رجلٌ كان فى حِجْره ، يقال له عُمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ماقالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحَسُنَت حالُه وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ ،

وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وكان المطّوِّعون من المؤمنين فى الصدقات عبدَ الرحمن بن عوف ، وعاصمَ بن عدىّ أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة ، وحضّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدىّ ، فتصدّق بمائة وَسْق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ماهذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أُنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنىّ عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسَّير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد ، فقال تعالى : ﴿ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِى الحَرّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وأَوْلادُهُمْ ﴾ .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أُبىّ

قال ابن إسحاق : وحَدثنى الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عقبة، عن ابن عباس ، قال : سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول : لما توفى عبد الله بن أُبَىّ ، دُعِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على

عدوّ الله عبد بن أُبىّ بن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : يا عمر أخّر عنى ، إنى قد خُيّرت فاخترت ، قد قيل لى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾ ، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزدت . قال ثم صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فُرغ منه . قال : فعَجِبت لى وجُرأتى على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ ﴾ فما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل فى المستأذنين

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا باللهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ، وكان ابن أُبىّ من من أولئك ، فنعَى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ، ذلكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . وكان المعذّرون ، فيما بلغنى نفراً من بنى غِفار ، منهم خُفافُ بن أيماء بن رَحَضة ،

ثم كانت القصة لأهل العــــذر ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾ وهم البكاءون.

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِياءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ ، وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ والخوالف : النساء . ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ ﴾ : أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ ، عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم ذكر الأعرابَ أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ ، أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعده

. . . .

الله من حُسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وممَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ : أى لجُّوا فيه ، وأبَوْا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، والعذاب الذى أوعدها الله تعالى مرّتين ، فيما بلغنى: غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غَيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ ، إمَّا يعَذِّبهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً ﴾ . . . الخ . القصة ثم قال تعالى ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم وبعدَه المبعْثِرة ، لما كَشفت من سرائر الناس . وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسَّان بن ثابت يُعدّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلستُ خيرَ معدّ كلّها نفراً ... ومعشراً إن همُ عُمُّوا وإن حُصِلوا
قَوْمٌ همُ شَهِدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألَوا وما خَذَلوا
وبايعوه فلم يَنْكُثْ به أحَدٌ ... منهم ولم يَكُ في إيمانهم دَخَلُ
ويومَ صَبَّحهم في الشِّعب من أُحُد ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحَرّ النَّار مُشتعلُ
ويوم ذي قَرَد يومَ استثار بهمْ ... على الجيادِ فما خامُوا وما نَكلوا
وذا العُشيرة جاسُوها بخَيْلهمُ ... مع الرَّسول عليها البيضُ والأسَلُ
ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتى نَهانا الحَزْن والجَبَلُ
ولَيْلَةً طلَبُوا فيها عَدُوَّهُمُ ... للهِ واللهُ يَجْزِيهم بما عَمِلوا
وغَزْوَةً يومَ نَجْدٍ ثم كانَ لهم ... مع الرَّسولِ بها الأسلاب والنَّفَلُ
ولَيْلَةً بحُنَيْن جالدُوا معَهُ ... فيها يعلُّهم بالحرْب إذ نَهِلوا
وغَزْوَةَ القاع فرَّقْنا العدوَّ به ... كما تُفرَّق دون المَشرب الرَّسَلُ
ويومَ بُويعَ كانوا أهلَ بَيْعته ... على الجِلاد فآسَوْه وما عَدَلوا
وغَزْوَةَ الفَتحِ كانوا في سَرِيَّته ... مُرابِطِينَ فما طاشُوا وما عَجِلوا
ويومَ خَيْبَرَ كانوا في كَتِيبَته ... يَمْشون كلُّهم مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ
بالبيض تَرْعَش في الأيمانِ عارِيةً ... تَعْوَجّ في الضرب أحياناً وتعتدلُ
ويومَ سارَ رَسولُ اللهِ مُحْتَسِباً ... إلى تَبُوكَ وهم راياته الأُوَلُ
وساسةُ الحرْبِ إن حرْبٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدا لهمُ الإقبالُ والقَفَلُ
أُولئك القومُ أنصارُ النَّبيّ وهمْ ... قَومي أصيرُ إليهم حينَ أتَّصِلُ

ماتوا كِراماً ولم تُنكَثْ عُهودُهمُ ... وقتلُهم فى سبيلِ اللهِ إذْ قُتلوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كُنَّا مُلوكَ النَّاسِ قبلَ مُحَمَّدٍ ... فلمَّا أتى الإسلامُ كان لنا الفَضْلُ

وأكرَمنا اللهُ الذى ليسَ غيرَهُ ... إلهٌ بأيَّام مَضَتْ مالهـا شَكْلُ

بنَصرِ الإلهِ والرَّسولِ ودِينـه ... وألبَسَناه اسماً مَضَى ماله مِثْلُ

أولئك قَوْمى خيرُ قومٍ بأسْرِهم ... فما عُـدَّ من خَيرٍ فقَوْمى له أهْلُ

يَرُبُّون بالمعروفِ معروفَ من مضَى ... وليس عليهم دونَ مَعْروفهم قُفْلُ

إذا اختُبِطوا لم يُفحِشوا فى نديِّهمُ ... وليس على سُؤَّالهم عندهم بُخلُ

وإن حارَبوا أو سالمُوا لم يُشَبَّهوا ... فَحَرْبهم حَتْفٌ وسِلْمهمْ سَهْلُ

وجارُهم مُوفٍ بعَلْياءَ بيتـه ... له ماثَوَى فينا الكرامةُ والبَذْلُ

وحامِلُهم مُوفٍ بكلّ حَمالة ... تحمَّل لا غُرْمٌ عليها ولا خَـذْلُ

وقائلُهمْ بالحقّ إن قالَ قائلٌ ... وحِلْمهمُ عَوْدٌ وحُكمهمُ عَدْلُ

ومنَّا أميرُ المُسْلمين حَياتَه ... ومَنْ غَسَّلَتْهُ مِن جَنابَته الرُّسْلُ

قال ابن هشام : وقوله « وألبسناهُ اسماً » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

قَوْمى أُولَئكَ إنْ تَسألى ... كِرَامٌ إذا الضَّيْفُ يوماً أَلَمْ

عِظامُ القُــدُورِ لأيْسارِهِمْ ... يَكُبُّونَ فِيها المُسِنَّ السَّنِمْ
يُؤَاسُونَ جارَهُمُ فى الغِنَى ... ويَحْمُونَ مَوْلاهُمُ إنْ ظُلِمْ
فـكانُوا مُلُوكا بأرْضِيهِمُ ... يُنادُونَ عَضْباً بأمرٍ غُشُمْ
مُلوكا على النَّاس ، لم يُمْلَكُوا ... منَ الدَّهرِ يوماً كحِلِّ القَسَمْ
فأنبَوا بعــادٍ وأشياعها ... ثَمُــودَ وَبعضِ بقايا إرَمْ
بيَثْرِبَ قــد شَيَّدوا فى النَّخيلِ ... حُصُوناً ودُجِّنَ فيها النَّعَمْ
نَوَاضِحَ قـد عَلَّمَتها اليهُو ... دُ (عَلْ) إليك وقَوْلا هَلُمْ
وفيما اشْتَهَوْا مِن عَصِيرِ القِطا ... فِ والعيْشِ رخواً على غيرِ هَمّ
فَسِرْنا إليهمْ بأثقالِنا ... على كُلِّ فَحْلٍ هِجانٍ قَطِمْ
جَنَبْنا بهِــنَّ جِيادَ الخُيُو ... لِ قد جَلَّلُوها جِلال الأَدَمْ
فلمَّا أناخُوا بجَنْبَىْ صِرَارٍ ... وشَدوا السُّرُوجَ بلَىِّ الحُزُمْ
فما راعَهُم غَـــيرُ مَعْجِ الخيُو ... لِ والزَّحْفُ من خلفهم قد دَهِمْ
فطارُوا سِراعاً وقد أُفزِعُوا ... وجِئْنا إليهم كأُسْدِ الأُجُمْ
على كلِّ سَلْهبة فى الصِّيا ... نِ لا يَشتكين نُحُولَ السَّأَمْ
وكلِّ كُمَيْتٍ مُطار الفُؤَادِ ... أمينِ الفُصوصِ كمثل الزُّلَمْ
عليها فوارِسُ قـد عُوِّدُوا ... قِراعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَمْ
مُلوكٌ إذا غَشَمُوا فى البِلا ... دِ لا يَنْكُلُونَ ولـكن قُدُمْ
فأُبْنا بساداتِهِــمْ والنِّساء ... وأوْلادُهم فيهِمُ تُقْتَسَمْ

. . . .

وَرِثْنا مَساكِنَهُمْ بَعْدَهم وكُنَّا مُلوكاً بِها لَمْ نَرِمْ
فلمَّا أتانا الرَّسُولُ الرَّشِيد بالحقّ والنُّور بعدَ الظُّلَمْ
قُلْنا صَدَقْتَ رَسُولَ المَليك هَلُمَّ إلَيْنا وفينا أقِمْ
فَنَشْهَدَ أنَّكَ عبدُ الإلـه أُرْسِلْتَ نُوراً بدينٍ قِيَمْ
فإنا وأوْلادُنا جُنَّةٌ نَقِيكَ وفي مالِنا فاحْتَكِمْ
فنحْنُ أُولَئِكَ إنْ كذَّبوك فنادِ نِداءً وَلا تَحْتَشِمْ
وناد بما كُنْتَ أخْفَيْتَهُ نداءً جِهاراً وَلا تَكْتَتِمْ
فصار الغُواةُ بأسْيافهم إلَيه يظُنُّونَ أن يُخْتَرَمْ
فقُمْنا إليْهِمْ بأسْيافنا نجالدُ عنهُ بُغاةَ الأُمَمْ
بكلِّ صقيلٍ لهُ مَيْعَةٌ رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَذِمْ
إذا ما يصادِفُ صُمَّ العظا مِ لم يَنْبُ عنها ولم يَنْثَلِمْ
فذلكَ ماوَرَّثَتْنا القُرُو مُ مَجْداً تَليداً وعِزّاً أشَمّ
إذا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلُه وغادرَ نَسْلا إذا ما انْفَصَمْ
فمَا إنْ من النَّاس إلاَّ لَنا عَلَيْه وإن خاس فضلُ النِّعَمْ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فكانُوا مُلُوكاً بأرْضِيهم يُنادُونَ غُضْباً بأمر غُشُمْ

وأنشدنى :

بيثربَ قد شيَّدوا فى النَّخيل حُصوناً ودُجِّن فيها النَّعَم

وبيته : « وكلّ كُمَيْت مطار الفُؤاد » عنه .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عُبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

انقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحيّ من قُريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقَةَ لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عزّ وجلّ ، أفواجاً ، يضربون إليه من كلّ وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ . ورأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا ﴾ : أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

. . . .

. . . .

غزوة تبوك

سُمِّيَتْ بعين تَبُوكَ ، وهى العينُ التى أمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – الناسَ ألّا يَمَسُّوا من مائها شَيْئاً ، فسبق إليها رجلان ، وهى تَبِضُ بشىء من ماء ، فجعلا يدخلان فيها سَهْمَيْن ليكثر ماؤُها ، فسبَّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما : مازلتما تبوكانها منذ اليوم فيما ذكر القُتَبىُّ ، قال : وبذلك سُمِّيت العينُ تَبُوكَ(١) ، والبَوْكُ كالنَّقْشِ والحفر فى الشىء ، ويقال منه : بَاكَ الحمارُ الأتانَ يَبُوكها إذا نَزا عليها .

ووقع فى السِّيرة : فقال : مَنْ سَبَقَنا إلى هذا ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ ، وقال الواقدى : فيما ذكر لى ، سبقه إليها أربعةٌ من المنافقين مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْر ، والحارثُ بن يَزِيد الطَّائىّ ، ووَدِيعَةُ بن ثَابِتٍ ، وزَيْدُ ابن لُصَيْتٍ .

وذكر الجَدَّ بن قَيْسٍ ، وقولَ النبى صلى الله عليه وسلم له : ياجَدُّ هل لك العامَ فى جِلَاد بنى الأصفر ، يقال : إن الرومَ قيل لهم بنو الأصفر ، لأن عيصو ابن إسحاق كان به صُفْرَةٌ ، وهو جَدُّهم ، وقيل : إن الرُّومَ بن عيصو هو الأصفر ، وهو أبوهم ، وأُمُّه نَسْمَةُ بنت إسماعيل ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب مَنْ وَلَدت من الأمم ، وليس كلُّ الروم من ولد بنى الأصْفَرِ ، فإن

---

(١) هو فى معجم البكرى . وقد روى مالك ومسلم هذا الحديث بغير هذا اللفظ راجع فتح البارى ص ٨٩ وما بعدها ج١ .

. . . .

الرومَ الأُوَلَ هم فيما زعموا من ولد يُونَان بن يَافِثِ بن نُوحٍ ، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها .

وذكر يونس بِإثرِ حديث الجدِّ بن قَيْس عن عَبْد الحميد بن بَهْرَامَ عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن عَبْدِ الرحمن بن غَنْم أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم إن كنتَ صادقاً أنك نبي فالحَقْ بالشَّام ، فإن الشامَ أرضُ المَحشَرِ وأرض الأنبياء ، فصدّق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قالوا فغزا غَزْوَةَ تَبُوكَ لا يريد إلا الشَّامَ ، فلما بلغ أنزل اللهُ تعالى عليه آيات مِنْ سُورَة بني إسرائيل بعد ما خُتِمَتْ السورةُ ﴿ وإن كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ من الأرض ، ليُخرِجُوكَ منها ، وإذاً لا يَلْبَثُون خلافك ـ إلى قوله : تَحْوِيلا ﴾ الإسراء : ٧٦، ٧٧ . فأمره بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها مَحْيَاكَ ، وفيها مَمَاتُكَ ، ومنها تبعث[1] ، ثم قال ﴿ أَقِم الصلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ إلى قوله ﴿ مَحْمُوداً ﴾ الإسراء . ٧٨، ٧٩ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأمره جبريلُ ، فقال : سَلْ

---

(١) يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ولقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) الآية وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه . وقيل : إنها نزلت في كفار قريش حين هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع .

. . . .

رَبَّك ، فإن لكل نبي مَسْأَلةً ، وكان جبريلُ عليه السلام له ناصحاً ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم له مُطِيعاً ، فقال : ماتأمرني أن أسأل؟ قال : (قُلْ :رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني مُخْرَجَ صِدْقٍ ، واجْعَلْ لي من لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً) وهؤلاء نزلن عليه في رَجْعَتِه من تَبُوكَ(١) .

إبطاء أبي ذر :

فصل : وذكر أباذَرٍّ الغِفَارى ، وإبطاءَه . واسْمُه : جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ ، هذا أصح ماقيل فيه ، وقد قيل فيه : بَرِيرُ بن عِشْرِقَةَ ، وجُنْدُب بن عَبْد الله ، وابن السكن(٢) أيضاً .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذَرٍّ ، وفي أبي خَيْثَمَةَ : كن أبا خَيْثَمَةَ ، لفظُه لفظُ الأمر ، ومعناه الدعاء ، كما تقول : أَسْلِمْ سَلَّمَكَ اللهُ

إعراب كلمة وحده :

وقوله في أبي ذَرٍّ : رحم الله أبا ذَرٍّ يمشي وَحْدَه ، ويموت وَحْدَه(٣) .

---

(١) عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة فأنزل الله هذه الآية . رواه أحمد وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) في الإصابة : ابن سكن ، وقيل في اسمه بزير بالتصغير . ونسبه كما ورد في الإمتاع للمقريزى بعد جنادة : « ابن قيس بن عمرو بن خليل بن صعير بن حرام بن غفار » وفي الإصابة « وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بياض» الخ كما ورد في الإمتاع .

(٣) يقول ابن حجر في الإصابة : عن سند قصة ابن إسحاق فهذا « سند ضعيف »

. . . .

أي : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحالُ لنفي الاشتراك في الفعل نحو كلمني زيدٌ وحده ، أي : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره ، أي : كلمني خصوصاً ، وكذلك لو قلت : كلمته من بينهم وَحْدَه ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذي في الحديث ، فلا يتقدَّر هذا التقدير ، لأنه من المحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : مُنْفَرِداً بذاته ، أي : على حِدَتِه ، كما قال يونُس ، فقول يونُسَ صالحٌ في هذا الموطنِ ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلُح أن يُحْمَل عليه في أكثرِ المواطن ، وإنما لم يتعرف وَحْدَه بالإضافة،لأن معناه كمعنى لاغير ، ولأنها كلمة تُنْبىء عن نَفْي وعَدَم ، والعَدَمُ ليس بشيء فضلا عن أن يكون مُتَعَرِّفاً مُتَعَيِّناً بالإضافة ، وإنما لم يُشْتَق منه فِعْلٌ ، وإن كان مصدراً في الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبىء عن عَدَمٍ ونَفْيٍ ، والفعلُ يدل على حَدَثٍ وزمانٍ ، فكيف يشتق من شيء ليس بحدث إنما هو عبارة عن انتفاء الحدَثِ عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلا إذا قلت : جاءني زيد وَحْدَه ، أي : لم يجيء غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بعد الوجود لا قَبْلَه ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحَدَثِ ، وقد أَطْنَبْنا في هذا الغرضِ ، ورددناه بياناً في مَسْأَلَةَ سبحان الله وبحمده وشرحها .

أجأ وسلمى :

فصل : وذكر الرجل الذي طرحته الريح بجَبَلَيْ طَيِّءٍ ، وهما أجأ وسَلْمَى وعُرِف أجأ بأجأ بن عبد الحَيِّ كان صُلِب في ذلك الجَبَل ، وسَلْمَى صُلِبَتْ

. . . .

في الجَبَلِ الآخر ، فعرف بها ، وهي سَلْمَى بنت حَامٍ فيما ذكر والله أعلم[١] .

أكيدر والكتاب الذي أرسل إليه :

فصل : وذكر كتابه لأُكَيْدِرِ دُومَة . ودُومة بضم الدال هي هذه ، وعرفت بدُومِي[٢] بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهي دُومةُ الجَنْدَلِ ، ودُومة بالضم أُخرَى ، وهي عند الحِيَرة ، ويقال لما حولها النَّجَفَ ، وأما دَوْمَة بالفَتْح فأُخرى مذكورة في أَخْبار الرِّدَّة[٣] .

وذكر أنه كتب لأُكَيْدِرِ دُومَة كتاباً فيه عهدٌ وأمانٌ ، قال أبو عبيد : أنا قرأته ، أتاني به شيخٌ هنالك في قَضِيم ، والقضِيم الصَّحِيفَةُ ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأُكَيْدِرِ حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالِدِ بن الوليد سيفِ الله في دُومَة الجَنْدَلِ وأكنافها ، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضَّحْل والبُورَ والمَعَامِيَ ، وأغْفَالَ الأرْضِ والحَلْقَةَ والسِّلاح والحافِرَ والحِصْنَ ولكم الضَّامِنة من النَّخل والمعين من المَعْمُور لا تُعْدَلُ سارِحَتُكم ، ولا تُعَدُّ فارِدَتُكم ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ، تقيمون الصلاةَ لوقتها ، وتُؤْتُون الزَّكَاة بحقِّها ، عليكم بذلك عهدُ الله

---

(١) أنظر معجم البكري مادة أجأ وسلمى .

(٢) ويطلق عليه أيضاً : دومان .

(٣) أنظر البكري في دومة . فهو يقول عن دومة بفتح الدال موضع بين الشام والموصل ، وهي من منازل جذيمة الأبرش . ودومة الكوفة بضم الدال هي النجف بعينه .

. . . .

والميثاق ، ولكم بذلك الصدقُ والوفاء . شهد الله ، ومَنْ حضر من المسلمين »
الضَّاحِيةُ : أطرافُ الأرضِ ، والمَعامِي: مجهولها، وأغفال الأرض: مالا أثَر لهم فيه من عمارة أو نحوها ، والضَّامِنة من النَّخل : ما داخل بَلَدهم ، ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ،أى لا تُمنَعون من الرَّعْى حيث شئتم ، ولا تُعدَلُ سارِحتُكم ، أى لا تُحشَر إلى المُصدِّق(١) وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الحَلْقَة ، وهى السلاحُ ، ولم يَفْعَل ذلك مع أهل الطائف حين جاءوا تائبين ، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ مَلِكهم أسيراً ، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ماتضمَّنه الكتابُ ، لأنه لم يقاتلهم ، حتى يأخذهم عَنْوَةً كما أخذ خَيْبَر ، فلو كان الأمرُ كذلك لكانت أموالُهم كلُّها للمسلمين ، وكان له الخيارُ فى رقابهم كما تقدم ولو جاءوا إليه تائبين أيضاً قبل الخروج إليهم ، كما فعلت ثَقِيفُ ما أَخَذَ من أموالهم شيئاً .

الكتاب إلى هرقل :

ولم يذكر ابن إسحاق فى غزوة تَبُوك ما كان من أمر هِرَقْلٍ ، فإن النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ كتب إليه من تبوك مع دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ ، ونصه مذكور فى الصِّحاح مشهور ، فأمر هِرَقْلُ مُنادياً ينادى : ألا إن هِرَقْلَ قد آمن بمحمد واتَّبعه ، فدخلت الأجنادُ فى سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ،

---

(١) لا تعدل سارحتكم فسرها صاحب النهاية بقوله : لا تصرف ماشيتكم عن مرعاها . والغادرة : الزائدة على الفريضة ، أى : لا تضم إلى غيرها ، فتعد معها ، وتحسب .

. . . .

فأرسل إليهم : إنى أردت أن أختبر صلابتكم فى دينكم ، فقد رضيت عنكم ، فرضوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دحية يقول فيه للنبى — صلى الله عليه وسلم — إنى مسلم ، ولكنى مغلوب على أمرى ، وأرسل إليه بهدية ، فلما قرأ النبىُّ صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ، بل هو على نصرانيته .

موقفه صلى الله عليه وسلم من بعض الهدايا :

وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مُشرِكٍ مُحارِب ، وإنما قبل هذه لأنها فَىْءٌ للمسلمين ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته فى بيته كانت له خالصة ، كما كانت هدية الْمُقَوْقِس خالصةً له ، وقَبلها من الْمُقَوْقِس ؛ لأنه لم يكن مُحارباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول فى الدين ، وقد رد هدية أبى بَرَاء مُلَاعِبِ الأسِنَّةِ ، وكان أهْدَى إليه فَرَساً ، وأرسل إليه : إنى قد أصابنى وَجَعٌ أحسبه قال : يقال له : الدُّبَيْلَة[1] ، فابْعَثْ إلىَّ بشَىْءٍ أتداوى به ، فأرسل إليه النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — بِعُكَّةِ عَسَلٍ[2] ، وأمره أن يَسْتَشْفِىَ به ، وَرَدَّ عليه هديتَه ، وقال : إنى نُهِيتُ عن زبد المشركين ، وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطُّفَيْل عَدُوِّ الله ، وإنما هو

---

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً .

(٢) العكة من السمن أو العسل هى وعاء من جلود مستدير يختص بهما ، وهو بالسمن أخص .

. . . .

عَمِّه عامرُ بن مَالكٍ . وقوله عليه السلام عن زَبْدِ[1] المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره مُلَاينتَهُمْ ومُدَاهنتَهُم ، إذا كانوا حَرْبًا ، لأن الزَّبْدَ مُشْتَقّ من الزُّبْد ، كما أن الْمُدَاهَنَة مُشْتَقَّة من الدُّهْنِ ، فعاد المعنى إلى معنى اللين والْمُلَايَنَة ، ووجود الجد فى حَرْبِهم والْمُخَاشَنة . وقد رَدَّ هَدِية عياض بن حَمَّاد الْمُجَاشِعى قبل أن يُسْلِم ، وفيها قال : إنى نُهِيتُ عن زَبْدِ المشركين . وأهدى إلى أبى سفيان عَجْوَةً واسْتَهْدَاه أدمًا فأهداه أبو سفيان وهو على شِرْكه الأدم ، وذلك فى زمن الْهُدْنَةِ التى كانت بينه وبين المسلمين فى صُلْح الْحُدَيْبِيَةَ ، وقد روى أن هِرَقْلَ وضع كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى كتب إليه فى قَصَبَةٍ من ذَهَبٍ تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوراثونه كابرًا عن كابر فى أرفع صِوانٍ ، وأَعَزِّ مكان حتى كان عند «إذفونش»[2] الذى تَغَلَّب على طُلَيْطُلَةَ ، وما أخــذ أخذها من بِلَاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف « بالسليطين » حدثنى بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجنادِ المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد ، قال : فأخرجه إلىّ فاستَعْبَرْتُهُ وأردت تقبيله ، وأخذه بيـدى ، فمنعنى من ذلك صِيانَةً له وضَنًّا به عَلَىّ . ويقال : هِرَقْل وهِرْقِل .

حول قصة البكائين :

فصل : وذكر البَــكَّائِين ، وذكر فيهم عُلْبَةَ بن زَيْدٍ ، وفى رواية يونس

---

(١) زبد : عطاء .

(٢) يقصد : ألفونس بن فرديناند الذى استولى على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

. . . .

أن عُلْبَةَ خرج من الليـل فصلى ما شاء الله ، ثم بكى ، وقال : « اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورغَّبت فيه ، ثم لم تَجْعَلْ عنـدى ، ما أتقوَّى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك مايَحْمِلنى عليـه ، وإنى أتصدق على كُلِّ مُسْلِم بكل مَظْلَمَةٍ أصابنى بهـا فى مالٍ أو جسدٍ أوعِرْضٍ » ثم أصبح مع الناس ، وقال النبي صلى الله عليـه وسلم : أين الْمُتصَدِّق فى هذه الليلة ؟ لم يقم أحد ، ثم قال أين المتصدق فى هذه الليلة فَلْيَقُمْ ، ولا يَتزَاهَدُ ماصنع هذه الليلة ، فقام إليه ، فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَبْشِرْ فوالذى نفسُ محمد بيدِه ، لقـد كُتِب فى الزكاة المتقبَّلة . وأما سالم بن عُمَيْرٍ وعبد الله بن المغفل ، فرآهما يامينَ بن كَعْبٍ يبكيان ، فزودهما ، وحملهما ، فلحقا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة حسّ :

فصل : وقوله خَبَراً عن أبى رُهْم: أصابت رِجْلى رجلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجلهُ فى الغَرْز[1] فما استيقظتُ إلاَّ بقوله : حَسِّ . الغَرْزُ للرَّحْلِ كالرِّكاب للسَّرج ، وحَسِّ: كلمةٌ تقولها العربُ عند وجود الألم ،وفى الحديث أن طَلْحَةَ لمـا أصيبت يدُه يوم أُحُدٍ ، قال : حَسْ ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو أنه قال : بِسْمِ الله ، يعنى مكَانَ حَسِّ، لدخل الجنَّة والناسُ ينظرون ، أو كَلَاماً هذا معناه ، وليست حَسِّ باسْمٍ ولا بفِعْلٍ ، إنها لا مَوْضِعَ لها من

(١) يحكى الكلام بمعناه لا بنصه .

. . . .

الإعراب ، وليست بمنزلة صَهْ ، ومَهْ ، ورُوَيْد ، لأن تلك أسماء سُمِّى الفعل بها . وإنما حَسِّ[1] صوتٌ كالأنين الذى يُخرجه المتألم نحو آه ، ونحو قول الغُراب : غَاقِ ، وقد ذكرنا قبل فى أفّ وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة ، كأنه يحكى بها صوت النَّفخ ، والثانى أن يكون مَعْرِفَة مثل تَبًّا يُراد بها الوَسَخُ[2] .

وقوله : السُّودُ الثِّطاط[3] جمع : ثَطٍّ ، وهو الذى لا لِحْيَةَ له . قال الشاعر :

كهامَةِ الشيخ اليَمَانى الثَّطِّ[4]

ونحو منه : السِّنَاط ، ومن المحدِّثين مَنْ يرويه : الشِّطَاط ، وأحْسَبُه تَصْحِيفاً .

وقوله : بشبكة شَدَخ[5] : موضعٌ من بلاد غِفَارٍ .

---

(١) تقال بفتح الحاء وكسر السين وبدون تنوين ، وتقول : ضرب فما قال حس ولا بس بالجر والتنوين ، ومن العرب من يجر ولا ينون ، ومنهم من يكسر حاء حس وباء بس .

(٢) فيها عشرة أوجه أفّ له بفتح الفاء وتشديدها وبكسرها وبضمها كل هذا بدون تنوين ثم بنصبها وكسرها وضمها مع التنوين ، ثم أفى بإمالة الفاء المشددة إلى الكسر ، ثم أفى بوزن كبرى ثم أفة بتشديد الفاء ، وأف بإسكان الفاء .

(٣) فى السيرة : الحمر الطوال الثطاط أم السود فقال عنهم : الجعاد القصار والثط أيضاً : ثقيل البطن بطىء . أو القليل شعر الحاجبين .

(٤) هو لأبى النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلى . وفى اللسان : كهامة .

(٥) فى الأصل : شرخ ، والتصويب من معجم البكرى .

. . . .

أصحاب مسجد الضرار:

فصل : وذكر المنافقين الذين اتخذوا مَسْجِداً ضِرَاراً .

وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يُعْرَف بحمارِ الدار ، وهو جارية ابن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف .

وذكر فيهم ابنَه مُجَمِّعاً ، وكان إذ ذاك غلاماً حَدَثاً قد جمع القرآن فقدموه إماماً لهم ، وهو لايعلم بشيء من شأنِهم ، وقد ذكر أن عمر بن الخطّاب فى أيّامه أراد عَزْله عن الإمامة ، وقال : أليس بإمام مسجد الضِّرارِ ، فأقسم له مُجَمِّع أنه ماعلم شيئاً من أمرهم ، وماظن إلا الخير ، فصدقه عُمَرُ ، وأقرّه ، وكانت مساجدُ المدينة تسعةً سوى مسجدِ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلهم يصلون بأذان بِلالٍ ، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشَجّ فيما روى عنه أبو داود فى مَراسِيله ، والدَّارَقُطْنِي فى سُنَنِه ، فمنها مَسْجِدُ راتِجٍ[1] ، ومَسْجد بنى عبد الأشهَل ، ومسجد بنى عَمْرو بن مَبْذول ، ومسجد جُهَيْنَة وأسْلَمَ ، وأحسبه قال : ومسجد بنى سَلمة ، وسائرها مذكور فى السُّنَنِ ، وذكر ابن إسحاق فى المساجد التى فى الطريق مسجداً بذى الخَيِفَة ، كذا وقع فى كتاب أبى بَحْرٍ بالخاء مُعْجَمَة ، ووقع الجِيفَة بالجيم فى كتاب قُرِئ على ابن أبى سراج ، وابن الإفليلى وأحمد ابن خالد .

---

(١) فى معجم البكرى عن راتج : موضع تلقاء المدينة ، كان ينزله بعض الأنصار ، وفى المراصد : أطم من آطام اليهود بالمدينة ، وتسمى الناحية به .

. . . .

عن الثلاثة الذين خلفوا :

فصل : وذكر الثلاثة الذين خُلِّفوا ، ونَهْى الناس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبُه على مَنْ تَخَلَّفَ عنه ونَزَل فيهم من الوعيد ما نَزَل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهادُ من فُروض الكِفَايَة ، لامن فروض الأعيانِ، لكنه فى حَقِّ الأنصار خاصَّةً كان فرضَ عَيْنٍ ، وعليه بايعوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ألا تَرَاهم يقولون يوم الخَنْدَقِ ، وهم يَرْتَجِزُون :

نحن الذين بايعــوا مُحَمَّداً على الجِهادِ ما بَقِينا أبداً

ومَنْ تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأَخْذِ عيرٍ ، ولم يظنوا أنْ سيكون قتالٌ ، فكذلك كان تخلُّفهم عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغَزَاةِ كبيرةً لأنها كالنَّكث لِبَيْعَتِهِم ، كذلك قال ابن بَطَّال رحمه الله فى هذه المسألة : ولا أعرف لها وجهاً غير الذى قال ، وأما الثلاثة فهم كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب ، واسم أبى كعب عَمْرُو بن القَيْنِ بن كَعْب ابن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْبِ بن سَلِمَةَ بن سَعْدِ بن عَلِيّ بن أسَد بن سَارِدَةَ ابن يَزِيدَ بن جُشَم بن الخَزْرَج الأنصارى السَّلَمِى، يكنى : أبا عبدالله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، [وقيل : أبا بشير] أمه : ليلى بنت زَيْد بن ثَعْلَبَةَ من بنى سَلِمَة أيضاً ، وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، ومُرَارة بن رَبِيعةَ ، ويقال ابن الرَّبيع العَمرِى الأنصارى من بنى عَمْرو بن عَوْف .

زاح على الباطل :

فصل : وذكر قول كعب : زاح على الباطل ، يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زُيُوحاً وزيحاناً ، إحداهما عن الأصمعى ، والأخرى عن الكسائى .

وقوله : فقام إلىّ طلحة بن عُبَيْد الله يهَنِّئُنى ، فكان كعبٌ يرَاها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طلحة إليه ، وقد قال عليه السلام فى خَبَرِ سعد بن مُعاذ : قوموا إلى سيِّدكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، منهم : صَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتِم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارضٍ لحديث معاوية عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « مَنْ سَرَّه أن يَمْثُلَ له الرجالُ قياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَده من النار » ويروى : يَسْتَجِمَّ له الرجالُ[1] ؛ لأن هذا الوعيد إنما توجَّه للمُتَكَبِّرين ، وإلى مَنْ يَغْضَب ، أو يَسْخَطُ ألا يُقَامَ له ، وقد قال بعضُ السَّلَفِ : يقام إلى الوالد برًّا به ، وإلى الولدِ سُرُوراً به ، وصدق هذا القائل ، فإن فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم إلى أبيها صلى الله عليه وسلم برًّا به ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم إليها سُرُوراً بها رضى الله عنها ، وكذلك كل قيام أثمره الحبُّ فى الله ، والسرور بأخيك بنعمة الله ، والبر بمن يحب برَّه فى الله تبارك وتعالى ، فإنه خارج عن حديث النهى والله أعلم .

(١) يجتمعون له فى القيام .والحديث كما قال السيوطى : رواه أحمد فى مسنده والترمذى وأبو داود .

. . . .

إسلام ثقيف

فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِل : مثله كمثلِ صاحبِ ياسين فى قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه (اتَّبِعوا المرسلين) فقتله قومُه ، واسمه حَبِيبُ بن مُرِّى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياسَ ، وهو الْيَسَع ، فإن إلياس يقال فى اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبرى : هو إلياس بن ياسين ، وفيـــه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَلامٌ على إلْ ياسين ﴾ الصافات : ١٣٠ فالله أعلم . وقد بينا فى التعريف والإعلام معنى إلياس وإلياسين وآلِ ياسين بياناً شافياً ، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلياسين جمع كالأشعَرِين ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلْيُنْظر هنالك .

زوج عروة :

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونةُ بنت أبى سُفْيان،فولدت له أبا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ ، وبنت أبى مُرَّةَ هى : ليلى امرأة الحسين بن عَلِيٍّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيًّا الأكبر قتل معه بالطَّفِّ[1] ، وأما علىٌّ الأصْغَرُ فلم يُقْتَل معه ، وأمُّه : أم وَلَدٍ ، واسمها سُلَافَةُ ، وهى بنت كِسْرَى بن يَزْدَجِرْدَ ، وأختُها الغَزَالُ هى أم أبى بَكْرِ بن عبدِ الرحمن بن الحارثِ بن هِشَامٍ .

---

(١) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طرف البرية « المراصد » .

. . . .

حول هدم اللات :

فصل : وذكر إسلام ثقيف وهدم طاغيتهم ، وهى اللَّات ، وأن المُغِيرَةَ وأبا سُفْيَانَ هما اللذان هَدَمَاها وذكر بعض مَنْ ألَّف فى السِّير أن المغيرة قال لأبى سفيان حين هدمها : ألا أُضْحِكَكَ من ثقيف ؟ فقال : بَلَى ، فأخذ المِعْوَلَ ، وضرب به اللاتَ ضَرْبة ، ثم صاح وخَرَّ على وجهه ، فارْتَجَّتْ الطائفُ بالصِّياح سُروراً بأن اللَّاتَ قد صَرَعَت المغيرةَ ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يامُغِيرَةُ دُونَكَهَا إن استَطَعْتَ ، ألم تَعْلَمْ أنها تُهْلك مَنْ عاداها ، ويْحَكُمْ ألا تَرَوْنَ ماتَصْنَع ؟ فقام المغيرةُ يضحك منهم ، ويقول لهم : ياخُبَثَاء والله ماقَصَدْتُ إلاَّ أُلْهُزُأَ بكم ، ثم أقبل على هَدْمِها ، حتى اسْتَأْصلها ، وأقبلت عجائزُ ثَقِيفٍ تَبْكِى حَوْلها ، وتقول : أَسْلَمَها الرُّضَّاعُ ، إذْ كَرِهُوا المِصَاعَ ، أى أسلمها اللِّئَامُ حين كَرِهوا القِتال .

فقه حديث كتاب النبي لثقيف :

فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق ، وذكر فيه شهادة عَلِىٍّ وابنيه الحَسَنِ والحُسَيْنِ ، قال : وفيه من الفقه شهادة الصِّبْيان ، وكتابة أسمائهم قبل البُلوغ ، وإنما تُقْبَل شهادتُهم إذا أدَّوْهَا بعد البُلوغ ، وفيه من الفِقه أيضاً شهادةُ الابن مع شَهَادَةِ أبيه فى عقد واحد .

وذكر فى الكتاب : وَجًّا ، وأنه حَرَامٌ عِضَاهُهُ وشَجَرُه ، يعنى حَرَاماً على

. . . .

غير أهله كتحريم المدينةِ ومكة . وَوَجٌّ هى أرض الطائف ، وهى التى جاء فيها الحديثُ : إنّ آخر وَطْأَةٍ وطِئها الرّبُّ بِوَجٍّ ، ومعناها عند بعضهم : آخر غَزْوَةٍ وَوَقْعَةٍ كانت بأرض العرب بوَجٍّ ، لأنها آخرُ غَزَوَاتِه ـ صلى الله عليه وسلم إلى العرب ، وقد قيل فى معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره القُتَبِيُّ ، ونحن نضرب عن ذكره ، لما فيه من إيهام التشبيه ، والله الْمُسْتَعَانُ .

وج :

وقد قيل فى وَجٍّ هى الطائفُ نفسُها ، وقيل : هو اسمٌ لوادٍ بها ، ويشْهَد لهذا القول قول أُمَيَّةَ بن الأسْكَرِ :

إذا يَبْكِى الحمامُ ببطْنِ وَجٍّ   على بيضاته بَكَيَا كِلَابَا[1]

وقال آخر[2] :

أتُهْدِى لى الوعيدَ بِبَطْنِ وَجٍّ   كأنى لا أراكَ ولا تَرَانِي

وقد ألفيت فى نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم وقال أُميَّةُ بن أبى الصَّلْتِ :

---

(١) أول القصيدة :

لمن شيخان قد نشدا كلابا   كتاب الله إن رقب الكتابا

والبيت الذى فى الروض ثالث بيت فى القصيدة وروايته فى الأمالى :

إذا هتفت حمامة بطن واد   على بيضاتها دعوا كلابا

وللشعر خبر طريف فى الأمالى ص١٠٨ ذيل الأمالى ط ٢ .

(٢) نسبه البكرى فى معجمه للنابغة الذبيانى .

. . . .

إن وَجًّا وما يلى بطْنَ وَجٍّ دارُ قومى بِرَبْوَةٍ وزُنوقِ[1]

وسُمِّيت وَجًّا فيما ذكروا بِوَجِّ بن عَبْدِ الحَىِّ من العَمالِقة[2] ، ويقال : وَجّ ، وأجّ بالهمزة ، قاله يعقوب فى كتاب الإبدال ، وكتابه صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير ، وقد أورده أبو عبيد بكماله فى كتاب الأموال .

إنزال سورة براءة

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم من تَبُوك ، فذكر مُخالَطة المشركين للناس فى حَجِّهم ، وتَلْبِيَتَهم بالشِّرْك وطوافَهم عُراةً بالبيت ، وكانوا يقصدون بذلك أن يَطُوفوا كما وُلِدوا بغير الثياب التى أذنبوا فيها ، وظلموا ، فأمسك — صلى الله عليه وسلم — عن الحَجِّ فى ذلك العام ، وبعث أبا بكر — رضى الله عنه — بسورة براءةَ لِيَنْبِذَ إلى كل ذى عهد عهدَه من المشركين إلاَّ بعضَ بنى بَكْر الذين كان لهم عهدٌ إلى أجل خاصٍّ ، ثم أردف بعلىٍّ رضى الله عنه ، فرجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : يارسول الله هل أُنْزِل فىَّ قرآنٌ ؟ قال : لا ، ولكن أردت أن يبلغَ عنى مَنْ هُو من أَهْل بَيْتى ، قال أبو هريرة : فأَمَرَنِى علىٌّ — رضى الله عنه — أنْ

---

(١) فى الأصل : ربوة ورثوق، والتصويب من معجم البكرى وفيه أيضاً : وريدة بدلا من بربوة .

(٢) فى معجم البكرى .

. . . .

أطوفَ فى المنازلِ مِنْ منًى ببَرَاءة ، فكنت أصيح حتى صَحَلَ حَلْقى ، فقيل له : بم كنت تنادى ؟ فقال : بأربع : ألَّا يدخلَ الجنةَ إلَّا مؤمنٌ ، وألَّا يَحُجَّ بعد هذا العام مُشْرِكٌ ، وألَّا يَطُوفَ بالبيت عُرْيَانٌ(١) ، ومن كان له عَهْدٌ ، فله أجلُ أربعة أشهر ثم لا عَهْدَ له ، وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلىٍّ : سَتَرَوْنَ بعد الأَرْبَعَةِ أَشْهُر ، بأنه لا عَهْدَ بيننا وبين ابنِ عمك إلا الطَّعْن والضرب ، ثم إن الناسَ فى ذلك المدة رَغِبوا فى الإسلام حتى دخلوا فيه طَوْعاً وكَرْهاً ، وحج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل ، وحَجَّ

---

(١) أصل الحديث فى البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى . أما الإرداف بعلى وقول أبى بكر : يا رسول الله نزل فى شىء ؟ قال : لا الحديث فقد رواه أحمد والطبرى . ويقول الطحاوى فى مشكل الآثار : وهذا مشكل ، لأن الأخبار فى هذه القصة تدل على أنه (صلى الله عليه وسلم) كان بعث أبا بكر بذلك ، ثم أتبعه علياً ، فأمره أن يؤذن ، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه بالتأذين مع صرف الأمر عنه فى ذلك إلى على ، ثم أجاب بما حاصله : إن أبا بكر كان الأمير على الناس فى تلك الحجة ، وكان على هو المأمور بالتأذين بذلك ، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده ، واحتاج إلى معين ، فأرسل أبو بكر أبا هريرة . وغيره ليساعدوه ص٩٠ ج٣ المواهب ، وقد روى الطبرى عن محمد بن كعب أنه أمر أن يؤذن ببضع وثلاثين آية منتهاها : ولو كره المشركون ، وقيل : بأربعين ولقد قيل : كيف يؤمر بالتأذين ببراءة ، ثم يؤذن بمثل ما ذكره ؟ وقد أجيب بأنه أمر أن يؤذن ببراءة ، ومن جملة ما اشتملت عليه ألا يحج بعد هذا العام مشرك من قوله سبحانه : (إنما المشركون نجس) . الآية ويحتمل أن يكون قد أمر بأن يؤذن ببراءة وبما ذكر . والرابعة التى أذن بها وهى قوله : ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته وردت فى رواية لأحمد والترمذى . وزاد الطبرى من حديث على : ومن لم يكن له عهد فأربعة أشهر .

. . . .

المسلمون ، وقد عاد الدينُ كلُّه واحداً لله ربِّ العالمين .

وأما النداء فى أيام التَّشريقِ بأنها أيامُ أكل وشُربٍ، وفى بعض الروايات، أكل وشرب وبعَال(١) ، فإن الذى أمر أن ينادى بذلك فى أيام التشريق هو كَعْب بن مالك وأوس بن الحَدَثَانِ ، وفى الصحيح أن زَيْد بن مِرْبَع ويقال فيه أيضاً : عبد الله بن مِرْبَع كان ممن أُمِر أن ينادِى بذلك ، وروى مثل ذلك عن بِشرِ بن سُحَيْم الغِفَارِيّ ، وقد رُوى أن حُذَيْفَةَ كان المنادِى بذلك ، وعن سعـــد بن أبى وقاص أيضاً ، وبلال، ذكر بعض ذلك البَزَّار فى مُسْنَده ، وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فإذا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ إنه أراد ذا الحِجَّةِ والمُحرَّم من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أجَلًا لِمَنْ لا عَهْدَ له من المشركين ، ومن كان له عَهْدٌ جُعِل له أربعةُ أشهر أولُهـا يوم النحر من ذلك العام ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾ قيل : أراد حين الحج ، أى أيام الموسم كلها ، لأن نداء علىّ بن أبى طالب ببراءة كان فى تلك الأيام .

ما نزل في سورة براءة :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله فى سورة براءة فى غَزْوَة تَبُوك ، وأهلُ التفسير يقولون إن آخرها نزل قبل أولها ، فإن أول ما نزل منها :

﴿ انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالًا ﴾ ثم نزل أولها فى نَبْذِ كُلِّ عَهْدٍ إلى صاحبه كما تقدم .

---

(١) البعال : مباشرة الرجل زوجته وملاعبتها .

. . . .

وقوله (انفِرُوا خِفَافًا وثِقَالًا) فيه أقوالٌ ، قيل معناه : شُبَّانًا وشُيُوخًا ، وقيل : أغنياء وفقراء ، وقيل أصحاب شُغُـل وغير ذِى شَغْلٍ ، وقيل : رُكْبَانًا ورَجَّالَةً .

عن الأجدع بن مالك :

وأنشد شاهداً على أَوْضَعُوا خِلَالَـكُم للأَجدَع بن مالك والدِ مَسْروق ابن الأجدع ، وقد غيَّر عُمر رضى الله عنـه اسم الأَجْدَع ، وقال : الأَجْدَعُ : اسمُ شيطانٍ ، فسماه عبدَ الرحمن ويُكْنى مَسْروق أبا عائشة .

وقوله فى البيت: يصطادك الوَحَدَ ، أى : يصطاد بك ، وأراد بالوَحِدِ: الثَّوْر الوَحْشِى .

وقوله : بِشَرِيج بين الشَّدِّ والإيضاع ، يقال :هما شريجان ، أى : مختلفان . وقبل هذا البيت بأبيات فى شعر الأجدع :

أَسَأَلتِنى بركائِبِى ورحالِها ونَسِيتِ قَتْلَى فوارسِ الأَرْبَاعِ [1]

وذكره أبو عَلِىٍّ [القالى] فى الأمالى ، فقال : وسَأَلتِنى [2] بالواو ،

(١) كانت امرأته من بنى الحارث فأصاب وقتل من بنى الحصيرة أربعة فقالت له امرأته : أين الإبل والغنيمة؟ فقال البيت المذكور .وروايته فى السمط: أسألتنى بنجائب . وفى السمط من القصيدة سبعة أبيات . راجع ص١٠٩ ، ١٤٦ السمط

(٢) أنظر ص ٢٢ ج١ ط ٢ . وقد نبه على هذا الخطأ البكرى فى كتابه «التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه» ص ٣٥ فقال «إنما هو أسألتنى بالهمزة لا بالواو ، وهو أول الشعر . بركائب منون لا بركائبى ، لأنها إنما سألته عن إبل القوم =

. . . .

وقد خطَّئوه ، وقالوا : إنما هو أسَاْلَتِني . وفوارسُ الأرباع قد سماهم أبو على فى الأمالى[1] ، وذكر لهم خبراً .

إعطاء الجزية عن يد :

وذكر قوله تعالى : ﴿ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرُون ﴾ وقيل فيه أربعةُ أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذمِّيُّ بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثانى : أن يُؤَدِّيها قائماً ، والذى يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه : عن قَهرٍ وإذلالٍ .

الرابع : أن معناه عَنَ يَدٍ مِنْكُمْ ، أى : إنعام عليهم بحقن دمائهم ، وأخذِ الجِزْيَةِ منهم بَدَلًا من القَتْل ، كل هذه الأقوال مذكورة فى كتب المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميعَ هذه المعانى ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : فى هذه الآية ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُون بالله ، ولا باليوم الآخِرِ﴾ وإن كان أهلُ الكتاب يُصدِّقون بالآخِرَة ، فمعناه فيما ذكر ابن سَلَّام

= وركائهم ، لا على ركائب نفسه ، ثم ساق من القصيدة خمسة أبيات . وفوارس الأرباع هم أبناء الحصين ذى الغصة بن يزيد بن شداد الذى رأس بنى الحارث مائة سنة . والأرباع أرض قتلتهم بها همدان

(١) من ولد الحصين كثير بن شهاب بن حصين ولاه معاوية الرى ودستبا . ومحمد بن زهير بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير ، ص ٢٥ تنبيه البكرى «حاشية» .

. . . .

أن أهلَ الكتاب لا يقولون بإعادة الأجْسَادِ ويقولون إن الأرْوَاحَ هى التى تُبعثَ دون الأجساد(١) .

من المعذرين :

وذكر فى الْمُعذِّرين : خُفَافَ بن إيماء بن رَحْضَةَ ، ويقال فيه : رُحْضَة بالضم ابن خربة(٢) ، وكان له ولأبيه إيماء ،ولجده رَحْضَة صحبةٌ . مات خُفَافٌ فى خلافة عُمَر بن الخطاب - رضى الله عنه - وكان إماماً لبنى غِفَارٍ .

وذكر أبا عقيل صاحب الصَّاع(٣) الذى لَمَزَه المنافقون، واسمه جَثْجَاثٌ(٤) وقد قيل فى صاحب الصَّاع إنه رِفَاعَة بن سَهْل(٥) .

---

(١) بل لها معنى أوسع من ذلك،ففهمهم للآخرة عندهم لا يعطيهم صفة الإيمان بها ، لأنهم يرون يسوع هو مالك يوم الدين ، بل ويرون مع هذا فى أعماق جهنم ، ويرون القديسين لهم شفعاء ، ويرون أن الجنة لهم وحدهم .الخ .

(٢) قال فى الإصابة فى ترجمة رحضة والد إيماء وجد خفاف : بفتح أوله وثانيه ثم ضاد معجمة ابن خزيمة الغفارى ، وفى ترجمة خفاف قال : ابن رحضة بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفى ترجمة إيماء قال: ابن رحضة بن خزمة (حربه) بن خفاف بن حارثة . وقال الحافظ : لا أعرف لأبى عمر مستنداً فى إثبات صحبة رحضة .

(٣) عن أبى مسعود : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل على ظهورنا ، فجاء رجل ، فتصدق بشىء كثير فقالوا : مرائى ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا: إن الله لغنى عن صدقة هذا،فنزلت (الذين يلمزون المطوعين) الآية رواه البخارى ومسلم .

(٤) ضبط . حثحاث

(٥) فى بعض الروايات أن الذى تصدق بجهده وبصاع تمر هو أبو عقيل أخو =

. . . .

قصيدة حسان الميمية :

فصل : وذكر كلمة حسّان المِيمِيَّة[1] وفيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كلِّها نَفَرا

وحَسَّانُ ليس من مَعَدٍّ ، ولكن أراد : ألست خَيْر الناس ، فأقام مَعَدًّا لكثرتها مقام النَّاسِ .

وفيها :

وناد جِهاراً ولا تَحْتَشِم .[2]

وفيها رَدٌّ على من زعم أن الحِشْمَةَ لاتكون إلا بمعنى الغَضَب وأنها مِمَّا يضعها الناسُ غير موضعها ، وقد جاء عن ابن عباس : لكل طاعم حِشْمَةٌ ، فابْدَءوه باليمين ، وفى الحديث المرفوع : لايَرْفَعَنَّ أحدُكم يده عن الطعام قبل أكيله ، فإن ذلك مما يُحْشِمُهُ ، وأنشد أبو الفَرَج لمحمد بن يسير ، وإن كان ليس مثل حَسَّان فى الحجَّة :

فى انقِبَاضٍ وحِشْمَةٍ فإذا جالستُ أهل الوَفَاءِ والكَرَمِ
أرْسَلْتُ نَفْسِى على سَجِيَّتِها وقلت ماشئت غَيْرَ مُحْتَشِمِ

= بنى أنيف الإراشى حليف بنى عمرو بن عوف ، ويقال عبد الرحمن بن عبد الله ابن تعلبة .

(١) هذا سهو من السهيلى ، فهى فى قصيدته اللامية .

(٢) هذا من قصيدته الميمية . وليست الشطرة هكذا وإنما هى :

« فناد نداء ولا تحتشم »

. . . .

وفيها قوله :

وكانوا مُلوكاً ، ولم يَمْلِكوا من الدَّهْرِ يوماً كَحِلِّ القَسَم[١]

فيه شاهد لما قاله ابن قُتَيْبَةَ فى تفسير كحِلَّة القَسَم ، وخلافه لأبى عبيد ، وقد قدمنا قوليهما فيما تقدم من شرح قصيدة كَعْبِ بن زهير .

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ :

إذا عَصَفَتْ ريحٌ فليس بقائم بها وَتَدٌ إلا تَحِلَّةَ مُقْسِم

وأنشد أيضاً :

قليلا كتَحْليلِ الأُلَى ثم أصبحت

البيت .

وقوله : وعزًّا أشَمْ ، هو كقول العَرَبِ : عِزَّةٌ قَعْساء ، يريد : شَمَّاءَ ، لأن الأقْعَسَ الذى يَخْرج صدرُه ويدخل ظهره ، وقد فسره الْمُبَرِّد غير هذا التفسير ، وبيت حَسَّانٍ يشهد لما قلناه ، إنما هو الشَّمَمُ الذى يوصف به ذو العِزَّة ، فوصفت العزةُ به مَجازاً .

تفسير سورة النصر :

فصل : وذكر سورة : إذا جاء نصرُ الله . وتفسيرُه لها فى الظاهر خلاف

---

(١) رواية البيت مختلفة عما فى السيرة .

. . . .

ماذكره ابن عباس حين سأله عمرُ عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيَّه عليه السلام بانقضاء أجله،فقال له عمر : ما أعلم منها إلا ما قلت.وظاهر هذا الـكلام يدل على ماقاله ابنُ عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل : فاشـكُرْه ربَّك ، واحْمِدْه ، كما قال ابنُ إسحاق : إنما قال : فَسَبِّح بحمد ربِّك واستغفره، إنه كان توّابا ، فهذا أمرٌ لنبيِّه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربِّه تعالى والتوبة إليه ، ومعناها الرجوع عمَّا كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ من ذلك ، وتم مُرادُه فيــه ، فصار جوابُ إذا مِنْ قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصرُ الله والفتحُ . ورأيت الناسَ يَدْخُلون في دين الله أفْوَاجاً﴾ محذُوفا.وكثيراً مايجىء فى القرآن الجوابُ محذوفا ، والتقدير : إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ، فقد انقضى الأَمْرُ ،ودنا الأَجَلُ ، وحان اللقاء ، فسبِّحْ بحَمْدِ رَبِّك واسْتَغْفِرْهُ ، إنه كان توّاباً . ووقع فى مُسْنَد البزّار مُبَيَّناً مِنْ قَوْل ابن عَبَّاسٍ فقال : فيه : فقد دنا أجَلُك فسبِّح ، هذا المعنى هو الذى فهمه ابنُ عباس ، وهو حذف جواب إذا ، ولمَّا يُتَنَبَّهْ لهذه النُّـكتةِ حُسِب أن جوابَ إذا فى قوله سبحانه : فسبِّح ،كما تقول : إذا جاء رمضانُ فصُمْ ، وليس فى هذا التأويل من المُشاكَلَة لما قبله مافى تأويل ابن عباس فتدَبَّرْه ، فقد وافقه عليه عُمَرُ رضى الله عنــه ، وحَسْبُك بهما فَهْماً لـكتابِ الله تبارك وتعالى ، فالفاء على قول ابن عباس رابطةٌ للأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ماظهر لغــيره رابطة لجوابِ الشَّرطِ الذى فى إذا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وُفود العرب ، فقدم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمى ، والزِّبْرِقان بن بَدْر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحَبْحاب بن يزيد .

شيء عن الحتات

قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مُعاوية بن أبى سفيان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد آخَى بين نَفَر من أصحابه من المهاجرين : بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام ، وبين أبى ذَرّ الغِفارى والمِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان والحُتَات بن يزيد المُجاشِعى ، فمات الحُتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وِرَاثَةً بهذه الأُخوّة ، فقال الفَرَزْدَقُ لمعاوية :

أبوكَ وعَمِّى يامعاوىَ أوْرَثا ... تُراثًا فيَحْتاز التُّراثَ أقارِبُهْ

فما بالُ مِيراثِ الحُتات أَكَلْتَه ... وميراثِ حرْبٍ جامدٌ لك ذائِبُهْ

وهذان البيتان فى أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم : نُعَيم بن يَزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى منقر بن عُبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حِصنِ بن حذيفة بن بدرٍ الفَزارىُّ ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيناً والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأْذن لشاعرنا وخَطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عظاماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برءُوس الناس وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدّد مِثْل ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا . ثم جلس

كلمة ثابت فى الرد على عطارد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قَيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمدُ للهِ الذى السمواتُ والأرض خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه ، ووسع كرسّيه علمُه ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقه حديثاً ، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابَه وأئْتمنَه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حسباً ، وأحسن النَّاس وجوهاً ، وخير الناس فِعالا . ثم كان أوّل الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

شعر الزِّبْرِقان فى الفخر بقومه

فقام الزِّبْرِقَان بن بَدْر ، فقال :

نحْنُ الكِرَامُ فَلا حَىّ يُعادِلُنا ... مِنَّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

وكَمْ قَسَرْنا منَ الأحْياءِ كُلِّهِم ... عنـد النِّهاب وفضْلُ العزّ يُتَّبَع

ونحنُ يُطعِم عند القَحْط مُطْعِمنا ... مِن الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ

بما تَرَى النَّاسَ تَأْتينا سُرَاتُهُم ... من كلّ أرضٍ هُوِيًّا ثم تَصْطَنِع

فَنَنْحَر الكُوم عُبْطًا فى أرُومَتنا ... للنازلين إذا ما أُنْزِلوا شَبعوا

فـلا تَرَانا إلى حَىّ نُفاخِرُهُم ... إلا اسْتَفادوا فكانوا الرأسَ يُقْتَطعُ

فمَنْ يُفاخِرنا فى ذاكَ نَعرِفه ... فَيرْجِعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُسْتَمعْ

إنَّا أبَيْنا ولا يأبَى لنا أحَدٌ ... إنا كذلكَ عند الفَخْر نرْتَفِعْ

قال ابن هشام : ويروى :

مِنَّا المُلوكُ وفينا تُقسمِ الرّبَعُ

ويروى:

مِنْ كلّ أرْضٍ هَوَانا ثُم نُتَّبَعُ

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان .

شعر حسان فى الرد على الزبرقان

قال ابن إسحاق : وكان حَسَّان غائبًا ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم. قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيبَ شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنا رسول الله إذ حلّ وسْطَنا　　على أنف راضٍ من مَعَدّ وراغمِ
مَنَعْناهُ لما حَلّ بين بُيُوتنا　　بأسْيافنا مِنْ كلّ باغٍ وظالمِ
ببَيْتٍ حَريدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه　　بجابيَةِ الجَوْلَانِ وَسْطَ الأعاجمِ
هل المجدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّـدَى
وجاهُ المُلوكِ واحتمالُ العظائمِ

قال : فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ماقال، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ماقال. قال : فلما فرغ الزِّبْرِقَان، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت : قم ياحسَّان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان فقال :

إنّ الذَّوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخوتهم　　قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كلُّ من كانت سَريرتُه　　تَقْوَى الإلهِ وكلَّ الخير يَصْطَنِعُ
قَوْمٌ إذا حارَبوا ضرُّوا عدوَّهُمُ　　أو حاوَلوا النَّفْعَ فى أشْياعهم نَفعوا
سَجيَّـة تلك مِنْهم غيرُ مُحْدثَة　　إنَّ الخلائق فاعلم شرُّها البِدَعُ
إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعدَهم　　فكلّ سَبْق لأدنى سبقهم تَبعُ
لايَرْقع الناس ماأَوْهَتْ أكفُّهُمُ　　عند الدّفاع ولايُوهون مارَقعوا
إن سابَقوا النَّاس يوْماً فاز سَبْقُهُمُ　　أو وَازَنوا أهلَ مجدٍ بالندى مَتعوا

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْى عِفّتهم ... لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهمْ طَمَعُ

لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بفضلهم ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ

إذا نَصَبْنا لِحَىٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ ... كما يَدُبُّ إلى الوَحْشِيّةِ الذَّرِعُ

نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزَّعانِفُ مِنْ أظْفارِها خَشَعوا

لا يَفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوَّهم ... وإن أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ

كأنّهم فى الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أرْساغِها فَدَعُ

خُذْ منهُمُ ما أتى عَفْواً إذا غَضِبُوا ... ولا يكن هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا

فإنّ فى حَرْبِهم فاترُكْ عَداوَتَهم ... شَرًّا يُخاضُ عليهِ السَّمُّ والسَّلَعُ

أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ اللهِ شِيعَتُهم ... إذا تفاوَتَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

أهدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أُحِبُّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ

فإنّهم أفضَلُ الأحْياءِ كلِّهِمِ ... إن جَدَّ بالنّاسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعوا

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد:

يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرَتُه ... تقْوَى الإلهِ وبالأمرِ الذى شَرَعوا

شعر آخر للزبرقان

قال ابن هشام: حدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر من بنى تميم: أنّ الزبرقان ابن بدر لمّا قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتيْناكَ كيما يعلَمَ النّاسُ فضلَنا ... إذا احتفلوا عند احتضارِ المواسِمِ

بأنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فى كل موْطِنٍ ... وأنْ ليس فى أرضِ الحجازِ كدارم

وأنا نَذُود المُعْلِمِينَ إذا انتخَوْا ... ونضرب رأس الأصْيَدِ المُتفاقِمِ

وأنَّ لنــا المِرْباعَ فى كل غارةٍ ... نُغيرُ بنَجْدٍ أو بأرضِ الأعاجِمِ

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان

فقام حسَّان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هلِ المجْد إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ المُـــلوكِ واحتمال العظائمِ

نَصرْنا وآوَيْنا النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ

بحَى حَرِيدٍ أصْلُهُ وثَراؤه ... بجابية الجوْلانِ وَسْط الأعاجمِ

نَصرْناهُ لما حَلَّ وسْط دِيارِنا ... بأسْيافنا منْ كُل باغٍ وظالمِ

جَعَلْنا بَنِينا دُونَه وبَناتنا ... وطِبْنا لهُ نَفْساً بفَىْءِ المغانمِ

ونحن ضرَبْنا النَّاسَ حتى تَتابعوا ... على دينهِ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

ونحن وَلَدْنا مِن قُرَيش عَظيمَها ... ولدنا نبى الخيْرِ مِن آلِ هاشِمِ

بنى دارمٍ لا تفخرُوا إنّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبالاً عندَ ذِكْرِ المَكارِمِ

هَبِلْتُمْ عَلَيْنا تَفخرُونَ وأنتُمُ ... لَنا خَوَلٌ ما بينَ ظِئْرٍ وخادِمِ

فإنْ كُنتُمْ جِئتم لِحقْنِ دِمائِكُمْ ... وأموالِكم أن تُقْسَمُوا فى المَقاسِمِ

فَلا تجْعَلُوا لِلهِ ندًّا وأسلِمُوا ... وَلا تلْبَسوا زِيًّا كزِى الأعاجِمِ

. . . .

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لَمُؤَتّى له ، لَخطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزَهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس لتحقيره إياه

كان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم فى ظهرهم ، وكان أصغرَهم سِنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَث ، وأزرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْباء تَشْتُمُنِى ... عندَ الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ
سُدنا كُمُ سُودَداً رَهْواً وسُودَدُكُمْ ... بادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

بعض رجال الوفد

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر فيهم عامر بن الطُّفَيل وأربد بن قَيْس بن جَزْء بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سَلْمَى بن مالك ابن جعفر . وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤساء القوم وشياطينَهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول

وقَدِم عامرُ بن الطُّفَيْل عدوُّ الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : ياعامر ، إن النَّاس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهىَ حتى تَتْبع العربُ عَقِبى ، أفأنا أتبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأرْبَدَ : إذا قَدِمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْله بالسيف ، فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطُّفَيل : يامحمد ، خالِنى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يامحمد خالِنى . وجعل يكلِّمه وينتظر من أرْبدُ ما كان أمره به . فجعل أرْبد لا يُحيرُ شيئاً ، قال : فلما رأى عامرٌ مايصنع أرْبدَ ، قال يامحمد خالِنى قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنَّها عليك خَيْلا ورجالا ، فلما وَلَّى قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اكفنى عامرَ بن الطُّفَيل .

. . . .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : وَيلَكَ يا أَرْبَدُ أين ما كنتُ أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبَا لك ! لا تَعجَل علىّ ، والله ماهَمَمْت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دَخَلتَ بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يابنى عامر ، أغُدَّة كَغُدَّة الإبل ، وموتاً فى بيت سَلُولِيَّة !

قال ابن هشام : ويقال : أغُدَّةً كغدة الإبل ، وموتاً فى بيت سلولية .

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وَارَوه ، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا : ماوراءك يا أربد ؟ قال : لاشىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لَوَدِدْتُ أنه عندى الآن فأرميه بالنَّبل حتى أقتُلَهُ ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمِّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن

ابن عباس ، قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى عامر وأربد : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَما تَغِيضُ الأَرْحام وَما تَزْدادُ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال ﴾

قال : المُعَقِّباتُ : هى من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وماقتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاء ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ المِحالِ ﴾ .

شعر لبيد فى بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أرْبَد :

ما إن تُعَدِّى المَنونُ مِنْ أحَدٍ	لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلا وَلَدِ
أخْشَى على أرْبَدَا الحُتوفَ ولا	أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ
فعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ	قُمْنا وقامَ النِّساء فى كَبَدِ
إنْ يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ	أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكوم يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أريبٌ وفى حَلاوَتِهِ	مُرٌّ لَطِيفُ الأَحْشاء والكَبِدِ
وعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ	ألْوَتْ رِياحُ الشِّتاء بالعَضَدِ
وأصْبَحَتْ لاقِحاً مُصَرَّمَةً	حتى تَجَلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ
أشْجَعُ مِن لَيْثِ غابةٍ لَحِمٍ	ذو نَهْمَةٍ فى العُلا ومُنْتَقَدِ
لا تَبْلُغُ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها	لَيْلَةَ تُمْسى الجِيادُ كالقِدَدِ
الباعِثُ النَّوْحَ فى مآتِمِه	مِثْلَ الظِّباءِ الأبْكارِ بالجَرَدِ

فَجَّعَنِي البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـــفارسِ يَوْمَ الـكَرِيهَةِ النَّجُدِ
والحارب الجابرِ الحَرِيبَ إذَا جاء نَـكِيباً وَإِنْ يَعُدْ يَعُدِ
يَعفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كما يُنْبِتُ غَيثُ الرَّبِيع ذو الرَّصَدِ
كُلّ بنى حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أُمِرُوا يَوْماً فَهُمْ لِلْهَلَاكِ والنَّفَدِ

قال ابن هشام: بيته: « والحارب الجابر الحريب » عن أبى عُبيدة، وبيته: « يعفو على الجهد »: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضاً يبكى أرْبد:

أَلا ذَهَبَ المُحافِظُ والمحامى ومَانِعُ ضَيْمِها يومَ الخِصَامِ
وأيْقَنتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالُوا تُقُسِّم مالُ أرْبَدَ بالسِّهامِ
تَطِيرُ عَدَائِدَ الأشْرَاكِ شَفْعاً وَوِتْراً والزَّعامةُ لِلْغُـــلامِ
فَوَدِّع بالسَّلام أبا حُرَيْزٍ وقَـــلّ وَدَاعُ أرْبَدَ بالسَّلامِ
وكُنْتَ إمامَنا ولَنا نِظاماً وكانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظامِ
وأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذَا ما تَقَعَّرَتِ المَشاجِرُ بالفِئامِ
إذَا بَـكَرَ النِّساءُ مُرَدَّفاتٍ حَوَاسِرَ لا يُجِـئْنَ على الخِدَامِ
فَوَائِلَ يَوْمَ ذلكَ مَنْ أتاهُ كما وَأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرَامِ
ويَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَدَ مَنْ عَرَاها إذا ما ذُمَّ أرْبابُ اللِّحامِ
وجارَتُهُ إذَا حَلّتْ لَدَيْهِ لَهَا نَفَلٌ وحَظٌّ مِنْ سَنامِ

فإنْ تَقْعُدْ فمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ   وإنْ تظْعَنْ فمُحْسِنَةُ الكلامِ

وهلْ حُدِّثْتَ عن أخَوَيْنِ داما   على الأيامِ إلاَّ ابنَىْ شَمامِ

وإلاَّ الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ   خَوَالدَ ما تُحَدِّثُ بانْهِدامِ

قال ابن هشام : وهى فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكى أربد :

أنْعَ الكَرِيمَ للكَرِيمِ أرْبَدَا   أنْعَ الرَّئيسَ واللَّطِيفَ كَبِدَا

يَحْذِى ويُعْطِى مالَهُ ليُحْمَدَا   أُدْماً يُشَبَّهْنَ صُوَاراً أبَّدَا

السَّابِلَ الفَضْلِ إذا ما عُدِّدَا   ويَمْلأُ الجَفْنَةَ مَلْئاً مَدَدَا

رِفْهاً إذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا   مِثلُ الذى فى الغِيلِ يَقْرُو جُمُدَا

يَزْدادُ قُرْباً مِنْهُمُ أنْ يُوعَدَا   أوْرَثْتَنا تُرَاثَ غيْرِ أنْكَدَا

غِبًّا ومالاً طارِفاً ووَلَدَا   شَرْخاً صُقُوراً يافِعاً وأمْرَدَا

وقال لبيد أيضاً :

لَنْ تُفْنِيا خَيْرَاتِ أرْ   بَدَ فابْكِيا حتى يَعُودَا

قُولاَ هُوَ البَطَلُ المُحا   مِى حِينَ يَكْسُونَ الحَدِيدَا

وَيَصُدُّ عَنَّا الظَّالِمِينَ إذَا   لَقِينا القَوْمَ صِيدَا

فاعْتاقَهُ ربُّ البَرِيَّةِ   إذْ رأى أنْ لا خُلودَا

فَثَوَى وَلَمْ يُوجَعْ وَلَمْ   يُوصَبْ وكانَ هُوَ الفَقِيدَا

. . . .

وقال لبيد أيضاً :

يُذكّرنى بأرْبَدَ كُلّ خَصْمٍ ألدّ تخالُ خُطّته ضِرَارَا

إذَا اقْتَصَدُوا فمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وإنْ جارُوا سَوَاء الحق جارَا

ويَهْدِى القَوْمَ مُطّلعاً إذا ما دَليلُ القَوْمِ بالمَوْماة حارا

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً :

أصبحْتُ أمْشى بعـد سَلْمى بن مالك

وبعد أبى قَيْس وعُرُوة كالأجَب

إذا ما رأى ظلّ الغُراب أضجّهُ حِذاراً على باقى السّناسن والعَصَبْ

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، يُقال له ضِمَامُ بن ثَعْلَبَة .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِـع عن كُريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيرَه على

باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه : وكان ضِمَامُ رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غَديرَتين ، فأقبل حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابنُ عبد المطلب ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطَّلب . قال: أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبد المطَّلب ، إنى سائلك ومُغلِّظ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فَسَلْ عما بدا لك . قال : أنشدُكَ الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللَّهمّ نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلِّيَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كلّ فريضة منها كما ينشُده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأؤدّى هذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتني عنه ، لاثم أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليـــه وسلم : إن صدق ذو العَقِيصتين دخل الجنة .

دعوته قومه للاسلام

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قَدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أوّل ماتكلم به أن قال : بئست اللاتُ والعُزّى ! قالوا : مه ياضِمام اتق البَرَص، اتق الُجذام ، اتق الُجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً أستنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمام ابن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حَنش أخو عبد القَيْس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلَّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّمه ، فعَرَض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغَّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين،

وإنى تارك دِينى لدينك ، أفتضمن لى دَينى ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ماهو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الحُملان ، فقال : والله ماعندى ما أحملكم عليه . قال : يارسولَ الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوالّ الناس : أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَق النار .

موقفه من قومه فى الردة

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْباً على دينه ، حتى هَلك وقد أدرك الردَّة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرُور بن المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشهَّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأَكْفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثَ العَلاء ابن الحَضْرمىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العَبْدى ، فأسلم فحَسُن إسلامه ، ثم هَلك بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل ردّة أهل البَحْرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حَنيفة ، فيهم مُسيلمة ابن حَبِيب الحنفىّ الكذّاب .

قال ابن هشام : مُسَيلِمة بن ثُمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بنى النجّار ، فحدثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثِّياب ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه . معه عَسِيب من سَعَف النخل فى رأسه خُوصات ؛ فلما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَسترونه بالثِّياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخٌ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّفوا مُسَيلِمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خَلَّفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال أمَا إنه ليس بشرّكم مكاناً ، أى لحفظه ضَيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عــــدوّ الله وتنبّأ وتـكَذّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لـكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرّكم مكاناً ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشرِكت فى الأمر معه ، ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق وحَشَى » وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبيّ ، فأصْفَقَتْ معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أىُّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيـل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحَسُن إسلامهم ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لاأتّهم من رجال طيء ؛ ماذُكِر لى رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ

الخير ، وقطع له فَيْـداً وأَرَضِينَ معه ، وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن يَنجُ زَيْدٌ من حُمَّى المدينة ، فإنه قال : قد سماها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أمّ مِلْدَم ، فلم يثبته ـ فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَردة ، أصابته الحُمَّى بها فمات ، ولما أحسّ زيد بالموت قال :

أَمُرْتَحِلٌ قومى المشارقَ غُدْوَةً وأُتْرَكُ فى بيت بفَردةَ منجدِ
لا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادَنِى عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَد

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه، التى قطع له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

أمر عدى بن حاتم

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امْرءاً شريفاً ، وكنت نَصرانياً ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع ، فكنتُ فى نفسى على دِين ، وكنت مَلِكاً فى قومى ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعياً لإبلى : لا أبا لك ، أعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُللا سماناً ، فاحتبسْها قريباً منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات

غداة ، فقال : ياعدى ما كنت صانعاً إذا غشيتْك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرّب إلىّ أجمالى ، فقرّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النّصارى بالشام فسلكتُ الجوْشية ، ويقال الحوشية ؛ فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قَدِمت الشام أقمت بها .

وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتُصيب ابنةَ حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدِم بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيِّء ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال فجُعِلَتْ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السَّبايا يُحْبَسْن فيها ، فمرّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يارسول الله ، هَلكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىّ ، مَنَّ الله عليك . قال : وَمَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بى وقد يئست منه ، فأشار إلىّ رجل من خلفه أنْ قومى فكلِّميه ؛ قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسولَ الله، هَلكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىّ ، مَنّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن أكلمه ، فقيل : علىّ بن أبى طالب رضوان

الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتيَ أخي بالشام . قالت : فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله، قد قَدِم رَهْط من قومى، لى فيهم ثِقة وبلاغ .قالت: فكسانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

قال عدىّ : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظَعِينة تَصُوب إلىَّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنةُ حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت علىّ انسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بقيَّة والدك عورتَك ، قال : قلت : أىْ أُخَيَّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تَذِلّ فى عزّ اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

إسلام عدىّ

قال : فخرجتُ حتى أقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلَّمت عليه ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم ؛ فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه ، إذ لَقِيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلِّمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة

من أدَم مَحْشوَّة ليفاً ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت . فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدىّ بن حاتم ! ألم تك ركُوسِيًّا ؟ قال :قلت : بلى. (قال) : أو لم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِل لك فى دينك ؛ قال: قلت : أجَل والله ، وقال : وعرفت أنه نبىّ مُرْسَل ، يعلم ما يُجْهَل ، ثم قال : لعلك ياعدىّ إنما يَمنعك من دُخول فى هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتى لا يُوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشِكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان فى غيرهم ، وايْمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ما وعد به الرسول عدياً

وكان عدىّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت ، وايْمُ الله لتكونَنّ الثالثة ، ليَفيضَنّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقَدم فَرْوَةُ بن مُسَيْك المُرادى على رسول الله صلى الله

عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مرادَ ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْدانى.

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك :

مَرَرْنا عَلى لُفاةَ وهنَّ خوص يُنازعن الأعِنَّةَ يَنْتَحِينا
فإنْ نَغْلِبْ فَغَلاَّبون قِدْماً وإن نُغْلَب فغيرُ مُغَلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْن ولكن مَنايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كَذاكَ الدَّهْر دَوْلتُهُ سِجالٌ تَكُرُّ صُروفُهُ حيناً فحينا
فَبَينا ما نُسَرّ بِهِ ونَرْضَى ولو لُبِسَت غَضارته سِنينا
إذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرّاتُ دَهْرٍ فألفيتَ الأُلى غُبطوا طَحِينا
فمَنْ يُغْبَطْ بِرَيْب الدَّهرِ منهم يَجِدْ رَيْبَ الزّمانِ له خَئُونا
فلَوْ خَلَدَ المُلوكُ إذنْ خَلَدنا ولو بقى الكِرامُ إذنْ بقِينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قَوْمى كمَا أفنى القُرونَ الأوّلينا

قال ابن هشام : أوّل بيت منها ، وقوله : « فإن نَغلب » عن غير ابن إسحاق .

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق : ولما توجه فَرْوَةُ بن مُسَيْك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة ، قال :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعرَضتْ ... كالرّجل خان الرجلَ عرق نَسائها

قَرَّبْتُ راحلتى أَؤُمُّ مُحَمَّداً ... أرْجُو فَوَاضِلَها وحُسْن ثَرائها

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحُسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : يافروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال يا رسول الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الرَّدْمِ لا يَسوؤه ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له : أمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبىّ صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبَيْد ومَذْحِجَ كلها ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكربَ فى أناس من بنى زُبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مَكْشُوحٍ المُرَادِىّ ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيدُ قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ،

يقول إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيًّا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيه ، فركب عمرو بن مَعْدِيكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدَّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعد عَمْراً ، وتحطَّم عليه ، وقال : خالفني وترك رأيي ؛ فقال عمرو بن معديكربَ في ذلك :

أمَرْتُكَ يوْمَ ذِي صَنْعا ء أمْراً بادِياً رَشَدُهْ

أمَرْتُكَ باتِّقاءِ اللـهِ والمَعْرُوف تَتَّعِدُهْ

خرَجْتُ مِنَ المُنَى مثلَ الـحُمَيِّر غَرَّه وَتِدُه

تمنَّاني على فَرَسٍ عَلَيْهِ جالِساً أسَدُهْ

عَلَيَّ مُفاضَةٌ كالنَّهْـي أخْلَص ماءه جَدَدُهْ

تَرُدّ الرُّمْح مُنْثنِي السِّنان عوائراً قِصَدُهْ

فلو لاقيتَني لَلَقِيتَ لَيْثاً فوقَه لِبَدُهْ

تُلاقي شَنْبَثاً شَثْن الـبَراثِن ناشِزاً كَتَدُهْ

يُسامي القِرْنَ إن قِرْنٌ تَيَمَّمه فَيَعْتَضِدُهْ

فيأخُذه فَيرْفعُهُ فيَخْفِضُهُ فيَقْتَصِدُهْ

فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ فيَخْضِمه فَيزْدرِدُهْ

ظَلُوم الشِّرْك فيما أحْـرزتْ أنْيابُه ويَدُهْ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة :

أمَرْتُكَ يومَ ذى صَنْعا ءَ أمراً بَيِّنا رَشَدُهْ

أمَرْتُكَ باتِّقاءِ اللهِ تأتيه وتَتَّعِدُهْ

فكنت كذى الحُمَيِّرِ غرَّ رَهُ مما بِهِ وَتدُهْ

لم يعرف سائرها .

ارتداده وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد، وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو ابن معد يكربَ ، وقال حين ارتدّ :

وجَدْنا مُلْكَ فروة شرَّ مُلْك حِماراً سافَ مُنْخُرُهُ بثَفْرِ

وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَير ترَى الحُوَلاء من خَبَثٍ وغَدْرِ

قال ابن هشام : قوله « بثَفر » عن أبى عُبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ ابن قيس فى وفد كِندة ، فحدثنى الزّهرىّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكباً من كِندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رَجَّلوا جُمَمَهم وتَكَحَّلوا ، وعليهم جُبَبُ الحِبَرة ،

وقد كفَّفوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِموا ؟ قالوا : بَلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقوه منها ، فألقوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المُرَارِ ، وأنت ابن آكل المُرَارِ ، قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسِبُوا بهذا النسب العباسَ بن عبد المطلب ، وربيعةَ بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين،تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرَارِ ، يَتَعَزَّزان بذلك ، وذلك أن كِندة كانوا ملوكا. ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النَّضْر بن كنانة ، لا نَقْفو أُمَّنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قَيس من ولد آكل المُرار من قِبَل النساء، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كِنْدِيّ ، ويقال كِنْدة ، وإنما سمى آكل المُرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسَّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أمُّ أُناس بنت عوف بن مُحَلِّم الشَّيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أدْلَمَ أسود ، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرَارٍ قد أخذ برقبتك ، تعنى : الحارث ، فسمى

آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُرِىّ لعمرو بن المُنْذر وهو عمرو بن هند اللخمِىّ :

وأَقَدْناكَ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْـــذرِ كَرْهاً إذْ لا تُكال الدّماء

لأن الحارث الأعرج الغسّانى قتل المنذرُ أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت من القَطْع . ويقال بل آكل المُرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمّى آكل المُرار ، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجراً يقال له المُرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

إسلامه

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صُردُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمَّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قِبَل اليمن .

قتاله أهل جرش

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش ، وهى يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكر ، ظنّ أهل جُرَشَ أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديداً .

إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينما هما عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَكر ؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جُرَش ، فقال : إنه ليس بكَشر ، ولكنه شَكر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينْعَى لكما قومكما ، فقوما إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعَيْن

إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبدالله ، فى اليوم الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش

وخرج وفدُ جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سُحْتٌ . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد : وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون فى الشهر الحرام :

يا غَزْوَةً ما غَزَوْنا غيرَ خائبَةٍ ... فِيها البِغالُ وفيها الخَيْل والحُمُرُ
حتى أتَيْنا حُمَيْراً فى مَصانعها ... وجَمْعُ خَثْعَمَ قد شاعَتْ لها النُّذُرُ
إذا وضعْتُ غَلِيلا كنتُ أحمِلهُ ... فما أبالى أدانُوا بعدُ أم كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر ، مَقْدَمَه من تَبوكَ ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيم ابن عبد كُلال . والنُّعمانُ قيلُ ذى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعة ذويَزَنٍ مالكَ بن مرّة الرَّهاوى بإسلامهم ، ومُفارقتهم الشرك وأهله .

كتاب الرسول إليهم

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث ابن عبد كُلال ، وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النُّعمان ، قَيلِ ذي رُعين ومَعافرَ وهَمْدان . أما بعد ذلكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولُكم مُنقَلَبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلَّغ ما أرسلتم به ، وخبَّرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسهمَ الرسول وصَفيه ، وما كُتب على المؤمنين من الصَّدقة من العَقار ، عُشر ما سَقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْب نصف العشر : وأن في الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كلّ خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جذَعة ؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، وإنه من أسلم من يهُودىّ أو نصرانىّ ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛

ومن كان على يهوديته أو نصرانيَّته فإنه لا يُرَد عنها ، وعليه الجزية ، على كلّ حال ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر أو عِوَضه ثيابًا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبيّ أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلى فأُوصيكم بهم خيراً : مُعاذُ بن جَبل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر ، ومالك بن مُرّة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجِزْية من مخاليفكم ، وأبْلِغوها رُسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلاَّ راضياً . أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالكَ بن مرّة الرّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أوّل حِمير ، وقتلتَ المشركين ، فأبْشر بخير وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإنّ رسولَ الله هو ولىُّ غنيِّكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يُزَكَّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلّغ الخبرَ ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذاً على اليمن وشىء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بَعث مُعاذاً ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يَسِّر

ولا تعسّر ، وبَشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب ، يَسْألونك ما مِفْتاح الجنة ؟ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ماحقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويْحَكِ ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدّىَ حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحقّ الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تَنْثعب مَنْخِراه قَيْحاً ودماً ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إسلامه

قال ابن إسحاق : وبعث فروةُ بن عمرو النافرة الُجذامى ، ثم النُّفانى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملا للرُّوم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره فى محبسه

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طَلَبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى مَحْبِسه ذلك :

. . . .

طرقتْ سُلَيْمى مَوهِناً أصحابى ... والرُّومُ بين البابِ والقِرْوَانِ

صَدَّ الخيالُ وساءَهُ ماقد رأى ... وهَمَمْتُ أنْ أُغفِى وقد أبْكانِى

لا تَكْحَلِنَّ العينَ بعدِى إثْمِداً ... سَلْمى ولا تَدِينَّ للإتْيانِ

ولقَدْ عَلِمتَ أبا كُبَيْشَةَ أننى ... وَسْطَ الأعِزَّةِ لايُحَصّ لِسانى

فَلَئِنْ هَلَكتُ لتَفْقِدُنَّ أخاكم ... ولئن بَقِيتُ لتَعرِفُنَّ مَكانِى

ولقد جمَعتُ أجَلَّ ماجمع الفتى ... مِن جَوْدَةٍ وشَجاعَةٍ وبَيانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماءٍ لهم ، يقال له عَفْراء بفِلَسْطين ، قال :

ألا هَل أتى سَلْمَى بأنّ حَلِيلَها ... على ماءِ عَفْرا فوق إحدى الرَّواحل

عَلى ناقةٍ لم يَضرب الفحْلُ أمَّها ... مُشَذَّبةٌ أطْرافُها بالمَناجِلِ

مقتـــله

فزعم الزهرىُّ بن شهاب ، أنهم لما قَدَّموه ليقتلوه . قال :

بَلغْ سَراةَ المُسْلِمِينَ بأنّنى ... سَلْمٌ لربّى أعْظُمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم. فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم، فبعث الرُّكبان يَضربون في كلّ وَجْه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا. فأسلم الناسُ، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلِّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبذلك كان أمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خالد بن الوليد، السلام عليك يارسولَ الله ورحمة الله وبركاته، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، يارسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلَّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نبيّه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإنى قَدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام، كما أمَرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وبعثت

فيهم رُكباناً ، قالوا : يابنى الحارث ، أسلِموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرِهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجىء

فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبشّرهم وأنذرهم ، وأقْبِلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول

فأقبل خالد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين ذى الغُصة ، ويزيد بن عبدالمَدان ، ويزيد بن المحجَّل ، وعبد الله بن قُرد الزيادى ؛ وشداد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبدالله الضبابى .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فرآهم، قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟ قيل: يارسول الله، هؤلاء رجال بنى الحارث ابن كعب؛ فلما وقفوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا؟ فسكتوا، فلم يراجِعْه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم، يارسول الله، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا، قالهاَ أربَع مِرار؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لو أن خالداً لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم؛ فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ماحَمِدناك ولا حمدنا خالداً، قال: فمن حَمِدتم؟ قالوا: حمدنا الله عزّ وجلّ الذى هدانا بك يارسول الله؛ قال: صدقتم. ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً؛ قال: بلى، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم؛ قالوا: كنا نغلب مَنْ قاتلنا يارسول الله إنا كنا نجتمع ولا نَفْترق، ولا نبدأ أحداً بظلم؛ قال: صدقتم، وأمَّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين.

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيَّة من شوّال، أو فى صدر

ذى القَعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرَو بن حزم ، ليفقِّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عَهده ، وأمره فيه بأمره .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمَرَه بتَقْوى الله فى أمره كلِّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشِّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقِّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للناس فى الحقّ ، ويشدّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونَهَى عنه ، فقال : ﴿ ألا لَعْنَةُ الله على الظَّالِمِينَ ﴾ ، ويبشِّر الناس بالجنَّة وبعملها ، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها ، ويستألِف الناس حتى يُفَقَّهوا فى الدين ، ويعلِّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر : الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر : هو العُمرة ؛ ويَنْهى الناس أن يصلِّى أحدٌ فى ثوبٍ واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يُفْضِى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان

. . . .

بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْعُ إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويهَجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أوّل الليل ، وأمر بالسّعى إلى الجمعة إذا نودِيَ لها ، والغَسْلِ عند الرّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله، وما كُتب على المؤمنين فى الصّدقة من العَقار عُشْرُ ماسَقَتْ العين وسقت السماء، وعلى ماسَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ، وفى كلّ عَشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبيع جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ماعليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديّته فإنه لايُرَدُّ عنها ، وعلى كلّ حالم : ذكر أو أنثى، حُرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عوَضُه ثياباً .

فمن أدّى ذلك فإن له ذمّة الله وذمّةَ رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه

. . . .

عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدنة الُحدَيْبية ، قبل خيبر ، رِفَاعة بن زَيْـد الُجذامىّ ثم الضُّبَيْبِىّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وأسلم ، فَحَسُن إسلامُه ، وكتب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامَّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة : حَرّة الرَّجْلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول

قال ابن هشام : وقَـدِم وفد هَمدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدى ، عن أبى إسحاق

السَّبيعى ، قال : قَدِم وفد هَمْدَان على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم : مالك بن نَمَط ، وأبو ثَوْرٍ ، وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أيفع وضِمَامُ بن مالك السَّلْمانى وعَمِيرَةُ بن مالك الخارِفىّ ، فلقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك وعليهم مُقطَّعات الحَبِرات . والعمائم العدنية، برحال المَيس على المَهْرِيَّة والأرْحَبيَّة ومالك بن نَمَط ورجل آخر يَرْتَجِزَانِ بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَيرٌ سُوقَةٌ وأقْيالْ لَيْسَ لَهَا فى العالَمِينَ أمْثالْ
مَحَلُّها الهَضْب ومنها الأبطال لَهَا إطابَاتٌ بِهَا وآكالْ

ويقول الآخر :

إلَيْكَ جاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ فى هَبَوات الصَّيفِ والخَرِيفِ
مُخَطَّماتٍ بِحِبالِ اللِّيفِ

فقام مالكُ بنُ نَمَطٍ بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نَصِيَّةٌ من هَمْدانَ، من كلّ حاضِرٍ وبادٍ ، أتَوْكَ على قُلُصٍ نَوَاج ، مُتَّصِلة بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ وشاكِرٍ أهلِ السُّود والقُودِ ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَاتِ الأنصاب عهدهم لا يُنقَض ما أقامت لَعْلَع ، وما جرى اليَعْفُور بصُلَّعٍ .

فكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لِمِخلاف

خارفٍ وأهل جَناب الهَضْب وحِقَافُ الرمل ، مع وفدِها ذى المِشْعار مالك ابن نَمَط ومَنْ أسلم من قومه ، على أنَّ لهم فِراعَها ووِهاطَها ، ما أقاموا الصلاة وآتَوْا الزَّكاةَ ، يأكلون عِلافَها وَيَرْعون عافِيَها ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نَمَطٍ :

ذكرْتُ رَسُولَ اللهِ فى فَحْمةِ الدُّجَى   ونحنُ بأعْلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ
وهُن بِنا خُوصٌ طَلائحُ تَغْتَلى   بِرُكْبانها فى لاحِبٍ مُتمدِّدِ
على كل فَتْلاءِ الذِّراعين جَسْرَةٍ   تَمُرُّ بِنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ
حَلَفْتُ بِرَبّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى   صَوادِرَ بالرُّكبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ
بأنّ رسُولَ اللهِ فِينا مُصَدَّقٌ   رسولٌ أتى مِن عِند ذى العَرْش مهتدى
فما حَمَلَتْ مِنْ ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها   أشَدَّ على أعْدائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ
وأعْطَى إذا ما طالِبُ العُرْفِ جاءه   وأمْضَى بحَدّ المَشْرِفىّ المهنَّد

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلَّم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مُسَيْلِمة بن حَبيب باليمامة فى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنْعاء .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدَّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار

أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتّهم عن أبى هُريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدّعى النبوّة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وماتولوه

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلْدان ، فبعث المهاجرَ ابن أبى أميّة بن المغيرة إلى صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسىّ وهو بها ، وبعث زيادة بن لَبيد ، أخا بنى بَياضَة الأنصارى ، إلى حضرَموْتَ وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدىّ بن حاتم على طيىء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ، وبعث مالك ابن نُويرة — قال ابن هشام : اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ،

وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران ، ليجمع صدقتهم ويَقْدَم عليه بجِزْيَتِهم .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مُسَيْلِمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أُشرِكت فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ولكن قُرَيشاً قوم يَعْتدون .

فقَدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمَة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعيم ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسَيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مُسيلمة الكذّاب : السلام على من اتبع الهُدى . أما بعد ، الأرض لله يُورِثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

. . . .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد عبد القيس :

من أصحِّ ما جاء فى هذا الباب حديثُ وفدِ عَبْدِ القيس ، وهم الذين قال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَرْحَباً بالوفدِ غير خَزَايَا ولاَ نَدامَى ، وقد تكرر حديثهم فى الصَّحيحين دون تَسْمِيَةِ أحدٍ منهم ، فمنهم أشَجُّ عبدالقيس ، وهو الْمُنذِرِ بن عائذٍ ، قال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إن فيك خَلَّتَيْن يُحبُّهما اللهُ ورسولُه : الحلمَ والأناة ، ومنهم أبو الوَازِع الزَّارِع بن عامر وابن أخته مَطَر بن هِلال العَنَزِى .

ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه ابنُ أختهم قال: ابن أُخْتِ القوم منهم . ومنهم : ابن أخى الزَّارع ، وكان مجنوناً ، فجاء به معه ليدعُوَ له النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - فمسح ظهرَه ، ودعا له فبرِئ لحينه ، وكان شيخاً كبيراً فكُسِى جَمالا وَشَباباً ، حتى كان وَجْهُه وجهَ العذْرَاء ، ومنهم الجَهْم بنُ قُثَم لما نهاهم النبىُّ عليه السلام عن الشُّرْب فى الأوْعِيه وحذَّرهم ما يقع فى ذلك من الجِراح ، وأخبرهم أنهم إذا شربوُا الْمُسكرَ عَمَدَ أحدُهم إلى ابن عمِّه ، فجرحه ، وكان فيهم رجل قد جُرِح فى ذلك وكان يُخفى جرحه ويكتُمه ، وذلك الرجلُ هوجَهْم بن قُثَم ، عجبوا من علم النبى عليه السلام بذلك ، وإشارته إلى ذلك الرجلِ .

ومنهم : أبو خَيْرَةَ الصُّبَاحِى من بنى صُبَاح بن لُكَيْزٍ من حديثه عن

. . . .

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللَّهمّ اغفِرْ لعبد القَيْس ، وأنه زَوَّدَهم الأَرَاكَ يَسْتَاكُون به ، ومنهم : مَزيدة[1] العَصَرِى جَدُّهُودِ بن عبد الله[2] بن سعد ابن مَزيدة ، وعلى هُوديدور حديثُه فى التَّمْرِ البَرْنِىّ ، وأنه دواء ، وليس فيه داء ، ومنهم : قَيْس بن النُّعْمان ذكره أبو داود فى كتاب الأشربة ، فهذا ما بلغنى من تَسْمِيَة مَنْ وَفَد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وَفْدِ عبدِ القيس .

وذكر فى الوُفود الحُتَاتَ بنَ يزيدَ وقول الفرزدق لمعاوية فيه :

فما بالُ ميرَاثِ الحُتَاتِ أكلته

البيت ، وبعده فى غير سيرة ابن إسحاق :

فلو أنَّ هذا كان فى غَيْر ملككم ... لَبُؤْت بها أو غَصَّ بالماء شَارِبُه

شرح صاحب الحلة :

وذكر فيهم عطارِد بن حَاجِب بن زُرَارَةَ ، وهو صاحب الحُلَّةِ التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم إنما يلبس هذه الحُلة مِن لاخَلاَقَ له [فى الآخرة][3]

---

(١) قال عنه ابن مندة : مزيدة بن جابر العبدى العصرى . وسماه ابن الكلبى : مزيدة بن مالك بن همام بن معاوية بن شبابة بن عامر بن خطمة بن محارب ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وقال الحافظ : وهذا هو المعتمد ، والذى ذكره ابن مندة وهم ، فان مزيدة بن جابر العبدى كان قاضى الخوارج فى زمان قطرى بن الفجاءة فى زمن بنى أمية .

(٢) هو جده لأمه كما جاء فى الإصابة .

(٣) الزيادة من الصحيح ، هذا وقد ورد فى الصحيح من طريق جرير بن حازم عن نافع عن ابن عمر قال : رأى عمر بن الخطاب عطارداً التميمى يبيع =

. . . .

وقول عمر رضى الله عنه : أتكسونى هذه ، وقد قلت فى حُلَّةِ عُطَارِد ما قلت ، وكان سَبَبُ تلك الحُلَّة أن حاجبَ بن زُرَارَةَ أبا عطارد كان وفد على كسرى ليأخذ منه أماناً لقومه ليقرُبُوا من ريفِ العِرَاق لجدْبٍ أصاب بلادَهم ، فسأله كِسْرى رَهْناً ليَسْتَوْثِقَ بها منهم ، فدفع إليه قَوْسَه رَهينةً فاسْتَحْمَقَه المَلِكُ وضحِك منه ، فقيل له : أيها الملكُ إنهم العربُ لو رَهَنَك أحدُهم تَبِنَةً ما أسلمها غَدْراً فقبلها منه كِسْرَى ، فلما أخصبت بلادُهم انتشروا راجعين إليها ، وجاء حاجِبٌ يطلب قوسَه ، فعند ذلك كساه كِسْرى تلك الحُلَّة التى كانت عند عُطَارد المذكورة فى جامع المُوَطَّأ . ذكره ابن قُتَيْبَة فى المَعَارِف أو معناه ، وفى المُوَطَّأ أن عُمَرَ رضى الله عنه ـ كسا الحُلَّة أخاله مُشْرِكاً بمكة ، قال ابن الحَذَّاء : كان أخاه لأمِّه ، واسمه : عُثْمَان بن حَكِيم الثَّقَفِيّ ، وهو جد سعيد بن المُسَيَّب لأمه ، هكذا ذكر فى تَسْمِية رجالِ المُوَطَّأ ، وغلط من وجهين ، أحدهما أنه قال : كان أخا عُمَرَ لأمِّه ، وإنما هوَ أخو زَيْد ابن الخَطَّاب لأُمِّه أسماءَ بنت وَهْبِ بن أسَدِ بن خُزَيْمَةَ ، وأما أُمُّ عُمَرَ فهى حَنْتَمَةُ بنت هاشِم بن المُغِيرَةِ [بن عبد الله بن مخزوم[1]] ، والغلط الثانى أنه جعله ثَقِيفياً وإنما هو سُلَمِيّ ، وهو عثمان بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن مُرَّة بن هلال

= فى السوق حلة سيراء ، وكان رجلا يغشى الملوك ، ويصيب منهم ، فقال عمر : يارسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب ، فقال : إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة ورواه مسلم عن شعبان بن أبى شيبة عن جرير ، وله روايات أخرى عند الطبرانى وابن مندة .

(١) الزيادة من نسب قريش ص ٣٤٧ .

ابن فَالِجَ بن ذَكْوَانِ بن ثَعْلَبَةَ بن بُهْثَةَ بن سُلَيم[1] ، هكذا نسبه الزبيرُ وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المَسَيَّب .

نسب ابن الأهتم :

وذكر فيهم عَمرو بن الأَهْتَم ونسبَه ، واسم الأهتَم : سُمَىٌّ بن سِنَانٍ ، وهو جد شَبِيب بن شَيْبَةَ وخالد بن صَفْوَان الخَطِيبين البليغين ، وسُمِّى سُمَىّ بالأَهْتَم ، لأن قَيْسَ بن عَاصِمٍ ضربه فَهَتَم فاه .

عن كرسى الله :

وذكر خطبة ثابت بن قَيْسٍ ، وفيها وسع كُرْسِيَّه علمُه ، وفيه رَدٌّ على من قال : الكرسى هو العِلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف القدرةُ والعلمُ بأن العِلم وسعها ، وإنما كرسيُّه ما أحاط بالسَّموات والأَرَضِين ، وهو دون العَرْشِ كما جاءت به الآثارُ ، فعلمُه سُبْحانَه قد وَسِع الكُرْسِيَّ بما حواه من دَقَائق الأشياء وجلائِلها وجُمَلِها وَتفاصيلها ، وقد قيل : إن الكرسى فى القرآن هو العَرْشُ ، وهو قول الحَسَنِ ، وفى هذا الحديث ما يكاد أن يكونُ حُجَّةً لهذا القول ، لأنه لم يُرِدْ أن العِلْمَ وسع الكُرْسِيَّ ، فما دونه

---

(١) أم زيد أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عبس بن قعين من بنى أسد بن خزيمة . ويقول المصعب الزبيرى فى كتابه : نسب قريش : «وأخوه لأمه عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى ، وعثمان بن حكيم هو جد سعيد بن المسيب أبو أمه » ص ٣٤٨ .

. . . .

على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجائزٌ أن يريد به العرشَ ، وما تحته والله أعلم.
فإن صحت الروايةُ عن ابن عباس أن الـكرسِيَّ هو العلم ، فَمُؤَوَّلَةٌ ، كأنه لم يقصد تفسيرَ لفظ الـكُرْسِيِّ ، ولـكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يُفهَم من الآيةَ ، لأن الـكُرْسِيَّ الذى هو عند العرب موضع القدَمَين من سَرِيرِ الْمُلكِ إذا وَسِـعَ ماوسع ، فقد وسعه علمُ الْمَلِكِ ومُلْـكُه وقُدْرَتُه ، ونحو هذا ، فليس فى أن يسع الـكُرْسِيُّ ما وَسِعه مدحٌ وثناءٌ على الملك سبحانه ، إلا مِنْ حيث تَضَمَّنَ سِعَةَ العِلمِ والْمُلْك ، وإلا فلاَ مدْح فى وَصْفِ الـكرسى بالسَّعة ، والآيةِ لامَحَالَةَ واردةٌ فى معرض المدح والتعظيم للعَلِيِّ العظِيم الذى لا يَئُودُه حفظُ مخلوقاته كلِّها ، وهو الحى القَيُّومُ ، وقَوَّى الطبرى قولَ ابن عباس ، واحتج له بقوله عز وجل (ولا يَئُوده حفظُهما) وبأن العَرَبَ تسمى العلماء كَرَاسِيَّ. قال : ومنه سُمِّيَتْ الـكُرَّاسُ[1] لماتَضَمَّنته[2] وتجمعه من العِلْم ، وأنشد :

تَحُفُّهم بيضُ الوُجُوهِ وعُصْبَةٌ كَرَاسِيُّ بالأَحْدَاثِ حينَ تنُوبُ[3]

أى عالمون بالأحداث .

---

(١) فى الأصل : الـكراسى . والـكراسى : واحدتها كراسة .

(٢) فى الأصل تضمنه فلعلها كما ضبطت أو تضمه . ونص تعبير الطبرى : قيل للصحيفة يـكون فيها علم مكتوب : كراسة .

(٣) فى الطبرى : يحف بهم . وفى أساس البلاغة للزمخشرى عن قطرب : تحف بهـــا .

. . . .

شعر الزبرقان :

وذكر شعر الزِّبْرِقان ، وأن بعضَ الناس يُنْكِر الشعرَ له ، وذكر البرقى أن الشعر لِقَيْسِ بن عاصم المِنْقَرِىّ ، وكان الزِّبْرِقانُ يُرْفَع له بيتٌ من عمائمَ وثيابٍ ، ويُنْضَخُ بالزَّعفَران والطِّيبِ ، وكانت بنوتميم تحج ذلك البيتَ . قال الشاعر ، وهو المُخَبَّل السَّعْدِى ، واسمه كَعْبُ بن رَبيعة بن قِتَال :

وأَشْهَدَ من عَوْف حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّون سِبَّ الزِّبْرِقَانِ الْمُزَعْفَرَا(1)

---

(1) فى الأصل : ست وهو خطأ فى الطبع . ويقول الجاحظ : كان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره للشاعر فقال : ثم ذكر البيت . ويرى قطرب أن المخبل نسب الزبرقان إلى الأبنة؛ لأنه كان يصفر إسته ، وأنه يعنى بالسب : الاست السمط ص ١٩١ واللسان مادة زبرق. وفى إصلاح المنطق عن معنى البيت « يكثرون الاختلاف إليه ، والسب : العمامة ، وسب المرأة : خمارها ، وإنما سمى الزبرقان لصفرة عمامته » ص ٤١١ والحلول : الأحياء المجتمعة . أنظر ص ٩٧ جـ ٣ البيان ومادتى سبب وحجج فى اللسان . ورواية البيت فى الاشتقاق :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم الخ . وفيه أيضاً : قال قوم: سمى الزبرقان لخفة لحيته ، وقال قوم : بل لجماله وقال قوم: لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك . وعن المخبل قال مغلطاى : اسمه : الربيع بن ربيعة، وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة شاعر مخضرم لحق يكنى أبا يزيد مات فى خلافة عمر أو عثمان . وقال السهيلى : اسمه : كعب بن ربيعة بن قتال ، وهو وهم بينته فى كتاب الزهر الباسم » ص ٢٥٤ الاشتقاق وفى السمط أنه ربيعة بن مالك من بنى شماس بن لأى ابن أنف الناقة ص ٤١٨ — وقبل بيت الزبرقان :

. . . .

والسَّبُّ : العِمَامَةُ ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بما تَرَى النّاسَ تأتينا سَرَاتُهم

البيت . وليس السَّراةُ جمع سَرِى كما ظنُّوا ، وإنما هو كما تقول ذِرْوَتُهم وَسَنَامُهم ، وسَرَاةُ كل شيء : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب ، والزِّبْرِقَانُ من أسماء القَمَر . قال الشاعر :

تُضِيء به المنابِرُ حِينَ يَرْقَى عليها مِثْلَ ضَوْء الزِّبْرِقَانِ

والزِّبْرِقَانُ أيضاً: الخفيفُ العارضين ، وكانت له ثلاثةُ أسماء: الزِّبْرِقَانُ والقَمَرُ والحُصَيْن ، وثلاثُ كُنًى : أبو العبَّاس ، وأبو شَذْرَةَ ، وأبو عيَّاش ، وهو الزِّبْرِقَانُ بن بَدْرِ بن امْرِئِ القَيْسِ بن خَلَفِ بن بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ ابن كَعْبِ بن سَعْد بن زَيْدَ مَنَاة بن تَمِيم .

شعر حسان في الرد على الزبرقان في الجيمية والعينية :

وقول حسان :

ببيتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه

يريد : بيتَ شَرَفِهِمْ من غَسَّانَ وهم مُلوكُ الشام ، وهم وسط الأعاجم ، والبيت الحَرِيدُ: المنفردُ عن البيوت ، كما انفردت غَسَّانُ ، وانقطعت عن أرض

= ألم تعلمى يا أم عمرة أننى تخطأنى ريب المنون لا كبرا
ولهذا ضبط ابن برى أشهد فى البيت بالنصب « مادة زبرق » اللسان .

. . . .

العرب ، وكان حسان يضرب بلسانه أرْنبَةَ أنفِه هو وابنُه وأبوه وجدُّه ، وكان يقول : لو وضعته يعنى لسانَه على حَجَر لَفَلَقه ، أوعلى شَعْرٍ لَحَلَقَه ، وما يسرنى به مِقْوَلٌ من مَعَدٍّ .

وقول حسان :

يخاض إليه السَّمُّ والسَّلَعُ

السَّلَعُ : شجر مر قال أُمَيَّة [بن أبى الصَّلْت] :

عُشَرٌ ما وفَـوْقه سَلَعٌ ما عائِـلٌ مَا ، وعالت الْبَيْقُورَا(1)

يريد أنهم كانوا إذا استَسْقَوْا فى الجاهلية رَبَطوا السَّلَع والعُشَرَ فى أذنابِ البَقَر .

وقوله : شَمَعُوا ، أى : ضَحِـكوا ومَزَحُوا . قال الشاعر [المتنخل الهذلى] يصف الأضياف :

وأبـــدؤهم بمَشْمَعةٍ وأثْنِى بجُهْدِى من طَعَامٍ أو بساطِ

وفى الحديث : مَنْ تَتَبَّع الْمشْمَعَةَ شَمَّعَ اللهُ به . يريد مَنْ ضَحِك مِنَ الناس وأفْرطَ فى الْمزْحِ .

---

(1) البيت فى اللسان :

سلع ما ومثله عشر ما الخ . وفى البيت كما قال الأزهرى وقاله السهيلى بعد ، شاهد على ما يفعله العرب من استمطارهم بإضرام النار فى آذناب البقر ، والسلع شجر ، والعشر : شجر له صمغ . والبيقور : اسم جمع للبقر .

وقوله : أو وَازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بالنَّدَى متَعُوا

أى : ارتفعوا ، يقال : متَع النهارُ إذا ارتفع .

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان :

وقول حسان :

وطِبْنا له أنفساً بِفَيْءِ المغَانِمِ

يريد : طِيبَ نفوسِهم يوم حُنَيْنٍ حين أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤَلَّفةَ قلوبُهم ، ولم يُعْطِ الأنصار شيئاً .

شرح قول ابن الأهتم لابن عاصم :

فصل : وذكر قولَ عمرو بن الأهتَم لقيس بن عاصم :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عند النبى فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْبَاءُ : فَعْلَاء من الْهُلْبِ وهو الخشِنُ من الشَّعْر ، يقال منه : رجل أهْلَبُ ، ومنه قول الشَّعْبِي فى مُشْكِلَةٍ نزلت : هَلْبَاءُ زَبَّاءُ ذَاتُ وَبَرٍ ، كأنه أراد بمُفْتَرِش الهَلْبَاءِ ، أى : مُفْتَرِشاً لِحيَتَه ، ويجوز أن يريد بمفترش الهَلْبَاءِ ، يعنى امرأةً . وقيل : الهَلْبَاءُ ، يريد بها هاهنا دُبُرَه ، فإن كان عنى امرأةً ، فهو نَصْب على النِّداء .

ما نزل في وفد تميم من الحجرات :

وذكر ما أنزل اللهُ تبارك وتعالى فيهم فى سُورة الْحُجُرَاتِ ، وقد كان

. . . .

عُمَرُ وأبو بكر اختلفا فى أمر الزِّبْرِقان وعَمْرِو بن الأهْتَم، فأشار أحدُهما بتقديم الزِّبْرِقان، وأشار الآخرُ بتقديم عَمْرو بن الأهْتَم حتى ارتفعت أصواتُهما، فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَىِ الله ورسوله، واتَّقُوا الله ﴾ إلى قوله: ﴿ لا تَرْفَعُوا أصواتَكم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ ﴾ فكان عُمَرُ بعد ذلك إذا كلم النبىَّ عليه السلام لا يُكلِّمه إلا كأخى السِّرَارِ(١).

إن من البيان لسحراً:

وفى هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِما من نَجْدٍ نخطبا، فعجب الناسُ لبيانهما، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لَسِحْراً، وأدخله مالك فى باب ما يُذَمُّ من القولِ، من أجل أن السِّحْرَ مذمومٌ شَرْعاً، وغيره يذهب إلى أنه مَدْحٌ لها بالبيان واستمالَةِ القلوب كالسِّحْر، وكان من قولها. إن عَمْراً قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى الزِّبْرِقَانِ: إنه مُطَاعٌ فى أَدْنَيْهِ سَيِّدٌ فى عَشِيرته، فقال الزِّبْرِقانُ: لقد حَسَدَنى يارسول الله لِشَرَفى، ولقد علم أفضل مما قال. قال: فقال عَمْرو: إنه لَزَمِرُ الْمُرُوءَة ضَيِّقُ العَطَنِ لئيمُ الخال، فَعَرَف الإنكارَ فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسو الله

---

(١) عند البخارى فى رواية أن أحدهم أشار بالأقرع بن حابس، والآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى الخ، وقد انفرد به البخارى دون مسلم. وفى رواية أخرى أن أبا بكر أشار بتأمير القعقاع بن معبد، وأن عمر أشار بتأمير الأقرع بن حابس. وفى مسند البزار أن أبا بكر هو الذى قال: يارسول الله لا أكلمك إلا كأخى السرار. وهناك روايات أخرى تخالف هذه حول أسباب نزول الآية، فالله أعلم.

. . . .

رضيتُ فقلتُ أحسن ماعَلِمتُ،وسَخِطْتُ فقلتُ أقبح ماعلمت ، ولقد صَدَقْتُ في الأولى وما كَذَبْتُ في الثانية ، فحينئذٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحراً » وقوله : لئيم الخال ، قيل : إن أمه كانت من باهِلَةَ ، قاله ابن ثابت في الدلائل ، وقد أُنكِر هذا عليه ، وممن أنكره عليه أبو مَرْوَانَ بن سراج ، فالله أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزِّبْرِقَانِ عُكْلِيَّةٌ من بني أُقَيْشٍ ، وعُكْلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أدٍّ بن طَابِخَةَ لكنَّ تميما أشرفُ منهم ، ولاسيما بني سَعْدٍ رهطِ الزِّبْرِقَانِ ، فلذلك جعله عَمْرٌو لئيم الخال .

خبر عامر وأربد :

فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأَرْبَد ، وأن أرْبَدَ قال لعامر : ماهَمَمْتُ بقتلِ مُحَمَّدٍ إلا رَأَيتُكَ بَيْني وبينه أفأقتلك ؟ ! وفي غير رواية ابن إسحاق : إلاَّ رأيت بيني وبينه سُوراً من حديد وكذلك في روايةِ غيرِه ، قال عامر :لأَمْلأَنَّها عليك خَيْلا جُرْداً ، ورجالا مُرْداً ،ولأرْبِطَنَّ بكُلِّ نَخْلَةٍ فَرَساً ، فجعل أُسَيْدُ ابن حُضَيْرٍ يضرب في رءوسهما ويقول : اخرُجا أيها الهِجْرِسَانِ ، فقال له عامر : ومَنْ أنت ؟ فقال : أُسَيْدُ بن حُضَيْر ، فقال : أحُضَيْر بن سِمَاكٍ ؟ قال : نعم ، قال : أبوك كان خيراً منك ، فقال : بل أنا خيرٌ منك ، ومن أبي ، لأن أبي كان مُشْرِكاً ، وأنت مُشْرِكٌ . وذكر سيبويه قول عامر : أَغُدَّةٌ[1] كغُدَّة

---

(١) مضبوطة في اللسان برفع غدة وكذلك في النهاية لابن كثير .

. . . .

البَعِير ، وموتاً فى بيت سَلُولِيَّة ، فى باب ما يَنْتَصِبُ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه، كأنه قال : أَغُدَّةً غُدَّةً ،والسَّلُولية امرأةٌ منسوبة إلى سَلُول بن صَعْصَعَة وهم بنو مُرَّةَ بن صَعْصَعَةَ ، وسَلُولُ أمهم ، وهى بنت ذُهْل بن شَيْبَان ، وكان عامر بن الطُّفَيْل من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ،فلذلك اختصها لقربِ النَّسبِ بينهما ، حتى مات فى بيتها . وأما أشعارُ لَبيد فى أَرْبَدَ ففيها قوله :

تُطِير عَدَائِد[1] الأشْرَاكِ شَفْعاً وَوِتْراً والزَّعامَةُ[2] للغُــلَام

الزَّعَامَةُ :الرِّياسة ، وقيل : أراد بالزَّعامَةِ هنا بَيْضَةَ السِّلاح،والأشراكُ : الشُّركاء،والعَدَائِدُ :الأَنْصِباء مأخوذٌ من العَـدَدِ ، ويقال: إن أَرْبَدَ حين أصابته الصاعقةُ أنزل اللهُ تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فيُصِيبُ بها مَنْ يَشَاء﴾ يعنى أَرْبَدَ والله أعلم . وعامرٌ وأربدُ يجتمعان فى جَعْفَرِ بن كِلابِ بن ربيعةَ بن عامرٍ،وأمُّهما واحدةٌ ، وسائرُ شعر لبيد فى أَرْبَدَ مرغوبٌ عن الاشتغال بشرحه بناء على أصلنا المتقدم ، والله وليُّ التوفيق .

عمر لبيد :

على أنَّ لَبيد رحمه الله قد أسلم وحَسُن إسلامُه ، وعاش فى الإسْلام ستين سَنَةً ، لم يقل فيها بيتَ شِعْرٍ ، فسأله عمرُ عن تَرْكه الشعر ، فقال : ما كنتُ لأقول شِعْراً بعـد أن عَلَّمنى الله البقرةَ وآل عِمْرانَ ، فزاده عُمَرُ فى عطائه خمسمائة درهم ، من أجل هــذا القول ، فـكان عطاؤه ألفين وخَمْسِمائةٍ ،

---

(١) رواية أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى: غدائر .

(٢) قيل عن الزعامة إنها الرياسة أو الدرع .

. . . .

فلما كان معاويةُ ، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة ، وقال له : ما بالُ العِلاوَةِ فوق الفَوْدَيْنِ ؟ فقال له لبيد : الآن أموت ، وتصير لك العِلاَوةُ والفَوْدَانِ ، فَرَقّ له معاويةُ وتركها له ، فمات لبيد إثْر ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل : إنه قال بيتاً واحداً فى الإسلام :

الحمد لله إذ لم يأتِنِى أجَلِى حتى اكتَسَيْتُ من الإسلام سِرْبَالا

وفد جرش :

فصل : وذكر وَفْدَ جُرَشٍ ، وأن خَثْعَم ضَوَتْ إليها حين حاصرهم صُرَدُ ابن عبد الله ، وأنشد :

حتى أتينا حُمَيْراً فى مَصانِعِها وجَمعُ خَثْعَمَ قد صاغَتْ(١) لها النُّذُرُ

ويُرْوَى خُمَيْراً بالخاء المُعْجَمة ، وفى حِمْير حمير الأدْنَى ، وهو حِمْيَر بن الغَوْثِ بن سَعْد بن عَوْفِ بن عَدِىٍّ بن مالك بن زَيْد بن شُدَد(٢) بن زُرْعَةَ وهو حِمْير الأَصْغرُ بن سَبَأ الأَصْغَرِ بن كَعْب كَهْفِ الظُّلْم بن زَيْد الجمهور ابن عَمْرو بن قَيْس بن مُعَاوِية بن جُشَم بن عَبْد شَمْس بن وَائِل بن الغَوْثِ ابن حَيْدَان بن قَطَنِ بن عَرِيب بن زُهَيْر بن الْهَمَيْسَع بن حِمْيَر الأكبر(٣)

---

(١) فى السيرة : شاعت .

(٢) فى جمهرة النسب : شرد

(٣) النسب فى جمهرة ابن حزم من أول شرد : بن زرعة بن قيس بن صنعاء ابن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ . وهو كما ترى يختلف عما هنا.وعند ابن الكلبى : =

. . . .

وهو الْعَرَنْجِجُ ، وقال الأَبْرَهِيُّ : وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب إلى أَبْرَهة بن الصُّبَاحِ الحِمْيَرِيِّ فى حُمَيْر الأَدْنَى المبدوء بذكره حُمَيْر ، وعلى هذا القول تَصِحُّ رواية الخاءِ المنقوطة ، ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حِمْيَر تصغير التَّرْخيم ، والْعَرَنْجَجُ فى لغةٍ : حِمْيَر العَتِيق .

حديث ضمام :

فصل : وذكر حديث ضِمام بن ثَعْلَبَة ، وهو الذى قال فيه طَلْحَةُ بن عُبَيْد الله : جاءنا أعرابى من أهل نَجْدٍ ثائر الرأس يُسْمَع دَوِيُّ صوته ، ولا يفقه مايقول ، حتى دنا ، فإذا هو يَسألُ عن الإسلام، الحديث، رواه مالك فى الْمُوَطَّأ عن عَمِّه عن جَدِّه عن طَلْحَةَ ، وقد تَرْجَم عليه أبو داود لما فيه من دُخُول المشرك المسجِدَ.

وذكر معه حديث اليَهُودِ حين دَخلوا المسجدَ ، وذكروا أن رجلا منهم وامرأةً زَنيا ، وقال به الشافعى ، وكره مالك دخول الذِّمِّى المسجد ، وخصص أبو حنيفة المسجدَ الحرام لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما الْمُشْرِكون نَجَسٌ ، فلا يَقْرَبُوا المسْجِدَ الحرامَ ﴾ الآية ، وتعلق مالكٌ بالعلة التى نبهت عليها الآية ، وهى التَّنْجِيس ، فَعَمَّ المساجدَ كُلَّها .

= كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن الهميسع . وقد سقط حيدان منه هنا ، ولكنه ذكرها فى مكان آخر أنظر ٣٦٤ ، ٣٦٥ المحبر .

. . . .

حول حديث الجارود

فصل : وذكر الجارودَ العَبْدِىّ، وهو بِشْر بن عَمْرو بن المُعَلَّى ، يُكْنى أبا المُنْذِرِ ، وقال الحاكم : يُكْنَى أبا غِيَاثٍ وأبا عِتَابٍ ، وسمى الجَارُودَ ، لأنه أغار على قَوْمٍ من بَكْرٍ ، فَجَرَّدهم[1] قال الشاعر :

ودُسْنَاهم بالخَيْل من كُلِّ جانِبٍ كما جَرَّد الجَارُود بَكْرَ بنَ وَائلِ

وذكر فى آخر حديث الجارُودِ الغَرُور بن النُّعْمَانِ بن المُنْذِر ، وكان كِسْرَى حين قَتَل النُّعْمَانَ صَيَّر أمر الحِيرَة إلى هانئ بن قَبِيصَة الشَّيْبَانِى ، ولم يبق لآل المُنْذر رَسْمٌ ولا أَمْرٌ يذكر حتى كانت الرِّدَّة ، ومات هانئ ابن قَبِيصَة فأظهر أهلُ الرِّدَّة أمر الغَرُور بن النُّعْمان ، واسمه : المُنْذِر ، وإنما سمى الغَرُور ، لأنه غَرَّ قومَه فى تلك الرِّدَّة ، أو غَرُّوه واستعانوا به على حَرْبِهم فقُتِل هنالك ، وزعم وثِيمةُ بن موسى أنه أسلم بعد ارتدَاده ، والله أعلم .

وفد بنى حنيفة ونسب مسيلمة :

فصل: وذكر وَفْدَ بنى حَنِيفَةَ ، واسم حَنِفَيةَ أُثَال بن لُجَيْم بن سَعْد بن عَلِى ابن بَكْر بن وائل مع مُسَيْلِمَةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مُسَيْلِمَةُ

---

(١) فى اللسان : لأنه فر بإبله إلى أخواله من بنى شيبان ، وبإبله داء ، ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله ، فأهلكها .

. . . .

ابن ثُمَامَةَ بن كَبِير[1] بن حُبَيْبِ بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَّانِ بن ذُهْلِ بن الدُّول بن حنِيفَة يكنى أبا ثُمَامَةَ ، وقيل : أبا هارون ، وكان يسمَّى بالرَّحْمن فيما رُوى عن الزُّهْرِى قبل مَوْلد عبدِ الله والدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقُتِل وهو ابن مائةٍ وخَمْسين سَنَةً ، وكانت قُرَيشٌ حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم ، قال قائلهم : دق فُوكَ ، إنما تَذكُر مُسَيْلِمَة رَحْمَان اليَمَامَةِ ، وكان الرَّحَّال الحَنَفِى[2] ، واسمه نَهَار بن عُنْفُوَة ، والعُنْفُوَةُ يابس الحَلِىّ ، وهو نبات ، وذكره أبو حنيفة ، فقال فيه : عُنْثُوَ بالثاء المثلَّثة ، وقال : هو يابس الحَلِىّ ، والحَلِىُّ : النَّصِى ، وهو نَبت — قدم فى وَفْدِ اليَمَامة على النبىِّ صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سُوَراً من القرآن ، فرآه النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً جالساً مع رجلين من أصحابه ، أحدُهما فُراتُ بن حَيَّان ، والآخر : أبو هُرَيرَة ، فقال : ضِرْسُ أحدِكم فى النار مثلُ أُحُدٍ ، فما زالا خائفين حتى ارْتَدَّ الرَّحَّالُ ، وآمن بمُسَيْلِمَةَ وشهد زُوراً أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد شَرِكَه معه فى النُّبُوَّة ، ونسب إليه بعضَ ما تعلم من القرآن ، فكان من أقوى أسباب الفِتنة على بَنِى حَنِفَيةَ ، وقتله زيدُ بن الخَطَّاب يوم اليَمَامة ، ثم قتل زَيْدَ بن الخطاب سَلَمةُ بن صُبَيْح الحَنَفىّ ، وكان مُسَيْلِمَةُ صاحب

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : كثير .

(٢) ذكره القاموس بالجيم على وزن شداد ، وقال : ووهم من ضبطه بالحاء .

. . . .

نيرُوجاتٍ[1] يقال : إنه أول من أدخَلَ البيْضَة فى القارُورة[2] ، وأول من وصل جناح الطائر المقصُوص ، وكان يَدَّعى أنَّ ظَبْيَةً تأتيه من الجَبَل ، فيحلب لبنها ، وقال رجل من بنى حنيفة يرثيه :

لَهفى عليك أبا ثُمَامَهْ لَهفى على رُكْنى شمامه

كم آيةٍ لك فيهم كالشَّمس تطلع من غمَامَه

وكَذَبَ بل كانت آياتُه مَنْكُوسَةً ، تَفَل فى بئر قَوْمٍ سألوه ذلك تبرُّكاً فَمَلُحَ ماؤُها ، ومسح رأسَ صَبِيٍّ فقَرِعَ قَرَعاً فاحشاً ، ودعا لرجل فى ابنَيْن له بالبَرَكَة ، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر ، والآخر قد أكله الذئبُ ، ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه ، فابيَضَّت عيناه .

مؤذنا مسيلمة وسجاح :

واسم مُؤَذِّنه : حُجَيْر ، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسَيْلِمَةُ فى الأذان توقف ، فقال له مُحَكَّمُ بن الطُّفَيْل : صَرِّح حُجَيْر ، فذهبت مثلا . وأما سَجَاح التى تَنَبَّأت فى زمانه وتزوَّجها ، فكان مؤذِّنُها جَنَبَةُ بن طَارِقٍ ، وقال القُتَبِيُّ : اسمه : زُهَيْر بن عَمْرو ، وقيل : إن شَبْثَ بن رِبْعِيٍّ أذَّن لها أيضاً ، وتُكْنى أمَّ صادِرٍ ، وكان آخرُ أمرها أن أسلمت فى زمان عُمَرَ ، كل هذا من كتاب الواقدى وغيره. وكان مُحَكَّم بن طُفَيْل الحنفِيّ ، صاحبَ

(١) النيرنج : آخذ كالسحر وليس به ، وجمعها : نيرنجات ونيارج .
(٢) عمل هين يأتيه طلابنا فى معاملهم .

. . . .

حَرْبه ومُدَبِّرُ أمْرِه، وكان أشرفَ منه فى حَنِيفَةَ، ويقال فيه: مُحَكَّمٌ ومُحَكِّمٌ، وفيه يقول حسان بن ثابت:

يا مُحَكم بن طُفَيلٍ قد أُتيح لكم ... لِلهِ دَرُّ أبيكم حَيَّةَ الوَادِي

وقال أيضاً:

يَخْبِطن بالأيْدِى حِياضَ مُحَكَّمٍ

امرأة مسيلمة:

وقول ابن إسحاق: انزلوا، يعنى وفدَ بنى حَنِيفَةَ بدارِ الحارثِ. الصواب: بنت الحارثِ، واسمها: كَيْسَة بنت الحارث بن كُرَيْزِ بن حَبِيب بن عَبْدشمس، وقد تقدم فى غزوة قُرَيْظَة الكلام على كَيْسَة: وكَيْسَةُ بالتخفيف، وأنها كانت امرأة مُسَيْلِمة قبل ذلك، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر، وذكرنا هنالك أن الصوابَ ماقاله ابن إسحاق أنَّ اسم تلك المرأة زينبُ بنت الحارثِ، كذا وقع فى رواية يونس عن ابن إسحاق، والمذكورة هاهنا كَيْسَةُ بنتُ الحارثِ، وإياه عنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خَطَبَ، فقال: أريتُ فى يدى أسوارين من ذَهَب فكرهتُهما، فنفخت فيهما فطارا فأوَّلتُهما كذَّابُ اليمامَةِ والعَنْسِى، صاحب صنعاء، فأما مُسَيْلِمَة فقتله خالد بن الوليد، وأفنى قومه قتلاً وسَبْياً.

مسعود العنسى:

وأما مسعود بن كَعب العَنْسِى، وعَنْسٌ من مَذْحِج، فاتبعته قبائل من

مَذْحِج واليمن على أمرِه ، وغلب على صَنْعاءَ ، وكان يُقال له ذو الخِمار ، ويلقب : عَيْهَلَة ، وكان يَدَّعى أن سَحِيقًا وشَرِيقًا يأتيانه بالوحى ، ويقول : هما مَلَكان يتكلمان على لسانى ، فى خدع كثيرة يُزَخرِف بها ، وهو من وَلَدِ مالك بن عَنْسٍ ، وبنو عَنْسٍ جُشَمٌ وجُشَيْم ومالك وعامر وعَمرو ، وعزيز ومُعاوية وعَتِيكَةُ وشِهَابُ والقِرِّيَّة ويَام[1] ومن ولد يام بن عَنْسٍ عَمَّار ابن ياسر ، وأخواه عبد الله وحُوَيْرِثٌ ابنا ياسِرِ بن عُمَر بن مالك ، قتله فَيرُوز الدَّيْلَمِى ، وقيس بن مَكْشُوح ودَاذوَيْهِ رَجُلٌ من الأبناء دَخلوا عليه من سِرْبٍ صنعته لهم امرأةٌ كان قد غَلَب عليها من الأبناء ، فوجدوه سَكْرَانَ لا يَعْقِل من الخَمْر ، فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون :

ضَلَّ نَبِىٌّ مات وهْوَ سَكْرَان والناسُ تَلْقَى جُلُّهُمْ كالذِّبَّانْ
النور والنار لَدَيْهِم سِيَّانْ

ذكره الدَّوْلَابى ، وزاد ابن إسحاق فى رواية يونس عنه أن امرأته سَقَتْه البَنْجَ فى شَرَابه تلك الليلةَ ، وهى التى احْتَفَرَت السِّرْبَ للدخول عليه ، وكان اغْتَصَبها ، لأنها كانت من أجمل النساء ، وكانت مُسْلِمَةً صالحة ، وكانت تُحَدِّث عنه أنه لا يغتسل من الجَنَابة ، واسمها المَرْزُبَانَةُ ، وفى صورة قَتْله اخْتِلَافٌ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : أُرِيتُ سِوَارَيْن من ذَهَبٍ ، فنفختهما فطارا ، قال بعضُ أهل العلم بالتعبير : تَأْوِيل نفخه لهما أنهما بِرِيحِهِ قُتِلا ، لأنه لم يغزُهما

---

(١) فى الجمهرة هم : سعد الأكبر وسعد الأصغر ، وعمرو ، وعامر ومعاوية ، وعزيز وعتيك وشهاب ومالك ويام وجشم والقرية .

. . . .

بنفسه، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ، فدل لفظه على زَخْرَفَتِهما، وكذبهما، ودل الإِسْوَارَان بلفظهما على مَلِكين لأن الأساورة هم الملوك، وبمعناها على التضييق عليه لكون السِّوار مُضَيِّقاً على الذِّراع.

زيد الخيل:

فصل: وذكر زيد الخيل، وهو زَيْدُ بن مُهَلْهِل بن زَيْد بن مُنْهِبٍ، يكنى: أبا مُكْنِف الطَّائيّ، واسم طَيِّء أُدَدٌ، وقيل له: زَيْدُ الْخَيْل لخمس أفْراسٍ، كانت له، لها أسماء أعلام ذهب عنى حِفْظُها الآن[1].

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم: إن يَنْجُ زيدٌ من حُمَّى المدينة.

أسماء الحمى:

قال الراوى: ولم يُسَمِّها باسمها الحُمَّى، ولا أُمّ مِلْدَم، سماها باسم آخر ذهب عنى، والاسم الذى ذهب عن الرّاوى مِنْ أسماء الحمى، هو أم كُلْبَة، ذكر لى أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره فى مَقاتِل الفرسان، ولم أره، ولكن رأيت البَكْرى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد، ولها أيضاً اسمٌ سِوى هذه الأسماء ذكره ابن دُرَيْدٍ فى الجَمْهَرة، قال: سِبَاطِ، من أسماء الحُمَّى على وزن

---

(١) ضبط منهب فى السمط بوزن منبر، ويقول البكرى: «وإنما سمى زيد الخيل لكثرة خيله، لأنه لم يكن لأحد من قومه، ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان، وكانت لزيد خيل كثيرة، فالتى ذكر منها فى شعره ستة: الهطال والكميت والورد والكامل وذءول، ولاحق».

. . . .

رَقَاشِ ، وأما أم مِلْدَم ، فيقال بالدَّال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو [من] اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كُلْبَةَ هذا الاسم مُغَيَّراً من كُلْبَة بضم الكاف ؛ والكُلْبَةُ شِدَّة الرِّعْدة ، وكُلَبُ البَرْدِ شدائده ، فهذه أم كُلْبَةَ بالهاء ، وهى الحُمَّى ، وأما أم كُلْبٍ ، فشَجَرَةٌ لها نَوْرٌ حَسَنٌ ، وهى إذا حُرِّكت أنْتَنُ شَىْء ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إذا مسّتها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شِدَّة إنْتانها .

خبر زيد فى رواية أخرى :

وذكر فى خبر زيد الخيل فى رواية أبى على البَغْدادِىِّ ماهذا نَصُّه : خَرَج نفر من طَىِّء يريدون النبىّ عليه السلام بالمدينة وُفُوداً ، ومعهم زَيْد الخَيْل ، ووَزَر بن سُدُوسٍ النَّبْهانِىّ وقَبِيصَةُ بن الأسْوَدِ بن عامر بن جُوَيْن الجَرْمِىّ ، وهو النصرانى ، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرِىّ بن أفْلَت بن سلسلة وقُعَيْن بن خُلَيْفٍ الطَّرِيفىّ رجل من جَدِيلة ، ثم من بنى بَوْلان ، فعقلوا رواحِلهم بفِناء المسجد ، ودخلوا ، فجلسوا قريباً من النبى - صلى الله عليه وسلم - حيث يسمعون صوتَه ، فلما نظر النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، قال : إنى خَيْرٌ لكم من العُزَّى ، ولاتها ، ومن الجَمَلِ الأسْوَدِ الذى تَعْبدُون من دون الله ، ومما حازت مَنَاعٌ[1] ، من كل ضَارٍّ غير نَفَّاع ، فقام زيد الخيل ، فكان من أعظمهم خَلْقاً وأحْسَنِهم وَجْهاً وشَعْراً ، وكان يركب الفرسَ العظيم الطويل

---

(١) فى معجم البكرى : مناع : هضبة فى جبال طىء ، أو هو اسم لأجأ ، سمى بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم .

. . . .

فَتَخط رِجْلاه فى الأرض كأنه حِمَارٌ ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ـ وهو لا يعرفه : الحمدُ لله الذى أتى بك من سَهْلِك وحَزْنك ، وسَهَّل قلبكَ للإيمان ، ثم قبض على يده ، فقال : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا زَيْدُ الخَيْـل بن مُهَلْهِل ، وأنا أشهد أن لا إلَهَ إلَّا الله ، وأنك عبد الله ورسوله ، فقال له : بل أنت زَيْدُ الخَيْر ، ثم قال : يازيد ما خُبِّرْتُ عن رجل شيئاً قَطّ إلا رأيتُه دون ماخُبِّرْتُ عنه غيرك، فبايَعه ، وحسُن إسلامُه ، وكتب له كتاباً على ماأراد ، وأطعمه قُرًى كثيرةً ، منها : فَيْد ، وكتب لـكل واحدٍ منهم على قومه إلاَّ وَزَرَ بن سُدُوسٍ ، فقال : إنى لأرى رجلا لَيَـمْلِـكَنَّ رقابَ العَرَبِ ، ولا والله لا يملك رَقَبَتِى عَرَبىٌّ أبداً ، ثم لِحقَ بالشام ، وتَنَصَّر وحلق رأسه ، فلما قام زيد من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أى فتى لم تدركه أم كُلْبَةَ ، يعنى : الحُمَّى ، ويقال : بل قال : إن نجا من آجام المدينة ، فقال زيد حين انصرف :

أُنيختْ بآجام المدينة أَرْبَعاً ... وعَشْراً يُغَنِّى فوقها الليلَ طائرُ

فلما قضت أصحابُها كُلَّ بُغْيَـةٍ ... وخَطَّ كتاباً فى الصحيفة ساطِر

شَدَدْتُ عليها رَحْلَها وشَلِيلها ... من الدَّرْسِ والشَّعْرَاء والبَطْنِ ضامِرُ

الدَّرْسُ : الجَرَبُ . والشَّعْرَاء : ذُبَابٌ . قال أبو الحسن المدائنى فى حديثه : وأهـدى زيدٌ لرسول الله صلى الله عليـهْ وسلم مَخْذَماً والرَّسُوب ، وكانا سَيفَـيْن لِصَنَمٍ بلى الفلس[1] ، فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الفلس بضم الفاء واللام ، أو سكونها أو بفتح الفاء وسكون اللام هو =

. . . .

ماقَدِم عليَّ رجلٌ من العرب يُفضِّله قومُه إلا رأيتُه دون مايقال إلا ما كان من زَيْدٍ، فإن يَنج زَيْدٌ من حُمَّى المدينة فلأَمْرٍ ما هو. وقوله :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لو مَرِضتُ لعادَنِي عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدِ

وبعده :

فليت اللَّواتي عُدْنَنِي لم يَعُدْنَنِي وليت اللَّواتي غِبْنَ عَنِّي شُهَّدِي

قدوم عدى بن حاتم

وهو عَدِيُّ بن حاتم بن عَبْد اللهِ بن سَعْد بن حَشْرج بن امْرِىء القَيْس ابن عِدَيٍّ[1] بن رَبِيعَةَ بن جَرْوَلِ بن ثُعَلِ بن عَمْرو بن الغَوْثِ بن طَيِّء يكنى أبا ظريف[2]، وحديث إسلامه صحيحٌ عجيب خرَّجه الترمذى، وأخته التي ذكر إسلامَها أحسب اسمَها سَفَّانَةَ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأةِ حاتم تذكر فيه من سَخَائِه قالت : فأخذ حاتمٌ عَدِيًّا يُعَلِّله من الجوع، وأخذتُ أنا سَفَّانَةَ، ولا يعرف لعَدِيٍّ ولدا نفرض عقبُه، ولحاتم عقبٌ من قبل

= صنم طيء الذى بعث النبى «ص» عليا لهدمه سنة تسع. وكان أنفا أحمر فى وسط أجأ كأنه تمثال إنسان. وأخذ سيفين مشهورين يقال لهما المخذم ورسوب كان الحارث بن أبى شمر الغسانى قلده إياهما. أنظر الطبرى ص ١٧٧ ج٣ ط المعارف، ولسان العرب مادة خذم والمراصد.

(١) فى إمتاع الأسماع بعد عدى : ابن أخزم بن أبى أخزم بن ربيعة بن ثعل ابن جرول.

(٢) فى الإصابة : طريف.

. , . . : . . . .

عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَبِيُّ ، ولا يعرف له بنتٌ إلاَّ سفّانة ، فهى إذاً هذه المذكورةُ فى السِّيرة والله أعلم ، وأم حاتم : عِنَبَةُ[1] بنتُ عفيف [بن عمرو[2] ابن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهى التى تقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ ماعَضَّنِي الجوعُ عَضَّةً فآليتُ ألا أحْرِم الدَّهْرَ جائعا[3]

والسَّفَّانَةُ : الدُّرَّة ، وبها كان يُكْنى حاتم .

حديث فروة «معنى فرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فَرْوَةَ وقوله :

طَرَقَتْ سُلَيمَى مَوْهِناً أصحابى والروم بين الباب والقرْوَان[4]

القرْوَانُ: يجوز أن يكون جَمع قَرْو ، وهو حوض المـاء مثل صِنْوَان ،

---

(١) قال عنها القالى: غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس. وقال البكرى : وصواب اسمها عنبة . . وقد تصحف فى عامة الكتب بعتبة وغنية . ص ٢٣ ح ٢ ط ٢ الأمالى وص ١٣ ح ٣ سمط اللآلى .

(٢) الزيادة من الأمالى المكان السابق.

(٣) فى الأمالى ألا أمنع ، وقد حجر أهلها عليها لإتلافها ما لها فى الكرم ، فلما ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها . فجاءتها هوازنية ، فأعطتها إياها ، ثم أنشدت هذا البيت ، وبعده :

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفنى فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم أو عذل من كان مانعاً
ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة فكيف بتركى يا بن أم الطبائعا

ص ٢٤ ح ٢ الأمالى ط ١ .

(٤) هذا البيت ليس فى السيرة .

. . . .

ويجوز أن يكون جمع : قَرِيٌّ مثل صَلِيب وصُلْبَان. وأصحّ ماقيل فى القَرْوِ إنه حُوَيْضٌ من خَشَبٍ تُسْقى فيه الدَّوَابّ ، وتَلِغ فيه الـكلابُ ، وفى المثل :مافيها لاَعِي قَرْوٍ،أى:[1] مافى الدار حَيَوانٌ ،وأراد : بلاعى قَرْوٍ ، لاعِق قَرْوٍ،وقلب القاف الأولى ياء للتّضْعيف .

إبدال آخر حرف فى اسم الفاعل :

وحَسّنَ ذلك أنه اسم فاعِل ، وقد يُبْدلون من آخر حَرْفٍ فى اسمِ الفاعل ياءً ، وإن لم يكن ثَمَّ تَضْعِيف، كقولهم فى الخامس : خَامِيهم ، وفى سادسهم سَادِيهم ، وكذلك إلى العاشر ، ونَحْوٌ منه : ما أنشد سِيبَوَيْه .

واضَفَادِى جَمّه نقَانِقُ[2]

أى لِضَفَادِع جَمّه ، وأنشد :

مِنَ الثَّعَالِى وَوخْزٌ من أرَانِبها[3]

---

(١) فى الأصل :قرواتى.

(٢) فى الأصل : جمه . وأول البيت :

ومنهل ليس له حوازق

وقيل : إن صانع البيت : خلف الأحمر . والحوازق الجماعات . والجم :جمع جمة ، وهى معظم الماء ومجتمعه ص ٣٤٤ ح ١ كتاب سيبويه .

(٣) البيت لرجل من بنى يشكر . وأوله :

لها أشارير من لحم تتمره

والأشارير : جمع إشرارة وهى القطعة من اللحم يجفف للادخار. وتتمره : تجففه . والبيت فى وصف عقاب « المصدر السابق » .

أراد الثعالبَ وأرانبها ، وإذا كان هذا معروفا فلاَعِى قَرْوٍ أحقُّ أن يُقلبَ آخرُه ياء كراهَةَ اجتماع قافَيْن .

وذِكر قُدومَ وفد كِندَةَ ، وفيه قوله عليه السلام : لانَقْفُو أُمَّنا ، ولاَ نَنْتَفِى من أبينا، وفى هذا ما يدل على أن الأشعَثَ قد أصاب فى بعض قوله : نحن وأنت بَنُو آكِل الْمُرَارِ ، وذلك أن فى جَدَّات النبى صلى الله عليه وسلم مَنْ هى من ذلك القَبِيلِ ، منهن : دَعْدُ بنت سرير بن ثَعْلَبَةَ بن الحارثِ الكِنْدِىّ المذكور ، وهى أم كِلاَبِ بن مُرَّة ، وقيل : بل هى جَدَّة كِلابٍ أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هِنْداً هذه ، وأنها ولدت كِلاَباً .

قدوم وفد بنى الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيدَ بن عبد الْمَدَانِ ، واسم عَبْدَ الْمَدَانِ عَمْرو بن الدَّيَّانِ ، والدَّيَّانُ اسمه : يزيد بن قَطَنٍ بن زِيادِ بن الحارثِ بن مَالِكِ بن رَبيعة بن كَعْب ابن الحارث بن كَعْبِ الحارثى .

وذكر فيهم أيضاً ذا الغُصَّة ، واسمه الْحُصَيْنُ بن يَزِيدَ بن شَدَّادِ الحارثى ، وقيل له : ذو الغُصَّة ، لغُصَّة كانت فى حَلْقِه لا يكاد يَبِين منها ، وذكره عُمَر ابن الخطاب يوماً ، فقال : لاتُزَاد امرأةٌ فى صَدَاقِها على كذا وكذا ، ولوكانت بنت ذى الغُصَّة .

وذكر فيهم عَمْرَو بن عبد الله الضِّبَابى ، وهو ضِبابُ بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مَذْحِج ، وضِبَابٌ أيضاً فى قُرَيْشٍ وهو ابن حُجَيْر

. . . .

ابن عَبْد بن مَعِيص بن عامر أخو حَجَرِ بن عَبْد ، وفى حَجَرٍ وحُجَيْرٍ يقول الشاعر :

أُنْبِئْتُ أَنَّ غُواةً من بنى حَجَرٍ ومن حُجَيْرٍ بلا ذَنْبٍ أَرَاغونى
أَغْنُوا بنى حَجَرٍ عنا غُوَاتَكُمُ ويا حُجَيْرُ إليكم لاَتُبورُونى

والضِّبَابُ فى بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ، وهم ضِبَابٌ ومُضِبٌّ وحِسْلٌ وحُسَيْلٌ بنو معاوية بن كِلاَبٍ ، وأما الضَّبَابُ بالفَتْح ، فنى نسب النابغة الذُّبْيانِيّ ضَبَابُ بن يَرْبُوع بن غَيْظٍ ، وأما الضُّبَابُ بالضم فزَيْدٌ ومنجا[1] ابنا ضُبَابٍ من بنى بَكْرٍ ، ذكره الدَّارَقُطْنى .

وفود رفاعة :

فصل : وذكر وفود رفاعة الضُّبَيْبِى ، وأنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وذلك الغُلاَم هو الذى يقال له : مِدْعَم ، وقع ذكره فى الموطأ[2] .

وذكر وفد هَمْدَانَ، ومالك بن نَمَطٍ الْهَمْدَانِيّ الذى يقال له ذو الْمِشْعَارِ ، وكُنْيَتُه : أبو ثَوْرٍ وقع فى النُّسخة ، وفى أكثر النُّسَخِ :وأبو ثَوْرٍ بالواو ، كأنه غيره ، والصواب سقوط الواو ، لأنه هو هو ، وقد يخرج إثبات الواو على

(١) فى القاموس : والمنجى للمفعول : سيف واسم .
(٢) وقع ذكره أيضاً فى الصحيحين من طريق سالم مولى ابن مطيع عن أبى هريرة فى فتح خيبر . وفيه أن مدعماً أصابه سهم عائر فقتله .

. . . .

إضمار هو، كأنه قال : وهو أبو ثور ذُو الْمِشْعَارِ، وقد ذكره ابن قُتَيْبَةَ ، فقال في غريب الحديث : مالك ذو الْمِشْعَارِ ، وذكره أبو عُمَر فقال: هو ذُو الْمِشْعَارِ يكنى : أبا ثور ، وفي الكتاب الذي كتبه له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هذا كتابٌ من محمد رسول الله إلى مِخْلاَفِ خَارِفٍ ويَامٍ وأهلِ جِنَابِ الْهَضْبِ وحِقَافِ الرَّمْلِ مع وَافِدِها ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بن نَمَطٍ ، فهذا كله يدل على أن الواو في قوله : وأبو ثور ذو الْمِشْعار لاَ مَعْنَى له .

وقوله : عليهم مُقَطَّعَاتِ الْحِبَراتِ : الْمُقَطَّعاتُ من الثياب في تفسير أبي عُبَيْدٍ ، هي القِصار ، واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقَطَعَتْ الظِّلالُ ، أي : قَصُرت ، وبقولهم في الأراجيز : مُقَطَّعَات ، وخطأه ابنُ قُتَيْبَةَ في هذا التأويلِ ، وقال : إنما الْمُقَطَّعَاتُ الثِّيابُ الْمَخِيطَةُ كالقُمُصِ ونحوها ، سُمِّيت بذلك ، لأنها تُقَطَّع وتُفَصَّل ثم تُخاط[1] ، واحتج بحديثٍ رواهُ عن بعضِ ولدِ عبدِ الملك بن مَرْوَان ، وفيه أنه خرج وعليه مُقَطَّعاتٌ يجرها ، فقال له شيخٌ من بني أُمَيَّة : لقد رأيت أباك ، وكان مُشَمِّراً غير جَرَّارٍ لثيابه ، فقال له الفتى: لقد هَمَمْتُ بتقصيرِ ها ، فمعنى قولُ الشاعر في أبيك :

قصِيرِ الثِّيابِ فَاحِشٌ عند ضَيْفِهِ   لشرقرَيْشٍ[2] في قُرَيْشٍ مُرَكَّبَا

---

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : مقطعات : ثياب وشي يصنع باليمن . والميس خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهر الإبل .

(٢) في السمط : عند بيته وشر قريش . والقصة أن هشام بن عبد الملك خرج وهو سوقة إلى بيت المقدس ، فر بدمشق ، ولقيه محمد بن الضحاك بن قيس =

. . . .

والظاهرُ في قوله عليهم مُقطَّعاتِ الحِبَرَاتِ ما قاله ابن قُتَيْبَة ، ولا معنى لوصْفِها بالقِصَرِ في هذا الموطِنِ . والمَهْرِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إلى مَهْرة بن حَيْدَان[1] ابن الحافِ بن قُضاعةَ[2] . والأرْحَبِيَّةُ : منسوبة إلى أرْحَبَ بطْن من هَمْدَان . ويامٌ هو يامُ بن أصْبَى ، وخارِفُ بن الحارِث بطْنان من هَمْدَانَ يُنسب إلى يام : زُبَيْد [بن الحارث بن عبد الكريم] اليامِيُّ المُحَدِّث ، وأهل الحديث يقولون فيه : الأيامِيّ . والفِرَاعُ : ماعلا من الأرض . والوِهَاطُ : ما انخفض منها ، واحدها : وهْطٌ . و لَعْلَعٌ : اسم جَبَلٍ . والصُّلَّعُ : الأرض الملساء . والخَفَيْدَدُ : ولد النَّعامَة . والهِجَفُّ : الضَّخْمُ .

وذكر حديث عَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ ، وقيسِ بن مَكْشُوح .

= الفهرى ، وهو واليها يومئذ ، وعلى هشام ثياب يجرها ، فقال له : أما رأيت أمير المؤمنين عبد الملك يعرض له بجر ثيابه ؟ فقال هشام : بلى ، قال : فكيف رأيته ؟ قال مهجراً مشمراً ، قال : فما بالك أنت ؟ قال : فعلت هذ لقول الشاعر . ثم ذكر البيت . أنظر ص ١٦٥ سمط اللآلى ، وص ١٧٤ جـ ٦ الحيوان الجاحظ .

(١) في الأصل : المهدية ومهدة بن حيران وهو خطأ وهو في الاشتقاق : مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وصوابه حيدان بن عمرو بن الحاف ، وكذا في جمهرة الأنساب لابن الكلبي ، وفي الجمهرة لابن حزم ، أنظر ص ٥٥٢ الاشتقاق . ص ٥٢ قلائد الجمان للقلقشندي ولكنهم في كتابه نهاية الأرب مهرة بين حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ص ٢٤٧ وانظر ص ٤١٢ الجمهرة لابن حزم وص ٢٩٦ جـ ٢ نهاية الأرب للنويري .

(٢) ابن الحارث بن عبد الكريم زيادة من لباب الأنساب ، وأصبى كما ورد في اللباب ابن رافع بن مالك بن حسم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة ، تجهَّز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع ابن عُرْفُطَة الغِفارىّ .

وذكر فى الشعر :

تُلاقِ شَنْبَثًا شَثْنَ الـ بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُهْ[1]

أُلْفِيتُ بخط الشَّيْخ أبى بَحر على هذا البيت قال : قال القاضى : لا أعرف شَنْبَثًا الآن ، ولعلهُ تلاقِ شَرْنَبَثًا[2] ، وجزم تُلاَقِ لما فى قوله :

فلو لاَ قيتَنى من قُوَّة الشَّرْط ، فكأنه أراد : إن لا قيتنى تُلاَقِ .

---

(١) فى السيرة : كتده

(٢) للغليظ الكفين والرجلين والأشد .

ماأمر به الرسول عائشة فى حيضها

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة ، قالت : لايذكر ولايذكر الناس إلا الحجّ ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يَحِلوا بعُمْرَةٍ ، إلا مَنْ ساق الهَدْى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ، فقال : مالك ياعائشة ؟ لعلك نُفِسْتِ ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال : لا تقولِنّ ذلك ، فإنك تَقْضِين كلّ مايقضى الحاج إلا أنك لاتطُوفين بالبيت قالت : ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كُلُّ من كان لاهَدْى معه ، وحلّ نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصْبة ، بعث بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التّنعيم ، مكان عُمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حَفْصَة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نساءَه أن يَحللن بعُمرة ، قُلْن : فما يمنعك يارسول الله أنْ تَحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبّدْت ، فلا أُحلّ حتى أنحر هَدْيى .

. . . .

موافاة علىّ فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج

بما أمر الرسول علياً من أمور الحج

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها قد حلَّت وتهيَّأت ، فقال : مالك يابنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سَفره ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطُف بالبيت ، وحِلّ كما حَلّ بأصحابك . قال : يارسول الله إنى أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابك ؛ قال : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمتُ : اللهم إنى أُهِلّ بما أَهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هَدْى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ، ونحر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

شكا علياً جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللا من بز اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمْرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل علىٌّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، واستخلف على جُنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كلَّ رجل من القوم حُلّة من البَزّ الذى كان مع علىّ رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهىَ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس، فردّها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمته زينب بنت كَعْب ، وكانت عند أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : اشتكى الناسُ عليًّا رضوانُ الله عليه ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : ثم مَضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجّهم ، وخَطَب الناسَ خُطْبَتَه التى بيَّن فيها ما بَيَّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءَكم وأموالَكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوْا ربَّكم ، كحُرْمَة يومِكم هذا ، وكحُرْمَةِ شهركم هذا ، وإنكم ستَلْقون ربَّكم ، فيسألكم عن أعمالكم ،

. . . .

وقد بلّغت ، فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَه عليها ، وإن كُلَّ رِبًا مَوْضوعٌ ، ولكن لكم رُءوس أموالكم ، لاتَظلِمون ولا تُظلَمون . قضى الله أنه لارِبًا ، وإن رِبا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دَمٍ كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أوّل دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعاً فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يَئِس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضى به مما تَحقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النّسىء زِيادَة فى الكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمُونَهُ عاماً ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ماحَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ماحَرَّمَ اللهُ ، ويُحَرِّمُوا ماأَحَلَّ اللهُ . وإن الزّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السموات والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متوالية ، ورَجَب مُضَرَ ، الذى بين جُمادَى وشَعْبَان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقًّا ، ولهنّ عليكم حقًّا ، لكم عليهنّ أن لايوطِئْن فُرُشَكُمْ أحداً تكرهونه ، وعليهنّ أن لايأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المَضاجع وتَضربوهنّ ضرْباً غير مُبَرِّح ، فإن انتهين فلهنّ رزقُهنّ وكُسوتهنّ بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عَوَانٍ لايملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قوْلى ، فإنى قد بلّغت ، وقد تركت

. . . .

فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيِّناً ، كتابَ الله وسنَّة نبيه .
أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمُن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلِمُن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أُميَّة بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هـذا ؛ : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

. . . .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سُلَيم عن شَهْر بن حوشب الأشعرى، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عَتَّاب بن أَسِيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقف بعَرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لُغامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذى حقّ حقه ، وإنه لاتجوز وصيَّة لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عدلا .

بعض تعليم الرسول فى الحج

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال: هذا الموقف ، للجَبل الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بِمِنًى قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنى منحر . فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم ما فَرَض الله عليهم من حجِّهم : من الموقف ، ورَمْى الجِمار ، وطواف بالبيت ، وما أُحل لهم من حجِّهم ، وما حُرّم عليهم ، فكانت حِجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقيّة ذى الحِجّة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمرَه أن يُوطِىء الخيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهَّز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون .

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهُذَلىّ قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التى صدّ عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافّة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبعثاً قريباً فرَضى وسَلِم ، وأما من بعثه مَبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلم بلغة الأُمّة التى بُعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دِحْيه بن خليفة الكلبي إلى قيصر، ملك الروم ؛ وبعث عبدَ الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إلى كِسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرى إلى النَّجاشى ، ملك الحبشة ، وبعث حاطبَ ابن أبي بَلْتعة إلى المُقَوْقِس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السَّهمى إلى جَيْفَر وعَيَّاد ابْنَىْ الجُلُندى الأَزْدِيَّيْنِ ، مَلِكَىْ عُمَان ، وبعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، إلى ثُمامة بن أثال ، وهَوْذَة بن على الحنفيين، ملكى اليمامة ، وبعث العَلاء بن الحضرمى إلى المُنْذر بن ساوَى العَبْدى ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شِمْر الغسّانى ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شُجَاعَ بن وهب إلى جَبَلَةَ بن الأَيْهَم الغَسَّانى ، وبعث المهاجرَ بن أبى أُميَّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كُلال الحِمْيَرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب

. . . .

والعجم ؛ وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهريّ فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمةً وكافَّة ، فأدّوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم؟ قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأمّا مَن قرّب به فأحبّ وسلم ، وأمّا من بعد به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ بَعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بُطْرُسُ الحوارِيّ ، ومعه بُولُس ، وكان بولُسُ من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رُومية ، وأندرَائِس ومَنْتا إلى الأرض التي يأكل أهلُها الناس ، وتُوماس إلى أرض بابل ، من أرض المَشرق ؛ وفيلِبّس إلى أرض قَرْطاجَنَّة ، وهي إفرِيقية ، ويُحَنَّسَ ، إلى إفسوس ، قرية الفِتْية ، أصحاب الكهف ، ويعقُوبُسُ إلى أورَاشَلِمَ ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثَلْماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسِيمُنَ إلى أرض البَربر ، ويهُوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يُودِس .

. . . .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى: وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، منها غزوة وَدَّان، وهى غَزْوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشَيْرة، من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كُرْزَ بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التى قتل الله فيها صَنَادِيدَ قُرَيش، ثم غَزْوة بنى سُلَيم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّوِيق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطَفَان، وهى غزوة ذى أَمِر، ثم غزوة بَحْران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أُحُدٍ، ثم غزوة حَمْراءِ الأَسَد، ثم غزوة بنى النَّضير، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل. ثم غزوة بدر الآخِرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قُرَيْظة، ثم غزوة بنى لِحْيان، من هُذَيل، ثم غزوة ذى قَرَد، ثم غزوة بنى المصْطَلِق من خُزَاعة، ثم غزوة الحُدَيْبِية، لا يريد قتالا، فصدّه المشركون، ثم غزوة خَيبر، ثم عُمْرة القضاء، ثم غزوة الفَتْح، ثم غزوة حُنَين، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تَبُوك.

قاتل منها فى تسع غَزَوات: بدر، وأُحد، والخندق، وقُرَيظة، والمُصْطَلِق، وخَيْبر، والفتح وحُنَين، والطائف.

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بَعْثٍ وَسَرِيّةٍ : غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثَنِيَّة ذى المَرْوَة ، ثم غزوة حَمْزة ابن عبد المطَّلب ساحل البحر ، من ناحية العيص : وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة ؛ وغزوةُ سعد بن أبى وقاصٍ الخَرّارَ ، وغزوة عبد الله ابن جَحْشٍ نَخْلَة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَدٍ الغَنَوى الرجيع ، وغزوة المُنذِرِ بن عمرٍو بِئْرَ مَعُونة ، وغزوة أبى عُبَيْدةَ بن الجَراحِ ذا القَصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخَطّاب تُرَبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ بن أبى طالب اليَمَن ، وغزوة غالبِ بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْبِ لَيْث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى المُلَوّح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْبٍ الجُهَنِىّ ، عن المُنْذِرِ ، عن جُنْدَب بْنِ مَكِيثٍ الجُهَنِىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْب بن عوف بن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأمَره أن يَشُنّ الغارةَ على بنى المُلَوّح ، وهم بالكَدِيد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث

ابن مالك ، وهو ابن البَرْصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يَضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطاً ، ثم خَلَّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازّك فاحتزّ رأسه .

بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس ، فكنّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبيئة لهم ، فخرجت حتى آتى تلاًّ مُشرفا على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التلّ ، إذ خرج رجل منهم من خِبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التلّ سواداً ما رأيته فى أوّل يومى ، فانظرى إلى أوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرّت بعضها ، قال : فنظرتْ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزِعُه ، فأضعه ، وثَبتُّ مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى مَنْكِبِى ، فأنزِعُه فأضعه ، وثَبتُّ مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرّك ، لقد خالطه سَهْماى لا أبا لك ، إذا أصبحتِ فابتغيهما ، فخُذيهما ، لا يمضُغُهما علىّ الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعم

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر شَنَنّا

عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واستقنا النَّعَم ، وخرج صَريخ القوم ، فجاءنا دَهْم لا قِبَل لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قرُبوا منا ، قال: فما بيننا وبينهم إلا الوادى قُدَيد، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوّة ، ولا يقدِر على أن يُجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنَّا لنسوقُ نَعَمَهُم ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا ، ونحن نَحْدُوها سِراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدِرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين فى هذه الغزوة

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسْلَم ، عن رجل منهم : أنّ شِعار أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كان تلك اللَّيلة : أَمِتْ أَمِتْ . فقال راجزٌ مِن المسلمين وهو يَحْدُوها :

أبى أبُو القاسم أن تَعَزَّبى فى خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ
صُفْرٍ أعالِيهِ كَلَوْنِ المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويُروى : « كلون الذّهب » .

تم خبر الغزاة ، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق : وغزوة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله

. . . .

ابن سعد من أهل فَدَك ، وغزوة أبى العَوْجاء السُّلَمِىّ أرض بنى سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُـكاشة بن مِحْصَن الغَمرة ، وغزوة أبى سَلَمَة ابن عبد الأسد قَطَناً ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِل بها مسعود ابن عُروة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة أخى بنى حارثة ، القُرَطاءَ من هَوَازن ، وغزوة بَشير بن سَعْدٍ بنى مُرّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجمومَ من أرض بنى سُلَيم ، وغَزوة زيد بن حارثة جُذام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببهـــــا

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتّهم ، عن رجال من جُذام كانوا عُلماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذَامى ، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبَث أن قَدِم دِحْيَـةُ بن خَليفة الـكَلْبىُّ من عند قَيْصر صاحب الروم ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنار ، أغار على دِحْية بن خَليفة الهنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوْص بن الهُنيد الضُّلَعِيَّان . والضُّلَيعُ . بطن من جُذام ، فأصابا

كلّ شىء كان معه ، فبلغ ذلك قوماً من الضُبَيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النُّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرّة بن أشقر الضّفاوى ثم الضُّلَعىّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى النُّعمان بن أبى جِعال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خُذها وأنا ابن لُبنَى ، وكانت له أمّ تُدعى لُبْنَى ، وقد كان حسّان بن مَلّة الضُبَيْبِىّ قد صحب دِحْية بن خليفة قبل ذلك ، فعلّمه أمّ الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرّة بن أشْقَرَ الضّفارى ، وحَيّان بن مِلّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُـذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهُنيد وابنه ، فردّوه على دِحْية ، فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيدٍ جُذَامَ ، وبعث معه جيشاً ، وقد وَجّهت غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومن كان من سَلامانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرّة ، حرّة الرّجْلاء ، ورِفاعة بن زيد بكُراع رِبَة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضُّبَيْب ، وسائر بنى الضُبَيْب بوادى مَدَان ، من ناحية الحرّة ، مما يسيل مُشرّقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقِص من قِبَلِ الحرة ،

فجمعوا ماوجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بني الأجنف .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

شأن حسان وأنيف ابني ملة

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلان من بني الخصيب . فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيْب والجيش بفَيْفاء مَدَان ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مِلَّة ، على فرس لسُويد بن زيد ، يُقال لها العَجاجة ، وأُنيف ابن مِلَّة على فَرَسٍ لمِلَّة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسَّان لأنيف ابن مِلَّة : كُفَّ عنَّا وانصرِفْ ، فإنَّا نَخْشَى لسانك ، فوقف عنهما فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفَرَسَين ، فأرْخَى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فَعَلْتَ مافعلتَ فكُفَّ عنَّا لسانَك ، ولا تشأمْنا اليومَ ، فتواصَوْا أن لايتكلَّم منهم إلاحسَّان ابن مِلَّة ، وكانت بينهم كلِمَة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُوري أو ثُوري ، فلما برَزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسَّان : إنَّا قومٌ مُسْلمون ، وكان أوّل من لقيهم رجل على فَرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أُنيف : بُورِي ، فقال حسَّان : مَهْلا ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حَسَّان : إنَّا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرءوا أُمّ الكتاب ، فقرأها حَسَّان ، فقال زيد بن

حارثة : نادوا فى الجَيْش : أن الله قد حرَّم علينا ثُغرةَ القوم التى جاءوا منها إلا مَن خَتر .

قدومهم على الرسول وشعر أبى جعال

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حَسَّان بن ملّة ، وهى امرأة أبى وَبْر بن عَدِىّ بن أميَّة بن الضُّبَيْب فى الأُسارى ، فقال له زيد : خُذها ، وأخَذَتْ بحَقْوَيْهِ ، فقالت أمّ الفِزْر الضُّلَعِية : أتنطَلِقون ببناتكم وتَذَرُون أمَّهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ ألسِنَتهم سائرَ اليوم ، فسَمِعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثه ، فأمر بأخت حسَّان ، ففُكَّت يداها من حِقْويْهِ ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكُنَّ حُكْمَه ، فرَجعوا ، ونَهَى الجيش أن يَهْبِطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمْسَوا فى أهْلِيهم ، واستعتَموا ذَوداً لسُوَيد بن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهُمْ ، ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبَعْجَةُ بن زيد ، وبَرْذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومُخَرِّبة بن عَدِىّ ، وأُنَيفُ بن مِلّة ، وحسَّان بن مِلَّة ، حتى صَبحوا رِفاعة بن زيد بكُراعِ رَبَّة ، بظهر الحرَّة على بئر هنالك من حرة لَيْلى ، فقال له حسَّان بن مِلَّة : إنك لجالس تحلُب المِعْزَى ونساء جُذام أسارَى قد غرَّها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة ابن زيد بجمل له ، فجعل يشُد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أنتَ حىّ أوْ تُنادِى حَيا

ثم غدا وهم معه بأُميَّة بن ضَفارة أخى الخصيبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تُنيخوا إبلَكم ، فتُقطَّع أيديهنّ ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح إليهم بيده: أن تعالَوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنْطِق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردَّدَها مرّتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنا فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابَه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يارسول الله قديماً كتابُه ، حديثاً غَدْره فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعْلِنْ ؛ فلما قرأ كتابه استخبره فأخبروهم الخبر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقَتْلى ؟ (ثلاث مرّات) . فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلمُ ، لانحرّم عليك حلالا ، ولا نُحلِّل لك حَرَاماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يارسول الله من كان حَيًّا ، ومن قُتِل فهو تحت قَدَمى هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم ياعلىّ فقال له علىّ رضى الله عنه : إن زيداً لن يُطيعنى يارسول الله ، قال : فخُذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علىّ : ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر ، يُقال لها : الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ، ماشأنى ؟ فقال : مالهُم ، عَرَفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بنَيفاء الفَحلتين ، فأخذوا مافى أيديهم ،

حتى كانوا ينزعون لُبَيدَ المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جمال حين فرغوا من شأنهم :

وَعاذِلةٍ ولَمْ تَعْذُلْ بطِب ... ولولا نحنُ حُشَّ بها السَّعيرُ
تُدَافِعُ فى الأسارَى بابْنَتَيْها ... ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسِير
ولو وُكِلَت إلى عُوصٍ وأوْسٍ ... لَحارَ بها عَنِ العِتْقِ الأمُورُ
ولو شَهِدَتْ رَكائِبَنا بِمِصْرٍ ... تُحاذِرُ أنْ يُعَلَّ بها المَسِيرُ
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفاظٍ ... لِرِبْعٍ إنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّب كالسِّيد نَهْدٍ ... عَلى أقْتادِ ناجِيَةٍ صَبُورُ
فِدًى لأبى سُلَيْمَى كلُّ جَيْش ... بيَثْرِبَ إذْ تَناطَحَتِ النُّحُورُ
غداةَ تَرَى المُجَرَّب مُسْتَكِيناً ... خِلافَ القَوْمِ هامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : ﴿ ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسيرُ ﴾ . وقوله : ﴿ عن العِتْق الأمورُ ﴾ عن غير ابن إسحاق .

تمَّت الغَزاة ، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرَفَ من ناحية نَخْل . من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أُصيب بها

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضاً وادى القُرى ، لَقِيَ به بنى فَزَارَة ، فأُصيبَ بها ناس من أصحابه ، وارتُثَّ زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرد بن عَمْرو ابن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

معاودة زيد لهم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بنى فَزارة ؛ فلما استَبَلَّ من جِراحته بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قَيْسُ بن المُسحَّر اليَعْمُرى مَسْعَدَةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أمّ قِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة بن بدر ، كانت عجوزاً كبيرة عند مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مَسْعَدَةَ ، فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أمّ قِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفاً ؛ ثم قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بابنة أمّ قِرفة ، وبابن مَسْعَدَة .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أمّ قِرْفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

وكانت فى بيت شَرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنتَ أعزّ من أم قِرْفَة مازدت. فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن

شعر ابن المسحر فى قتل مسعدة

فقال قيس بن المسحّر فى قتل مسعدة :

سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مثل سَعْى ابن أمِّهِ ... وإنى بِوَرْدٍ فى الحياةِ لَثائِر
كَرَرْتُ عَلَيْهِ المُهْرَ لمَّا رأيْتُهُ ... عَلى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغاوِرِ
فَرَكَّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيًّا كأنَّهُ ... شِهابٌ بِمِعْرَاة يُذَكَّى لِناظِرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رِزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليُسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَواحة فى نفرٍ من أصحابه ، منهم عبد الله بن أُنَيس ، حليف بنى سَلِمة ، فلما قَدِموا عليه كلَّموه ، وقَرَّبُوا له ، وقالوا له : إنك إن قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج

. . . .

معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره ، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليُسير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطَن له عبد الله بن أُنَيْس ، وهو يريد السَّيف ، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليُسير بمِخْرش فى يده من شوحَط ، فأمّه ، ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ؛ فلما قَدِم عبد الله بن أُنَيْس على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تفل على شَجَّته ، فلم تقِحْ ولم تُؤْذِه .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خَيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحُقَيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلةَ أو بعُرَنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، قال : قال عبد الله

ابن أُنَيْس : دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نُبيح الهُذَلىّ يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعُرَنة ، فأْته فاقتله قلت : يارسول الله ، انعَتْهُ لى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشّيطان ، وآية مابينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرة . قال : فخرجت مُتَوَشِّحاً سَيْفى ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْرِيرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشى نحوه ، أُومى برأسِى ، فلما انتهيت إليه ، قال : مَنِ الرَّجُل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أَجَلْ ، إنى لفى ذلك . قال فمَشَيْت معه شيئاً ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت .

إهداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصاً ، فقال : أمْسِك هذه العصا عندك ياعبدَ الله بن أُنَيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتَسأَلَهُ لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى

هذه العَصاَ ؟ قال : آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة . إن أقلّ الناس المُتخصِّرُون يومئذ ، قال : فقَرَنها عبد الله بن أُنَيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمّت فى كفنه ، ثم دُفِنا جميعاً .

شعر ابن أُنيس فى قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تَرَكْتُ ابنَ ثورٍ كالحُوَار وحوْلَهُ ... نوائحُ تَفرِى كلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ
تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِي وخَلْفَهُ ... بأبْيَضَ مِن ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ
عَجُومٍ لِهام الدَّارِعِينَ كأنَّهُ ... شِهابٌ غَضَى مِن مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ
أقولُ لهُ والسَّيفُ يَعْجُم رأسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْس فارساً غيرَ قُعْدُدِ
أنا ابن الذى لم يُنزِلِ الدهرِ قِدْرَه ... رحيبُ فِناءِ الدَّارِ غيرُ مُزَنَّدِ
وقُلتُ لهُ خُذْها بضَرْبة ماجِدٍ ... حَنيفٍ على دينِ النَّبىِّ محمدِ
وكُنتُ إذا هَمَّ النَّبِىّ بكافِرٍ ... سَبَقتُ إليهِ باللِّسانِ وباليَدِ

تمّت الغَزاة ، وعُدنا إلى خبر البعوث .

غزوات أُخر

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب بن عُمير الغِفارى ذاتَ أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بنى العَنبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أناساً، وسبى منهم أناساً.

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله، إن علىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل. قال: هذا سَبْىُ بنى العنبر يَقدَم الآن، فنعطيك منهم إنساناً فتُعتقينه.

بعض من سبى وبعض من قتل وشعر سلمى فى ذلك

قال ابن إسحاق: فلما قُدِم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ركب فيهم وفد من بنى تميم، حتى قَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، منهم رَبيعة بن رُفيع، وسَبْرة بن عمرو، والقَعقاع بن معبد، ووَرْدَان ابن مُحْرِز، وقَيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفِراس ابن حابس؛ فكلّموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيهم، فأعتق بعضاً، وأفدى بعضاً، وكان ممن قُتل يومئذ من بنى العَنبر: عبدُ الله وأخوان له، بنو وهب، وشدّاد بن فِراس، وحنظلةُ بن دارم، وكان ممن سُبِىَ من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أرِىّ ونَجوة بنت نَهد، وجُمَيْعة بنت قَيس، وعَمْرة بنت مَطَر. فقالت فى ذلك اليوم سَلْمَى بنت عتّاب:

لَعَمرِى لقد لاقتْ عدىُّ بنُ جندَب   من الشرّ مَهْواةً شديداً كَئودها
تَكنَّفَها الأعْداء من كُلّ جانبٍ   وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها

شعر الفرزدق فى ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابن حابسٍ   بخُطَّةِ سَوّارٍ إلى المَجْدِ حازمِ
له أطْلَقَ الأسْرَى التى فى حِبالِهِ   مُغَلَّلَةً أعْناقُها فى الشَّكائمِ
كَفَى أمَّهاتِ الخالفينَ عليهمُ   غِلاءَ المُفادِى أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدىُّ بن جَنْدَب من بنى العَنْبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى – كلب ليث – أرضَ بنى مرّة ، فأصاب بها مِرْدَاسَ بن نَهِيك ، حليفاً لهم من الُحرَقة ، من جُهَيْنَةَ ، قتله أُسامة بن زيد ، ورجلٌ من الأنصار .

قال ابن هشام : الُحرَقة ، فيما حدثنى عُبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أُسامة بن زيد ، قال : أدركته

أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله. قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يارسول الله ، إنه إنما قالها تعوّذاً بها من القتل قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحقّ مازال يردّدها علىّ حتى لوددت أنّ ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يارسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؟ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرض بنى عُذْرة ، وكان من حديثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العربَ إلى الشام وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً من بَلِىّ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يَستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يُقال له السَّلْسَل . وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجرّاح فى المهاجرين الأوّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عُبيدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قَدِم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مدداً لى ، قال أبو عُبيدة : لا ، ولكنى على

ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ،وكان أبو عُبيدة رجلا ليناً سهلا ،هيناًعليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عُبيدة . يا عمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتُك ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك . فصلّى عمرو بالناس.

وصية أبى بكر رافع بن رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانياً ، وسمّيت سَرْجِس ، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرّمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرملَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام وأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت : والله لأختارنّ لنفسى صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رَحْله ، قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية ، فكان إذا نزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكّها عليه بخلال له، قال:وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفّاراً : نحن نبايع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحّد الله ولا تُشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ،

وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمَّر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استَجْهدتنى لأجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عُواذ لله وجيرانه ، وفى ذمّته ، فإياك لا تُخْفِر الله فى جيرانه ، فيتبعَك الله فى خُفرته ، فإن أحدكم يُخْفَر فى جاره ، فيظلّ ناتئاً عضله ، غَضباً لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشدّ غضباً لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّر أبو بكر على الناس ، قال : قَدِمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر النّاس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدّاً ، خشيت على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرقة .

تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حُدّث عن عوف ابن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغَزاة التى بعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السّلاسل ، قال : فصَحِبت أبا بكر وعمر، فمررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نحَرُوها ، وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها ، قال : وكنت امْرأً لَبِقاً جازراً ، قال : فقلت : أتعطونى منها عَشِيراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشَّفرتين ، فجزّأتها مكانى ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابى ، فاطَّبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أنّى لك هذا اللحم ياعوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيّآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أوّل قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى ، قال أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القَعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال بَعَثَنا

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إِضَم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعِيّ ومُحَلِّم بن جَثَّامَةَ بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إِضَم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعىّ ، على قَعُود له ، ومعه مُتَيِّع له ووطْب من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جَثَّامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ مُتَيِّعه قال : فلما قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلا تَقُولوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَياةِ الدُّنْيا ﴾ النساء : ٩٤ . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنا ﴾ لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن
يختصمان فى دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد ابن ضُمَيرة بن سعد السُّلَمىّ يحدّث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، وكانا شهدا حُنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظلّ شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحُنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، يختصمان

فى عامر بن أضبط الأشجعى : عُيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثَّامة ، لمكانه من خِنْدف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَينة بن حِصْن وهو يقول والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجلٌ من بنى ليث ، يقال له : مُكَيثِر ، قصير مجموع ـ قال ابن هشام : مُكَيتِل ـ فقال : والله يارسول الله ماوجدت لهذا القتيل شبهاً فى غُرَّة الإسلام إلا كغنم وردت فرُمِيَت أولاها ، فنفَرَت أخراها ، اُسنن اليوم ، وغَيِّر غداً . قال : فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه . فقال : بل تأخذون الدّية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدّية . قال: ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم ضَرْب طويل ، عليه حُلَّة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها : حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلِّم بن جَثَّامة ، قال : فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهمّ لا تغفر لمحلِّم بن جَثَّامة ثلاثاً . قال : فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ماظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

موت محلم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصريّ ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أَمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه ! ثم قال له المقالة التي قال ؛ قال: فوالله ما مكث محلِّم بن جَثّامة إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته — والذي نفس الحسن بيده — الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته ؛ فلما غُلِب قومُه عمدوا إلى صُدَّين ، فسطَحوه بينهما ثم رضَمُوا عليه الحجارة حتى واروْه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنُه ، فقال : والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شرّ منه ، ولكن الله أراد أن يَعِظكم في حُرَم ما بينكم بما أراكم منه .

دية بن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدِّث : أن عُيَينة بن حِصْن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قَيْس ، مَنَعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيلعنَكم الله بلعنته ، أو أن يغضبَ الله عليكم بغضبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليَصْنعَنَّ فيه ما أراد ، أو لآتينَّ بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلُّهم . لقُتِل صاحبكم كافراً ، ما صلَّى قط ، فلأُطُلَّنَّ دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدِّية .

قال ابن هشام : محلِّم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم ابن جَثَّامة بن قَيْس اللَّيثى .

قال ابن إسحاق : ملجَّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى

سببها

قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمىّ الغابَة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوّجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نِكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ماعندى ما أُعينك به . قال : فلبثتُ أياماً ، وأقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قَيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قَيساً على حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَم وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفاً عجفاء ،

نُحمل عليها أحدُنا ، فوالله ماقامت به ضعفاً حتى دَعَمَها الرجالُ من خلفها بأيديهم ، حتى استقلّت وما كادت ، ثم قال : تبلّغوا عليها وَاعتُقِبوها .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبى حدرد
من فىء استعان به على الزواج

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَةً مع غروب الشمس . قال: كَمَنْتُ فى ناحية ، وأمرت صاحبيَّ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبَّرت وشددتُ فى ناحية العسكر فكَبِّرا وشُدَّا معى . قال : فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرّة القوم ، أو أن نُصيب منهم شيئاً . قال : وقد غشينا اللّيل حتى ذهبت فَحْمة العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سَيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتّبعنّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرّ ؛ فقال له نفر ممّن معه : والله لاتذهب ، نحن نكفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لايتبعنى أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بى. قال : فلما أمكننى نفحته بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ماتكلَّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال . وشددت فى ناحية العسكر ، وكَبَّرت ، وشدّ صاحباى وكَبَّرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ،عندك، بكلّ ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وماخفّ معهم من أموالهم . قال : واستقْنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرةً ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

. . . .

قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً فى صَداق ، فجمعتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شىء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن عَطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعتَمّ ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحُذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أىّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فأىّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يُعلِنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوا ؛ ولم يَنْقُصوا المِكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنينَ وشدّة المؤْنة وجَوْر السُّلطان ؛

. . . .

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء ، فلولا البهائم ما مُطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعَهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم ، فأخذ بعضَ ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يَحْـكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

تأمير ابن عوف واعتمامه

ثم أمَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهَّز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمَّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحواً من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدَفعه إليه فحمِد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزُوا جميعاً فى سبيل الله ، فقاتِلوا من كفر بالله ، لا تَغُلّوا ، ولا تغدِروا ، ولا تُمثِّلوا ، ولا تَقتُلوا وَليداً ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيِّه فيكم. فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق: وحدثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جدّه عُبادة بن الصامت ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

. . . .

سَرِيَّةً إلى سِيف البحر ، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وزوّدهم جراباً من تمر ، فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عدداً . قال: ثم نَفِد التمر ، حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرة . قال : فقسَمها يوماً بيننا . قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم . قال : فلما جَهَدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصَبْنا من لحمها ووَدَكها ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنّا وابتللنا ، وأخذ أميرنا ضِلَعاً من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مسّت رأسه . قال : فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صَنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه بعثُ عمرو بن أُميّة الضَّمْرى ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدّثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبّار ابن صخر الأنصارىّ فخرجا حتى قَدِما مكة وحَبسا جمليهما بشِعْب من شِعاب

يَأْجَجٍ ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفنا بالبيت وصلَّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعَشَّوا جلسوا بأفنيتهم ، فقال : كلا ، إن شاء الله ، فقال عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصلَّيْنا ، ثم خرجنا نُريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو بن أميَّة : والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ ، فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طَلبنا ، حتى إذا عَلَوْنا الجبل يَئِسوا منا ، فرجعنا ، فدَخلنا كَهفاً فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرَضمناها دوننا ، فلما أصبحنا غَدا رجل من قُرَيش يقود فرساً له ، ويُخلِى عليها ، فغَشِيَنا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأُخِذنا فقُتلنا .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومعى خِنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثَدْيه ضربة ، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجِعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : من ضربك؟ فقال : عمرو بن أميَّة ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلُل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسَيْنا : النَّجاء ، فخرجنا ليلا من مكة نُريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جِيفة خُبَيب بن عدىّ ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمِشية عمرو بن أميَّة ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أميَّة ، قال : فلما حاذَى الخشبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدّاً ، وخرجوا وراءه حتى أتى جُرُفا بمَهْبِط مَسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجُرْف ،

فنجّيه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النَّجاء النجاء ، حتى تأتيَ بعيرَك فتقعدَ عليه ، فإني سأشغَل عنك القومَ ، وكان الأنصاريّ لارُجْلة له .

قتله بكرياً فى غار

قال : ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنان ثم أوَيْت إلى جَبل ، فأدخل كَهفاً ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل عليّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بَكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرْحباً ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمُسْلِمٍ مادُمتُ حَيًّا ولا دانٍ لِدِينِ المُسْلِمِينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سِيَتها فى عينه الصَّحيحة ، ثم تحامَلت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج ، ثم سلكت رَكُوبَةَ ، حتى إذا هبطت النَّقِيع إذا رجلان من قُريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عَيْناً إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان، فقلت : استأسِرا ، فأبيَا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، واستأسَر الآخرُ ، فأوثقه رباطاً ، وقَدِمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بعثه هو وضميرة وقصة السبى

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنة الحسين بن عليّ عليهم رضوان الله ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضُمَيرة مولى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبْياً من أهل مِيناء، وهي السواحل، وفيها جُمّاع من الناس، فبيعوا، ففُرّق بينهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقال: ما لهم؟ فقيل: يارسول الله، فُرّق بينهم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لاتبيعوهم إلا جميعاً.

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك

سبب نفاق أبي عفك

قال ابن إسحاق: وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبي عَفَك، أحد بني عمرو ابن عوف ثم من بني عُبيدة، وكان قد نجم نِفاقُه، حين قتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحارثَ بن سُوَيد بن صامت، فقال:

لقد عِشْتُ دهراً وَما إن أرَى ... مِنَ النَّاسِ داراً وَلا مَجْمَعا

أبرّ عُهُوداً وأوْفى لِمَنْ ... يُعاقِد فيهِمْ إذا ما دَعا

مِنْ أوْلادِ قَيْلَةَ في جَمْعِهِم ... يَهُدُّ الجِبالَ ولم يَخْضَعا

فَصَدَّعهُمْ راكِبٌ جاءهم ... حَلالٌ حَرَامٌ لِشَتَّى مَعا

فَلَوْ أنَّ بالعِزّ صَدَّقْتُمُ ... أوِ المُلْكِ تابعْتُمُ تُبَّعا

. . . .

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم ابن عُمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ، فقالت أمامةُ المُزَيرية فى ذلك :

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ والمرْءَ أحْمَدَا لعمرُ الذى أمْناك أن بِئْسَ ما يُمْنِى
حَباكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طعنَةً أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السِّن

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

نفاقها وشعرها فى ذلك

وغزوة عُمير بن عدىّ الخطمى عَصْماءَ بنت مَرْوانَ ، وهى من بنى أُميّة ابن زيد ، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت تعيب الإسلام وأهلَه :

باسْتِ بنى مالك والنَّبِيتِ وعَوْفٍ وباسْتِ بنى الخَزْرَج
أطَعْتمْ أتاوِىَّ مِنْ غيرِكم فَلا مِنْ مُرادٍ ولا مَذحِج
تُرَجُّونَهُ بعدَ قَتلِ الرُّءوسِ كما يُرْتجَى مَرَق المُنْضَجِ
ألا أنِفٌ يَبْتغى غِرَّةً فيَقْطَعَ مِنْ أمَلِ المُرْتَجِى

شعر حسان فى الرد عليها

قال : فأجابها حسّان بن ثابت ، فقال :

بنُو وَائِلٍ وبنُو وَاقِفٍ وخَطْمَةُ دُونَ بنى الخزْرَجِ
متى مادعَتْ سَفَهًا وَيْحَها بعَوْلَتِها والمَنَايا تَجِى
فهَزّت فتى ماجِداً عِرْقُه كَرِيمُ المَداخِلِ والمَخْرجِ
فَضَرّجها مِنْ نَجِيعِ الدِّما ءِ بعدَ الهُدُوّ فلم يَحْرَجِ

خروج الخطمى لقتلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخِذٌ لى من ابنة مروان ؟ فسَمِعَ ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُميرُ بن عدىّ الخطْمىّ ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل علىّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا يَنْتطح فيها عَنزان .

شأن بنى خطمة

فرجع عُميَر إلى قومه ، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عُميْر بن عدىّ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يابنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ،

تكيدونى جميعاً ثم لاتُنظِرُون . فذلك اليومُ أوّلُ ماعزّ الإسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أوّلَ من أسلم من بنى خطمة عُمَير بن عدىّ ، وهو الذى يُدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، ابن ثابت ، وأسام ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا وخُزيمة من عزّ الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه

والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

إسلامه

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتْ رجلا من بنى حَنيفة ، لايشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثُمَامَةُ بن أُثَالٍ الحنَفِىّ ، أحسنوا إسارَه . ورجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بِلقْحته أن يُغدَى عليه بها ويُراح ، فجعل لايقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم ياثمامة ، فيقول : إيْها يامحمد ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد الفداء فسَل ماشئت ، فمكث ماشاءالله أن يمكث ، ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقيع ، فتطهّر فأحسن طُهُوره ، ثم أقبل فَبايع النبىّ صلى الله عليه وسلم

. . . .

على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبالاقحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمِن رجل أكل أولَ النهار فى مِعَى كافرٍ ، وأكل آخر النهار فى مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى مِعى واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج مُعتمراً ، حتى إذا كان ببطن مكة لبَّى ، فكان أوّل من دخل مكة يُلَبِّى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم ، فخلُّوه ، فقال الحنفىّ فى ذلك :

ومِنَّا الَّذى لَبَّى بمَكَّةَ مُعْلِنًا ... برَغْم أبى سُفيانَ فى الأشهر الحُرُمْ

حُدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إلىّ ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمراً ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصَبَوْت يا ثُمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتَّبعت خير الدين ، دينَ محمد ، ولا والله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحمِلوا إلى مكة شيئاً ، فكتبوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : إنك

تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامَنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلّى بينهم وبين الحَمْل .

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلقمة بن مُجَزِّز .

لما قُتل وقّاص بن مجزّز المُدْلِجيّ يوم ذى قَرَد ، سأل عَلْقمةُ بن مُجَزِّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدركَ ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن عَلقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثَوْبان ، عن أبى سعيد الُخدرىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلْقمة بن مُجَزِّز – قال أبو سعيد الُخدرىّ : وأنا فيهم – حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنّا ببعض الطريق ، أَذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذافة السَّهمىّ ، وكان من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم

فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قَدِموا عليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن عَلْقَمة بن مُجَزِّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شأن يسار

حدثنى بعضُ أهل العلم ، عمّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قَيْس كُبّة من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطَحِلوا ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لو خرجتم إلى اللِّقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عَدوْا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسار ، فذبحوه وغرزوا الشّوك فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاح. فبعث رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْز بن جابر ، فلَحِقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرجِعه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، وسَمَل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرّتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسَّرايا ، فينبغى أن تكون العِدَّة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطِئ الخيل تُخوم البلقاء والداروم ، من أرض فِلَسطين فتجهّز الناسُ ، وأوعَب مع أُسامة المهاجرون الأوّلون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك ابتُدِىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، فى ليال بقين من صفر، أو فى أوّل شهر ربيع الأوّل، فكان أوّل ما ابتُدِىء به من ذلك، فيما ذُكر لى، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتُدِىء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبدُ الله بن عمر، عن عُبَيد بن جُبَير، مولى الحكم بن أبى العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبى مُوَيْهِبة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل، فقال: يا أبا مُوَيْهِبة، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلِقْ معى، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم ياأهل المقابر، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقِطَع اللَّيل المظلم، يتبع آخرُها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى؛ ثم أقبل علىّ، فقال: يا أبا مُوَيْهِبة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة. قال: فقلت: بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: لا والله يا أبا مُوَيهبة، لقد اخترت لقاءَ ربى والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع،

. . . .

ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرىّ ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفّنتك ، وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزّ به وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنّ فى أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذِنّ له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهْلَلْنا بالحَجِّ وما نَذْكر إلا أمْرَ الحَجِّ ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابرٌ فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفرد الحجّ ، وهذا هو الصحيح فى حديث جابر [1] ، وقد روى

---

(١) يقول الإمام ابن القيم : « وإنما قلنا إنه أحرم قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحة صريحة فى ذلك ، ثم ساق - رضى الله عنه - اثنين وعشرين حديثاً =

. . . .

من طُرُق فيها ابنُ عن جابر أنه قال قَرَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الحَجِّ والعُمْرَة ، وطاف لهما طَوَافًا واحـــداً ، وسعى لهما سَعْياً واحداً، رواه الدَّارَقُطْنِي[١] ، وروى أيضاً أن جابراً قال : حج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ حِجَّاتٍ ، حِجَّتَيْن قَبْل الهجرة ، وحِجَّتَه التي قَرَنَها بعُمْرَتِهِ[٢] ، وأما حديثُ ابن عباس فصحيح ، وقال فيه : طاف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن حجته وعُمْرَته طوافاً واحداً ، وقد اختلف عن عَلِيٍّ ، فروى عنه أنه طاف عنهما طوافين ، ولم يختلف عنه أنه كان قارِناً ، وكذلك حديث عمران بن حُصَيْن ، فى أنه عليه السلام كان قارناً ، وأما حديثُ أنس فصَرَّح فيه بأنه كان قارِناً ، وقال : ما تَعُدُّونا إلّا صِبْياناً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرخ بهمـا جميعا[٣] يعنى الحجَّ والعُمْرَة ، فاختلفت الروايات فى إحرام

= يستدل بها على أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارناً لا مفرداً ، ثم نقل عن شيخه الإمام ابن تيمية ما يؤكد به أن الأحاديث فى هذا متفقة لا مختلفة ، وإن بدت بظواهرها مختلفة . فراجعه فهو فصل رائع ممتع للامام الجليل ٣٦٩ وما بعدها ح ١ زاد المعاد .

(١) ورواه أحمد والترمذى . وفيه الحجاج بن أرطاة . وحديثه كما يقول ابن القيم لا ينزل عن درجة الحسن ما لم ينفرد بشيء ، أو يخالف الثقات .

(٢) رواه الترمذى ثم قال : وهذا حديث غريب من حديث سفيان . قال : وسألت محمداً ـ يعنى البخارى ـ عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى، وفى رواية: لا يعد بهذا الحديث محفوظا . وإنما يروى عن الثورى عن أبى إسحاق السبيعى عن مجاهد مرسلا .

(٣) وفى رواية : سمعت رسول الله « ص » يقول : لبيك حجاً وعمرة ، وحديث أنس فى الصحيحين .

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كما تَرى : هل كان مُفرِداً أو قارِناً ، أو مُتَمَتِّعاً ، وكلها صِحاحٌ إلا مَنْ قال : كان مُتَمَتِّعاً ، وأراد به أنه أهَلَّ بعُمْرةٍ ، وأما من قال : تَمَتَّعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أى : أمر بالتمتع ، وفَسْخِ الحجِّ بالعُمْرةِ ، فقد يصح هذا التأويلُ ، ويصح أيضاً أن يُقالَ تَمَتَّعَ إذا قرن ، لأن القران ضَرْبٌ من المُتْعَةِ لما فيه من إسْقاط أحَدِ السَّفَرَيْن . والذى يرفع الإشكال حديثُ البخارى أنه أهلَّ بالحج ، فلما كان بالعَقيق أتاه جبْريلُ ، فقال له : إنك بهذا الوادى المبارَكِ ، فقل : لَبَّيْكَ بحَجٍّ وعُمْرةٍ معاً ، فقد صار قارِناً بعد أن كان مُفرِداً ، وصح القولان جميعاً ، وأمرُه لأصحابه أن يَفسَخُوا الحجَّ بالعُمْرةِ خُصُوصٌ لهم ، وليس لغيرهم أن يَفعَلَه ، وإنما فعل ذلك ليُذْهِبَ من قُلوبهم أمْرَ الجاهِلِيَّة فى تحْرِيمهم العُمْرَةَ فى أشْهُر الحَجِّ ، فكانوا يرون العُمْرَةَ فى أشْهُر الحَجِّ مِنْ أكبر الكبائر ، ويقولون : إذا بَرَأَ الدَّبَر[1] ، وعَفَا الأَثَرُ ، وانسَلَخَ صَفَرُ حَلَّت العُمْرَةُ لمن اعتَمَر ، ولم يَفسَخ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَجَّه كما فعل أصحابُه ، لأنه ساق الْهَدْىَ ، وقَلَّده ، والله سبحانه يقول ﴿ حتى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّه ﴾ وقال حين رأى أصحابه قد شَقَّ عليهم خلافه : لو استَقْبَلتُ من أمرِى ما استَدْبَرْتُ لجعلتها عُمْرَةً ، ولَمَا سُقْتُ الْهَدْىَ[2] ، قال شيخُنا أبو بكر رضى الله عنه : إنما نَدِم على تَرْك

---

(١) الدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير . . وقيل : هو أن يقرح خف البعير .

(٢) فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي « ص » فى حجة الوداع ، وأهللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله =

. . . .

ماهو أَسْهَلُ ، وأَرْفَقُ ، لا على تَرْكِ ماهو أَفْضَلُ ، وأَوْفَقُ ، وذلك لما رأى من كَرَاهة أصحابِه لمخالَفَتِه ، ولم يكن ساق الْهَدْيَ معه من أصحابه إلا طَلْحَةَ

= صلى الله عليه وسلم اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى » ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الحديث ؛ ورواية السنن له : « ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضاً علينا فسخه إلى عمرة تفادياً من غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعا لأمره : فوالله ما نسخ هذا فى حياته ولا بعده ، ولا صح حرف واحد يعارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه وتعالى على لسان سراقة أن يسأله : هل ذلك مختص بهم ؟ فأجاب بأن ذلك كائن لأبد الأبد . فما ندرى ما نقدم على هذه الأحاديث » ص ٤٢٦ ج ١ زاد المعاد . وفى هذا رد على السهيلى فى زعمه أن فسخ الحج بالعمرة كان خصوصاً لأصحاب النبي . ولقد قال سلمة بن شبيب لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله كل أمرك عندى حسن إلا خلة واحدة قال : وما هى : قال تقول بفسخ الحج إلى العمره ، فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلا عندى فى ذلك أحد عشر حديثاً صحاحا عن رسول الله « ص » أأتركها لقولك ؟ المصدر السابق . ويقول : الإمام ابن القيم أيضا عن الذين غلطوا فى حج النبى « ص » : ووهم فى حجه خمس طوائف :

الطائفة الأولى التى قالت : حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه . الثانية : من قال : حج متمتعاً تمتعاً حل منه ، ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضى أبو يعلى وغيره .

الثالثة : من قال حج متمتعا تمتعاً لم يحل منه لأجل سوق الهدى ، ولم يكن قارنا كما قاله أبو محمد بن قدامة صاحب المغنى .

الرابعة : من قال حج قارناً قراناً طاف له طوافين وسعا له سعيين .

الخامسة : من قال : حج حجاً مفرداً . اعتمر بعده من التنعيم . ثم بين رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارنا وساق الأدلة بالأحاديث . كما قال : حصل الترجيح لرواية من روى القران لوجوه عشرة ثم ذكر هذه الوجوه وزاد عليها خمسة أوجه أنظر ص ٣٨٢ ، ٣٩٠ ج ١ زاد المعاد .

. . . .

ابن عُبَيْدِ الله ، فلم يَحِلَّ حتى نَحَرَ ، وعَلِىٌّ أيضاً أتى من اليَمَن وساق الهدى فلم يَحِلَّ إلَّا بإحْلَالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله عليه السلام فى خُطْبَةِ الوَدَاعِ : ورَجَبُ مُضَرَ الذى بين جُمَادَى وشَعْبَان ، إنما قال ذلك لأن رَبِيعَةَ كانت تُحَرِم فى رَمَضَان ، وتسميه : رَجَباً من رَجِبْتُ الرجل ورَجَّبْتُه إذا عظمته، ورَجَبْتُ النَّخْلَةَ إذا دَعَمْتُها[1] ، فبينَّ عليه السلام أنه رَجَبُ مُضَر لارَجَبُ رَبِيعَة، وأنه الذى بين جُمَادَى وشَعْبَان[2] وقد تقدم تفسيرُه قوله : إن الزَّمَان قد استَدَارَ ، وتقدم اسمُ ابن أبى رَبِيعة المُسْتَرْضَع فى هُذَيْلٍ ، وأن اسْمَه آدمُ ، وقيل : تَمَّام ، وكان سَبَبَ قَتْلِه حَرْبٌ كانت بين قبائل هُذَيْلٍ تقاذفوا فيها بالحِجَارة فأصاب الطفلَ حَجَرٌ وهو يَحْبُو بين البُيُوت ، كذلك ذكر الزُّبَيْر .

بعث أسامة

وأمَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسَامَةَ على جَيْشٍ كثيف ، وأمَرَه أن يغير على أُبْنَى صَبَاحاً ، وأن يحرق . وأُبْنَا ، هى القريةُ التى عند مُؤْتَةَ حيث

---

(١) الترجيب أن يبنى تحت النخلة دكان تعتمد عليه .

(٢) يقول ابن الأثير : « أضاف رجباً إلى مضر ، لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم ، فكأنهم اختصوا به . وقوله : بين جمادى وشعبان تأكيد للبيان وإيضاح ، لأنهم كانوا ينسئونه ويؤخرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه المختص به ، فبين لهم أنه الشهر الذى بين جمادى وشعبان لا ما كانوا يسمونه على حساب النسىء » .

. . . .

قُتِل أبوه زَيْد ، ولذلك أمَّره على حَداثة سِنِّه ليُدْرِكَ ثأره ، وطعن فى إمارته أهلُ الرَّيْب ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وايْم الله إنه لَخَلِيقٌ بالإمَارَةِ ، وإن كان أبوه لَخَلِيقاً بها[1] ، وإنما طعنوا فى إمْرَتِهِ ، لأنه مَوْلى مع حَداثة سِنِّه ، لأنه كان إذ ذاك ابنَ ثمانِ عَشْرَةَ سنةً ، وكان رضى الله عنه أسودَ الجِلْدَةِ ، وكان أبوه أبيضَ صافِى البياض ، نَزَع فى اللون إلى أمِّه بَرَكة ، وهى أم أيْمَنَ ، وقد تقدم حديثها ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّه ويمسح خَشَمَه ، وهو صغير بثوبه ، وعثر يوماً فأصابه جرح فى رأسه ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمص دمَه ويَمُجُّه ، ويقول : لو كان أُسَامَةُ جارِيةً لحَلَّيْناهَا ، حتى يُرْغَبَ فيها ، وكان يسمى الحِبَّ من الحُبّ[2] .

عدة الغزوات :

وذكر ابن إسحاق عدة الغَزَوَات ، وهى ست وعشرون ، وقال الواقدى: كانت سبعاً وعشرين ، وإنما جاء الخلاف ، لأن غَزْوة خَيْبَر اتصلت بغَزْوَة وادى القرى ، فجعلها بعضهم غزوةً واحدةً ، وأما البعوثُ والسَّرايا فقيل : هى ست وثلاثون كما فى الكتاب ، وقيل : ثمان وأربعون وهو قول الواقدى،

---

(١) روى الإمام مالك ، ومن طريقه البخارى عن ابن عمر أنه « ص » بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس فى إمارته ، فقام صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن تطعنوا فى إمارته ، فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان خليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

(٢) لعلها . الحب بن الحب .

. . . .

ونسب المسعودى إلى بعضهم أنَّ البُعُوثَ والسَّرَايا كانت ستين . قاتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى تِسْع غزوات ، وقال الواقدى : قاتل فى إحدى عَشْرَة غزوةً ، منها الغابة ووادِى القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

الحواريون :

ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الحَوَارِيِّين ، وأصح ما قيل فى معنى الحَوَارِيِّينَ أن الحَوَارِيَّ هو الخُلْصَانُ ، أى الخالصُ الصافى من كل شىء ، ومنه الحُوَارِىُّ ، والحُور ، وقول المفسِّرين هو : الخُلْصَان كلمة فَصيحة ، أنشد أبو حنيفه :

خَلِيلَيَّ خُلصَانِيَّ لم يُبْقِ حُبُّها ... من القلب إلَّا عُوَّذاً سبباً لها(١)

قال : والعُوَّذُ مالم تُدْرِكْه الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكأنه قد عاذ منها .

معنى المسيح ونهايته :

وأصح ماقيل فى معنى المسيح على كثرة الأقوال فى ذلك أنه الصِّدِّيق

---

(١) البيت للكميت . وروايته فى اللسان : خليلاى، و : سببا لها . بدلا من : خليلى ، و : سببا لها . والعوذ : ما عيذ به من شجر أو غيره وما لم يرتفع إلى الأغصان . ومنعه الشجر من أن يرعى من ذلك . وقيل : هى أشياء تكون فى غلظ لا ينالها المال « اللسان ».

. . . .

بلغتهم ، ثم عرَّبته العربُ . وكان إرسالُ المَسيح للحواريين بعد ما رُفع وصُلب الذى شُبِّه به ، فجاءت مريمُ الصِّدِّيقة والمرأة التى كانت مجنونةً ، فأبرأها المسيحُ ، وقعدتا عند الجذع تبكيان ، وقد أصاب أُمَّه من الحزن عليه مالا يعلم علمه إلا الله ، فأُهبط إليهما ، وقال : عَلى مَ تَبْكيان ؟ فقالتا : عليك، فقال إنى لم أُقتل ، ولم أُصَابْ ، ولكن الله رفعنى وكرمنى ، وشُبِّه عليهم فى أمرى ، أبلغا عنى الحَوَارِيِّين أمرى ، أن يَلقَوْنى فى مَوْضِع كذا ليلا ، فجاء الحَوَارِيُّون ذلك الموضعَ ، فإذا الجبلُ قد اشتعل نوراً لنزوله به ، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربهم ، فوجههم إلى الامم التى ذكر ابن إسحاق وغيره ، ثم كُسِى كُسْوَة الملائكة ، فَعَرَج معهم ، فصار مَلَكياً إنسياً سمائياً أرضياً[1] .

فصل : وذكر فى الأمم : الأُمَّةَ الذين يأكلون الناس ، وهم من الأَساوِدَةِ فيما ذكره الطبرى .

أسطورة زريب :

وذكر فى الحَوَارِيِّين زُرَيْب بن بَرْثَمْلِى[2] وهو الذى عاش إلى زمن

---

(١) قصة مخترعة لا ينسبها إلى الحق سند صحيح . ولكنها فى كتب المسيحيين والحق الثابت الذى لا ريب فيه أنهم ما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم .

(٢) فى الإصابة ترملا وترملى . وفى سفر أعمال الرسل من العهد الجديد : برثولماوس بدون زريب وسند قصة زريب سند ضعيف . وعند ابن أبى حاتم أن صاحبه هو جعونة بن نضلة ، وعند غيره نضلة بن معاوية .

. . . .

عُمَرَ وسمع نَضْلَةَ بن معاوية أذانه في الجبل فكلمه، فإذا رجل عظيم الخَلْقِ رأسه كَدُور الرَّحى ، فسأل نَضْلَةَ والجيشَ الذين كانوا معه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : قُبِض ، وعن أبي بكر ، فقالوا: قُبِض ، ثم سألهم عن عُمَرَ ، فقالوا : هو حَيٌّ ، ونحن جيشُه ، فقال لهم : أقرءوه مني السَّلامَ ثم أمرهم أن يبلغوا عنه وصايا كثيرة ، وأن يُحَذِّرَ الناسَ من خِصال إذا ظهرت في أمة محمدٍ، فقد قرب الأمر ، ومنها لبس الحرير ، وشرب الخمر ، وأن يكتفي الرجالُ بالرجال والنساء بالنساء(١) .

وذكر فيها أيضاً المعازف والقِيانَ وأشياءَ غير هذه ، فقالوا له : مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال زُرَيْبُ بن بَرْثُمْلِي حَوَارِيُّ عيسى بن مَرْيَمَ عليه السلام دعوتُ الله أن يُحْيِيَنِي ، حتى أرى أمةَ محمد ،أو نحو هذا الكلام ، وقد أردت الخلوص إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم أستطع ، حال بيني وبينه الكفار .

وذكر الدَّارَقُطْنِي في هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعا أن عمر قال لنضلة إن لقيته فأقرِئْهُ مني السلامَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن بذلك الجَبَل وَصِيًّا من أوصياء عيسى عليه السلام ، والخبر بهذا مشهورٌ عنه ، وفيه طولٌ فاختصرناه ، ويقال : إنه الآن حَيٌّ . ومن قال : إن الخَضِر وإلياسَ قد ماتا ، فمن أصله أيضاً أن زُرَيْباً قد مات ، لأنهم يحتجون

---

(١) كل هذا سنده ضعيف كما قرر الحافظ في الفتح . والعجب أن يفترى في بعض الروايات أنه سيبقى إلى نزول عيسى !!

. . . .

بالحديث الصحيح : إلى رأس مائة سنةٍ ، لا يبقى على الأرضَ ممَّن هو عليها أحدٌ[1] .

رسوله إلى النجاشي وقيصر :

فصل: وذكر إرسال عَمْرِو بن أُمَيَّة إلى النَّجَاشِيِّ ، وقد قدمنا ذكر ما قال وماقيل له ، وكذلك ذكرنا خَبَرَ سَلِيط مع هَوْذَةَ ، وما قال له ، وخبر عبد الله بن حُذَافَةَ مع كِسْرَى ، وكلامه معه ، ونذكر هنا بقية الإرسال ، وكلامهم فمنهم : دِحْيَةُ بن خَلِيفة الكَلْبي ، فقدم دِحْيَةُ على قَيْصَرَ ، وقد ذكرنا معنى هذا الإسم ، أعنى اسمَ دِحْيَةَ ، واسم قَيْصَر فيما مضى من الكتاب ، فلما قدم دحيةُ على قَيْصر ، قال له : «يا قَيْصَرُ أرسلني إليك مَنْ هو خَيْرٌ منك ، والذى أرسله هو خيرٌ منه ومنك ، فاسمع بذُلٍّ ، ثم أجب بنُصْحٍ ، فإنك إن لم تَذِلْ لم تَفْهَم ، وإن لم تَنْصَح لم تُنْصِفْ ، قال : هات ، قال : هل تعلم أكان المسيحُ يُصَلِّي؟ قال : نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيحُ يُصَلِّي له ، وأدعوك

---

(١) وعلى هذا أجمع الأئمة . فقد كان صاحب موسى عبداً صالحاً بشراً ، والبشر لا يخلدون فى الدنيا . وإلياس كذلك .

كلمة عن الحواريين : ماذكر فى السيرة عنهم مستمد من أسفار المسيحيين وبين أسمائهم فى السيرة وأسمائهم فى الأسفار اختلاف يسير . ولست أدرى كيف يجعل من بولس تابعاً طيباً ؟ وهو الذى افترى أصول المسيحية المثلثة المؤلهة لعبد الله ورسوله عيسى وعاش يمجد اليهودية وحدها بأحقادها !!

أنظر رسائله فى العهد الجديد .

. . . .

إلى من دَبَّر خَلْقَ السَّمٰوات والأرض والمسيحَ فى بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا النبى الأُمِّيِّ الذى بشر به موسى ، وبشَّر به عيسى بن مَرْيم بعده ، وعندك من ذلك أثارَةٌ مِنْ عِلْمٍ تَكفى من العِيانِ وتَشْفِى من الخَبَرِ ، فإن أجَبْتَ كانت لك الدنيا والآخرةُ ، وإلا ذهبت عنك الآخرةُ وشُورِكْتَ فى الدنيا ، واعْلم أنَّ لك ربًّا يَقْصِم الجَبابِرَةِ ، ويغيِّرُ النِّعم » ، فأخذ قيصرُ الكتابَ فوضعه على عينيه ورأسِهِ وقَبَّله ، ثم قال : أمَا واللهِ ما تركت كتاباً إلا وقرأته ، ولا عالمًا إلا سألته ، فما رأيت إلاَّ خيْراً ، فأمْهِلْنى حتى أنظر مَنْ كان المسيحُ يُصَلِّى له ، فإنى أكره أن أُجِيبَك اليومَ بأمْرٍ أرى غَداً ماهو أحسن منه ، فأرْجِعَ عنه ، فيضُرَّنى ذلك ، ولا ينفعنى ، أقِمْ حتى أنظُرَ ، فلم يلبث أن أتاه وفاةُ رسولِ اللهِ — صلى الله عليه وسلم — وفى غزوة تَبُوكٍ بقيةُ حديث قَيْصَرَ ، فانظره هنالك .

رسوله إلى المقوقس :

وأما حاطِبٌ فقدم على المُقَوْقِس ، واسمه : جُرَيْجٌ بن مِيناء[1] ، فقال له : « إنه قد كان رجُلٌ قبلك يزعم أنه الرَّبُّ الأعلى ، فأخذه اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ والأولى ، فانتقم به ، ثم انتَقَم مِنْه ، فاعْتَبِرْ بغيرك ، ولا يَعْتَبِرْ بك غيرُك » قال : هات ، قال : إن لك دِيناً لن تَدَعَه إلاَّ لما هو خَيْرٌ منه ، وهو الإسلام[2] ، الكافى به الله فَقْدَ ما سِوَاهُ . إن هذا النبىَّ — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) ابن مينا بن قرقوب . وفى الإصابة : ومنهم من لم يذكر مينا كما جزم به أبو عمر الكندى فى أمراء مصر .

(٢) فى المواهب : قال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه ، فقال حاطب : ندعوك لله إلى دين ا وهو الإسلا م

. . . .

دعا الناسَ ، فـكان أشدَّهم عليـه قُرَيشٌ ، وأعداهم له يَهُودُ ، وأقربهم منه النصارى ، ولَعَمْرِى ما بِشَارَةُ موسى بعيسى إلاّ كبشارة عيسى بمحمـد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومادعاؤنا إيّاكَ إلى القرآن إلاّ كدعائك أَهْلَ التَّوْرَاةِ إلى الإنجيل ، وكُل نَبِيٍّ أدرك قوماً فَهُمْ من أُمّتِه فَحَقٌ عليهم أنْ يُطِيعوه، فأنت مِمَّن أدركه هذا النبيُّ ، ولسنا نَنْهاك عن دين المسيح ، ولـكن نأمرُك به » قال المُقَوْقِسُ : « إنى قد نظرت فى أمر هذا النبيِّ ، فوجدته لايأمر بمزْهُودٍ فيه ، ولا يَنْهَى إلا عن مَرْغُوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضَّالِّ ، ولا الـكاهِنِ الـكاذب ، ووجدت معه آلة[1] النبوة بإخراج الخَبِءَ والإخبار بالنَّجْوَى[2] ، وسأنظر فأهدى للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أمَّ إبراهيمَ القِبْطِية ، واسمها : مَارِيَةُ بنتُ شَمْعُون ، وأختها معها ، واسمها سِيرِين وهى أمُّ عَبْدِالرَّحمن

---

(١) فى شرح المواهب: « كذا فى العيون ، ى : علامتها ، عبر عنها بالآلة . لأنها سبب فى تحقيقها ، وإظهارها. وفى الروض : آية . وهى العلامة بلا تكلف » غير أن الروض كما ترى ذكر آلة فلعل صاحب المواهب كان يطلع على نسخة أخرى .

(٢) يقال : إن المقوقس علم هذا من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة النبى إليه فقد ذكر الواقدى أن المغيرة بن شعبة لقى المقوقس ، وسأله عن النبى ، فلما أجابه بما أجابه به قال : هذا نبى مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه . وعند ابن عبد الحكم أنه أخذ كتاب النبى « ص » رضمه إلى صدره ، وقال : هذا زمان النبى الذى نجد نعته فى كتاب الله ، وحفظ الكتاب فى حق من عاج. وقد ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً . وانظر ص ٥٤ ومابعدها كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم .

. . . .

ابن حَسَّان بن ثَابِتٍ[1]، وغلاماً اسمه مأبُور[2]، وبغلةً اسمُها دُلْدُلٌ، وكِسْوَة، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان يشرب فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وكاتبه[3].

رسوله إلى المنذر بن ساوى :

وأما العَلَاء بن الحَضْرَمِي، فقدم على المُنْذِر بن سَاوِى[4] فقال له :

« يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل فى الدنيا، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخِرة، إن هذه المَجُوسِيَّة شَرُّ دينٍ ليس فيها تَكَرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب، يَنْكِحُون مايُسْتَحْيَا من نِكاحه، ويأكلون ما يُتَكَرَّم على أكله، ويعبدون

---

(١) وقيل إنه «ص» وهبها لجهم بن قيس، وقيل لمحمد بن مسلمة، وقيل لدحية ابن خليفة.

(٢) كان مأبور خصياً، ولم يعلموا بأمره بادىء الأمر، فصار يدخل على مارية، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر؛ فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك، حتى قيل إنه الذى أمر النبى علياً بقتله، فوجده خصياً فتركه. والحديث فى صحيح مسلم من طريق حماد بن مسلمة «البداية لابن كثير» ص ٢٧٣ ص ٤، وقد تقدم الكلام عن هذا.

(٣) ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً من القباطى كما ورد أنه أهدى اليه حماراً اسمه : يعفور، وعسلا من بنها وألف مثقال ذهباً وخفين ساذجين أسودين واقرأ ما كتبه المقوقس فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧.

(٤) ابن الاخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التيمى الدارمى العبدى، لانه من ولد عبد الله بن دارم هذا وعامرهم فيه السهيلى زعم أن الرسول «ص» بعث جبراً مع حاطب، فجبر من القبط. وهو رسول المقوقس بمارية إلى النبى «ص» كما جاء فى الإصابة والاستيعاب.

في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، واستَ بعديم عقلٍ ، ولا رأيٍ ، فانظر : هل ينبغي لمن لا يَكذب أنْ لا تُصدّقه ، ولمن لا يخونُ أن لا تأمنه ، ولمن لا يُخلِفُ أنْ لا تثِقَ به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبيُّ الأُمّيُّ الذي والله لا يستطيع ذُو عَقلٍ أن يقول : ليت ما أمر به نهى عنه ، أو ما نهى عنه أمَرَ به ، أو ليْتَه زاد في عفوِه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أُمْنية أهلِ العقل وفِكر أهلِ البَصر » .

فقال المنذرُ : قد نظرتُ في هذا الأمرِ الذي في يدي ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحةُ الموت ، ولقد عجبت أمْسِ ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يَرُدُّه ، وإن من إعْظَامِ مَنْ جاء به أن يُعظَّم رسوله ، وسأنظر .

مفتاح الجنة :

فصلٌ : ومما وقع في السيرة في حديث العَلَاء قولُ النبي عليه السلام له : إذا سُئِلْتَ عن مِفْتَاح الجنة فقل : مِفْتَاحها : لا إله إلاَّ اللهُ ، وفي البخاري : قيل لوهب : أليس مفتاحُ الجنة لا إله إلاَّ الله ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس من مِفتَاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِح لك ، وإلاَّ لم يُفتَح لك ، وفي رواية غيرِه : أن ابن عبَّاس ذُكر له قول وَهْبٍ ، فقال : صَدَق وهبٌ ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هي ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

. . . .

عمرو والجلندى :

وأما عمرو بن العاص ، فقدم على الجُلُنْدِى[١] ، فقال له : ياجُلُنْدِىُّ إنك وإن كنت مِنّا بعيداً ، فإنك من الله غيرَ بعيد ، إن الذى تفرد بخَلْقِك أهْلٌ أن تُفْرِده بعبادَتِك ، وأن لا تُشرِكَ به مَنْ لم يُشرِكْه فيك ، واعلم أنه يُميتك الذى أحياك ، ويُعيدك الذى بَدَأك ، فانظر فى هذا النبىِّ الأُمِّىِّ الذى جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنعه ، أو يميل به هَوَى فَدَعْه ، ثم انظُرْ فيما يجىء به : هل يُشْبِه مايجىء به الناسُ ، فإن كان يشبهه ، فَسَله العِيانَ ، وتَخَيَّر عليه فى الخبر ، وإن كان لا يُشْبِهُه فاقبل ماقال ، وخَفْ ماوَعَد ، قال الجُلُنْدِىُّ : إنه والله لقد دلنى على هذا النبىِّ الأُمِّىِّ أنه لا يأمر بخير إلا كان أوَّلَ مَنْ أخَذَ به ، ولا يَنهَى عن شَرٍّ إلا كان أوَّلَ تارِكٍ له ، وأنه يَغلِب فلا يَبْطَرُ ، ويُغْلَب فلا يَضْجَر[٢] وأنه يفى بالعهد ، ويُنْجِز الموعود ، وأنه لايزال سِرٌّ قد اطلع عليه يُساوى فيه أهلَه ، وأشهد أنه نبى[٣] .

---

(١) ضبطه الجوهرى بفتح اللام ، وجعله القاموس من أوهامه ، وقد ضبطه الحافظ فى الفتح والإصابة بضبط الجوهرى غير مبال بضبط شيخه صاحب القاموس ، وفى السيرة أنه أرسله إلى ابنى الجلندى . وأما وثيمة فيذكر فى كتاب الردة عن ابن إسحاق أنه أرسل إلى الجلندى .

(٢) فى الإصابة . فلا يهجر .

(٣) فى الإصابة أنه أنشد أبياتاً هى :

أتانى عمرو بالتى ليس بعدها	من الحق شىء والنصيح نصيح
فقلت له : مازدت أن جئت بالتى	جلندى عمان فى عمان يصيح
فياعمرو قد أسلمت لله جهرة	ينادى بها فى الواديين فصيح

. . . .

شجاع وجبلة :

وأما شُجَاع بن وَهْبٍ ، فقدم على جَبَلَةَ بن الأَيْهَمِ ، وهو جَبَلَةُ بن الأَيْهَم ابن الحارث بن أبى شِمْرٍ ، وجَبَلَة ، وهو الذى أسلم ثم تَنَصَّر من أجلِ لَطْمَةٍ حاكم فيها إلى أبى عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح وكان طوله اثْنَىْ عَشَرِ شِبْراً ، وكان يمسح برجليه الأرضَ ، وهو راكب ، فقال له : ياجَبَلَةُ إن قومَك نَقَلُوا هذا النبيَّ الأُمِّىَّ من داره إلى دارهم ، يعنى : الأنصارَ ، فآوَوْهُ ، ومنعوه ، وإن هـذا الدينَ الذى أنت عليـه ليس بدينِ آبائك ، ولـكنك ملـكتَ الشامَ وجاورت بها الرومَ ، ولو جاوَرْت كِسْرَى دِنْتَ بدين الفُرْسِ لملكِ العراق ، وقد أقرَّ بهذا النبيِّ الأمِّىِّ مِنْ أهلِ دينِك مَنْ إنْ فَضَّلْناه عليك لم يُغضِبْك ، وإن فَضَّلْناكَ عليه لم يُرْضِكَ ، فإن أسلمتَ أطاعتك الشامُ وهابتك الرومُ ، وإن لم يَفعَلُوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرةُ ، وكنت قـد استبدلتَ المساجدَ بالبِيَعِ ، والأذانَ بالنَّاقوس ، والجُمَعَ بالشَّعَانين[1] ، والقِبْلَة بالصَّليب ، وكان ما عند الله خير وأبقى ، فقال له جَبَلَةُ : إنى والله لَوَدِدْت أن الناسَ أجمعوا على هذا النبيِّ الأمِّىِّ اجتماعَهم على خَلْق السَّموات والأرض ، ولقد سرنى اجتماعُ قومى له ، وأعجبنى قتله أهل الأوثان واليهودِ ، واستبقاؤه النَّصارى ، ولقد دعانى قَيْصَرُ إلى قتالِ أصحابه يوم مُؤْتَةَ ، فأبيت عليـه ، فانتدبَ مالكَ بنَ نافلة

---

(١) عيد صليبى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف ذكرى لدخول المسيح ـ كما قيل ـ بيت المقدس

. . . .

من سَعدِ العَشيرة فقتله الله ، ولكنى است أرى حقًّا ينفعه ، ولا باطلا يَضُرُّه والذى يَمُدُّنى إليه أقوى من الذى يَختلِجُنى عنه ، وسأنظر .

المهاجر وابن كلال :

وأما المُهاجِرُ بن أبى أميّة ، فقدم على الحارثِ بن عَبْدِ كُلَالٍ ، وقال له : يا حارثُ إنك كنت أول مَنْ عَرَض عليه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، فَخُطِّئْتَ عنه ، وأنت أعظمُ الملوك قَدْراً ، فإذا نظرت فى غَلَبَة الملوك ، فانظر فى غالب الملوك ، وإذا سَرَّك يومُك فَخَفْ غَدَك ، وقد كان قبلكَ ملوكٌ ذهبت آثارُها وبقيت أخبارُها ، عاشوا طويلا ، وأمّلوا بعيداً وتَزَوَّدوا قليلا ، منهم من أدركه الموتُ ، ومنهم من أكلته النِّقَمُ ، وإنى أدعوك إلى الرب الذى إن أردتَ الهُدَى لم يَمنعْكَ ، وإن أرادك لم يَمنَعْه منك أحدٌ ، وأدعوك إلى النبىِّ الأُمّىِّ الذى ليس له شىء أحسن مما يأمر به ، ولا أقبح مما ينهى عنه ، واعلم أن لك رَبًّا يُميت الحىَّ ويُحْيِي الميت ، ويعلم خائنةَ الأعين ، وما تُخْفِي الصُّدورُ ، فقال الحارث : قد كان هذا النبىُّ عَرَض نفسه علىَّ فَخُطِّئْتُ عنه ، وكان ذُخْراً لمن صار إليه ، وكان أمرُه أمراً سُبِقَ ، فحضره اليأسُ وغاب عنه الطَّمعُ ، ولم يكن لى قَرَابة أحتجُّ بها عليها ، ولا لى فيه هوى أتبعه له ، غير أنى أرى أمراً لم يُوَسْوِسْهُ الكذبُ ، ولم يسنده الباطلُ ، له بَدْء سار ، وعاقِبَةٌ نافِعةٌ ، وسأنظر . ومما قاله دِحْيَةُ بن خَلِيفَةَ فى قُدومه على قَيْصَر :

أَلا هَلْ أَتاها على نأيِها ... فإنى قَدِمْتُ على قَيْصَر

فقدرته بصــــلاة المسيـ ... ـح وكانت من الجَوْهَرِ الأَحْمَرِ

. . . .

وتدبـــيرِ ربِّك أَمْرَ السما ء والأرضِ فأغضَى ولم يُنكِرِ

وقلت : تقر ببُشْرَى المسيـ ـح ، فقال : سأنظُر ، قلت : انظُرِ

فـكاد يُقِــرُّ بأمرِ الرسو لِ فمال إلى البَدَلِ الأعْوَرِ

فَشَكَّ وجاشت له نفسُه وجاشَت نفوسُ بنى الأَصفَرِ

على وَضْعِه بيــديه الـكتا بَ على الرَّأس والعَيْنِ والمَنْخِرِ

فأصبح قَيْصَرُ من أمرِه بمــــنزلة الفَرَس الأشْقَرِ

يريد بالفرس الأشْقَر مثلا للعرب يقولون :

أَشْقَرُ إنْ يَتَقَدَّمْ ينحر وإنْ يَتَأَخَّـر يُعقَرِ

وقال الشاعر فى هذا المعنى :

وهل كنتُ[1] إلَّا مِثْلَ سَيِّقَةِ العِــدا

إن استقْدَمَتْ نَحَرُ ، وإنْ جَبَأَتْ عَقْرُ

وفى حديث دِحْيَةَ من رواية الحارِث في مُسْنَدِه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يَنطَلِق بكتابى هذا إلى قَيْصَرَ وله الجنة ، فقالوا : وإن لم يقتل يارسول الله؟ قال: وإن لم يقتل، فانطلق به رجل يعنى دحية، وذكر الحديث

غزوة عمر :

فصل : وذكر غَزْوَةَ عُمَرَ إلى تُرَبَةَ ، وهى تُرَبَةُ بفتح الراء أرضٌ

---

١ — رواه اللسان فى حاذى جبأ وسوق بدون نسبة : وهل أنا ، وفى جبأ : نحر ، وفى سوق : نجر

. . . .

كانت لِخَثْعَم وفيها جاء المثل: صادف بطنُه بطْنَ تُرَبَةَ(١) ، يريدون الشِّبَع والخِصْبَ . قال البَكْرِيُّ : وكذلك: عُرَنَةُ بفتح الراء يعنى التى عند عَرَفَةَ .

ذكر غزوة ذات السلاسل

والسَّلاسِلِ: مِياهٌ واحدِها سَلْسَل(٢) وأن عَمْرَو بن العاصى كان الأميرَ يَوْمَئِذ ، وكان عليه السلامُ أمره أن يسير إلى بَلِيٍّ ، وأن أم أبيه العاصى كانت من بَلِيٍّ : واسمُها : سَلْمَى فيما ذكر الزبير(٣) ، وأما أم عَمْرو ، فهى لَيْلَى تُلَقَّب بالنَّابِغَةِ سُبِيَتْ من بنى جِلَّان بن عَنْزَةَ بن رَبِيعة(٤) .

وذكر فى هذه السَّرِيَّة صُحبَةَ رافِعِ بن أبى رافع لأبى بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَةَ ويقال فيه : ابن عُمَيْر(٥) ، وهو الذى كلمه الذئبُ ، وله شعر مَشْهُورٌ فى تَكْلِيم

---

(١) فى معجم البكرى : عرف بطنى بطن تربة ، يضرب للرجل يصير إلى الأمر الجلى، وأول من قاله عامر بن مالك أبو براء .

(٢) فى المراصد ، السلاسل : جمع سلسلة ماء بأرض جذام ، سميت به غزوة ذات السلاسل . وفى معجم البكرى ذات السلاسل جمع سلسلة رمل بالبادية ثم ذكر رواية ابن إسحاق، ثم قال : والسلاسل فى غير هذه الرواية ماء لجذام ، وبه سميت تلك الغزوة : ذات السلاسل .

(٣) أنظر ص ٨٠٤ من كتاب نسب قريش .

(٤) فى نسب قريش : وأمه سبية من عنزة ص ٤٠٩ . وفى الإصابة : أمه النابغة من بنى عنزة بفتح المهملة والنون .

(٥) فى الإصابة: رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن محصن، ويقال: ابن عميرة . وقد ينسب لجده ، وقيل هو رافع بن أبى رافع عده بعضهم فى التابعين مثل ابن سعد والعجلى .

. . . .

الذِّئْبِ له[١]، وكان الذئبُ قد أغار على غنمه فاتبعه ، فقال له الذئب : ألا أدلك على ماهو خَيْرٌ لك ، قد بُعث نبيُّ اللهِ ، وهو يَدعو إلى الله ، فالْحَقْ به ، ففعل ذلك رافعُ وأسلم .

وذكر فى حديثه مع أبى بكر أنه أطعمه وعُمَرَ لحم جَزُورٍ ، كان قد أخذ منها عَشِيراً على أن يُجَزِّئَها لأهلها ، وقام أبو بكر وعمر فتقيَّآ ما أكلا . وقالا : أَتُطْعِمُنَا مثلَ هذا ، وذلك ، والله أعلم أنهما كرها أُجْرَة مجهولة ، لأن العشير واحدُ الأعْشَار على غير[٢] قياس ، يقال : بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ إذا انكسرت . ويجوز أن يكون العَشِيرُ بمعنى العُشْر كالثمين بمعنى الثُّمْن ، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجَزُور من جلدها ، وقبل النظر إليها ، أو يكونا كرها جِزَارَةَ[٣] الجَزَّار على كل حال والله أعلم .

صرفة :

وذكر غزوة غالبِ بن عبد الله وقَتْلِه مِرْدَاسَ بن نَهِيك من الحُرَقَة .

---

(١) منه :

فلما أن سمعت الذئب نادى ... يبشرنى بأحمد من قريب

فألفيت النبى يقول قولا ... صدوقا ليس بالقول الكذوب

وليس للقصة سند يعتد به ، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمه أهل الحديث . ولا ريب فى أنها أسطورة .

(٢) فى اللسان : « وأعشار الجذور : الأنصباء ، والعشر : قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع . والجمع أعشار ، وقدح أعشار » .

(٣) إن كانت بكسر الجيم فهى حرفة الجزار ، وإن كانت بضمها فهى ما يأخذه الجزار من الذبيحة عن أجرته .

. . . .

وقال ابنُ هشام : الْحُرَقَة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حَبيب : في يَشْكُر حُرَقَة ابن تَغْلِبة ، وحُرَقَة بن مَالِكٍ كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يَشْكُر ، وفي قضاعة : حُرْقَةُ(١) بن جَذِيمة بن نَهْدٍ ، وفي تميم حُرَقَةُ بن زَيْدِ بن مالك ابن حَنْظَلَةَ ، وقال القاضي أبو الوليد : هٰكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاف ، وذكرها الدَّارَقُطْنِي كلها بالفاء .

أنساب :

وذكر غَزْوَةَ محمد بن مَسْلَمَةَ إلى القُرَطاء ، وهم بنو قُرْطٍ وقَرِيط ، وقُرَيْطٍ بنو أبي بكر بن كِلَاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ .

وذكر حَيَّان بن مِلَّة ، وهو حَسَّان بن مِلَّة ، وكذلك قاله في موضع آخر من الكتاب ، وهو قول ابن هشام .

وذكر سَعد بن هُذَيْم ، وإنما هو سعد بن زَيْد بن لَيْث بن سُوَدِ بن أَسْلُمَ ابنِ الحَافِ بن قُضَاعَةَ ، وإنما نُسِب إلى هُـذَيْم ، لأن هذيماً حَضَنه ، وهو عَبْد حبشي .

---

(١) في القاموس ضبطها بسكون الراء ، والحرقة بالضم اسم ، من الاحتراق ، وحي من قضاعة ، ولهمزة بنت النعمان بن المنذر . والحرقتان - بفتح الراء والقاف - تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عكابة ، وفي اللسان ضبط حرقتي تيم وسعد بسكون الراء . وقال : والحرقة بفتح الراء - حي من العرب .

. . . .

حديث أم قرفة

التى جرى فيها المثل : أَمْنَعُ من أُمِّ قِرْفَةَ ، لأنها كانت يُعَلَّق فى بيتها خمسون سَيْفاً [لخمسين فارساً[(١)]] كُلُّهم لها ذو محرم ،واسمها فاطمة بنت حُذَيْفَةَ ابن بَدْرٍ[(٢)] كُنِّيت بأبنها قِرْفَة،قتله النبىُّ عليه السلام فيما ذكر الواقدى .

وذكر أن سائر بنيها ، وهم تِسْعَةَ قُتِلوا مع طُلَيْحَةَ بن بُزَاخَةَ فى الرِّدَّةِ وهم حَكَمَةُ وخَرَشَةُ وجَبَلَةُ وشُرَيْكٌ ووالان ورَمْلٌ وحُصَينٌ وذكر باقيهم .

وذكر أن قِرْفَةَ قُتِلَت يوم بُزَاخَةَ أيضاً[(٣)] ، وذكر عن عبدالله بن جعفر أنه أنكر ذلك ، وهو الصحيح كما فى هذا الكتاب ، وذكر الدَّوْلابى أن زيدَ ابن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ، ثم رَكَضا بها حتى ماتت ، وذلك لسبِّها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَلَمَة وهى بنت أمِّ قِرْفَة ، وفى مصنف أبى داود ، وخرجه مسلم أيضا أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال لِسَلَمَةَ : هب لى المرأة ياسَلَمَةُ ، لله أبوك ، فقال : هى لك يارسول الله فَفَدَى بها أسيراً كان فى قريش من المسلمين ، وهذه الرواية أصح ،وأحسن من رواية ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَهَبها لخالِه بمكة ، وهو حَزْنُ بن أبى وَهْبِ بن عائذ بن عِمْران ابن مَخْزُوم ، وفاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم أم أبيه هى بنت عمرو بن

---

(١) الزيادة من مجمع الأمثال للميدانى .

(٢) وفى السيرة والإمتاع للمقريزى: بنت ربيعة بن بدر .

(٣) وقيل إن قاتلها هو قيس بن المسحر أو المحسر اليعمرى ص ٢٧٠ الإمتاع للمقريزى .

. . . .

عائذ ، فهذه الخُئُولَة التى ذكر ، وقُتل عبد الرحمن بن حزن باليمامة شهيداً ، وحَزْن هذا هو جَدُّ سعيدبن المُسَيِّب بن حَزْنٍ ، ومَسْعَدَةُ الذى ذكر فى هذا الحديث أنه قتل هو ابن حَكَمَةَ بن حُذَيفَةَ بن بدر ، وسَلَمَةُ الذى كانت عنده الجاريةُ ، قيل : هو سَلَمَةُ بن الأكْوَع ، واسم الأكْوَع : سِنَانٌ ، وقيل : هو سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَقْشٍ ، قاله الزبير .

غزوة أبي حدرد :

وذكر غزوة أبى حَدْرَدٍ ، واسمه : سلمة بن عُمَير ، وقيل : عُبَيْدة ابن عامر .

وذكر قَتْلَ مُحَلِّم بن جَثَّامَةَ ، وخبره فى غير رواية ابن إسحاقٍ أن مُحَلِّمَ ابن جَثَّامَةَ مات بحمص فى إمارة ابن الزُّبَير ، وأما الذى نَزَلَت فيه الآية : ﴿ لِمَنْ ألقى إليكم السَّلَم ﴾ والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه فُلَيْت[1] وقيل وهو مُحَلِّم كما تقدم ، وقيل نزلت فى المِقْدَادِ بن عَمْرو ، وقيل فى أُسَامَةَ ، وقيل فى أبى الدَّرْدَاء ، واختلف أيضاً فى المَقْتُول فقيل : مِرْداس بن نَهِيك ، وقيل : عامر الأضْبَطِ ، والله أعلم . كل هذا مذكور فى التفاسير والمسندات .

ثمامة بن أثال :

وذكر ابن إسحاق ثُمَامَةَ بن أُثَالٍ الحَنَفِىّ وإسْلَامَه ، وقد خرّج أهلُ

---

(١) وقيل قليب . ويقول ابن حجر فى الإصابة « والذى يظهر أن كلا منهما تصحيف وإنما هو غالب الليثى » .

. . . .

الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكِرٍ ، وإن تُرِدِ المالَ تُعْطَهُ ، فقال عليه السلام : اللَّهُمَّ أَكْلَةٌ من جَزُورٍ أَحَبُّ إليَّ من دم ثُمامَةَ ، فأطلقه ، فتطهر وأسلم ، وحَسُن إسلامُه ، ونفع الله به الإسلامَ كثيراً ، وقام بعد وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَقاماً حَميداً حين ارتدت اليمامةُ مع مُسَيْلِمَةَ ، وذلك أنه قام فيهم خطيباً ، وقال : يابنى حَنِيفَةَ أين عَزَبَتْ عقولُكم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿حمٓ . تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم . غافرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوْبِ شديدِ العِقاب﴾ أين هذا من ياضِفْدَعُ نِقِّى كما[1] تَنِقِّينَ لا الشَّرابَ تُكَدِّرِين ، ولا الماءَ تَمْنَعِين[2] ، مما كان يَهْذِى به مُسَيْلِمَةُ ، فأطاعه منهم ثلاثةُ آلافٍ ، وانحازوا إلى المسلمين، فَفَتَّ ذلك فى أعْضادِ حَنِيفة . وذكر ابنُ إسحاق أنه الذى قال فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم المؤمنُ يأكل

---

(١) فى الرواية : كم .

(٢) وزادوا فيما نسب إليه : أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، وقد نسب إلى مسيلمة كثير من هذا الهذيان الذى أوقن أن ما جاز على عقول أولئك الذين عاشوا عصره ممن استهواهم معه الحقد ، فلئن كان صحيحاً فإنما تراءوا بتصديقه محاولة منهم لتهدئة سعار الأحقاد التى تضرمت فى أعماقهم ، وإلا فمن الذى يصدق أن هذيانا . « إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وهاجر ، إن مبغضك لفاجر ، أو : إنا أعطيناك الجماهر ، فخذ لنفسك وبادر ، واحذر أن تحرص أو تكاثر » من ذا الذى يظن أن هذا الهذيان يخدع أحداً عن جلال الحقيقة العليا وسمو الجمال الأعظم فى قوله سبحانه (إنا أعطيناك الكوثر) !؟ أنظر ص ١٤ ج ١ الفتوحات الإسلامية لأحمد بن زينى دحلان فقد حشد فيه طائفة من هذيان حماقاته .

. . . .

فى مِعًى واحدٍ [والكافرُ يأكل فى سبعة أمعاء](١) الحديث،وقال :أبو عُبَيْد هو أبو بَصْرَةَ الغِفَارِى ، وفى مسند ابن أبى شَيْبَةَ أنه جَهْجَاه [بن مسعود ابن سعد بن حرام](٢) الغِفَارِى ، وفى الدلائل أن اسمه نَضْــلَةَ ، وقــد أملينا فى معنى قوله : يأكل فى سَبْعَة أمْعاء نحواً من كُرّاسَةٍ رَدَدْنَا فيه قَوْلَ مَنْ قال : إنه مخصوص برجُلٍ واحدٍ ، وبيَّنا معنى الأَكْلِ والسَّبْعَة الأمعاء ، وأن الحديثَ وَرَدَ على سَبَبٍ خاصّ ، ولـكن معناه عام ، وأتينا فى ذلك بما فيه شِفَاء والحمد لله(٣) ، وقوله فى رواية البُخارى : ذا دَم رواه أبو داود : ذا ذِمّ بالذال المعجمة(٤) .

مازاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحاق

وذكر الشيخُ الحافظُ أبو بحر سُفْيَانُ بن العاصى رحمه فى هذا الموضع ،

---

(١) متفق عليه ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر ، وأحمد ومسلم عن جابر ، والبخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه عن أبى هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبى موسى « الجامع الصغير للسيوطى » .

(٢) ابن سعيد وقيل ابن قيس شهد بيعة الرضوان .

(٣) يقول ابن الأثير عن الحديث : « هذا مثل ضربه للمؤمن وزهده فى الدنيا ، والكافر وحرصه عليها ، وليس معناه كثرة الأكل دون الاتساع فى الدنيا ، ولهذا قيل الرغب شؤم ، لأنه يحمل صاحبه على اقتحام النار ، وقيل : هو تخصيص للمؤمن وتحامى ما يجره الشبع من القسوة وطاعة الشهوة ، ووصف الكافر بكثرة الأكل أغلاظ على المؤمن . وتأكيد لما رسم له ، وقيل : هو خاص فى رجل بعينه ، كان يأكل كثيراً ، فأسلم ، فقل أكله . والمعى واحــد الأمعاء وهى المصارين .

(٤) ذا دم . أى من هو مطالب بدم ، أو صاحب دم مطلوب ، ويروى : وذا ذم أى ذا ذمام وحرمة فى قومه ، وإذا عقد ذمة وفى له .

. . . .

قال : نقلتُ من حاشية نسخةٍ من كتاب السِّيَر منسوبة بسماع أبى سَعِيد عبد الرحيم بن عَبْد الله بن عَبْد الرحيم وأخوَيْه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاقٍ هو غَلَطٌ منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جَعْفَر بن عَمْرو بن أُمَيَّة عن عَمْرو بن أُمَيَّة فيما حدث أَسَدٌ عن يحيى بن زَكَرِيَّاءَ عن ابن إسحاق ، والقائلُ فى الحاشية : وجدتُ بخط أخِى هو أبو بَكْرِ بن عبدالله بن عبد الرحيم. وفى الكتاب المذكورِ قولُ أبى بكر المذكور فى غَزْوةِ الطائف بعد قوله : فولدت له داودَ بن أبى مُرّةَ. إلى هاهُنا انتهى سَماعى من أخى ، ومابقى من هذا الكتابِ سمعته من ابن هشام نفسه .

عن خبيب بن عدى :

وذكر سَرِيّةَ عَمْرو بن أميَّه وحَلَّهُ لِخُبَيْبِ بن عَدِيّ من خَشَبَتِه التى صُلِب فيها ، وفى مسند ابن أبى شَيْبَةَ زيادةٌ حَسَنَةٌ أنهما حين حَلاَّه من الخشبة التقمَتْه الأرضُ .

وذكر ابنُ هشام مَقْتَلَ العَصْماء بنت مَرْوان ، وفى خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَانِ ، وكانت تَسُبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،فقتلها بعلُها على ذلك،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهَدُوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ .قال الدَّارَقُطْنِيُّ : من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجيل فى الفقه ، لأنه قد أشهد على نفسِه بإمضاء الحُكم ، ووقع فى مُصَنَّف حمادِ بن سَلَمَةَ أنها كانت يَهُودِيةً ،

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسماؤهن

قال ابن هشام: وكنّ تسعاً: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب، وأمّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وأمّ سَلَمة بنت أبى أمية ابن المُغيرة، وسودة بنت زَمْعَة بن قيس، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، وصفيّة بنت حيىّ بن أخطب، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عَشْرَة: خديجة بنت خُوَيْلِد، وهى أول من تزوّج، زوّجه إياها أبوها خُوَيلد بن أسد،

وكانت تطارح الأحايضَ فى مسجد بنى خَطْمَة، فأهدر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمَها، وقال: لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَانِ [1].

---

(١) أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان، لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجرى فيها خلف ونزاع «ابن الأثير».

ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدَقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وُلْده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدّار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، فولَدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوّجها صَيْفِىُّ بن أبى رفاعة .

زواجه بعائشة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

زواجه بسودة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ ، زوّجه إياها سَليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ ابن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سَليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر ابن مالك بن حِسل .

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَا كَهَا ﴾ .

زو بأم سلمة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أُميّة بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوّجه إياها سَلَمَةُ بن أبى سَلَمَةَ ابنها ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فِراشاً حشوه لِيف ، وقدحا وصَحْفة ، ومجشّة؛ وكانت قبله عند أبى سَلِمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولَدت له سَلِمة وعمر وزينب ورقيّة .

زواجه بحفصة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطّاب، زوجه

إياأبوها عمر بن الخطَّاب ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانتِ قبله عند خُنَيْس بن حُذافة السَّهمى .

زواجه بأم حبيبة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ حَبيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان بن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

زواجه بجويرية

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرارٍ الخزاعيـة ، كانت فى سبايا بنى المُصْطَلِق من خزاعة ، فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصارىّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ؛ فقال لها : هل لك فى خير من ذلكِ ؟ قالت : وماهو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوّجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهـذا الحديث زياد بن عبد الله البَكائى ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لمَّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق ، ومعه جُويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفِداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شِعْب مِن شعاب العقيق ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطَّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعت إليه ابنته جُوَيرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قَيْس ، فأعتقها وتزوّجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

زواجه بصفية

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيَّة بنت حُيي بن أخطب ،

سباها من خَيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، مافيها شحم ولا لحم ، كان سَوِيقًا وتمرًا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبى الُحقَيق .

زواجه بميمونة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبدالعُزّى بن أبى قيس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤىّ ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبة النبىّ صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِىِّ ﴾ .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أمّ شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن مَعِيص ابن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لُؤَىّ ، فأرجأها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقّتها عليهم ، زوّجه إياها قَبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدة عند جَهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمّها .

عدتهن وشأن الرسول معهن

فهؤلاء اللاتى بنى بهنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهنّ ثنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ، وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوّجها فوجد بها بياضاً ، فمتّعها وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكُفر ؛ فلما قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنّا قوم نُؤْتى ولا نأتى ؛ فردها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القُرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ستّ : خديجة بنت خُوَيلد

ابن أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ بن كِلاب بن مرة بن كَعب بن لُؤىّ ؛ وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحافة بن عامر بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لُؤىّ بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدىّ بن كَعب بن لؤىّ ، وأمّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤىّ ؛ وأمّ سَلَمة بنت أبى أميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤىّ ؛ وسودة بنت زَمعة بن قَيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤىّ .

تسمية العربيات وغيرهن

والعربيات وغيرهنّ سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كَبير بن غَنم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ؛ ومَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَجير بن هُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخُزاعية ، ثم المُصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية .

غير العربيات

ومن غير العربيات: صفيّة بنت حُيي بن أخطب، من بنى النضير.

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

مجيئه إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق: حدثنى يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت: فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصباً رأسه، تخطّ قدماه، حتى دخل بيتى.

قال عُبيد الله، فحدَّثت هذا الحديث عبد الله بن العبّاس، فقال: هل تدرى من الرجل الآخر؟ قال: قلت: لا، قال: على بن أبى طالب.

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غُمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، واشتد به وجعه، فقال هَرِيقوا علىّ سبع قِرَب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: فأقعدناه فى مِخضب لحفصة بنت عمر، ثم صَبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول: حسبكم حسبكم.

كلمة للنبى واختصاصه أبا بكر بالذكر

قال ابن إسحاق: وقال الزهرى: حدثنى أيوب بن بشير: أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خَيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعَرف أن نفسه يريد ، فبَكى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلَّى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متَّخذاً من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامةَ : أمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

فحمِد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفِذوا بعث أُسامة ، فلعَمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناسُ فى جهازهم ، واستعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أُسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فَرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامّ إليه الناس ، وثقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أُسامة والناس ، لينظُروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصية الرسول بالأنصار

وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد ، وذكر من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى التى أويت إليها ، فأحسِنوا إلى مُحسِنهم ، وتجاوَزوا عن مُسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه ، حتى غُمِر .

شأن اللدود

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أمّ سَلَمة ، وميمونة ، ونساء

من نساء المسلمين ، منهنّ أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العبّاس عمّه ، فأجمعوا أن يَلُدُّوه ، وقال العباس : لأَلُدَّنَّه . قال : فلَدُّوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَن صَنع هـــذا بى ؟ قالوا : يارسول الله ، عمّك ، قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمّه العبّاس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقذفنى به ، لا يَبْق فى البيت أحدٌ إلاّ لُدّ إلا عمّى ، فلقد لُدَّت ميمونة وإنها لصائمة ، لقَسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صَنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عُبيد بن السبّاق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثَقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلّم ، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عُبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يُخيِّره . قالت : فلما حُضر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتُها وهو يقول : بل الرّفيق الأعلى من الجنة ، قالت:

. . . .

فقلت : إذاً والله لايختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخَيَّر .

صلاة أبى بكر بالناس

قال الزُّهرىّ : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعِزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس. قالت : قلت : يانبىّ الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال : مروه فليصلّ بالناس. قالت : فعُدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف فمُروه فليصلّ بالناس ، قالت : فوالله ماأقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايُحِبُّون رجُلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءَمون به فى كل حدث كان، فكنت أحب أن يُصرَف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبدالله بن زَمعة بن الأسود ابن المُطّلب بن أسد ، قال : لما استُعِز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مُروا مَنْ يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائباً ؛ فقلت : قم ياعمر فصلّ بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مِجْهَراً ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

. . . .

قال فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .

قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ماظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال : قلتُ : والله ما أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنسُ بن مالك : أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة :

أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالةٌ قالها عمر عنـد وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولـكنَّه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعَرف الناسُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر غيرَ متَّهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُليكة ، قال : لمـا كان يوم الاثنين خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم تفرج الناس ، فعَرف أبو بكر أن الناس لم يَصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنـكص عن مُصَلاَّه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره ، وقال : صلِّ بالناس ، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلَّى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فَرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فـكلَّمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تَمَسَّـكون علىّ بشىء ، إنى لم أُحِلّ إلا ما أحلّ القرآن ، ولم أُحرّم إلا ما حرّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبىّ الله إنى أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما تُحبّ ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

. . . .

ن العبّاس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس . قال : خرج يومئذ علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، قال ، فأخذ العبّاس بيده ، ثم قال : يا علىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمَرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتُوُفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضْطَجَع فى حِجْرى ، فدخل علىّ رجلٌ من آل أبى بكر ، وفى يده سِواكٌ أخضر . قالت : فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحبّ أن أعطيك هذا

السِّواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستَنَّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسِوَاكٍ قطّ ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثْقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه ، فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : خُيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحقّ . قالت : وقُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحداً ، فمِنْ سَفَهى وحَداثة سِنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسَه على وسادة ، وقمت ألتَدم مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى سعيد بن المسيِّب ، عن أبى هريرة قال : لما تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطَّاب ، فقال : إن رجالا من المُنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفى ، وإنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجَع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات.

موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلِّم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما المَوْتَةُ التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لَن تصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبداً . قال : ثم ردّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلِّم الناس ، فقال : على رِسْلك ياعمر ، أنصِت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لايُنصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبدالله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ؛ قال ؛

. . . .

فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعَقِرت حتى وقعت إلى الأرض ما تَحمِلُنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بنى ساعدة

تفرق الكلمة

قال ابن إسحاق : ولما قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلَق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبدالله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن

ابن عوف قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت . قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيّة فى الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطير بها أولئك عنك كلّ مطير ، ولا يعوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدَم المدينة فإنها دار السُّنة ، وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكّناً ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أوّل مَقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبى بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالساً إلى رُكن المنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ ابن الخطاب ، فلما رأيته مُقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولنّ العشيّة على هذا

المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر علىّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ماعسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحلُّ لأحد أن يكذب علىّ ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلِّمناها ووعيناها ، ورجَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورَجَمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : ﴿ لاتَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ ﴾ ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتُطروني كما أُطرِى عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يغرّن امرأ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمّت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وَقى شرّها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلّف عنّا علىّ بن أبى طالب

والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهَّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفَّت دافَّة من قومكم ، قال . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوّرت في نفسي مقالة قد أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحدّ ، فقال أبو بكر : على رِسْلك ياعمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم مني وأوقر ، فوالله ماترك من كلمة أعجبتني من تَزْويري إلا قالها في بَديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ؛ وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقي ، لا يُقرّبني ذلك إلى إثم ، أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحَكَّك وعُذَيقُها المُرَجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال: فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبادة : قال : فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : أخبرنى عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدىّ ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عزّ وجلّ لهم : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نِعْم المرْء منهم عُوَيم بن ساعدة ؛ وأما مَعْن بن عدىّ ، فبلغنا أن الناس بكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عزّ وجلّ ، وقالوا : والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عدىّ : لكنى والله ما أحبّ أنى متّ قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدّقته حياً ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مُسَيلمة الكذّاب .

خطبة عمر قبل أبى بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرىّ ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال :

لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهِدَ إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبِّر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلّم أبو بكر ، فحمِد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أُريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله ، لا يدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمَّهُمُ الله بالبلاء ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدّرة وما معه غيري ، قال : وهو يحدّث نفسه ، ويضرب وحشيّ قدمه بدرّته ، قال : إذ التفت إليّ ، فقال : يابن عباس ، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلتُ حين توفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فوالله إن كنت لأظنّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحُسين ابن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقُثَم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولُوا غسْله ، وأنّ أوس بن خَوْلِيّ ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدُك الله

ياعلى وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل،فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشُقران مولاه ، هما اللذان يصبَّان الماء عليه ، وعلىٌّ يُغَسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لا يُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيًّا وميتاً ! ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت .

كيف غسل الرسول ؟

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبَّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ماندرى ، أنُجَرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختَلَفوا ألقَى الله عليهم النوم ، حتى مامنهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن اغسِلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسَّلوه وعليه قميصُه ، يصبُّون الماء فوق القميص ، ويَدْلُكُونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق : فلما فُرِغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُفِّن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحارِيَّين وبُرْد حَبِرة ، أُدْرِج فيها إدراجا ،
كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده على بن
الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

حفر القبر

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة ، عن ابن
عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو
الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبَّاس رجلين ، فقال لأحدهما :
اذهب إلى أبى عُبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهم خِرْ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ،
فلحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره
فى بيته ، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده
وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : ما قُبِض نبى إلا دُفن حيث يُقْبض ، فرفع فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفى عليه ، فحُفر له تحته ، ثم دخل الناس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى

إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يَؤُم الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دُفن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

دفن الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة ، عن عَمْرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفن الرسول

وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عبَّاس ، وقثم بن عباس ، وشُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلى بن أبى طالب : ياعلى ، أنشدك الله ، وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ،وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، دفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبداً .

قال : فدُفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

أحدث الناس عهداً بالرسول

وقد كان المُغيرة بن شُعْبة يدَّعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مِقسم ، أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غِسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المُغيرة ابن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

خميصة الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على

وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يُحَذِّرُ من ذلك على أمّته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ماعهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

قال ابن إسحاق : ولما تُوُفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونَجَمَ النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة فى الليلة الشّاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لماَّ تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم همّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتَّاب بن أَسِيد ، فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوّة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفُّوا عمَّا همُّوا به ، وظهر عتَّاب بن أَسِيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطَّاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمهُ .

شعر حسان بن ثابت فی مرثیته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدّثنا ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٌ وَقد تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ
ولا تمتحى الآياتُ من دار حُرْمَةٍ بها منبر الهادِى الذى كانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثارٍ وَباقى مَعالِمٍ ورَبْعٌ لَه فيــــهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ يَنزِلُ وَسْطَها منَ الله نُورٌ يُسْتَضاءُ وَيُوقَـدُ
مَعارِفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيها أتاها البِـلَى فلآى منها تَجَـدَّدُ
عرفتُ بِها رَسْمَ الرَّسُولِ وعَهدَهُ وقبراً بها واراهُ فى التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظللتُ بها أبكى الرَّسولَ فأسعدتْ عُيون وَمثلاها مِن الجفْنِ تُسعدُ
يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَما أرَى لهَا مُحْصِياً نَفْسِى فنَفْسِى تَبَلَّـدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّها فَقْـــدُ أحْمَد فظلَّت لِآلاءِ الرَّسُولِ تُعَـدِّد
وَما بَلغَتْ مِنْ كُلِّ أمْرٍ عَشيرَهُ ولٰـكِنْ لنفسِى بَعْدُ ماقد تَوَجَّدُ
أطالَتْ وُقوفاً تذْرِفُ العينَ جُهْدَها على طَلَلِ القَبرِ الَّذى فيهِ أحْمَدُ
فبُورِكْتَ ياقبرَ الرَّسولِ وبُورِكتْ بِلادٌ ثَوَى فِيها الرَّشِيدُ المُسَدَّدُ
وبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمِّن طَيِّباً عليه بِناءٌ منْ صَفيحٍ مُنَضَّدُ
تَهيلُ علَيْهِ التُّرْبَ أيْدٍ وأعْيُنٍ علَيهِ وقـد غارَتْ بذلكَ أسْعُدُ
لقـــد غَيَّبوا حلْماً وَعلْماً وَرَحْمَةً عشيَّةَ علَّوْهُ الثَّرَى لايُوَسَّدُ

. . . .

وراحُوا بحُزْنٍ ليس فيهمْ نبيُّهم وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد

يبَكُون مَن تبكى السَّماواتُ يومَهُ ومَن قد بكَتهُ الأرضُ فالناس أكمَدُ

وَهلْ عدَلَتْ يوْما رَزِيَّةُ هالكٍ رَزِيَّةَ يوْمٍ ماتَ فيـهِ مُحمَّدُ

تَقطع فيـهِ منزِلُ الوَحْيِ عنهُمُ وقـد كانَ ذا نُورٍ يغور وينجدُ

يدُلّ على الرَّحمنِ مَن يَقتَدِى بهِ ويُنقِذُ مِن هَوْلِ الخزَايا ويُرْشدُ

إمامٌ لهُم يهْـديهمُ الحقَّ جاهِداً معلِّمُ صدْقٍ إن يُطِيعوه يسْعَدُوا

عَفُوٌّ عن الزَّلات يَقبل عُذرَهم وإن يُحْسنوا فالله بالخير أجْوَدُ

وإنْ نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْلِهِ فمِنْ عِنْـدِه تَيْسِيرُ ما يتشَدَّدُ

فبَيْناهُمُ فى نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُم دَليلٌ بهِ نَهْجُ الطَّرِيقة يُقصدُ

عزِيزٌ عليهِ أن يَجُورُوا عنِ الهُدَى حريصٌ على أن يَستقيموا ويهتَدوا

عَطُوفٌ عليهم لا يُثنِّى جَناحَهُ إلى كَنَفٍ يَحنو عليهم ويَمْهَدُ

فبَيْناهُمُ فى ذلكَ النُّورِ إذْ غدَا إلى نورهم سَهمٌ من الموْتِ مُقصِدُ

فأصْبحَ محْموداً إلى اللهِ رَاجِعاً يُبَكِّيهِ حَقّ المُرسَلاتِ ويُحْمَدُ

وأمسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحشاً بقاعُها لغَيْبة ما كانتْ مِن الوَحْيِ تَعْهدُ

قِفاراً سِوَى مَعْمورَةِ اللَّحدِ ضافَها فقيدٌ يُبَكِّينه بَلاطٌ وغَرْقَدُ

وَمَسْجِدُهُ فالمُوحشاتُ لفَقْـدِهِ خَلاءٌ لَهُ فيهِ مَقامٌ وَمَقْعَدُ

وبالجَمْرةِ الكُبرَى له ثَمَّ أوْحشَتْ دِيارٌ وعَرَصاتٌ وَربْعٌ ومَوْلدُ

فبَكِّى رَسُولَ اللهِ ياعَينُ عَبرَةً ولا أعرِفنكَ الدَّهر دَمعُك يجْمَدُ

وَمالكِ لا تَبكين ذا النِّعْمَةِ التى عَلَى النَّاسِ منها سابِغٌ يُتَغَمَّدُ

• • • • • • • • • • • •

جُودِى عليه بالدُّموع وأعْولى   لفَقْدِ الذى لا مثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ الماضُون مِثلَ مُحَمَّـدٍ   ولا مِثْلُه حتى القِيامة يُفقَـــدُ
أعَفَّ وأوْفَى ذِمَّةً بعْــــدَ ذِمَّةٍ   وأقْربَ منـه نائلاً لا يُنَكَّدُ
وأبْذَلَ منهُ للطَّريفِ وتالدٍ   إذا ضَنَّ مِعْطاءٌ بما كانَ يُتْلَدُ
وأكْرَمَ صِيتاً فى البُيوتِ إذا انتَمَى   وأكْرَمَ جَدّاً أبْطَحِيّاً يُسَوَّدُ
وأمنعَ ذِروات وأثبت فى العُلا   دعائم عِزّ شاهقات تُشَيَّدُ
وأثبتَ فَرْعاً فى الفُروعِ ومَنْبتاً   وعُوداً غذاهُ المُزْنُ فالعُود أغيدُ
رَباه وَليــداً فاستتمّ تمامُهُ   على أكْرَم الخيراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَناهَتْ وَصاةُ المُسْلمِينَ بكَفِّهِ   فلا العِلْمُ مَحْبوسٌ ولا الرأىُ يُفْنَدُ
أقولُ ولا يُلْقَى لِقَوْلِى عائبٌ   مِن النَّاسِ إلا عازِبُ العقلِ مُبْعدُ
وليسَ هَوايَ نازِعاً عَنْ ثَنائه   لعلِّى به فى جَنَّةِ الخُلْدِ أخْلُدُ
مَعَ المُصْطَفَى أرْجو بذاكَ جِوارهُ   وفى نَيْلِ ذاكَ اليَوْمِ أسعى وأجْهَدُ

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

ما بالُ عَيْنِكَ لا تَنامُ كأنَّما   كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْلِ الأرْمَدِ
جَزَعاً على المَهْدِيِّ أصبحَ ثاوياً   ياخيرَ من وَطِىءَ الحَصَى لا تَبْعَدِ
وَجْهِى يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِى لَيْتَنِى   غُيِّبْتُ قَبلكَ فى بَقِيعِ الغَرْقَدِ
بأبى وأُمى مَنْ شَهِدْتُ وَفاتَهُ   فى يَوْمِ الاثْنَينِ النَّبِىُّ المُهْتَدِى
فظَلِلْتُ بَعْــدَ وَفاتِهِ مُتَبَلِّداً   مُتَلَدِّداً يا لَيْتَنِى لم أُولَدِ

أأُقيمُ بَعدكَ بالمَدينَةِ بينهم ... يا لَيْتنى صُبِّحْتُ سَمَّ الأسْوَدِ
أوْ حَلَّ أمْرُ اللهِ فِينا عاجِلاً ... فى رَوْحَةٍ مِن يوْمِنا أو مِن غَدِ
فَتقُومُ ساعَتُنا فَنلْقَى طَيِّباً ... مَحْضاً ضَرائبُهُ كَرِيمَ المَحْتِدِ
يابِكرَ آمنَةَ المُبارَكَ بِكرُها ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بسَعْدِ الأسْعُدِ
نُوراً أضاء على البَرِيَّةِ كلِّها ... من يُهْدَ للنُّورِ المُبارَكِ يَهْتَدِى
يارَبِّ فاجمَعْنا مَعاً وَنَبِيَّنا ... فى جَنَّةٍ تَثْنى عُيُونَ الحُسَّدِ
فى جنَّةِ الفِرْدَوْسِ فاكتُبها لنا ... ياذَا الجَلالِ وَذَا العُلا والسُّودَدِ
واللهِ أسمع مابَقِيتُ بِهالِكٍ ... إلا بَكَيْتُ على النَّبِيِّ مُحمَّدِ
ياوَيْحَ أنْصارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ ... بَعْدَ المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المَلْحَدِ
ضاقَتْ بالأنْصارِ البِلادُ فأصْبَحوا ... سُوداً وُجُوهُهُمُ كلَوْنِ الإثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْناهُ وَفِينا قَبْرُهُ ... وفُضُولَ نِعْمَتِه بنا لم نَجْحَدِ
واللهُ أكْرَمَنا به وَهَدَى بِهِ ... أنصارَه فى كُلِّ ساعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفُّ بعَرْشِهِ ... والطَّيِّبونَ على المُبارَكِ أحمَدِ

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نَبِّ المَساكينَ أنَّ الخيرَ فارَقَهُمْ ... مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عنهُمُ سَحَرَا
مَن ذا الذى عندَه رَحْلى وراحِلتى ... ورِزْقُ أهلى إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرَا
أمْ مَنْ نُعاتِبُ لا نَخْشَى جَنادِعَه ... إذا اللِّسانُ عَتا فى القَوْلِ أو عَثَرَا
كانَ الضِّياءَ وكانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بعدَ الإلهِ وكانَ السَّمعَ والبَصَرا

فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحِدِهِ وغَيَّبوهُ وألقوْا فوْقَهُ المَدَرَا
لم يترُكِ اللهُ مِنّا بَعْـــدَه أحَداً ولم يَعِشْ بعدَه أنثى ولا ذَكَرَا
ذلَّت رِقابُ بنى النَّجّار كلِّهِم وكان أمْراً مِنَ امرِ اللهِ قد قُدِرَا
واقْتُسِمَ الفَىْء دونَ النّاس كلِّهِم وبدَّدُوه جِهاراً بينهُم هَدَراً

وقال حسّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

آلَيْتُ مافى جميع النّاسِ مُجتهِداً مِنّى أليةَ بَرّ غـيرَ إفنادِ
تاللهِ ما حَمَلَتْ أنثى ولا وَضَعَتْ مثلَ الرَّسُولِ نبى الأُمّة الهَادِى
وَلا بَرَا اللهُ خَلْقاً مِنْ بَرِيّتِهِ أوْفى بِذِمَّةِ جارٍ أو بِمِيعاد
مِنَ الذى كانَ فِينا يُسْتَضاء بِهِ مُبارَكَ الأمْرِ ذا عَدلٍ وإرْشادِ
أمْسَى نساؤُكَ عَطَّلْنَ البيوتَ فما يَضرِبْنَ فَوْقَ قَفا سِتْرٍ بأوْتادِ
مثلَ الرّواهبِ يَلْبَسْنَ المباذلَ قد أيقنَّ بالبُؤْسِ بعدَ النِّعمَةِ البادى
يا أفضلَ النّاسِ إنّى كنتُ فى نَهَرٍ أصبحتُ منه كمثلِ المُفرَدِ الصّادى

قال ابن هشام : عجز البيت الأوّل عن غير ابن إسحاق .

. . . .

ذكر أزواج النبي عليه السلام

خديجة رضي الله عنها :

قد تقدم فى مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن ، وذكر هاهنا خديجة ، وأنها كانت عند أبى هَالَة ، وكانت قَبْلَه عند عَتِيق ابن عائِذ[١] ، قال ابن أبى خَيْثَمَةَ : ولدتْ لعَتِيقٍ عَبْدَ مَنَافٍ ، وكان اسمُ أبى هالَة هِنْدَ بن زُرَارَةَ بن النَّبَّاش[٢] وقيل : بل أبو هالة هو زُرَارَةَ ، وابنه هند ، مات هِنْدُ فى طاعون البَصْرَةِ .

عن عائشة :

ومما نزيده هنا فى ذكر عائشة ، أنها كانت تُكْنَى أمَّ عَبْدِ الله ، روى ابن الأعرابى فى المعجَم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جَنيناً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسُمِّى : عبدَ الله ، فكانت تُكَنَّى به ، وهذا الحديثُ يدور على دَاود بن المُحبر وهو ضعيف ، وأصح منه حديث أبى دَاوُد أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لها : تَكَنّى بابن أختِك عبدِ الله بن الزُّبَير ، ويروى

---

(١) وقيل : عابد .

(٢) وقيل اسمه : النباش بن زرارة كما جزم أبو عبيد ، وقدمه مغلطاى وقيل مالك كما حكاه الزبير بن بكار والدارقطنى . وصدر به فى الفتح .. هذا وبعضهم يقول إن عتيقا تزوجها بعد أبى هالة . أما ما ذكره السهيلى فهو قوله قتادة وابن شهاب وابن إسحاق .

. . . .

بابنك عبدِ الله بن الزُّبَير ، لأنها كانت قد استوهبته من أبويه ، فكان في حِجْرها يدعوها ، أمَّا، ذكره ابنُ إسحق وغيرُه ، وأصح مارُوِى فى فضلها على النساء قولُه عليه السلام : فضلُ عائشة على النساء كفضل الثَّرِيد على الطعام ، وأراد الثريدَ باللحم ، كذا رواه مَعْمَرٌ فى جامعه مُفَسَّراً عن قتدة ، وأبان يرفعه ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم ، ووجه التفضيل من هذا الحديثِ أنه قال فى حديث آخر : سَيِّد إدَام الدُّنيا والآخرةِ اللحْمُ ، مع أن الثَّرِيدَ إذا أُطْلِق لفظُه ، فهو ثَرِيد اللَّحم ، وأنشد سِيبَوَيْهِ :

إذا ما الْخبزُ تَأْدِمُه بِلَحْمٍ فذلكَ أَمانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ[٣]

خديجة وعائشة ومريم :

ولولا ماتقدم من الحديث المخصِّصِ لخديجة بالفضل عليها حيثُ قال : والله ما أبدانى الله خيراً منها ، لقلنا بتفضيلها على خديجةَ ، وعلى نساء العالمين ، وكذلك القول فى مَرْيَمَ الصِّدِّيقَة ، فإنها عند كثير من العلماء نَبِيَّةٌ نَزَل عليها جبريلُ عليه السلام بالوحى ، ولا يُفَضَّل على الأنبياء غيرُهم ، ومن قال : لم تكن نَبِيَّةً ، وجعل قولَه تعالى : ﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ مخصوصاً بعالم زمانها ، فمن قوله : إن عائشة وخديجة افضل منها ، وكذلك يقولون فى سائر أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنهن أفضلُ نساء العالمين ،

(٣) ص ٤٣٤ ح ١ ، ١٤٤ ح ٢ كتاب سيبويه. ويقال: إن النحويين هم الذين وضعوا هذا البيت :

. . . .

ونزعوا فى تصحيح هذا المذهبِ بما يطول ذكره والله أعلم ، وفى مسند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى فاطمة هى سَيِّدة نساء أَهْلِ الجنة إلا مريم .

أم سلمة :

وذكر أم سَلَمة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مِجَشَّةَ ، وهى الرَّحى، ومنه سمى الْجَشِيش. وذكر مع الْمِجشّة أشياء لانعرف قيمتُها ، منها جَفْنَة وفِرَاشٌ. وفى مسندالبزار ذكر قيمَتها ، قال أنس : أصدقَها مَتاعاً قيمتُه عَشَرَةُ دراهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهما .

جويرية

وذكر جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبى ضِرَارٍ ، وكانت قَبْلَه عند مُسَافِعِ ابن صَفْوانِ الْخُزَاعِىِّ[1] وقال : أسلم الحارثُ ، وأسلم ابناه ، ولم يُسَمِّهِمَا ، وهما الحارث بن الحارث وعَمْرو بن الحارث ، ذكره البخارى .

زينب بنت جحش :

وذكر زينب بنت جَحْشٍ ، وأن أخاها أبا أَحْمَدَ هو الذى أنكحها مِنْ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهذا خلاف ما ثَبَتَ فى الحديث أنها كانت تفخر على صَوَاحِبها ، وتقول: زَوَّجَكُن أهلُوكُنَّ من رسول الله صلى الله

(١) قتل كافراً يوم المريسيع كما جزم به ابن أبى خيثمة والواقدى .

. . . .

عليه وسلم وزوجني ربُّ العالمين من فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ[1] وفي حديثٍ آخر أنه لما نزلت الآية ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ قام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخل عليها بغير إذن[2] ولم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرَافِ بنتَ خَليفة أخت دِحْيَةَ بن خَلِيفة الكلبي ، وذكرها غيرُه ، ولم تُقِمْ عندَه إلا يَسِيراً حتى ماتت[3] وكذلك العالية[4] بنت ظَبْيَان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وَسَنَى بنت الصَّلْتِ[5] تزوجها ثم خَلَّى سبيلَها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصَّلْتِ . ومنهن أسماء بنت النُّعْمَان بن الجَوْن الكِنْدِيَّة[6] اتفقوا على تَزْويج النبي صلى الله عليه وسلم إيَّاها ، واختلفوا في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في : شَرَافِ بنت

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه من حديث أنس

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي ، وقد حدث هذا بعد انقضاء عدتها .

(٣) وجزم ابن عبد البر . أنها ماتت في الطريق قبل وصولها إليه .

(٤) ويقال : إنه طلقها وقد رواه ابن سعد عن هشام الكلبي عن رجل من بني بكر ، وقد قيل إنه طلقها لأنه رأى بها بياضاً ، والله أعلم . والزيادة في نسبها عن ابن حبيب في المحبر ص ٩٣ .

(٥) وقيل : سنى بفتح السين وتخفيف النون ، وسماها قتادة أسماء أما ابن حبيب في المحبر فيقول إنها بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك ابن عوف السلمي . ويقول : إنها ماتت قبل أن تصل إليه .

(٦) وقيل أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندي ابن الجون . وبعضهم يجعل أسماء هذه وأسماء بنت كعب الجونية امرأة واحدة . ولكن ابن حبيب وغيره فرق بينهما .

. . . .

خَليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فالله أعلم .

وذكر خَوْلَة، ويقال فيها خُوَيْلَة ، ذُكرت فيمن تزوجهم النبى عليه السلام ، ويقال : هى التى وَهَبَتْ نفسها للنبى عليه السلام[1] .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجَه صلى الله عليه وسلم فى مَرضه إلى المسجدِ ، وأن أبا بكر كان الإمامَ ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأتمُّ به، وهذا الحديثُ مُرْسَلٌ فى السيرة ، والمعروف فى الصِّحَاح أن أبا بكر كان يُصَلِّى بصلاةِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناسُ يصلُّون بصَلَاةِ أبى بَكْرٍ ، ولكن قد رُوِى عن أَنَسٍ من طريقٍ مُتَّصِلٍ أن أبا بكر كان الإمام يومئذ ، واختلف فيه عن عائشة رضى الله عنها ، وروى الدَّارَقُطْنِىُّ من طريق المغيرةِ بن شُعْبَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما مات نبى حتى يَؤُمَّه رجلٌ من أمته[1] ، وذكر

(١) ويقال إنها أم شريك القرشية العامرية ، واسمها : غزية بضم الغين وفتح الزاى وتشديد الياء ـ بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لوى . وقيل: غزية بنت داودان بن عوف . وقيل : هى أم شريك غزية الأنصارية من بنى النجار ، وفى الصفوة لابن الجوزى هى أم شريك غزية بنت جابر الدوسية . قال : والأكثرون على أنها التى وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها لكبر سنها . وما ذكره السهيلى هو قول ابن قتيبة فى المعارف . وقيل إن اللاتى وهبن أنفسهن : ام شريك وخولة وليلى بنت الحطيم ولم يدخل بهن وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين. وانظر زاد المعاد ص٥١ إلى ص ٥٨ ح ١ عن أزواج النبى ص ، وكذلك شرح المواهب اللدنية ح ٣ من ص ٢١٦ إلى ص ٢٧١ .

(١) أخرجه ابن سعد عن محمد بن إبراهيم .

. . . .

أبو عُمَرَ هذا الحديث إلا أنه ساقه عن رَبِيعة بن أبى عبد الرحمن مُرْسَلاً ، وقد أسنده البزار أيضاً من طريق ابن الزُّبَيْر عن عُمَرَ عن أبى بكر ، وفى مراسيل الحسن البصرى أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - مرض عشرة أيام صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم العاشر منها يُهَادِى بين رَجُلَين أسَامَةَ والفضلِ بن عباس حتى صلى خَلْف أبى بكر ، رواه الدَّارَقُطْنِىُّ . ففى هذا الحديث أنه مَرِض عشرة أيام ، وهو غريب ، وفيه أن أحد الرجلين كان أسَامَةَ ، والمعروفُ عن ابن عباسٍ أنه كان علىّ بن أبى طالب ، وفيه صلاتُه عليه السلام خلف أبى بكر.

حديث العباس :

فصل : وذكر حديث العباس ، وأنه قال: لأَلُدَّنَّه، فَلَدُّوه ، وحسبوا أن به ذات الجَنْبِ[1] ، ففى هذا الحديث أن العباسَ حضره وَلَدَّه مَع من لَدَّ . وفى الصحيحين أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ بالبيت إلا لُدَّ[2] إلا عَمِّى العَبَّاس، فإنه لم يَشْهَدْكُمْ ، وهذه أصحُّ من رواية ابن إسحاق

---

(١) ذو الجنب الذى يشتكى جنبه إلا أن ذو للمذكر ، وذات للمؤنث ، وصارت ذات الجنب علما لها ، وإن كانت فى الأصل صفة مضافة . واللدود من الأدوية ما يسقاها المريض فى أحد شقى الفم، ولديدا الفم : جانباه . ولدوه : فعلوا به ذلك .

(٢) يقول ابن الأثير : إنه فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم لدوه بغير إذنه .

. . . .

وإنما لَدُّوه لأنه عليـــه السلامُ قد قال فى القُسْطِ[1] : فيه سَبْعَةُ أشْفِيَةٍ يُلَدُّ به من ذات الجَنْب ، ويُسْعَطُ بهمن العُذْرَةِ ، ولم يذكر الخَمْسَةَ . قال ابنُ شِهَابٍ : فنحن نستعمله فى أَدْوِيَتِنا كلِّها لعلنا نصيبُها ، واللَّدُودُ فى جانبِ الفم مِنْ داخلِه يُجعل هناك الدَّواء ويُحَكُّ بالإصْبَع قليلا .

وقوله : فى ذات الجَنْبِ : ذاك داء ما كان الله ليقذِفَنِى به ، وقال فى هذا الحديثمن رواية الطبرى له : أنا أكرم على الله من أن يقذفنى بها ، وفى رواية أخرى : وهى من الشيطان ، وما كان الله ليُسلِّطَها علىّ . وهذا يدل على أنها من سَيِّءِ الأسقام التى تعوَّذ النبىُّ عليه السلام منها فى دعائه حيثُ يقول : اللهم إنى أعوذ بكمن الجُنُون والجُذَامِ وسَيِّءِ الأسقَامِ ، وإن كان صاحبُها من الشهداء السَّبْعَة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الغَرَقِ والحَرَقِ ،مع قوله عليه السلام : الغريق شَهيد ، والحَرِيق شهيد . وقد ذكر أن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ هى التى لَدَّته فالله أعلم . والوجَع الذى كان بالنبى عليه السلام فَلُدَّ هو الوجع الذى يُسَمَّى خَاصِرَةً ، وقد جاء ذكره فى كتاب النُّذور من المُوَطَّإ ، قال فيه : فأصابتنى خاصِرَةٌ ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الخاصرةُ. قالت ولا نَهْتَدى لاسم الخاصِرَة، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عِرْقٌ فى الكُلْيَة . وفى مُسْنَد الحارث بن أبى أسامة يرفعه إلى النبى عليه السلام ، قال : الخاصِرَةُ عِرْقٌ فى الكُلْيَة إذا

---

(١) القسط : عقار معروف فى الادوية طيب الريح ، يبخر به النساء والاطفال .

. . . .

تحرك وَجَع صاحبه دواؤه العسلُ بالماء المُحْرَقِ ، وهو حديث يرويه عبدُ الرحيم بن عَمْرو عن الزُّهْرِى عن عُرْوَةَ ، وعبد الرحيم ضعيفٌ مذكور عند المحدثين فى الضعفاء ، ولكن قد روت عنه جماعةٌ منهم .

وقول أبى بكر رضى الله عنه : هذا يوم بنتِ خَارِجَةَ يارسولَ الله . بنتُ خَارِجَةَ اسمها : حَبِيبَةُ ، وقيل ملكية ، وخارجةُ هو ابن زَيْد بن أبى زُهَيْر ، وابن خارجة هو زَيْد بن خَارِجَةَ الذى تكلم بعد الموت فيما رَوَى ثقاتُ أهلِ الحديثِ لايختلفون فى ذلك ، وذلك أنه مات فى زمن عُثْمان ، فلما سُجِّى عليه سَمِعوا جَلْجَلَةً فى صَدْرِه ، ثم تكلم ، فقال : أَحْمَدُ أَحْمَدُ فى الكتابِ الأول صدق صدق ، وأبو بكر الصِّــدِّيق الضَّعِيفُ فى نفسِه القَوِىّ فى أمر الله فى الكتابِ الأوّل ، صدق صدق ، عُمَر بن الخطاب، القوِىُّ الأمين فى الكتاب الأول صدق صدق ، عُثمان بن عَفَّان على مِنْهاجهم مضت أربعٌ وبقيت سَنَتَانَ ، أتت الفِتَنُ ، وأكل الشديدُ الضعيفَ ، وقامت الساعةُ وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيس ، ومابئر أَرِيس[1] . قال سعيد بن المُسَيَّب : ثم هلك رجل من بنى خَطْمَةَ فسُجِّى بثوبٍ ، فسمعوا جَلْجَلَةً فى صَدْرِه ثم تكلم ، فقال : إن أخابنى الحارث بن الخَزْرَج صدق صدق ، وكانت وفاتُه فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حِرَاشٍ أخى رِبْعِىّ بن حِرَاشٍ ، قال : رِبْعِىٌّ : مات أخى فَسَجَّيْنَاه ، وجلسنا عنده ، فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوبَ عن وجهه ، ثم قال : السلام عليكم ، قلت : سبحان الله !! أبَعْدَ الموت ؟

(١) بئر قريبة من مسجد قباء .

. . . .

قال : إنى لقيت ربّى فتلقانى بروحٍ وريحانٍ ، وربٍّ غير غضبان ، وكسانى ثياباً خُضْراً من سُندسٍ وإستبرقٍ؛ أسرعوا بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد أقسم أن لايبرح حتى آتيه وأدركه ، وإن الأمر أهون ماتذهبون إليه فلا تغترّوا ، ثمّ والله كأنما كانت نفسُه حصاةً فأُلقيتْ فى طَسْتٍ[1] .

آخر كلمة تكلم بها عليه السلام :

فصل : وذكر أن آخر كلمة تكلم بها عليه السلامُ : اللهم الرفيق الأعلى ، وهذا مُنتزعٌ من قوله تبارك وتعالى ﴿ فأولئك مع الذين أنعمَ الله عليهم من النّبيّينَ والصِّدّيقين ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وحَسُن أولئك رَفِيقاً ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرُّفقاء ، لما قدمناه فى هذا الكتاب مما حسَّن ذلك ، مع أن أهل الجنة يدخلونها على قلبِ رجل واحد ، فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام ، وهى تتضمن معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، لأنه قال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ وهم أصحابُ الصراطِ المستقيم ، وهم أهلُ لا إله إلّا الله ، قال الله تعالى ﴿ اهْدِنا الصِّراط المستقيم صِراطَ الذين أنعمت عليهم ﴾ ثم بَيَّن فى الآية المتقدمة مَنْ الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيقُ الأعلى الذين ذكرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين خُيِّر فاختار ، وبعض الرُّواة يقولُ عن عائشة فى هذا الحديث : فأشار

---

(١) لانتصور فى هذه القصة إلا أحد أمرين ، وإما أن يكون وراءها هوى لئيم الذكاء ، وإما أن تكون إغماءة عميقة ، أفاق بعدها زيد . فقال ما رأى فى غيبوبته ، وإلا فإن هدى القرآن والسنة فى جانب . وهذيان هذه الأسطورة فى جانب آخر .

. . . .

بأصبعه ، وقال : فى الرفيق ، وفى رواية أخرى أنه قال : اللّهمّ الرفيق[1] ، وأشار بالسّبّابة ، يريد : التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة فى عموم قوله عليه السلام : مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنة ، ولاشك أنه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ، ولولم يُبشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلايقول القائلُ : لم لَمْ يكن آخر كلامه : لا إله إلّا الله ، وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مُسْتَرْضِعٌ عند حَليمة أن قال : الله أكبر ، رأيتُ ذلك فى بعض كتب الواقدى .

وأما آخرُ ماأوْصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما مَلَكَتْ أيمانُكم حرّك بها لسانه وما يكادُ يبين ، وفى قوله : مَلَكَتْ أيمانُكم قولان : قيل : أراد الرِّفقَ بالمَمْلُوك ، وقيل : أراد الزّكاةَ ، لأنها فى القرآن مقرونةٌ بالصّلاة ، وهى من مِلْكِ اليمين ، قاله الخطابى .

وقول عائشة رضى الله عنها : فمن سَفَهى وحَداثةِ سنّى أنه قُبِضَ فى حِجْرى فوضعتُ رأسَه على الوِسادة ، وقمت ألتَدِمُ مع النّساء . الالتِدامُ : ضَرْبُ الخدِّ باليَد ، ولم يدخل هذا فى التحريم ، لأن التحريمَ إنما وقع على الصّراخ والنّوح ، ولُعِنَتْ الخارِقَةُ والحالِقَة والصّالِقَةُ وهى الرافعة لصوتها ،

---

(١) فى رواية للبخارى قالت عائشة : كانت آخر كلمة تكلم بها : اللهم فى الرفيق الأعلى . وفى أخرى أنها سمعته يقول قبل أن يموت : اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى .

. . . .

ولم يذكر اللَّدْم[1] لكنه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه فى حال المصيبة ، وتركه أحد إلا على أَحْمَدَ صلى الله عليه وسلم :

فالصَّبْرُ يُحْمَد فى المصائبِ كُلِّها إلّا عليك فإنه مَذْمُومُ
وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْر حازِماً فأصبح يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ[2].

متى توفى رسول الله؟ :

واتفقوا أنه تُوُفِّى — صلى الله عليه وسلم — يوم الاثْنَيْن إلا شيئاً ذكره ابن قُتَيْبَةَ فى المعارف : الأَرْبِعاء[3] ، قالوا كلهم : وفى ربيع الأول ، غير أنهم

---

(١) ما نظن أن سيدة فى مثل دين عائشة رضى الله عنها وتقواها وأخذها الكتاب بقوة يلدم المصاب عقلها ، فيدفعها إلى اقتراف فعل الجاهلية . هذا وقد روى ابن مسعود أن رسول الله «ص» قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وهل اللدم إلا اللطم ؟ قد تبكى ، وتطيل البكاء ، أما أن تلطم ، ومع النداء ؟ وفى بيت قدسته روح النبوة ؟ أما هذا ، فلا يجوز تصوره ولا قوله .

(٢) ذاك شعر ليس بينه وبين هدى السنة رحم . فالصبر محمود فى كل مصيبة . ترى أكان صبر أبى بكر على وفاة خليله «ص» كان غير حميد ؟ والجازع لا يمكن أن يسمى حامداً ، إنما هو زخرف من القول . وأجل من هذا قول القائل :

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبى محمد

(٣) قال ابن قتيبة أولا : «قبض الله عز وجل رسوله «ص» يوم الاثنين وذكر أن ذلك كان فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة . ثم قال : «ويقال —

. . . .

قالوا ، أو قال أكثرُهم فى الثانى عَشَرَ من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفى صلى الله عليه وسلم إلا فى الثانى من الشهر أو الثَّالثَ عَشَرَ أو الرَّابعَ عَشَرَ أو الخامِسَ عَشَرَ لإجماع المسلمين على أن وَقْفَةَ عَرَفَةَ فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذى الحِجَّةِ ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرّم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صَفَرُ إمَّا السبتَ وإما الأحَدُ ، فإن كان السبتُ ، فقد كان ربيعٌ الأحَدَ أو الاثنين ، وكيفا دارت الحالُ على هذا الحسابِ ، فلم يكن الثانى عشر من ربيع يوم الاثنين بوجهٍ ، ولا الأربعاء أيضاً[1] كما قال القُتَبِيُّ ، وذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مِخْنَفٍ أنه توفى فى الثانى من ربيع الأول[2] ، وهذا القولُ وإن كان خلافَ أهل الجمهور فإنه لايبعد أن كانت الثلاثةُ الأشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً تفطّن له ، وقد رأيت للخُوَارَزْمِى أنه توفى عليه السلام فى أول يومٍ من ربيع الأول ، وهذا أقرب فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مِخْنَفٍ .

= إنه ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض ص ٥ يوم الاثنين . ودفن ليلة الأربعاء فى حجرة عائشة ، وفيها قبض » ص ٥٥ المعارف .

(١) يذكر فى المعارف أنه دفن يوم الأربعاء ، أما الوفاة فذكر أنها كانت يوم الاثنين فليس ثمت خلاف . ويصحح الحاكم أنه دفن يوم الاثنين عند الزوال . أما ابن عبد البر فيقول : أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء .

(٢) وقد صححه ابن حزم وغيره .

. . . .

السواك :

فصل : وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السِّوَاكَ حين رأته ينظر إليه ، فاسْتَاكَ به[١] ، وفيه من الفقه : التَّنَظُّفُ والتَّطَهُّر للموتِ ، ولذلك يُستحب الاستِحْدَادُ لمن استَشْعَرَ القَتْل أو الموتَ كما فعل خُبَيْبٌ ، لأن الميتَ قادمٌ على ربه ، كما أن المصلى مُنَاجٍ لربِّه ، فالنظافة من شأنهما ، وفى الحديث : إن الله نظيفٌ يُحِبُّ النظافَةَ ، خَرَّجه التِّرمذِيُّ ، وإن كان مَعْلُولَ السَّنَدِ ، فإن معناه صحيح ، وليس النظيفُ من أسماء الربِّ ، ولكنه حَسَنٌ فى هذا الحديث ، لازْدِوَاجِ الكَلَام ، ولقرب معنى النَّظافة من معنى القُدْس ، ومن أسمائه سبحانه : القُدُّوسُ ، وكان السِّواكُ المذكورُ فى هذا الحديثِ من عَسِيبِ نَخْلٍ فيما روى بعضهم ، والعربُ تَسْتَاكُ بالعَسِيبِ[٢] ، وكان أَحَبَّ السِّواكِ إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صُرُعُ الأَرَاكِ ، واحدُها صَرِيعٌ وهو قضيب يَنْطَوِى من الأَرَاكَةِ حتى يبلغ الترابَ ، فيبقى فى ظِلِّها فهو أَلْيَنُ من فَرْعِها .

ومما رُوِى من قول عائشةَ ـ رضى الله عنها ـ فى معنى قولها : بين سَحْرِى ونَحْرِى ، أنها قالت : قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين حاقِنَتِى

---

(١) كان سواك عبد الرحمن بن أبى بكر كما ورد فى البخارى . وكان السواك من جريدة رطبة . تقول عائشة : « إن من نعم الله تعالى على أن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته . دخل على عبد الرحمن ، وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله » الخ الحديث .

(٢) سبق الكلام عن السواك كما ورد فى البخارى .

. . . .

ودَاقِنَتِي ، فالحاقِنَةُ الثُّغرةُ[1] ، والدَّاقِنةُ : تحت الذَّقَنِ ، ويقال لها : الُّنونَة أيضاً. وروى أيضاً : بين شَجرِى - بالشين والجيم - ونَحْرى ، وسئل عُمارةُ بن عقيل عن معناه ، فشبّك بين أصابع يديه ، وضمها إلى نحره .

وغُسِّل عليه السلام حين قبض من بِئرِ اسعد بن خَيْثَمَةَ يقال لها بئر الغَرْسِ .

كرامات ومعجزات :

فصل : وذكر أنهم كُلِّمُوا حين أرادوا نزع قميصِه للغسل ، وكلهم سمع الصوتَ ، ولم يرالشخصَ، وذلك من كراماته صلى الله عليه وسلم[2] ، ومن آيات نُبُوَّته بعد الموت ، فقد كان له عليه السلام كراماتٌ ومُعْجِزَاتٌ[3] في حياته ، وقبل مولده وبعد موته . ومنها ما رواه أبو عُمَر رحمه الله في التمهيد من طُرقٍ صِحَاحٍ : أن أهل بيته سَمِعوا وهو مُسَجًّى بينهم قائلا يقول : السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه ياأهل البيت إن في الله عِوَضاً من كل تالف ، وخَلَفاً من كل هالك ، وعَزَاءً من كل مُصيبة ، فاصبروا واحْتَسِبوا ، إن الله مع الصابرين ، وهو حَسْبُنا ، ونعم الوكيل . قال : فكانوا يَرَوْنَ أنه الخَضرُ صلى الله على نبينا وعليه[4] ومن ذلك أيضاً أن الفضلَ بن عباس كان يُغسِّله

---

(١) أو هي كما عرفها ابن الأثير : الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق.

(٢) الرواية تقول . إن الله ألقى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره. فهي إذاً رؤيا وقد رواه أبو داود والحاكم والبيهقي .

(٣) قلت من قبل : لنسم ما من به الله على رسله تأييداً لهم : آيات .

(٤) وصاحب موسى هذا قد مات من قبل بمئات السنين .

. . . .

هو وعَلِيٌّ ، لجعل الفضلُ وهو يَصُبُّ الماءَ يقول : أرِحْنى أرِحْنِى ، فإنى أجد شيئاً يَتَنَزَّل على ظَهْرِى . ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ، ولا تغيرت له رائحةٌ ،وقد طال مُكْثُه فى البيت .قبل أن يُدْفَنَ ، وكان موتُه فى شَهْر أيْلُولَ ، فكان طَيِّباً حَيًّا ومَيِّتاً ، وإن كان عمُّه العباس قد قال لعلى : إن ابن أخى مات لاشَكَّ ، وهو من بنى آدم يَأْسِنُ كما يأْسِنُون[1] ، فوارُوه . وكان مما زاد العباسُ يقيناً بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلكِ بيسيرٍ كأنَّ القمر رُفِع من الأرض إلى السماء بأشْطَانٍ ، فقصَّها على نَبِيِّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هو ابنُ أخيك . ورَوى يونُس بن بُكَير فى السِّيرة أن أم سَلَمَة قالت : وضعتُ يدى على صَدْرِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مَيِّتٌ فمرَّت علىَّ جُمَعٌ لا آكل ولا أتَوَضَّأ إلا وجدت ريحَ المِسْكِ من يَدى ، وفى روايته أيضاً : أن عَلِيًّا نودى ، وهو يُغَسِّله أن ارْفعْ طَرْفَك إلى السماء . وفيها أيضاً أن عليًّا والفضل حين انتهيا فى الغسْلِ إلى أسفله سَمِعوا منادياً يقول : لا تَكْشِفُوا عَوْرَةَ نَبِيِّكم عليه السلام .

موازنة بين عمر وبين أبي بكر :

وأما جَزَعُ عمر رضى الله عنه وقولُه : والله ما مات رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) لا ريب فى أن العباس صدر فى كلمته هذه عن يقين الإيمان ببشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم النبيين ، وأن عظمته تتجلى فيما صدر عنه فى حياته لا فيما ينسب إلى هذا الجسد المسجى وليس فيما روى هنا حديث عند أصحاب الصحيح .

. . . .

وسلم ، ولَيَرْجِعَنَّ كما رَجَع موسى عليه السلام ، حتى كلّمه أبو بكر رحمه الله، وذكّره بالآيةِ ، فَعَقِر حتى سَقَط إلى الأرض ، وما كان من ثَباتِ جأْشِ أبي بكر وقوته في ذلك المقام[1] ، ففيه ما كان عليه الصِّدِّيقُ رضي الله عنه من شدة التَّأَلُّهِ ، وتعلُّق القلب بالإله، ولذلك قال لهم : مَنْ كان يَعبُد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله ، فإن الله حَيٌّ لا يموت . ومن قُوَّةِ تألُّهِهِ - رضي الله عنه - حين أجمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَدِّ جَيْش أُسامَةَ حين رأوا الرِّدَّة قد استَعَرَتْ نارُها ، وخافوا على نساء المدينة وذَرَاريها ، فقال : والله لو لعبت الكلابُ بخَلاخِلِ نِساءِ المَدينة ، ما رَدَدْتُ جَيْشاً أنفذه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وكلّمه عمرُ وأبو عُبَيْدَةَ ، وسالمٌ مولى أبي حُذَيفَةَ ، وكان أشدَّ شيءٍ عليه أن يُخالِفَ رأيُه رأيَ سالم ، فكلموه أن يدعَ للعربَ زَكاةَ ذلك العام تألُّفاً لهم حتى يتمكن له الأمرُ ، فقد كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يتألَّفُهم ، وكلمه عمر أنْ يُوَلِّي مكان أُسامَةَ مَنْ هو أسَنُّ مِنه ، وأجلدُ ، فأخذ بلحْيَةِ عُمَرَ، وقال له : يا ابن الخطَّابِ أتأمرني أن أكونَ أولَ حالٍّ عَقْداً عَقَدَه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - والله لأن أخِرَّ من السماء إلى الأرض ، فتَخْطَفَني الطيرُ أحبّ إليَّ من أن .

---

(١) ما أجمل ما عبرت به عائشة عن موقفهما حين قالت - كما ورد في البخاري - « فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقا ، فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم الحق الذي عليهم »

. . . .

أماالشكم على هـذا الرأى ، وقال لهم : والله لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لقاتلتهم وَحْدِى حتى تَنْفَرِدَ سالِفتى ، ولو منعونى عِقَالًا ، لجاهدتُهم عليه ، أَوَفى شكٍّ أنتم ، إنَّ وَعْدَ الله لحَقٌّ ، وإن قولَه لَصِدْقٌ ، ولَيُظْهِرَنَّ الله هذا الدينَ ، ولو كره المشركون . ثم خرج وحده إلى ذى القَصَّةِ[1] حتى اتبعوه ، وسمع الصوتَ بين يديه فى كل قبيلة ألا إن الخليفةَ قد توَجَّه إليكم الْهَرَبَ الْهَرَبَ ، حتى اتصل الصوتُ من يومه ببلاد حِمْيَر ، وكذلك فى أكثر أحوالِه رضى الله عنه ، كان يلوح الفَرْقُ فى التَّأَلُّه بينه وبين عُمَرَ رضى الله عنهما ، ألا ترى إلى قوله حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : سمعتُك وأنت تَخْفِضُ مِنْ صوتك يعنى فى صلاة الليل ، فقال : قد أسمعت مَنْ ناجيت ، وقال : للفاروق : سمعتك وأنت تَرْفَعُ مِنْ صوتك ، فقال : كى أَطْرُدَ الشَّيطانَ ، وأوقظ الْوَسْنَانَ . قال عبدُ الكريم ابن هَوَازِن القُشَيْرى[2] ، وذكر هذا الحديثَ : انظروا إلى فَضْلِ الصِّدِّيق على الفارُوق ، هذا فى مقام الْمُجاهَدَة ، وهذا فى بِساط الْمُشاهَدَةِ ، وكذلك ما كان منه يوم بَدْر ، وقد ذكرنا مقالته للنبى عليه السلام ذلك اليوم ، وهو معه فى العَرِيش ، وكذلك فى أمر الصَّدَقَة حين رَغِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيها ، فجاء عمر بنِصْفِ ماله ، وجاء الصِّدِّيقُ بجميع ماله ، فقال له النبى عليه السلام : ماأبقيتَ لأَهْلِك ؟ قال : اللهَ ورسوله ، وكذلكَ فِعالُه فى قَسْم الْفَىْءِ حين سوَّى بين المسلمين ، وقال : هم إخوةٌ ، أبوهم الإسلام ، فهم فى هذا

---

(١) مكان على بريد من المدينة . وهناك غيره ، فانظر المشترك وضعاً لياقوت .

(٢) هو صاحب الرسالة القشيرية التى دس فيها من التصوف نزعات صارفة من الحق .

. . . .

الفَيْءِ أُسْوَةٌ ، وأُجُورُ أهل السَّوابِقِ على الله . وفضل عُمَرَ فى قَسْم الفَيْءِ بعضهم على بعضٍ على حسب سَوابقهم ، ثم قال فى آخر عُمْرِه : لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأُسَوِّيَنَّ بين الناس ، وأراد الرجوع إلى رأى أبى بكرٍ ، ذكره أبو عُبَيْد رضى الله عنه ، وعن جميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ما حدث للصحابة عقب وفاته صلى الله عليه وسلم :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم لما قُبِضَ ، وارتفعت الرَّنَّةُ وسُجِّىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الملائكةُ ، دُهِشَ الناسُ ، وطاشت عقولُهم وأُفحِمُوا ، واختلطوا ، فمنهم من خُبِلَ ، ومنهم من أُصْمِتَ ، ومنهم من أُقْعِدَ إلى أرض ، فكان عُمَرُ ممن خُبِلَ وجعل يَصيح ، ويحلف : ما مات رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان مِمَّن أُخْرِسَ عثمانُ بن عَفَّان حتى جعل يُذْهَبُ به ويُجاء ، ولا يستطيع كلاما ، وكان ممن أُقْعِدَ : عَلِىٌّ ، رضى الله عنه ، فلم يستطع حَرَاكاً ، وأما عَبْدُ الله بن أُنَيْسٍ ، فأُضْنِىَ حتى مات كَمَداً ، وبلغ الخبرُ أبا بَكْرٍ رضى الله عنه ، وهو بالسُّنْح[1] ، فجاء وعيناه تَهْمُلان ، وزَفَراتُهُ تَتَرَدَّد فى صَدْرِه ، وغُصَصُه ترتفع كقطع الجِرَّةِ ، وهو فى ذلك رِضْوانُ الله عليه ، جَلْدُ العَقْلِ والمَقَالَة ، حتى دَخَل على رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأكَبَّ عليه ، وكشف وجهه ومَسَحَه وقَبَّل جبينَه ، وجعل يَبْكى ، ويقول : بأبى

(١) ضبطها البكرى بضم النون وغيره بسكونها .

. . . .

أنت وأمّى طِبْتَ حيّاً ومَيِّتاً ، وانقطع لموتِك مالم يَنقَطِعْ لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النُّبُوَّةِ ، فعَظُمْتَ عن الصِّفة ، وجَلَلْتَ عن البُـكاء ، وخصصت حتى صِرْتَ مَسْلَاةً ، وعممت حتى صِرنا فيك سَوَاء ، ولو أن مَوْتَك كان اختياراً لجُــدْنَا لموتِك بالنفوسِ ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُـكاء لأنفَدْنا عليك ماءَ الشُّئون ، فأما مالا نستطيع نَفْيَـه فَـكَمَدٌ وإدْنَافٌ يتحالفان لا يَبْرَحَان ، اللهم أبلغه عنا ، اذْكُرْنا يامُحَمَّـد عند رَبِّك ، ولَنـكُنْ مِنْ بالك[1] ، فلولا ما خَلَّفْتَ من السَّـكِينة ، لم نَقُمْ لـما خَلَّفْتَ من الوَحْشَةِ ، اللهم أبلغ نبيَّـك عنَّا ، واحفظه فينا ، ثم خرج لما قضى الناسُ غَمَرَاتِهم ، وقام خطيباً فيهم بخُطْبَةٍ جُلُّها الصَّلاةُ على النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال فيها : اشهدأن لا إله إلاَّ الله وَحْدَه لاشريك له ، وأشهد أن محـمداً عبدُه ورسوله وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الـكتابَ كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديثَ كما حَدَّث ، وأن القول كما قال ، وأن اللهَ هوالحقُّ المبين ، فى كلامٍ طويلٍ ، ثم قال : أيها الناسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدمحمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لم يَمُتْ ، وأن الله قد تقدم لـكم فى أمرِه ، فــلا تَدَعُوه جزعاً ، وأن الله تبارك وتعالى قد اخْتار لنبيه عليه السلامُ ماعنده على ماعندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلَّـف فيكم كتابَه وسُنَّة نبيه ، فمن أخذ بهما عرَف ، ومن فرق بينهما أنـكَر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقِسْطِ ﴾ ولا يَشْغَلَنَّـكُمُ الشيطانُ بموت نبيِّـكم ولا يَلْفِتَنَّـكم عن دينِكم ، وعاجِلُوا

---

(١) لا يقول هذه أبو بكر .

. . . .

الشيطانَ بالخِزْى تُعجِزوه ، ولا تستنظِروه فيَلحَق بكم. فلما فرغ من خُطْبَتِه، قال : يا عُمَرُ أأنتَ الذى بلغنى عنك أنك تقول على بابِ نبىِّ اللهِ ، والذى نفسُ عُمَرَ بيده : ما مات نبىُّ الله ، أما علِمْتَ أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم كذا : كذا ، وكذا ، وقال الله عزّ وجلّ فى كتابه : ﴿ إنك مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتُون ﴾ فقال عمر : والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لِما نَزَلَ بنا، أشهد أنّ الكتابَ كما نزل ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن الله تبارَكَ وتعالى حىٌّ لا يموت ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ﴾ صلواتُ الله على رسوله ، وعند الله نحتَسِب رسوله . وقال عمر فيما كان منه:

لَعَمْرِى لقد أيقَنْتُ أنك مَيِّتٌ	ولكنما أبْدَى الذى قلتُه الجَزَعْ [1]
وقلت يَغيب الوَحْىُ عنا لفَقْدِه	كما غاب موسى ، ثم يرجع كما رَجَعْ
وكان هَوَاىَ أن تطولَ حياتُه	وليس لحىٍّ فى بَقا مَيِّتٍ طَمَعْ
فلما كشفنا البُرْدَ عن حُرِّ وَجْهِه	إذا الأمْرُ بالجزع الموهب قد وَقَعْ
فلم تَكُ لى عند المُصيبة حِيلةٌ	أرُدُّ بها أهلَ الشَّماتة والقَذَعْ
سِوَى آذَنَ الله فى كتابه	وما آذن اللهُ العِبادَ به يَقَعْ
وقد قلت مِنْ بعد المَقالةِ قَوْلةً	لها فى حُلوق الشَّامِتِين به بَشَعْ
ألا إنما كان النبىُّ محمدٌ	إلى أجَلٍ وافى به الوقت فانقطَعْ
ندين على العلاّت منا بدينِه	ونُعطى الذى أعطى، ونَمنع ما مَنَعْ

(١) جزم بدون سبب . وليس فى الشعر رائحة من عمر .

. . . .

وولِيت مَحزونًا بعين سَخِينَةٍ أُكَفْكِفُ دَمْعي والفؤادُ قد انْصَدَعْ
وقلت لعيني : كُلّ دَمْع ذَخَرْتِه فُجودي به إن الشَّجِيَّ له دُفَعْ

وفي هذا الخبر أنّ عمر قال : فَعقِرت إلى الأرض ، يعنى حين قال له أبو بكر ماقال ، يقال : عقِرَ الرجلُ إذا سَقَط إلى الأرض من قامته ، وحكاه يَعقوبُ عفَرَ بالفاء كأنه من العَفَر وهو التراب ، وصوّب ابن كيسان الروايتين ، وقالت عائشةُ ـ رضي الله عنها توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلو نزل بالجِبَال الصُّمِّ مانزل بأبي لهاضَها ، ارْتَدّت العربُ واشْرأَبَّ النِّفاقُ ، فما اختلفوا في نُقْطَةٍ إلا طار أبي بحظِّها وغنائها ، ويُروى في بُقْطَةٍ بالباء ، قاله الهَرَوِيُّ في الغريبين ، وفسره بالقِطْعة[1] ، ونحوها ، واستشهد بالحديث في النهى عن بَقطِ الأرض ، وهو أن يُقطَع شَجَرُها فتتخذ بُقَعًا للزرع ، وبَقطُها ضَربٌ من المُخابَرة قد فسره .

كيف صلى على جنازته عليه السلام ؟

ذكر ابن إسحاق وغيرُه أن المسلمين صَلُّوا عَلَيْه أَفذاذًا ، لا يؤمُّهم أحدٌ ، كلما جاءت طائفةٌ صَلّت عليه ، وهذا خصوصٌ به صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون هذا الفعلُ إلّا عن توقيف[2] ، وكذلك رُوِى أنه أوْصَى بذلك ،

---

(١) في اللسان : البقطة : البقعة من بقاع الأرض أو الفرقة من الناس .

(٢) حديث ابن إسحاق رواه البيهقي وابن ماجة . ويقول الحافظ في الفتح ، إسناده ضعيف لأنه من حديث حسين بن عبد الله بن ضميرة .. وعن أبي عسيب

. . . .

ذكره الطَّبَرِيُّ مُسْنَداً ، ووجه الفِقْه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاةَ عليه بقوله : ﴿صَلُّوا عليه وسَلِّموا تَسْلِيما﴾ وحكمُ هذه الصلاة التى تضمنتها الآيةُ ألَّا تكونَ بإمام ، والصلاةُ عليه عند موته داخلةٌ فى لفظِ الآيةِ ، وهى مُتَنَاوِلَةٌ لها ، وللصلاة عليه على كل حال ، وأيضاً فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يُصَلِّى عليه وملائكتُه، فإذا كان الربُّ تعالى هو المصلِّى والملائكة قَبْل المؤمنين ، وجب أن تكون صلاةُ المؤمنين تَبَعاً لصلاةِ الملائكةِ ، وأن تكون الملائكةُ هم الإمامَ ، والحديث الذى ذكرتُه عن الطَّبَرِى فيه طولٌ ، وقد رَوَاه البَزَّار أيضاً من طريقِ مُرَّةَ عن ابن مَسْعُود ، وفيه أنه حين جمعَ أهلَه فى بيتِ عائشةَ ـ رضى الله عنها ـ أنهم قالوا : فمن يُصَلِّى عليك يارسول الله؟

= عند أحد أنه شهد الصلاة على رسول الله «ص» فقال : كيف نصلى عليك؟ قال. ادخلوا أرسالا . وعن جابر وابن عباس أيضاً عند الطبرانى ، وفى إسناده عبد المنعم ابن إدريس وهو كذاب ، وقد قال البزار : إنه موضوع . وعن ابن مسعود عند الحاكم بسند واه . وعن نبيط بن شريط عند البيهقى وذكره مالك بلاغا وفى الحديث أن الصلاة كانت عليه فرادى ، الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان . قال ابن عبد البر : وصلاة الناس عليه أفراداً مجمع عليه عند أهل السير ، وجماعة أهل النقل لا يختلفون فيه ، وتعقبه ابن دحية بأن ابن القصار حكى الخلاف فيه ، هل صلوا عليه الصلاة المعهودة أو دعوا فقط ، وهل صلوا فرادى أو جماعة .. قال ابن دحية : والصحيح أن المسلمين صلوا عليه أفراداً لا يؤمهم أحد ، وبه جزم الشافعى ، قال : وذلك لعظم رسول الله «ص» بأبى هو وأمى ، وتنافسهم فى ألا يتولى الإمامة عليه فى الصلاة واحد . قال ابن دحية : كان المصلون عليه ثلاثون ألفاً . أنظر نيل الأوطار ص١ ج ٤ ط ١٣٥٧ هـ والخصائص للسيوطى ص ٢٩٤ ط دار الكتب الحديثة بتحقيق الأستاذ محمد خليل هراس .

. . . .

قال : فَهَلَّا غفر اللهُ لكم وجزاكم عن نبيِّكم خيراً ، فبكينا وبكى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : إذا غسَّلتموني ، وكفَّنتموني ، فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة ، فإن أول من يصلِّي عليَّ جليسي وخليلي جبريلُ ، ثم ميكائيلُ ، ثم إسرافيلُ ، ثم ملكُ الموت مع جنودِه ، ثم الملائكةُ بأجمعها ، ثم ادخلوا عليَّ فوجاً بعد فوج ، فصلُّوا عليَّ وسلِّموا ، تسليما ، ولا تؤذوني بتزكيةٍ ، ولاضجَّةٍ ، ولارنَّةٍ ، وليبدأ بالصلاة عليَّ رجالُ بيتي ثم نساؤهم ، وأنتم بعد اقرؤا أنفسكم السَّلام مني ، ومن غاب من أصحابي فاقرءوه مني السَّلام ، ومن تابعكم بعدي على ديني ، فاقرءوه مني السلام ، فإني أُشهِدكم أني قد سلَّمت على من تابعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة ، قلت : فمن يُدخِلك قبرك يارسولَ الله ؟ قال : أهلي مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لاترونهم [1] .

موته عليه السلام كان خطبا فادحا :

فصلٌ : وكان موتُه عليه السلام خطباً كالحاً ، ورُزءاً لأهل الإسلام فادحاً ، كادت تهدُّ له الجبال ، وترجفُ الأرضُ ، وتكسفُ النيِّرات ، لانقطاع خبر السماء ، وفقد مَنْ لاعِوَضَ منه ، مع ما آذن به موتُه — عليه السلام — من الفتنِ السُّحم ، والحوداثِ الدُّهم ، والكربِ المُدلهمَّة ، والهزاهزِ

(١) لا أدري كيف يعتمد على مثل هذا الحديث الذي لم يخرجه أحد من أصحاب الصحيح والذي طعن فيه نقدة الحديث ؟

. . . .

الْمُضْلِعة ، فلولا ما أنزل اللهُ تبارك وتعالى من السَّكِينة على المؤمنين ، وأسْرَجَ فى قلوبهم من نور اليقين ، وشرح له صُدورَهم من فَهْم كتابه المبين لانقَصَمَتْ الظهورُ، وضاقت عن الكُرَبِ الصدورُ، ولعاقهم الجزعُ عن تَدْبير الأمور ، فقد كان الشيطان أطْلَع إليهم رأسَه ، ومد إلى إغوائهم مطامِعَه ، فأوقد نارَ الشَّنآن ، ونصب رايةَ الخِلَافِ ، ولكن أبى الله تبارك وتعالى إلا أنْ يُتِمَّ نورَه ، ويعلى كلمته ، ويُنْجِزَ موعودَه ، فأطفأ نار الرِّدَّةِ ، وحَسَم قَادَةَ الخِلَافِ والفِتْنَةَ على يد الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ولذلك قال أبو هُرَيْرَةَ : لولا أبو بكر لهلكت أمةُ محمد عليه السلام بعد نبيِّها ، ولقد كان مَنْ قدم المدينةَ يومَئِذٍ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضَجِيجاً ، وللبكاء فى جميع أرجائها عَجِيجاً ، حتى صَحِلَتْ الْحُلُوق ، ونُزِفَتْ الدموعُ ، وحق لهم ذلك ، ولن بعدهم ، كما روى عن أبى ذُؤَيْب الْهُذَلِىِّ ، واسمه : خُوَيْلِد بن خالد ، وقيل ابن مُحَرِّث[1] قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليلٌ فاسْتَشْعَرْتُ حُزناً وبتُّ بأطْوَلِ ليلة لا يَنْجابُ دَيجُورُها ، ولا يطلع نورُها ، فظللت أقاسى طولها ، حتى إذا كان قُرْب السَّحَر أغْفَيْتُ ، فهتف بى هاتف ، وهو يقول :

خَطْبٌ أَجَلُّ أَنَاخ بالإسْلَام ... بين النَّخِيل ومَعْقِد الآطام

قُبِضَ النبىُّ محمدٌ فعيونُنَا ... تُذْرِى الدُّمُوعَ عليه بالتَّسْجَامِ

---

(١) هو شاعر جاهلى إسلامى مات أيام عثمان ، وعامة شعره فى إسلامه ، وحضر سقيفة بنى ساعدة .

. . . .

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سَعْد الذّابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع فى العَرَب ، وعلمت أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قد قُبِض ، وهو ميت من علّته ، فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحتُ طلبت شيئاً أزْجُرُ به ، فعَنَّ لى شَيْهَمٌ ، يعنى : القُنْفُذ قد قَبض على صِلّ ، يعنى : الحَيَّة ، فهى تَلْتوى عليه ، والشَّيْهَمُ يَقْضَمُها حتى أكلها ، فزَجَرْتُ ذلك ، وقلت : شَيْهَمٌ شئ مُهِمٌّ ، والْتِوَاء الصِّلّ الْتِوَاء الناس عن الحق على القائم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أَكْلُ الشَّيْهَم إيَّاها غلبةُ القائم بعده على الأمر . فَحثَثْتُ ناقتى ، حتى إذا كنتُ بالغَابَة زَجَرْتُ الطائرَ فأخبرنى بوفاته ، ونَعَب غُرَابٌ سانحٌ فنطق مثل ذلك ، فتعوَّذْتُ بالله من شرِّ ما عَنَّ لى فى طريقى ، وقدمت المدينةَ ولها ضَجِيجٌ بالبكاء كضَجِيج الحَجِيج ، إذا أهَلُّوا بالإحْرَام ، فقلت : مَهْ ؟ فقالوا : قُبِض رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فوجدته خالياً ، فأتيتُ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأصبْتُ بابه مُرْتَجاً ، وقيل هو مُسَجًّى قد خلا به أهلُه ، فقلت : أين الناسُ ؟ فقيل : فى سَقِيفَة بنى ساعِدَة ، صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بَكْرٍ وعُمَرَ وأبا عُبَيْدَة بن الجَرّاح وسالماً وجماعةً من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سَعْد بن عُبَادَة ، وفيهم شعراؤُهم حسانُ بن ثابت وكَعْب بن مالك ومَلأٌ منهم ، فأويت إلى قُرَيْش ، وتكلمت الأنصارُ ، فأطالوا الخطابَ وأكثروا الصَّوابَ وتكلم أبو بكر رضى الله عنه ، فلله دَرُّه مِنْ رَجُلٍ لا يُطيل الكلام ويعلم مواضع فصلِ الخِطَاب ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامعٌ إلاَّ انقادَ له ، ومال إليه ، ثم تكلم عُمَرُ ، رضى الله عنه ، بعده دون كلامِه ، ومَدَّ يده ،

. . . .

فبايعه وبايعوه ، ورجع أبو بكر ، ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنَه ، ثم أنشد أبو ذُؤَيْبٍ يبكى النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

لما رأيتُ الناسَ فى عَسَلاَنِهِم ... من بين مَلْحُودٍ له ومُضَرَّحِ

مُتَبَادِرِين لِشَرْجَعٍ بأَكُفِّهِمْ ... نَصَّ الرِّقابِ لفقد أبيضَ أَرْوَحِ

فهناك صرت إلى الهموم، ومَنْ يَبِتْ ... جارَ الهُمُوم يبيت غير مُرَوَّحِ

كَسَفَتْ لمصرعه النجومُ وبَدْرُها ... وتَزَعْزَعَتْ آطامُ بَطْنِ الأَبْطَحِ

وتَزَعْزَعَتْ أجْبَالُ يَثْرِبَ كُلُّها ... ونخيلُها لحلول خَطْبٍ مُفْدِحِ

ولقد زَجَرْتُ الطيرَ قبل وفاته ... بمُصابه، وزَجَرْتُ سعد الأَذْبَحِ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

أَرِقْتُ فبات لَيْلِى لا يَزُولُ ... وليلُ أخى المصيبةِ فيه طولُ

وأسْعَدَنى البكاء وذاك فيما ... أُصيبَ المسلمون به قليلُ

لقد عَظُمت مصيبَتُنَا وجَلَّت ... عَشِيَّةَ قيل : قد قُبِضَ الرسولُ

وأضحت أرضُنا مما عَرَاها ... تكاد بنا جوانبُهَا تَمِيل

فَقَدْنا الوَحْىَ والتنزيلَ فينا ... يَرُوح به ويَغْدو جبْرَئِيلُ

وذاك أحَقُّ ما سالت عليه ... نفوسُ الناس أو كَرَبت تَسِيل

نبِىٌّ كان يجلُو الشَّكَّ عنا ... بما يُوحَى إليه وما يَقُول

. . . .

ويهدينا فــلا نخشى ضلالا علينا والرسولُ لنا دَليلُ

أفاطِمُ إنْ جزِعْت فذاك عذر وإن لم تجزَعِي ، ذاكَ السّبيل

فقبر أبيك سَيِّدُ كُلُّ قبرٍ وفيه سَيِّدُ النّاسِ الرّسُولُ

ولما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

اغبَرَّ آفاقُ السماء وكُوِّرَتْ شمسُ النهار وأظلم العَصْرانِ

فالأرض من بعد النبيِّ كئيبةٌ أسفاً عليه كثيرة الرَّجفان

فليَبْكِهِ شرقُ البلاد وغربُها ولتَبْكِهِ مُضَرٌ وكُلُّ يمَان

وليَبْكِهِ الطَّوْدُ المعظمُ جوُّه والبيت ذو الأستار والأركان

ياخاتَمَ الرُّسْل المبارَكَ ضَوْؤه صَلّى عليك مُنَزِّلُ القرآن

[نفسي فداؤك ما لرأسك مائلا ماوسَّدُوك وسادة الوسنَانِ]

. . . .

الاختلاف في كفنه :

فصل : وأما الاختلاف فى كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفى الذين أدخلوه قبرَه ونزلوا فيه ، فكثير ، وأصحُّ ماروى فى كفنِه أنه كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيّة[1] ، وكانت تلك الأثوابُ من كُرْسُفٍ[2] ، وكما أن قميصُه عليه السلام كان من قُطْنٍ ، ووقع فى السيرة من غير رواية البَكّائى أنها كانت إزاراً ورِداء ، ولُفَافَةً ، وهو موجود فى كتب الحديث وفى الشُّروحات ، وكانت اللَّبِنُ التى نُضِّدَت عليه فى قبره تِسْعَ لَبِنَاتٍ .

وذكر ابن إسحاق فيمن أَخَذَه شُقْرَانُ مولاه ، واسمه : صالح وشهد بدراً ، وهو عبد قبل أن يُعْتَق ، فلم يُسْهِم له ، انقرض عقبُه فلا عقب له .

وذكر ابن إسحاق مَرَاثِى حَسَّان فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها ما يُشْكِل فنشرحُه ، وقد رثاه كثيرٌ من الشعراء وغيرهم وأكثرهم

---

(١) بضم السين والحاء ، وبفتح السين أشهر نسبة إلى سحول قرية باليمن . قال ابن الأعرابى : وهى ثياب بيض نقية لاتكون إلا من القطن. وقال ابن قتيبة ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وفى رواية البخارى . سحول بدون نسبة. وهو جمع سحل ، والسحل : الثوب الأبيض النقى ، وقيل هى بالضم نسبة إلى القرية ، وبالفتح نسبة إلى القصار لأنه يسحل الثياب ، أى ينقيها . وكونه كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة أدرج فيها إدراجاً هو من رواية الجماعة .

(٢) القطن .

. . . .

أفحمهم المصابُ عن القول ، وأعجزتهم الصِّفَةُ عن التَّأبين ، ولن يبلغ بالإطناب في مَدْح ولا رثاء في كُنه محاسنه عليه السلام ولا قَدْر مصيبة فقده على أهل الإسلام ، فصلى الله عليه وعلى آله صلاةً تتَّصل مَدَى الليالي والأيام ، وأحلَّه أعلى مراتب الرحمة والرضْوان والإكرام ، وجزاه عنا أفضلَ ما جزَى به نَبيًّا عن أمته ، ولا خالف بنا عن مِلَّتِهِ ، إنه وَلِيُّ الطَّوْلِ والفَضْل والإنعام ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ ، والحمد لله رب العالمين .

« تم الكتاب بحمد الله رب العالمين »

وكان الفراغ من تحقيقه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين صباح يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٦٨ م بمدينة الزهراء بوادي حوف

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بهذا الحمد الذى يجيش به القلب ، وتفيض الحياة ، ويتجاوب الوجود ، أختم عملى فى هذا الكتاب الذى يتناول سيرة أقدس وأنبل حياة بشرية ، كانت للناس نوراً وحياة ورحمة ، حياة خاتم النبيين محمد « صلوات الله وسلامه عليه » الذى بعثه الله لأمته ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة فتحقق ما وعد به الله ، فكانوا خير أمة أُخرجت للناس ، إيماناً ، وخلقاً ، وسلوكاً فى الحياة ، وتحكيما لهدى القرآن فى شئون الحياة .

وشهد الله لقد بذلتُ من الجهد ما أملك ، وحاولت أن أقوم بما هو مفروض علىّ نحو هذا الكتاب « الروض الأنف » الذى سيطر على المعارف الإسلامية قروناً متطاولات .

فهو فوق كونه شرحاً وتحقيقاً لسيرة ابن هشام ، يضم بين دفتيه كل أثر للثقافة الشاملة ، التى كان الإمام السهيلى عليها فى عصره ، والتى بسببها كان مصدراً لأمثال هؤلاء الأعلام « الإمام ابن القيم ، والإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ، وابن منظور » فى لسان العرب .

الكتاب سيرة ، وتاريخ ، وفقه ، وعقيدة ، ونحو ، وأدب . والسهيلى إمام كبير فى كل ذلك .

وقد حاولتُ جهدى تحقيق كل مسائله بالرجوع إلى نفس مصادره التى عنها أخذ ، أو بالرجوع إلى الكتب التى عنه أخذت ونقدت ، حتى استوى الكتاب على هذه الصورة المشرقة المشرقة التى صوّبت ما كان من أخطاء كثيرة فى طبعته الأولى .

ولقد كان فى طبعته الأولى جزءين فى مجلد ، وهاهو فى سبعة أجزاء كبار ، تجمع بين سيرة ابن هشام ، وبين « الروض الأنف » وبين تحقيق للروض .

ومثل هذه الكتب الجادة التى تمثل تراثنا الفكرى الإسلامى أصدق تمثيل ، لا يُقبل عليها الناشرون كثيراً . ولكن صاحب « دار الكتب الحديثة » أقدم على هذا ، مصابراً الزمن الذى قضيته فى تحقيق الكتاب ومقداره ثلاث سنوات ، استغرقتُ فيها اليوم كله إلا قليلا . ولقد كنتُ حين أقبل على الكتاب أضرع إلى الله أن يلهمنى الصواب فيما أكتب ، وأضرع إليه الآن سبحانه أن يكون قد استجاب دعائى .

وفى السهيلى مَسٌّ من أشعرية ، كان يبتعد به أحياناً عن السلفية ، فلم تمنعنا إمامته الكبرى عن نقده ، وبيان الصواب فى المسألة .

ولقد قمتُ بتصحيح تجارب طبع ثلاثة أجزاء من الكتاب ، ثم انتُدِبْتُ لتدريس مادة العقيدة الإسلامية فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة ، فى مكة المكرمة ، حرسها الله ، وكلأها برعايته وحفظه ، فوكلت الدار إلى الأخ « محمود غانم غيث » تصحيح تجارب الطبع فى بقية الأجزاء ، والله يجزيه على ماقدم أحسن وأطيب الجزاء .

وأخيراً وبعد حمد الله وشكره أشكر الشاب الكريم « أحمد حمدى شعبان »

صاحب دار النصر للطباعة ، والإخوة العاملين فى الدار ، على هذا الجهد الكريم السخى ، الذى بذلوه فى طبع الكتاب .

وجزى الله صاحب «دار الكتب الحديثة» على ماينشر من كتب الخير والحق والموسوعات الإسلامية الجادة .

وصلّ الله وسلم وبارك على خاتم النبيين محمد .

والحمـــــد لله رب العالمين ؟

مكة المكرمة ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٠
٥ يونيـه سنة ١٩٧٠

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل
أستاذ العقيدة الإسلامية
فى قسم الدراسات العليا
بكلية الشريعة

فهـــرس

الجزء السابع من الروض الأنف

(١) س رمز عن السيرة . و «ن. ل» رمز عن النحو واللغة . و ش رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

رقم الإيداع ٤٧٠٠ / ١٩٧٠